

المجلد المحرم

الشراء - رقم السجل

٧٤١٨

ديوان



مجلد الاسلام

أو
الإبادة الإسلامية

٦٥٦

أشرف على تصحيحه ومراجعته

محمد إبراهيم الجيوشي

١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م

مكتبة دارالعلوم
١١ شارع الجمهورية القاهرة

١٨٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إنسانٌ بَرَأَ اللهُ أُصُولَهُ — في الدهرِ الأوَّل — من أكرمِ معادنِ الإنسانية .
ثمَّ اختاره — بسبب ذلك — لحلِّ أكلِ رسالات السماء إلى أمِّ الأرض ،
فأدَّى الأمانة بأشرفِ ما عرفَ تاريخُ الإنسانية من براءةٍ في حفظها ، ولباقيةٍ في
حُسنِ عرضها ، وكياسةٍ في إشرافِ الصفوة المختارة من أبناء الأمم في تذوقِ
حلاوتها ، وتوضيحِ جمالها للناظرين .

واندَفَعَت سفينَةُ الزمن في بحرِ الحياةِ اللُّجِّيِّ ، حاملةً هذه الأمانةَ من الجيلِ
المتالي إلى جيلِ تلاه ، ثمَّ إلى جيلِ ثالثٍ قامَ بعدهما ، حتى صارت الأرضُ غيرَ
الأرضِ ، فكان الحقُّ والباطلُ في صراعٍ ، والخيرُ والشرُّ في عِراكٍ . وكثُرَ
أهلُ الحقِّ والخيرِ الذين تخلَّقوا — في مختلفِ أقطارِ الشرقِ والغربِ — بأخلاقِ
ذلك الإنسانِ الكريمِ المَعْدِنِ ، فاضطُرَّ الباطلُ إلى أن يتحوَّلَ عن مواجهةِ
الحقِّ بالصراعِ السافرِ ، واستسلمَ له بالتقيةِ والمراءِ والرياءِ والخديعةِ ، حتى توصَّلَ
— مع الشيطانِ — إلى كَفِّ يدِ ذلك الإنسانِ الكريمِ المَعْدِنِ عن الإمساكِ
بِدَقَّةِ السفينةِ ، فانتَقَلَتِ القِيادةُ والتوجيهُ إلى يدِ الباطلِ الخادعِ ، وتحوَّلَتِ
السفينةُ عن طرِيقِها ، ثمَّ عن أهدافِها ، منذ ألف سنةٍ وأكثرٍ . وكان الباطلُ
في خلالِ ذلك يُشوِّهُ سيرةَ ذلك الإنسانِ ، ويدسُّ في تاريخه ما لم يكن منه .
ويفسدُ عليه حتى عقيدته في نفسه ، مع ما هو قائمٌ به من إضعافِ إيمانِ الأممِ به .
إلى أن استسلمَ الإنسانُ الكريمُ المَعْدِنُ لليأسِ والعزلةِ ، ومُنِيَ بالضعفِ والشللِ .

وانحدر في هاوية الفاقة والخذلان ، ونسى أمانته فكانت مدفونة تحت الخرابة التي انضوى إليها ، وانطوى بين أنقاضها ، ولم يعد يعرف أن له رسالة بُعث بها من السماء إلى أهل الأرض ، ولا أنه صاحب تلك الأمانة التي سَعِدَتْ بها الإنسانية في أزهر عصورها ، وآلت بعد ذلك إلى أن تُدفن تحت الأنقاض فتكون مجهولة حتى من وارثها الذي أَلِفَ العيشَ بين أنقاض الخرائب .

تلك هي صورة الناشئ العربي التي كانت في عقلي ، وقلبي ، وأعمق نفسي ، قبل أكثر من ستين عاماً ، وكنتُ حينئذٍ في دراستي الثانوية بدمشق ، بين سنتي ١٣٢٠ و ١٣٢٣ ، مع لدائي من صفوة من عرفهم من فتيان العروبة والإسلام ، وفي طليعتهم الشهيدان السعيدان : الأمير عارف سعيد الشهابي ، والدكتور صالح قنبار ، والفقيهان العريزان الدكتور صلاح الدين القاسمي ، وزكي الخطيب . هي صورة العروبة والإسلام وقد تنكَّرَ لهما أهلها ، بما شوَّهتهُ الشعبية من تاريخهما الأجل ، وعلمها الخالد ، في آفاق الأرض المعمورة المعروفة في ذلك الحين

هي صورة أمي وأمتي ،

صورة وطني ولغتي ،

إنها صورتي يومئذٍ ، وصورة الجيل الذي أنا منه

هي صورة شباب في دنيا العروبة والإسلام لا يعرفون من هم ، ولا يَمَنُّونَ هم ، ولا رسالتهم إلى الإنسانية ، ولا المصير الذي تتوجَّه إليه سفينتهم النائية في طريقها المجهول ، وهي تنحطُّ وترتفع بين الأمواج في أوقيانوس الحياة ...

مَن نحن ؟

نَمَن نحن ؟

مع مَن نحن ؟

ما هي رسالتنا في الحياة ؟

سلسلة من الأسئلة تساءل بها عقلى وقلبى ، واضطربت فى أعماق نفسى ،
وذاكرتُ بها لدائى وأنا فى دراستى الثانوية قبل أكثر من ستين سنة ، واستفتيتُ
أشياخى ، وعلى رأسهم الغريب الصابر الدائب الحكيم الشيخ طاهر الجزائرى ،
الذى وصفته يومئذٍ ببيانى الصبيانى :

يَبِينُ قَوْدِيهِ لِلْمَدَارِكِ عُرُشُ

صَمْتُهُ إِفْهَامُ

وَبِمَاضِيهِ لِلْحَقَائِقِ نَقْشُ

كَذَّبَ الْأَوْهَامُ

وَلَا تَبِينُ فِي التَّرَائِبِ عَرُشُ

جُنْدُهُ الْأَيَّامُ

كَانَ - وَالْكُلُّ فِي ظَلَامٍ وَظُلُمٍ -

نَاطَرَ الْكُلَّ ، فَافْكَرَا ، فِي وُجُومِ

صَاعِدًا لِلذَّرَى بِعَزَمٍ وَحَزَمٍ

مُشْرِقًا مُغْرِبًا كَهَذِي النُّجُومِ

تَشْهَدُ الْأَقْوَامُ

خَطًّا فِي الْعَرَبِ لِلْفُضِيلَةِ رَوْضًا

نَبَتْهُ الْكَيْمُ فِي رِجَالِ النُّهُوضِ

طَيْرُهُ الْحَقُّ فِي غُصُونِ الْقَرِيضِ

قَامَ لِلْمَجْدِ وَالْفَضْلِ سَائِلُ تَرْضَى

أَنَّهَا أَعْلَامُ

سَايَرَ الْعِلْمَ مِنْذُ كَانَ قَدِيمًا

بَاحِثًا فِي الْعَصْرِ وَالْأَجْيَالِ

دَارِسًا سِيرَةَ الْعُقُولِ مُدِيمًا

في القلوب الإيمانيَّة والاميالِ
 فِكْرُهُ إلهام
 نَدْوَةُ البَحْثِ والمدارسُ شَهِدَتْ
 والوَرَى مِهْدَار
 ناصعُ الحقِّ والعلومُ أُشِيعَتْ
 إذ غزا الأخطارُ
 كَتَلُ الضَّوءِ منذ شبَّ أُرِيقَتْ
 في بلاد الشام

من هذا الشيخ الحكيم ، عرفتُ عُروبتى وإسلامى .
 منه عرفتُ أَنَّ المعدِنَ الصَّدَىءَ الآنَ ، الذى برأ الله منه فى الدهر الأول
 أصولَ العروبة ثمَّ تَخَيَّرَهَا ظُئراً للإسلام ، إنما هو معدِنُ كريمٍ لم يَبْرأ الله أمةً
 فى الأرض تُدانيوهُ فى أصالته ، وسلامته ، وصلابته ، وعظيم استعداده للحقِّ والخير .
 وكان من منهاج الدراسة فى مدارس الحكومة العثمانية يومئذ تعليمُ اللغة
 الفارسية ، وكنا نلتقى من أستاذنا الفارسى كتاب « كلستان » الخالد لمصلح
 الدين الشيخ سعدى الشيرازى (المتوفى سنة ٦٩١) تلاوةً وفهماً وحفظاً ، وكان
 المدرس إذا رآنا معجبين بالبيان المعجز المنشور فى كتاب الشيخ سعدى يحدِّثنا
 عن البيان المعجز المنظوم فى كتاب (الشاهنامه) لأبى القاسم الحسن بن إسحاق
 الفردوسى الطوسى (٣٢٠ — ٤١١) ، وكيف دأب فى صباه على قراءة كتاب
 (الباستان) فى تاريخ الفرس وأساطيرهم حتى كاد يستظهره لكثرة ما ردد من
 قراءته ، وكيف كان يختلف إلى بقايا دهاقين الجوس ليستمع منهم بلذة وشغف
 قصص الأكاسرة وعبدَةِ النار ، والمبالغات الإيرانية فى سردها والافتخار بها .
 ثمَّ قصد إلى قصر الإمارة فى غَزَنَة ، واتصل بالعسجدى والفرخى شاعرى يمين

الدولة السلطان محمود بن سُبُكْتِغِينَ ، فبرهن لها على بلاغته وقوته في نظم الشعر الفارسي ، وعلى سعة معرفته بتاريخ إيران القديم . واتصل خبره بيمين الدولة فأنزله في جناح من قصره ، وتدبه لنظم أمجاد الفرس ، فسلخ ثلاثين عاماً في قصر الإمارة بغزنة ، وفي قرية رزان من أعمال طوس ، وهو ينظم (الشاهنامه) حتى بلغت ستين ألف بيت من الشعر الذي يعدُّ بالفارسية من السهل المتنع ، ولو شاء بليغ أن ينثر نظمه لما وجد في الألفاظ ما يستعمله خيراً من الألفاظ التي استعملها الفردوسي في أبيات الشاهنامه .

لقد كنت أقول في نفسي وأنا أسمع مبالغة أستاذنا الفارسي في وصف الشاهنامه والاشادة بعظمتها : أليس في دنيا العروبة والإسلام من يقوم للعروبة والإسلام بمثل هذا العمل الأدبي الكبير ، ليتعرف شبابنا إلى أكل قومية برأها الله في الدهر الأول ، وأعدها للقيام بأكل رسالات الله إلى خلقه ؟

أيكون للمجوسية وظلمات الظلم كتاب يخلدها ، ولا يكون للقطرة السليمة الكاملة ، ورسالة الله العظمى ، من يدل عليهما ، ويدفع الناس في طريقهما .

وذهبت إلى بيروت لأكمل فيها السنة الأخيرة من دراستي الثانوية ، وكانت بيروت من ميادين الطباعة العربية والدراسة العصرية والادب ، غير أن الاستعمار الثقافي الأجنبي أفسد على اللبنانيين واللبنانيات ألسنتهم ، وقد التحق بمدرستنا شاب من الأسرة الشهابية اللبنانية — كان قبل ذلك في مدرسة عين طورة ، وحذق فيها الفرنسية ، وصار ينشد فيها من الشعر ما لا يقل به عن أي فرنسي مثقف في مثل سنه ، وكان في يوم الأحد إذا ارتفع العلم الفرنسي على سارية القنصلية الفرنسية يأخذ بيدي ويضعها على قلبه ويقول لي : ألا تشعر بمحققان قلبي لمتوجات هذا العلم ؟ فترجع ذاكرتي إلى أسلاف هذا الأمير الشهابي الذين انتقلوا من جزيرة العرب في أزمنة الفتوح الأولى ، وكانت لهم مواقف

مشرفة في تشييد أجداد العروبة والإسلام ؛ ثم ينحط سليلهم في مدرسة عين طورية إلى هذه الهاوية السحيقة من المسخ والانسلاخ ، مع ذكائه وبراعته وقابليته للسبق في أى الطريقين يسلكهما من الخير والشر .

وانتقلت إلى القسطنطينية في نهاية تلك السنة ، والتحقّت بكليتي الحقوق والآداب معاً في العاصمة العثمانية ، وتعرّفت إلى شباب العرب من أبناء سوريا والعراق وسائر الأقطار العربية ممن يطلبون العلم هناك أو يحجرون وراء الوظائف ، فرأيتهم يرطنون فيما بينهم بالتركية ، ويكتبون بالتركية ، ويتأدّبون بالأدب التركي ، ولا همّ لهم إلا أن يتجملوا للسادّة الأتراك ، ليتوظّفوا في وظيفة يعيشون منها ، ويمضون على ذلك إلى أن يموتوا . . .

إن لهذه المناظر حكايات طويلة ، وكانت هي الحاملة على تأسيس (جمعية النهضة العربية) في القسطنطينية من يوم الإثنين ٨ ذى القعدة سنة ١٣٢٤ ، وهي النواة الأولى التي زرعت في صميم بيئة الشباب العربي ليتعرف إلى عروبة وأجداد إسلامه .

وفي تلك الحقبة ظهرت ترجمة (الإلياذة) اليونانية نظماً بقلم سايان البستاني ، فجددت في نفسى لواعيج ذكرىاتى عن (الشاهنامة) ، وصار من رسالتى في الحياة أن أرقب الشاعر المؤمن بالعروبة والإسلام ، لأحرك في قلبه الشعور بحاجتنا نحن العرب المسلمين إلى من يعرفنا بمعدين عروبتنا الكريم ، ويجدّد لنا إيماننا برسالتها العظمى وما كان للإسلام من أجداد لا نظير لها في تاريخ الإنسانية .

ولما توطنت مصر الحبيبة ، وتأسست جمعية الشبان المسلمين ، جمعنا مجلس من مجالسها بأمير الشعراء شوقي ، وكان في هذه الجلسة الأستاذ عبد الحميد سعيد والاستاذ محمد أحمد النمرأوى والدكتور يحيى الدرديرى وغيرهم ، فانتهزت هذه الفرصة وتحدثت عن الشاهنامة والإلياذة ، واقترحت على أمير الشعراء أن يكون أعظم أحداث إمارته في الشعر إهداء مثل هذه الهدية إلى العروبة والإسلام وأديهما

وعظمتها من ماضيها إلى حاضرها ومستقبلها . واستمع شوقى إلى هذا الحديث ، ولم يعبذ ولم يرفض ، ثم زاره وقد فى منزله لتجديد هذا الحديث معه ، فبقى عند موقفه من الصمت والابتسام ، ثم ظهر بعد ذلك كتيبه عن دول الإسلام ، ولعله كان من أثر هذا الاقتراح ، لكن المطلوب كان أعظم من ذلك ، وقدima قيل : « إذا عظم المطلوب قلّ المساعد » .

كان حديثى فى صدر هذه الكلمة عن طفولتى والجو الذى كنت أعيش فيه ، ومن ذكريات طفولتى أننى كنت شديد الإعجاب بشعر الأستاذ أحمد محرم ، وعندى الآن من آثار ذلك العهد دفاتر كنت أدون فيها ما أختاره لنفسى من جيد المنظوم والمثور ، ومنها قصائد هذا الشاعر العظيم .

فلما عقد الله الصلة والحبة بينى وبينه وأنا فى مصر ، وجمتُ إليه هذا الاقتراح وقلتُ له : لعل الله سبحانه قد آخرك لك هذه المهمة واختارك لها ، لأنك أقرب شعرائنا إلى إخلاص القول والعمل ، وأكثرهم توخيا لمرضاته . فاستجاب رحمه الله لهذه الدعوة ، وجاشت نفسه بهذه الفرائد العز من (ديوان مجد الإسلام) ، فأخذتُ أنشر أوائلها على الناس من صحيفة الفتح ، ثم نشرت منها قطعاً فى مجلة الأزهر لما كنت أشرف على تحريرها .

إن أمجاد العروبة والإسلام أعظم من أن يحيط بها شاعر ، ولا سيما وأكثرنا لا يزالون متأثرين بما شوّهت الشعورية من تاريخنا ، ومع ذلك كان (ديوان مجد الإسلام) أعظم مظاهر للناس حتى الآن مجموعاً فى كتاب واحد من ومضات هذه الأمجاد ، وتستمتع به نفوس محبى الأدب الرفيع والنظم البليغ أزماناً وأزماناً ، لعله أن يوجد الشاعر الذى يكتشف سرّ الله فى اختياره العربية لفة لتزييله ، والعروبة بيئة لأكل رسله ، وأهلها أصحاباً له وأعواناً على حمل رسالته إلى آفاق آسيا وأفريقية ثم إلى أوروبا .

أنا مؤمن من صميم قلبي أن رسالة العروبة والإسلام جديرة بأن تستقبل
من مظاهر العظمة في تهذيب الإنسانية أبهر وأزهر مما كان لها في الماضي ،
ولن تستوفى هذه الرسالة مهمتها إلا بإرجاع الإنسانية كلها إلى نظام الفطرة
الطاهرة ، وذلك متوقف على شيء واحد ، هو أن يعرف العرب والمسلمون
من هم ومن هم ، وما هي رسالتهم في الحياة . ولن يكون ذلك إلا إذا بنوا مناهج
تعليمهم ، وأسس ثقافتهم ، ومعالم أدبهم ، على هذه المعرفة والإيمان بلوازمها ،
وتعميم طريقهم نحو أهدافها . ورأس ذلك وعموده تصحيح تاريخ العروبة
والإسلام ، وتجريده مما دُسَّ فيه .

ولعل (ديوان مجد الاسلام) وهذه الدعوة التي أقدمها بين يديه هي الخطوة
الأولى إلى هذه الأمتية ، والخطوات التالية لها هي استجابتك أنت أيها القارئ
العربي المسلم لذلك ، فليأخذ كل منا راية هذه الأمتية بيده اليمنى ، ولنتقدم بها
إلى الأمام على بركة الله ، والله أكبر والله الحمد

محبة الدين الخطيب

روضة السطاط

٢٠ المحرم ١٣٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

من يطالع الصحف والمجلات المصرية منذ ثلاثين عاماً — خاصة المعنية بالشئون الإسلامية والقضايا الأدبية — مثل الفتح — والبلاغ وأبولو، يجد آثار فرحة غامرة تملأ جوانب هذه الصحف، ويتناقلها كتابها وأدباؤها ابتهاجاً بالبشرى التي أعلنها صاحب الفتح عن اضطلاع شاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرم بتسجيل أمجاد العروبة ومفاخر الإسلام .

واتسع مجال هذه الفرحة حتى شمل أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي في الهند والعراق أن هياً الله للإسلام شاعراً مثل أحمد محرم يسجل مفاخره ويشيد بأمجاده .

كان ذلك منذ ثلاثين عاماً يوم أن كان الديوان فكرة وليدة لم تكند تطلع على الناس إلا بتأشيرها الأولى .

ولكن متى نشأت هذه الفكرة ؟ ومن صاحبها الأول الذي أوحى لمحرم بها ؟ إن أحمد محرم يتولى بنفسه الإجابة عن هذين السؤالين بما عثرنا عليه في أوراقه الخاصة . تحت عنوان الفكرة الأولى في نظم الديوان ، وهو كتاب من السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح بعث به إلى الشاعر يقترح عليه فكرة الديوان ، ويدعوه إلى الاضطلاع به وكان ذلك في ٢٥ من ربيع الأول سنة ١٣٥٣ هـ . وهذا هو نص الخطاب :

سيدى الأستاذ الجليل مفخرة البيان العربى وشاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فإن من دلائل رضاء الله عز وجل عن حركة الجهاد الضئيلة ، لوقف هذا الطغيان على الفضائل انشراح

صدركم لتأييده ، وتصدقكم ببعض الوقت للوقوف في صفوفه ، ورب فارس واحد خير من ألف .

وكنت هممت غير مرة أن أكتب إليكم أقترح عليكم مشروعاً نحاول إقناع شوقي بك رحمه الله به ، ولكن خشيت أن يصرفكم ذلك عن معاني الجهاد الأخرى ، وهذا المشروع هو إرسال نظركم الكريم بين حين وآخر إلى مفاخر التاريخ الإسلامي الخاقية والعمرانية والسياسية والإصلاحية . والحربية الخ ونظم كل مفخرة منها في قطعة خالدة تنقش في أفئدة الشباب ، فإذا ذخر أدبنا بكثير من هذه القطع ، على اختلاف أوزانها وقوافيها أمكن بعد ذلك ترتيبها بحسب تاريخ الوقائع وتأليف إلياذة إسلامية من مجموعها .

أليس من العار أن يكون للفرس الذين حفل تاريخهم زمن جاهليتهم بالشنائع ديوان مفاخر يغطى فيه البيان على العيوب ويلون ذا الوجهة منها بألوان زاهية ويسلط على ضئيل الخير منها شعاعاً قوياً مكبراً بأعظم المكبرات فتكون من ذلك «شاهنامة الفردوسي» وأن يكون لليونان زمن وثنيتهن وأوهامهم الصبائية ديوان مفاخر كالإلياذة تغنى بها الإنسانية إلى يوم الناس هذا ، والإسلام الذي لم تفتح الإنسانية عينها على أعلى منه رتبة ، وأعظم منه محامد يجتهد مؤرخوه في تشويه صفحاته والخط من قدر رجاله ، لأن الذين دونوا تاريخ الإسلام كانوا أحد رجائين، رجل جاء بعد سقوط دولة فتقرب إلى رجال الدولة الجديدة بتسوى محاسن الدولة القديمة ، ورجل اتخذ من الشمس الأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى مثلاً أعلى ، فكل قر من أقمار العرب مذموم عنده ، موصوف بالفضالة والنقص . لأنه لا يراه إلا على نور تلك الشمس التي هي فوق الإنسانية ، ولا تقاس مواهب البشر بمواهبهم : بل إن عثمان وتضحياته وأخلاقه الملائكية ، محيت فضائلها من أدمغة المسلمين لسوء بيان المؤرخين ، ومعاوية الذي تمنى أية أمة من عظام الأمم أن يكون لها رجل يتصف بعشر مواهبه وفضائله صرنا نسمع

خذه من أقذر الناس ، وأحط السوق ، والأمين الذي كان يعدُّ من أفصح قرش
في زمانه رسموا له في أذهان الناس صورة قبيحة ؛ بل يزيد الذي كان كبار
الصحابة يجاهدون تحت قيادته طائعين مختارين لصقت به أكاذيب تقرب
الكثيرون بها إلى الله جهلاً وتعصباً .

أقول هذا وأنا علوي ، لكني أخاف أن يقوض المسلمون صروح فضائلهم
وأن يهدموا قلاعها من دواعي الفخر . بينما أبنائنا يتعلمون من الأوربيين
وصنائعهم تجيد رجال لو كشف الغطاء عن تاريخهم الحقيقي لشمنا نكته .

مَنْ مِنْ شبابنا يعرف مسلمة بن عبد الملك كأنه معاصر له ، ويعرف قتيبة
داين مسلم كأنه مجاهد في جيشه ؟

إن الذي قصر فيه المؤرخون لا يستطيع أن يستدركه إلا الشعراء وأكثر
شعرائنا مشغولون بجمال المرأة . ومصرف عقولهم عن الخير ، وهم يسرقون من
حداوين شعراء الإنجليز . فليس عندهم وقت لمراجعة تاريخ العرب والإسلام .
وقراءة ما بين سطوره واستنباط المغاخر من أصعب مواقفه التي قد يخيّل إلى قصير
النظر من الناس أنها مواقف اندحار ، مع أن ما يبذل فيها من جهاد العباقرة قد
يكون أعظم وأجند مما يبذل يوم تكون الرياح مؤاتية والنجم في طالع السعد .
أكثرت عليكم . ولكني لم أجد قلباً أفضى إليه ببعض ما في قلبي غير
تحليكم وقد يكون أن اختصك الله بهذا الفضل فألهمني أن أشغل هذه الصفحات
بهذه الدقائق بالإفاضة إليك به .

والسلام عليكم ورحمة الله .

٢

كان ذلك منذ ثلاثين عاماً حينما اتضحت معالم الطريق لإقامة ذلك البناء
الأدبي الشامخ ، وأخذ محرم يعلن على العالم الإسلامي بواكير هذا العمل
الغني الضخم .

ومضى محرم في طريقه وهو واضع نصب عينيه أن يقدم خلاصة نقيه للتاريخ الإسلامي في قالب شعري مكتمل الفن واضح الأداء قوى التعبير ، حتى بلغت الشباب إلى مفاخر تاريخهم وعظمة آبائهم ويدفع عنهم عقدة النقص التي جعلتهم ينظرون إلى آثار الأمم الأخرى كما ينظر الأقزام إلى العالقة .

وحشد محرم كل طاقاته الفنية وعكف على التاريخ الإسلامي يستخلص حقائقه ويستوعب مفاخره ويسجلها فنا عليا يسنده صدق الواقع وتؤكد حقائق التاريخ وقد تهيأ له عاملان رئيسيان كان لهما أكبر الأثر في نجاحه وبلوغه بالفكرة غايتها المنشودة وأملها المرجو .

أولهما : شاعرية أصيلة ناضجة وقوة فنية قادرة على استيعاب الحقائق وتمثل التجارب الإنسانية تمثالا حيا يعيش في ظلالها وينفعل بها .

وثانيهما : إخلاص شديد وإيمان عميق وحب جارف واقتناع لاحد له بالإسلام ومبادئه ونصاعة تاريخه وبطولات رجاله .

وبفضل هذين العاملين استطاع محرم أن يمضي في عمله الأدبي الشاق لا ينفل بالمعوقات ولا يبقى بالإلى المصاعب وأن يعرض الروح الإسلامية عرضاً فيه صدق الواقع ونقاء الفن وجمال الصورة .

وقد تحدث أحمد زكي أبو شادي في هذا المعنى فقال « طبيعة أحمد محرم الأدبية طبيعة فنية ناضجة . فتاريخه ليس مجرد تاريخ إنما هو عرض فني شائق للروح الإسلامية العالية التي فتحت الأفق ونشرت العدل واستوعبت الثقافة ، ودعمت الحضارة ، وزادت ثاقفاً على تأنق وليس كل شاعر قدير كفؤا لتسجيل ذلك تسجيلاً زاهياً هو الباب النضر الحى ، وليس القشور الجافة والتواريخ الميتة . هذا الشاعر العظيم الإيمان العظيم الشم يمثل بأدبه آخر حلقة من التطور الإسلامي الفنى ، فهر على شيخوخته في قوة الشباب الذهنية ، وفي توثب الشباب الجرى ، وهو هو الشاعر الإسلامي الجبار الذى يستطيع بمواهبه أن ينصف روح

الإسلام وسيرته ، وأن يكون القدوة لغيره من الفنانين والمصورين . والنحاتين
وسواهم لتخليد روح الاسلام الفتية في آثارهم كما يخلدها هو في شعره لتربية
الجيل الناشئ والأجيال التالية تربية إسلامية عالية . . .

مجلة الفتح ٢٦ من شوال سنة ١٣٥٣

٣

وكان المنتظر أن يجد هذا العمل تشجيعاً من الدولة . وتأييداً من الهيئات
المعنية بالأمور الثقافية . وأن تقدم للشاعر من العون المادي ميعينه على المضى في
سبيله ، ويسر له التفرغ لعمله هذا غير أن الواقع كان غير هذا ، ولولا همة محرم
العالية وقدرته على الصمود لشغلته مطالب الحياة وقعدت به عن الوصول إلى نهاية
الطريق . وتعالى صيحات الكتاب والأدباء تدعو إلى أن توفر الدولة
أو الهيئات الثقافية للشاعر ما يساعده على المضى في طريقه إلا أن ذلك لم يجد
أذناً صاغية .

فبدأ الشاعر يذق أبواب المسؤولين ويطلب إليهم القيام بطبع الديوان . سواء
عن طريق المقالات الشخصية أو الخطابات حتى يمكن أن يطلع عليه الشباب
ويراه المثقفون مادامت قد مجزت موارده المادية عن تحقيق هذه الغاية ، ويحدثننا
محرم في أوراقه . أنه اتجه إلى القصر الملكي بعد أن أتم الجزء الأول من الديوان
يعرض عليه فكرة طبعه حرصاً على تحقيق الفائدة منه ، وأن رئيس الديوان
بعث إليه بخطاب بعد عام يخبره أن الديوان أحيل إلى وزارة المعارف لتحقيق
رغبة الشاعر في طبعه وأن عليه أن يتصل بوزير المعارف . وفي لقاء بينه وبين
وزير المعارف الدكتور محمد حسين هيكل ينمو الأمل في نفس محرم ويوشك
أن يتحقق له ما يريد ، ولكن لم تسكد تنهيه حرارة اللقاء حتى يلف الصمت
الديوان ، ويبدأ الأمل يذوى ، ويخرج هيكل من الوزارة ، ويظل الديوان

حبيس الأدرج ، ثم يعود مصحوباً بالاعتذار عن طبعه إلى الشاعر ويقدم محرم بعد ذلك الديوان إلى وزارة الأوقاف ثم إلى مشيخة الأزهر فلم يكن حظه معها خيراً من سابقهما .

ثم يقرأ أن مجمع اللغة العربية يعترم القيام بتشجيع المؤلفات الأدبية فيبعث بخطاب إلى رئيس المجمع - محمد توفيق رفعت - يعرض عليه فكرة طبع الديوان فيرد عليه بنص المشروع الذي وضعه المجمع وهو قاصر على منح جوائزنا طبع للمتأثرين في خلال عامين ، أو إقامة مباراة تعقد بين الأدباء في موضوع تعينه اللجنة في النقد والأدب والتاريخ .

وتناوبت محاولات أصدقاء محرم ومحبي أدبه ترتاد كل طريق عساها أن توفيق إلى إخراج هذا الديوان فلم يقدر لواحدة منها النجاح . وكانت أمنية الشاعر أن يرى عمله هذا بين يدي الناس قبل أن تودعه الحياة إلا أن الله لم يرد ذلك ، وودع الشاعر الحياة في يونية سنة ١٩٤٥ ولما نزل الديوان حبيس المخطوطات .

٤

وبعد وفاة الشاعر قام المرحوم إبراهيم نعيم أحد تلامذته والمقرين إليه بجمع تراثه ومحاولة عرضه على الهيئات الثقافية والإسلامية مجدداً المحاولة عساه أن يحقق لأستاذه بعد موته ما لم يتحقق له في حياته وكل ما استطاعه أن قدم نماذج منه نشرت في مجلة الرسالة والأزهر على فترات متتابة ، وقد علمت في أثناء بحثي عن آثار محرم أن الأستاذ نعيم قدم نسخة من الديوان إلى المؤتمر الإسلامي، وحاولت جهدي أن أعثر عليها فلم أوفق .

ثم التقيت بأحد أبناء الشاعر الأستاذ سليمان محرم فوجدت عنده الجزء الثاني والثالث من المخطوط وسجلاً أثبت فيه الشاعر خطوات الديوان من يوم أن بدأ فكرة إلى أن صار عملاً فنياً مكتملاً ، وكذلك المحاولات التي قام بها لطبعه

وما كتبه الأدباء في الصحف والمجلات حول موقف الهيئات من الديوان وقيمتها الفنية .

ثم عثرت بعد هذا على نسخة مصورة من الديوان على « ميكرو فلم » في دار الكتب رقم (٣٧٤) وتفيد البيانات المسجلة عليه أن تصويره تم سنة ١٩٥٢ ثم قامت دار الكتب بتصوير الديوان في نسخة من حجمه العادي تسهل قراءته وتوجد النسخة المصورة تحت رقم (٢٩٤٦٨ ب) وفي العام الماضي تجدد الأمل في طبع ديوان مجد الإسلام وبدأت محاولة مع وزارة الثقافة والارشاد القومي وقدم تراث الشاعر إلى إدارة إحياء التراث بالوزارة في يوليو سنة ١٩٦٢ ، وبعد مضي سبعة أشهر لم تصل الإدارة إلى نقطة حاسمة في سبيل البدء في إخراج التراث فأتجه ابن الشاعر الأستاذ محمود محرم إلى دار العروبة واتفق معها على طبع ديوان مجد الإسلام . وأذن الله لهذا الأمل أن يتحقق بعد أن ظل حائراً ثلاثين عاماً .

٥

وكان اعتمادنا في مراجعة الديوان على نسخة مصورة منقولة من نسخة دار الكتب ومقابلتها على مخطوط بيد الشاعر نفسه للأجزاء الثلاثة الأولى من الديوان أما الجزء الرابع فلم نعثر على مخطوط له واضطررنا إلى الاكتفاء بنسخته المصورة .

وقد وجدت بعض اختلافات طفيفة في ترتيب القصائد وتتابع بعض أبياتها أشرنا إليها في مواضعها .

ونحب أن نشير إلى أن النسخة المصورة مكتوب على غلافها ما يشير إلى أن الشرح والتعليق من عمل الأستاذ إبراهيم نعيم . إلا أن الأجزاء المخطوطة التي عثرنا عليها بيد الشاعر نفسه تفيد أن الأصل والشرح والتعليق من عمل الشاعر وجهده لا جهد سواه .

قسم الشاعر ديوانه مجد الإسلام إلى أربعة أجزاء تجمد في الصحيفة الأولى من كل جزء آيات تحث على الجهاد وفي الصحيفة الثانية كلمات لبعض أئمة التابعين في علم المغازى والسير .

وتحدث الشاعر في الجزء الأول عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة ثم عن هجرته ثم عن استقراره بالمدينة ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار وموقفه من اليهود والمنافقين ثم تحدث عن الغزوات وما وقع فيها من أحداث وبطولات . استغرق بقية الجزء الأول والجزأين الثانى والثالث .

وفي الجزء الرابع : تحدث عن الوفود التى وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تحدث عن الكتب والرسائل التى بعث بها إلى الملوك والحكام .

ثم تحدث بعد ذلك عن السرايا التى أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية وختمها بأمر عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم قبل لحاقه بالرفيق الأعلى وهو إرساله إسماعيل على رأس جيش إلى غزو بلاد الروم .

أطلق كثير من الكتاب على ديوان مجد الإسلام اسم . . الإلياذة الإسلامية وتعرض بعض الكتابين المتحمسين لموازنات ومقارنات بين إلياذة هو ميروس والإلياذة الإسلامية ، غير أن الكتابة على هذا النحو لم تكن قائمة على أساس سليم ؛ ذلك أن محرماً لم يقصد بعمله هذا أن يكتب إلياذة كإلياذة هو ميروس . تتوفر لها الصفات الفنية التى تتوفر فى الإلياذة بمعناها المفهوم عند الأوربيين .

وإنما أراد محرم أن يسجل أمجاد العروبة ومفاخر الإسلام فى لوحات فنية رائعة تكون نماذج ومثلاً للشباب ، يعرف عن طريقها مجد آبائه ، وبطولات أجداده ، فإن جاء بعد ذلك من أطلق على هذا العمل اسم الإلياذة فليس معنى

هذا أن تتطلب من محرم في ديوانه مجد الإسلام ما تتطلبه في الإلياذة من خصائص فنية .

والإلياذة تعتمد على الأسطورة والبطولة ، ويسمح صاحبها لخياله أن يضفي على شخصيات أبطاله ما يشاء من صفات تجعلهم في مصاف الآلهة ، ولا يهمه بعد ذلك أن يلتقي مع حقائق الواقع أو يصادمها ، مادامت قد أكتملت له صورته الفنية .

أما محرم وإن اعتمد في ديوانه على البطولة ، فإنه قد التزم صدق التاريخ وتقيده بحقائقه ، وكان حريصا كل الحرص على أن يعرض أبطاله في إطار مضى من صدق الأحداث وحقائق التاريخ ، وكان نصب عينيه دائما أنه يجول في ميدان يحتل من قلوب الملايين وعقولهم مكان التقديس والإجلال ، ولعل هذا هو السر في أن محرما يأتي بين يدي كل قصيدة بمقدمة نثرية تتناول الخطوط العريضة لأفكارها .

وبعد . فهذا هو ديوان مجد الإسلام وتلك هي قصته التي استغرقت أحداثها ثلاثين عاما أوجزناها في هذه السطور أما قيمة الديوان الفنية فمن حق الأدباء والباحثين في العالم العربي والإسلامي أن يعرضوها على موازينهم الأدبية وحسبنا أن ألقينا الضوء على المراحل التي سار فيها الديوان حتى أصبح بين أيديهم مادة للبحث والدرس .

وبالله التوفيق

محمد إبراهيم الجبوشي

حدثني القبة - القاهرة في مساء الأحد ١٠ من المحرم ١٣٨٣ هـ
الموافق ٢ من يونيو ١٩٦٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ .
يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبُئْسَ
الْمَصِيرُ ﴾ .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ .
وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

فِي عِلْمِ الْمَغَازِي خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

"الزهري"

كُنَّا نَعْلَمُ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَمَا نَعْلَمُ الشُّورَ مِنَ الْقُرْآنِ .

"زين العابدين بن الحسين بن علي"

كَانَ أَبِي يُعَلِّمُنَا الْمَغَازِي وَالسِّيَرَا
وَيَقُولُ : يَا بَنِي إِخْشَاشَ شَرُّ آبَائِكُمْ
فَلَا تُضَيِّعُوا ذِكْرَهَا .

"إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص"

مطلع النور الأول
من أفق الدعوة الإسلامية

مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية

<p>إملاً الأرض يا محمد نورا حجبتك الغيوب سرّاً تجلى عبّ سيل الفساد في كل وادٍ جنتَ ترمى عبابه بُمبابٍ ينقذُ العالمَ الغريقَ ويحمي زاخرَ يشملُ البسيطةَ مدّاً أنتَ معنى الوجودِ ، بل أنتَ سرٌّ أنتَ أنشأتَ للنفوسِ حياةً أنجبَ الدَّهرُ في ظلالك عصراً كيف تجزى جميلَ صنّعتك دُنيا ولدتك الكواكبُ الزَّهرُ فجراً يصدعُ الفيهبَ المُجَلَّانَ بالوح منطقَ القدرة التي ترهق القا كلُّ ذِمِرٍ رمى النفوسَ بوتر</p>	<p>واغمر الناسَ حكمةً والدُّهورا يكشفُ المحجبَ كلها والستورا فتدققُ عليه حتى ينفوزاً^(١) راح يطوى سيوله والبحورا أُمم الأرض أن تذوق الثبورا^(٢) ويعمُّ السَّبعُ الطَّباقَ هديراً^(٣) جهل الناسُ قبله الأكسيرا^(٤) غيرت كل كائنٍ تغييراً نابهَ الذِّكرُ في العصورِ شهيراً كُنتَ بعثاً لها وكنتَ نُشوراً؟ هاشميَّ السَّنا ، وصُبحاً منيراً في المُلُقى ، ويكشفُ الديجورا^(٥) در عجزاً ، والعبقرى قصورا من حظاياهُ رَدّه موتورا^(٦)</p>
---	--

(١) غار اناء ذهب .

(٢) لثبور الهلاك .

(٣) المدير الصوت والغليان .

(٤) الأكسير ما يلقى على الفضة ونحوها ليحيله إلى ذهب خالص .

(٥) الديجور الضلام .

(٦) دمر لشجاع والوتر النار أو الظلم فيه وأكثر ما يستعمل في العداوة بسبب القتل .

خرت العرب من مشارفها العدا
 بات فيها ملك البيان حريماً
 أنكر الناس ربهم وتولوا
 أين من شرعة الحياة أناس
 تلك أربابهم : أتملك أن تنف
 قهروها صناعة ، أعجب الأرز
 مالدی «اللات» أو «منة» أو «العز
 جاء دين الهدى وهب رسول الله
 ضرب الكفر ضربة زلزلته
 جثمت حوله الحصون ، وظن الـ
 هداه ذو الجلال حصناً حصناً
 والرسول الهادي ، وبالصفوة الأم
 يهرقون النفوس تلقى الردى المـ
 إن في القتل للشعوب حياة
 ليس من يركب الدتية يخشى
 أمن الحق أن تصد قريش
 سل أباجها وقوما دعاهم
 أولعوا بالأذى ، فأتقوا رسول
 كما أحدثوا الذنوب كبراً
 مابه نفسه فيغضب يرضيه
 يا تولى هويتها والحدورا
 يسلم الجند والحي والنغورا^(١)
 يحسبون الحياة إفسكاً وزورا
 جعلوا البغي شرعةً والفجورا ؟
 فع مثقال ذرة أو تضيراً ؟
 باب ما كان عاجزاً مقهوراً
 غناً لمن يقبس الأمور
 جاء دين الهدى وهب رسول الله
 ضرب الكفر ضربة زلزلته
 جثمت حوله الحصون ، وظن الـ
 هداه ذو الجلال حصناً حصناً
 والرسول الهادي ، وبالصفوة الأم
 يهرقون النفوس تلقى الردى المـ
 إن في القتل للشعوب حياة
 ليس من يركب الدتية يخشى
 أمن الحق أن تصد قريش
 سل أباجها وقوما دعاهم
 أولعوا بالأذى ، فأتقوا رسول
 كما أحدثوا الذنوب كبراً
 مابه نفسه فيغضب يرضيه
 يا تولى هويتها والحدورا
 يسلم الجند والحي والنغورا^(١)
 يحسبون الحياة إفسكاً وزورا
 جعلوا البغي شرعةً والفجورا ؟
 فع مثقال ذرة أو تضيراً ؟
 باب ما كان عاجزاً مقهوراً
 غناً لمن يقبس الأمور
 جاء دين الهدى وهب رسول الله
 ضرب الكفر ضربة زلزلته
 جثمت حوله الحصون ، وظن الـ
 هداه ذو الجلال حصناً حصناً
 والرسول الهادي ، وبالصفوة الأم
 يهرقون النفوس تلقى الردى المـ
 إن في القتل للشعوب حياة
 ليس من يركب الدتية يخشى
 أمن الحق أن تصد قريش
 سل أباجها وقوما دعاهم
 أولعوا بالأذى ، فأتقوا رسول
 كما أحدثوا الذنوب كبراً
 مابه نفسه فيغضب يرضيه
 يا تولى هويتها والحدورا
 يسلم الجند والحي والنغورا^(١)
 يحسبون الحياة إفسكاً وزورا
 جعلوا البغي شرعةً والفجورا ؟
 فع مثقال ذرة أو تضيراً ؟
 باب ما كان عاجزاً مقهوراً
 غناً لمن يقبس الأمور

= وحظاياه جمع حظية . وهي السرية للكرمة . والمعنى منصرف إلى فرسان البلاء وما يحودونه .

من كلامهم .

(١) الحريب السلب .

إنه الله ، لا سواه . وَدِينٌ
 يَجِدُ النَّاسَ وَالْمَقَادِيرَ فِيهِ
 مَا زَكَ سَابِقٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا
 جَاءَهُ عَمَّهُ يَقُولُ : أَتَرْضَى
 وَيُصَبِّحُ وَأَعْلِيكَ مِنْ صَفْوَةِ الْمَا
 قَالَ : يَا عَمُّ مَا بُعِثَتْ لَدُنْيَا
 لَوْ أَتَوْنِي بِالنَّبِيرِينَ لِأَعْرَضَ
 إِنْ يَشِيرُوا بِمَا عَلِمْتُ ، فَانِي
 دُونَ هَذَا دُمِي يَرَاكَ ، وَنَفْسِي
 مَلِكُ النَّفْسِ ، وَاسْتَرْقِ الشُّعُورَا
 وَيَرَى مَا عَدَاهُ شَيْئًا يَسِيرَا
 هُوَ أَزْكَى نَفْسًا ، وَأَصْنَى ضَمِيرَا
 أَنْ يَقِيمُوكَ سَيِّدًا أَوْ أَمِيرًا؟^(١)
 لَ حَيًّا مَاطِرًا ، وَغَيْثًا غَزِيرَا
 أَبْتَنِيهَا ، وَمَا خَلَقْتَ حُصُورَا^(٢)
 تَ أَرِيهِمْ مَطَالِبِي وَالشُّعُورَا^(٣)
 لِأَدْعُ الْهَوَى ، وَأَعْمَى الْمَشِيرَا^(٤)
 تُطْعِمُ الْخُتْفَ رَائِمًا مَحْذُورَا

(١) في البيت وما يليه إشارة إلى مجيء أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم إليه بطلبه رسالة قريش ومفاوضته في شأنهم وشأن آلهتهم وقوله : يا عم واقه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته .
 (٢) المصور هنا الضيق الصدر ، والهيوب المحجم عن الشيء .
 (٣) الشعور الحاجات والأمور المتصلة بالقلب المهمة له . جمع شعر .
 (٤) دعه دفعه دفعا عنيفا .

المطعم بن عدي

خرج الرسول الكريم من مكة إلى الطائف بعد موت عمه أبي طالب وتأب الكفار عليه ليدعو تقياً إلى الإسلام فلقى فيه أذى شديداً . وبعث إلى المطعم بن عدي يقول : إني داخل مكة في جوارك . فأجابه إلى ذلك . وكان يابس السلاح هو وبنوه يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم في موافه بالبيت . وبقى المطعم بن عدي كافراً إلى أن مات ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر : لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النقي لتركته له :

مارأينا كالمطعم بن عدي	جافياً واصلاً ، هيوباً جسوراً
آثر الكفر ملة . وأجار الد	ين مستضعفاً يدور شطيراً ^(١)
رام بالطائف المقام . فأعيا	فانشى يطلب الأمان حسيراً ^(٢)
وكل الله بالنبوة منه	أسداً يملأ القضاء زئيراً
قائماً في السلاح يجمع حوله	ه شبولا تحمي الحمي ونمورا
يمنع القوم أن يصدوا رسولاً	لله عن بيته ويأبى الخفورا ^(٣)
نقض الحلف من قريش فأمسى	أسلته العري ، وكان مريراً ^(٤)

(١) الشطيير الغريب والبعيد .

(٢) حسيراً كالأمتبا .

(٣) الخفور نقض العهد والغدر .

(٤) الميرير ما اشتد قتله من الحبال . وحلف قريش هذا هو الذي عقدوه ضد بني هاشم وعبد المطلب لإبائهم أن يخلوا بينهم وبين الرسول الكريم ليقتلوه ويؤدوا دينه مضاعفة . فتعاهدوا على متابنتهم وإخراجهم من مكة إلى شعب أبي طالب ومنعهم من حضور الأسواق لتجويرهم . وألا يصاهروهم أو يبيعوا لهم أو يشتروا منهم أو يقبلوا لهم صلحاً إلا إذا أجابوهم إلى طلبهم وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في الكعبة فجدوا حتى لكانوا يأكلون الخبز وورق الشجر ، وكانت مدة إقامتهم بالشعب ثلاث سنين . وقيل سنتان . وكان الدين سعوا في نقض هذه المعاهدة خسة رجال منهم المطعم بن عدي ، وقيل إنه هو الذي مزق الصحيفة .

عجباً للفنوى يعطيك منه عملاً صالحاً ، ورأياً فطيراً^(١)
 ما رأينا من ظن بالزرع شراً فحى أرضه . وصان البذور
 لوجزى الله كافراً أجر ما أحسن يوماً نخلته مأجوراً

في غنار حراء

ظل مستخفياً بغار حراء يعبد الله عائداً مستجيراً
 يسمر القوم في الضلال ويمسى للذي أطلع النجوم سميراً^(٢)
 راکماً ساجداً يسبح مولا هـ ، ويُرْجى التهليل والتكبير
 تهتف الكائنات ، يأخذها الصو ت ، تحيى مكانه المهجوراً
 نال منها محلة لم ينالها صوت داود حين يتلو الزبور
 نبرات قدسية تتوالى نفماً رائعاً ، وتمضى زفيراً
 ربّ . طال الخفاء ، والدين جهر رب فاجعل مدى الخفاء قصيراً
 ماجت الأرض حوله ، وتجلّى الله ينهى بركانها أن يفورا
 أودى الدين في الشباب ، وردت يد سعد عدوه مدحوراً^(٣)
 رقت في الكتاب أول سطر وأتم الدم المراق السطور
 أدبر القوم محققين ، فولا الله كادت رحي الوغى أن تدورا^(٤)
 أزمع الضيف أن يؤم سواء منزلاً كان صالحاً . مهجوراً^(٥)
 حله الوحي روضة شاع فيها رونقاً ساطعاً وفاح عبيراً

(١) لم يكتمل نفضجه ولم يصدر عن تفكير وروية .

(٢) يسرون : يتحدّثون .

(٣) سخر قوم من المشركين بالمسلمين وهم يصلون مستخفين في بعض شعاب مكة فضربه سعد بن أبي وقاص - وكان معهم رضى الله عنه - رجلاً منهم بالحي بغير فشجه ، وكان أول دم أريق في الإسلام . ومدحوراً مضروباً

(٤) محققين من الحق وهو الفيض والوغي الحرب .

(٥) أزمع عزم ويؤم يقصد .

في دار الأرقم بن أبي الأرقم

ودعا الأرقم استجب ، تلك دارى تسع الدين محرّجاً محصورا
 وإفها ، واجمع الصلّين فيها عصبة إن أردت ، أو جمهوراً^(١)
 وأتى ابن الخطّاب يؤمن با لله ويختار دينه المأثورا
 قال : كلا . لن يُعبد الله سرا ويرى نور دينه مستورا
 اخرجوا في حى الكتاب أسوداً واطلعوا في سنا النبي بدورا
 ذلكم يتكم ، فصلوا وطوفوا لا تخافن مشركا أو كفورا^(٢)

إرادة قتل الرسول وهجرة إلى المدينة

أجمعوا أمرهم . وقالوا : هو القة لم يُميط الأذى ويشفى الصدور^(٣)
 كذبوا . مادم الهزبر أما في مهاذير يكثرون الهريرا^(٤)
 لا وربى ، فإنما طلب الكفة أرباباً . وحاولوا محظورا^(٥)
 أن نفس الرسول أُمْنع جاراً من طواغيتهم . وأقوى مجيرا
 ما لهم ؟ هل رى النبي تراباً أم عمى في عيونهم مذرورا ؟
 ذهلوا مدّة . فلما أفاقوا أنكروها دهياء عزت نظيرا

(١) كانوا تسعة وثلاثين رجلاً فتموا أربعين بإسلام عمر رضى الله عنه .

(٢) لم يكن المسلمون يطوفون بالبيت أو يصلون ظاهرين قبل إسلام عمر .

(٣) أماط الشيء أبعدته ونحاه .

(٤) الهزبر الأسد ، ومهاذير جمع مهذار وهو الذى يكثر من الهذر ، والهزير صوت

الكلب دون التباح .

(٥) البيل الحرام .

ينفضون التراب ، من مسّ منا
 أين كنا ؟ ما بالنا لا نراه ؟
 أمِنَ الحادثات ما يُذهل العسا
 أين ولى ؟ لقد رمانا بسحر
 ياله مُصعباً لو أنا أصبنا
 راح في غبطة . ورحنا نعانى
 خيبة تترك الجوانح حرى
 ربّ آتيته على القوم نصراً
 أنت نجّيته فهاجر يقضى !
 يوم ضجت جبال مسكة ذعراً
 تنزى أسي ، وتمسكها تم
 هي لولاك لارتمت تقذف الصخر
 هاجها من جوى الفراق وحرال
 كاد يهفو فزدته منك روحا
 يا لها من محمد نظرات
 نظرات شجية لا تعد الـ
 قال : ما في البلاد أكرم من مكـ
 فاسكنى يا هموم نفسى ، إن الله
 كَلَّ وجهَ فردّه مغفورا ؟
 ما لأوصالنا تحسُّ الفتورا ؟
 قَلَّ عن نفسه ويُعَمَّى البصيرا ؟
 فسكرنا وما شربنا الخمورا
 هُ على غرةٍ نخرٌ عقيرا^(١)
 أملاً ضائعاً وَجَدًا عثورا^(٢)
 يالها حسرة تشب وتورى^(٣)
 فتباركت حافظاً ونصيرا
 حق لا خائفاً ولا مذعوراً
 وتمنت هضابها أن تمورا^(٤)
 نعبها من ورائه أن تسيرا^(٥)
 ر وتزجى هباءها المنشورا
 ووجد ما هاج بيتك المعمورا^(٦)
 فاشنى راجح الجلال وقورا
 زخرت رحمة ، وجاشت سعيها
 أهل أهلا ، ولا ترى الدور دورا
 أمة أرضاً ، ولا أحب عشيرا
 أمضى قضاءه المقدورا

(١) القبر والمعفور بمعنى .

(٢) جدّا عثورا حظاً عاثرا .

(٣) تورى تشتعل .

(٤) تموج وتضطرب أو تجرى على الأرض كما يجرى الماء أو الدم .

(٥) تنزى تسيل .

(٦) جوى العراق أله وشدته .

إِنِّي قَدْ نَذَرْتُ لِلَّهِ نَفْسِي وَالتَّقَى الْوَفَى يَقْضَى النَّدْوَا
تَقَطَّعَ الْبَيْدُ بَعْدَ صَحْبِ كَرَامٍ قَطَعُوا غَارِبَ الْعِبَابِ عُبُورًا^(١)
كَمْ رَشِيدٌ آذَاهُ فِي اللَّهِ غَاوٍ زَادَهُ طَائِفُ الْهَوَى تَحْصِيرًا
ضَرَبَ الصَّحْبُ فِي الْبِلَادِ فَاْمَسُوا لَا يَصِيبُونَ صَاحِبًا أَوْ سَجِيرًا^(٢)
فِي دِيَارٍ لَدَى النِّجَاشِيِّ غَيْرِ ظَلَّ فِيهَا سَوَادُهُمْ مَغْمُورًا
وَتَوَلَّى وَلِلْأُمُورِ مَصِيرُ يَشْتَرِي رَبَّهُ ، وَيَرْجُو الْمَصِيرَا
يَوْمَ يَمْشِي الصَّدِيقُ فِي نُورِهِ الزَّا هِيَ يُوَالِي رَوَاحَهُ وَالْبَسْكَورَا
يَنْصُرُ الْحَقَّ ثَائِرًا يَمْنَعُ الْبَا طَلَّ أَنْ يَسْتَقِرَّ أَوْ أَنْ يَثُورَا
لَا يَبَالِي غِيْظَ الْقُلُوبِ وَلَا يَحْ قَلَّ فِي اللَّهِ لَأْنَمًا أَوْ نَذِيرَا

* * *

أَقْبَلَ الْقَوْمُ يَسْأَلُونَ : أَتَحْتَ إِلَهٌ رَبُّ ، أَمْ جَاوَرَ الطَّرِيدَ النَّسُورَا
نَفَضُوا الْهَضْبَ وَالْجِبَالَ وَشَقُّوا ۖ أَرْضَ طَرًّا رَمَالَهَا وَالصَّخُورَا
وَيَحْ أَسْمَاءُ إِذْ يَحْيَى أَبُوجِبِ لَ عَلَى خَدْرِهَا الْمَصُونِ مَغِيرَا
صَاحَ : أَسْمَاءُ أَيْنَ غَابَ أَبُوبَكِ رَ ، أَجِيبِي ، فَقَدْ سَأَلْنَا الْخَبِيرَا
قَالَتْ : الْعِلْمُ عِنْدَهُ مَا عَهْدَنَا أَجَمَ الْأَسَدَ تَسْتَشِيرُ الْخُدُورَا^(٣)
فَرَمَاهَا بِلَطْمَةٍ تُعْرِضُ الْأَجْ يَالُ عَنْ ذِكْرِهَا صَوَادِفَ صُورَا^(٤)
قَذَفَتْ قَرَطَهَا بَعِيدًا وَرَضَتْ مِنْ وَجْهِهِ النَّبِيِّ وَجْهًا نَضِيرَا^(٥)

(١) إشارة إلى هجرة المستضعفين من المسلمين إلى أرض الحبشة وغارب العباب أهلاه .
والبيد الصحاري .

(٢) السجير الحليل الصفي .

(٣) الأجم جمع أجمة والأجمة بيت الأسد . والجدور جمع خدر ، وخدر المرأة خباؤها ،
والعنى أنه لم تجر العادة أن يستشير الرجال النساء .

(٤) من الصدوف والصور ، وهما بمعنى الميل والانصراف .

(٥) رضت بمعنى دقت أو كسرت .

في الغار الأكبر غار ثور

غار ثور ، أعطاك ربك ما لم
 أنت أطلعت الممالك دنيا
 صنته من ذخائر الله كنزاً
 مخفياً الحق لاجئاً يتوق
 وقفت حوله الشعوب حيارى
 يا حيارى الشعوب ، ويحك إن الـ
 لا تخافي ، فتلك دولته العظـ
 جاءك المنقذ المحرر لاية
 ورث المالكين والرسل الها
 الحكيم الذي يهدى ويبنى
 والزعيم الذي يسن ويقضى
 تترامى الأجيال بين يديه
 ليس في الناس سادة وعبيد
 خُلِقَ الكل في الحقوق سواء
 كذب الأقوياء ما ظلم الله
 يُعطى من روعة الجلال القصورا
 ساطعاً نورها ، وديناً خطيرا
 كان من قبل عنده مذخورا
 قام فيه الروح الأمين خفيرا
 من وراء العصور ، تدعو العصورا
 حق أعلى بدأً وأقوى ظهيرا^(١)
 هي تناديك : أن أعدى السريرا
 رك قيداً ولا يفادر نيرا^(٢)
 دين بالحق أولاً وأخيرا
 فيجيد البناء والتدمير
 لبنى الدهر غيباً وحضورا
 تتأق النظام والدستورا
 كبر العقل أن يظل أسيرا
 ما قضى الله أمره مبتورا^(٣)
 وما كان مسرفاً أو قتورا^(٤)

(١) الظهير - المعين .

(٢) النير الحشبة توضع على عنق الثورين ليحرا ما يراد جره .

(٣) مبتورا مقطوعا .

(٤) القتور البخل .

دَبَّرَ الملك للجميع فسوى إل أمر فيه ، وأحكم التدبيراً
يا نصير الضعافِ ، حرر نفوساً تتمنى الفكاك والتحريراً
ضجت الكائنات ، هل من سفير يتلافى الدُّنْيَى ؟ فكنت السفيرا
رب آتيتنا هداك وأنزأت علينا كتابك المسطورا
فلك الحمد وافرأ مستمراً ولك الفضل باقياً مذكورا

أبو بكر وحمية الغار

صاحب القانم المتوج بالفر قان ، بوركت صاحباً ووزيراً
أنت واليته ، وعاديت فيه من توخى الأذى ، وأبدى النفورا^(١)
أو لم تتخذ أباك عدوا وتذقه الهوان كما يحورا؟^(٢)
إذ يقول النبي : لا تضرب الشيم وإن سبني ، ودعه قريراً^(٣)
إنما نلت بالمساء منه والدأ مدبراً ، وشيخاً ضريراً

* * *

ليت شعري : أصبت حية واد تنفت السم ، أم أصبت حريراً؟^(٤)
نفثت سمها فما هز رضوى من وقار ، ولا استخف ثبيراً^(٥)

(١) واليته ناصرته .

(٢) يحور يرجع .

(٣) يعنى مضطراً .

(٤) وضع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه في حجر الصديق فنام على ركبته وقد بقي في الغار شق لم يسد فوضع الصديق قدمه فيه فلدغته الحية فاحتمل أداها وكره أن يتحرك فيوقفه الذي . وقيل إن عينه دمعت فسقط الدمع على وجهه الشريف فأيقظه .

(٥) رضوى وثير جيلان .

خفت أن توقظ النبي فإير ضيك أن تضعف القوى أو تخورا
أكرم الله ركبتك . لقد أعطاك سبحانه . فأعطى شكورا
أى رأس حملت يا حامل الإيم ان سمحاً ، والبرّ صفواً طهوراً ؟

سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ يُرِيدُ قَتْلَ النَّبِيِّ

جعل كفار قريش ابن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم أو يأسره مئة .
ناقة فذهب سراقة في أثره ، قال سراقة - بعد أن ساخت قوائم فرسه صريراً
وبعد أن اعتذر إلى النبي الكريم : يا محمد إني لأعلم أنه سيظهر أمرك
في العالم وتعلك رقاب الناس . فعاهدني على أن تكرمني إذا جئتك يوم
ملكك . فأمر عامر بن فهيرة - وقيل أبا بكر - فكتب له العهد الذي
طلب - أسلم بالجرانة رضى الله عنه . قال له النبي عند منصرفه : « كيف
بك يا سراقة إذا تسورت بسوارى كسرى » ، وقد ألبسه عمر إماماً في خلافته .
لما فتحت بلاد فارس .

إذن الله يا سراقة وانظر هل ترى الأمر هيناً ميسوراً ؟
أم تظن الجواد تمسكه الأرز وتلوى عنانه مسحوراً ؟
أم هو الله ذو الجلال رماه يمسك الشر راكضاً مستطيراً ؟
غرك القوم ، فانطأقت ترجيحه خيساً من الجزاء حقيراً
وضح الحق ، فاعتذرت وأولا ك الرسول الأمين فضلاً كبيراً
فرت بالمهد فاغتنمه وأبشر بسوارى كسرى فديت البشيراً
قل لأهل النياق : أوتيت أجرى جللا ، فابتغوا سواى أجيراً^(١)
ليس من رام رفعة أو سناء مثل من رام ناقة أو بعيراً^(٢)

(١) جنلا عظيماً .

(٢) السناء الرضة .

بُرَيْدَةُ بْنُ الْحَصِيبِ

وَأَصْحَابُهُ يَأْتُونَ بَعْدَهُ

وَأَتَى بَعْدَهُ بُرَيْدَةُ يَرْجُو أَنْ يَنَالَ الْغَنَى ، وَكَانَ فَقِيرًا
يَرْكَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَيَطْوِي الْـ
فِي رِجَالٍ مِنْ صَحْبِهِ زَعَمُوا أَلَّا
آثَرُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَنَازُوا
أَسْلَمُوا ، وَارْتَأَى بُرَيْدَةُ رَأْيًا
قَالَ : مَا يَنْبَغِي لِمِثْلِ رَسُولِ
كَيْفَ تَمْشِي بِلَا لُؤَاءَ ، وَقَدْ أَوْ
لَيْسَ لِي مِنْ عِمَامَتِي وَمِنْ الرَّمِ
اخْفَتِي يَا عِمَامَتِي ، وَاعْلُ يَارَمِ
وَمَشَى بِاللُّؤَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَلَقَّى السَّنَا الْبَهِي نَحْوَرًا
تَبْتَ مِنْ رَبِّكَ الْمَقَامَ الْأَثِيرَ ؟^(١)
حِ عَذِيرٍ إِذَا التَّمَسْتَ عَذِيرًا
حِ فَقَدْ خَفْتُ أَنْ تَعُودَ كَسِيرًا
يَتَلَقَّى السَّنَا الْبَهِي نَحْوَرًا

فِي خِيَمَةِ أُمِّ مَعْبَدَ

مَا حَدِيثٌ لِأُمِّ مَعْبَدَ تَنَتَّ
سَائِلَ الشَّاةِ كَيْفَ دَرَّتْ وَكَانَتْ
بَرَكَاتُ السَّحَابِ لِلْمُؤْمِلِ يَقْرَى
مُظْهِرُ الْحَقِّ لِلنَّبِوةِ سَبْحًا
فِيهِ ظِلْمَايَ الْفُتُوسَ عَذْبًا نَمِيرًا ؟
كَزَّةَ الضَّرْعِ لَا تَرْجَى الدُّرُورَ ؟^(٢)
أُمِّ الْأَرْضِ زَائِرًا أَوْ مَزُورًا ؟^(٣)
نَكَ رَبًّا فَرْدَ الْجَمَالِ قَدِيرًا

(١) تبور تكسد .

(٢) المام الأثير الأول .

(٣) يابسة الضرع . والدرور مصدر من در .

(٤) يقرى يطعم .

فِي قُبَاءٍ

يا حياة النفوس ، جئت قباء جنة الزوح تبث المقبوراً
 إرفع المسجد المبارك واصنع للبرايا صنيعك المشكوراً
 معقل يعصم النفوس ويأبى أن يميل الهوى بها أو ينجورا
 أوصها بالصلاة . فهي علاج أو سياج يذود عنها الشروراً
 غرس الله دوحه الدين قدماً وقضاها أرومةً وجذوراً^(١)
 لو أردت التضار لم تحمل الأحجار توهى القوى . وتحنى الظهوراً^(٢)
 أرايت ابن ياسر كيف يبنى ؟ أرايت المشيع الشميراً ؟^(٣)
 أرايت البناء يستبق القوم صعوداً ، ويزدهيهم سؤوراً ؟^(٤)
 أرايت الفحل الأبي جنيباً في يد الله ، والهزبر المصوراً ؟^(٥)
 ينصب النحر للحجارة والطين يغير الحلى ، ويُغرى النحوراً
 ما بنى مثله على الدهر غيري راح يبنى خورقاً أو سديراً^(٦)
 نجد الحق في البناء حصوناً ويرى الطائر في البناء وكوراً^(٧)

(١) الأرومة الأصل .

(٢) كان صلى الله عليه وسلم يحمل الحجر العظيم فيأله أحد أصحابه أن يتركه له فيقول - لا - خذ مثله - وتوهى تضعف . التضار التذهب .

(٣) هو عمار بن ياسر رضى الله عنه . أسس النبي المسجد وأتمه هو . والشبر الماضي في الأمور المجرب .

(٤) السؤور الوثوب والارتفاع .

(٥) الجنب والجنوب ما ينفذ من الحيل ونحوها . والهزبر الأسد .

(٦) القر من لم يحرب الأمور والخورنق والدير قصران للنعمان .

(٧) إشارة إلى قول الشاعر في بعض الأبنية العظيمة .

شاده مرمرأ وجلاله كلأ فلطير في ذراه وكور

حَتَّى بَنَى عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ

نزل النبي صلى الله عليه وسلم في قباء على كلثوم بن الهرم كبير
بني عمرو بن عوف ، وهم من الأوس ، وكان النوضع الذي بنى فيه المسجد
مريداً له .

بورك الحثي حثيم يا بني عم	رو بن عوف ، ولا يزل ممطورا
كنت فيه الضيف الذي يفمر الأذ	نفس والدثور نعمة وحبورا
مارأت مثلك الديار ، ولا حية	مالك القوم في الضيوف نظيرا
كرهوا أن تبين عنهم ، فقاوا	أملالاً أزمعت عتاً للسير ^(١)
قلت : بل يثرب اتوبت وما أ	فيت نفسى بغيرها مأمورا
قربة تاكل التمرى ، وترىها	كيف تلقى البلى ، وتشكو الدثور ^(٢)
طربت ناقتى إلى لابتيها	فدعوا رحلها وخلوا الجريرا ^(٣)
رحمة الله ، والسلام عليكم	آل عوف ، كبيركم . والصغيرا

(١) تبين تبعد أزمعت عزمتم .

(٢) الدثور الهلاك .

(٣) الجرير الزمام .

مِنْ قِبَاءٍ إِلَى الْمَدِينَةِ

أقبل ، فتلك ديار يثرب تقبل
 طار المَلُومُ والقلوب خوافقُ
 القوم مذ فارقت مكة أعينُ
 يتطاعون إلى الفجاج ، وقولهمُ
 أقبلت في بيض الثياب مباركا
 يا طيب ما صنع الزبير وطلحةُ
 خف الرجال إليك ، يهتف جمعهم
 هي في ركابك ، ما بها من حاجةٍ
 هجرت منازلها بيثرب وانتحت
 وفدان ، هذا من ورائك يرتقى
 انظر بني النجار حولك عكفاً
 لم ينزلوك على الخؤولة وحدها
 نزلوا على الإسلام عندك . إنه

يكفيك من أشواقها ما تحمل
 يهفو إليك بها الحنين الأطول^(١)
 تأتي الكرى ، وجوانحُ تتململ^(٢)
 أفما يطاعنا النبيُّ المرسل^(٣) ؟
 يزجي البشائر وجهك التمهّل^(٤)
 ولصنمك الأوفى أجلُّ وأفضل
 وقلوبهم فرحاً أخفُّ وأعجل
 إلا إليك ، وما لها متحول
 أخرى بمكة دورها ما تؤهل
 عجلاً ، وهذا من أمامك ينسل^(٥)
 يردون نورك حين فاض التمهّل^(٦)
 كلُّ النواطن للنبوة منزل
 نسبٌ يعمُّ المسلمين ويشمل

* * *

(١) التلوم التمسك والانتظار .

(٢) الكرى - التوم . تتململ تتوجع من طول الانتظار كانوا يخرجون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الطهيرة .

(٣) النجاش جمع فجع وهو الطريق الواسع .

(٤) هي الثياب التي كساه إياها الزبير وطلحة في قفولهما من انشام بتجارتهما .

(٥) ينسل يسرع .

(٦) كان معه في قدومه من قباء إلى المدينة ملاً من بني النجار متلبدين سيوفهم ، وهؤلاء غير الذين لقوه واحتفلوا بمقدمه . ويردون من ورد الماء إذا قصده للشرب .

(٢ - مطلع انوار)

ما لنديار تهزها شواتها ؟ أهى الأناشيد الحسان ترتل ؟^(١)
 رفّت نصارتها . وطالب أريجها وتردّت أنفاسها تتسلسل^(٢)
 فكأثما فى كل مغنى روضة وكأثما فى كل دار بلبل
 هنّ العذارى للؤمنات أقنه عيداً تحييّه الملائك من عل
 فى موكب الله أشرق نوره فيه ، وقام جلاله يتملّل
 جمع النبيّين الكرام فأخذ بيده الروح الأمين مسلماً
 يشى به النّجار ابن محمداً وجبينه بقم النّبيّ مقبّل
 خلّوا سبيل الله ، ما رسوله لأشدّ حبّاً لّلىّ هى أجل^(٣)
 ذهبت مطيته ، فتميل لها ، قفى عما أعدّ من المنازل معدل
 النّاس فى طلب الحياة . وهاهنا من أمر ربك ما يحى وي فعل
 أعطى أبا أيّوب رحلك . واحدى قاله بعد الله أمرك يوكل^(٤)
 ودعى الزّمام لأسعد بن زُرارة أمسى بحبل الله حبلك يوصل
 ممّا حملت الحقّ أجمع والهدى

(١) فرح النساء والمذاري كما فرح الرجال بمقدمه ، وما قيل فى ذلك .

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار
 (٢) رفّت برقت وتلاّأت .

(٣) عائذ : لاجئ .

(٤) كان صلى الله عليه وسلم كلما مر فى طريقه إلى المدينة يقوم سألوه أن ينزل فيهم
 فيقول : خلّوا سبيلها - يعنى ناقته القصواء - فتبها مأمورة « فلما بلغ دار عدى بن النجار
 قال له بنوه : نحن أخوالك . لا تجاوزنا : فقال . خلّوا سبيلها ، فذهبت حتى بركت عند دار
 بى مالك بن النجار بمقربة من باب أبى أيّوب الأنصارى رضى الله عنه ، وذلك فى محل المسجد .
 واستأذن أبو أيّوب النّبيّ فى حمل رحلها إلى داره فأذن له - ونزل رسول الله ومعه زيد بن
 حارثة رضى الله عنه على أبى أيّوب . وقال : المرء مع رحله . فكثت عنده حتى تم بقاء المسجد .
 (٥) أخذ أسعد بن زُرارة رضى الله عنه ناقته النّبيّ إلى داره .

يتنافس الأنصار فيك ، وما دروا
 هي كيمياء الحق لولا أنها
 دنيا من المعجب العجيب ، ودولة
 أرايت أهل الكهف لولا ميرها
 شكراً أبا أيوب فزت بنعمة
 ما مثلُ رفدك في المواطن كلها
 لله دارك من محلة مؤمن
 نزل النبي بها ، فحل فناءها
 مجد النبوة في ضياقة ماجد
 وسعت جفان المطيعين جفانه
 أضفى على السعدين برود سماحة
 جذلان محتفلاً ، يقرب منهما
 جعل القرى سبباً إلى رضوانه
 لمن انفاز ، وأئهم هو أول
 تهدي العقول خلقتها لا تعقل
 يهوى النصار بها ، ويعلو الجندل^(١)
 هل كان يكرم كلهم وييجل^(٢)؟
 فيها لنفسك ما تريد وتسأل
 رفد بضائع ، أو عطاء يجزل^(٣)
 نزل الحمى فيها ، وحل المعقل
 مجد يقيم ، وسودد ما يرحل
 سمح القرى ، يسدى الجزيل ويبذل^(٤)
 كرمًا ، فإياي ، ولا هي تبخل^(٥)
 فاهتز جودها ، وأقبل يرفل^(٦)
 لله ما يرضى وما يتقبل
 والبر والإيمان فيما يعمل

(١) النصار : الذهب ، والجندل : الصخر .

(٢) جاءت قصتهم في سورة الكهف من القرآن الكريم . وييجل : يعظم .

(٣) الرفد العطاء والصلة ، والجزل الكثير .

(٤) القرى ما يقدم للضيف ، الجزيل الكثير .

(٥) كان المسلمون يتنافسون في حل الجفان إلى دار أبي أيوب كرامة للرسول الكريم ومساهمة منهم في شرف ضيافته . وكانت توافيه جفنة سعد بن عباد . وجفنة أسعد بن زرارة رضي الله عنها كل يوم ، وكانت جفنة سعد بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت أزواجه رضي الله عنهن .

(٦) ما سعد وأسعد على قاعدة التغليب .

جفنة أم زيد بن ثابت

كان أول طعام أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة - قال زيد له : هذه قصعة أمي ؟ فقال : بارك الله فيها .

يا زيد من صنع الأريد ، وما عسى	ترجو بما حملت يداك وتأمل ؟
بعثك أمك تبتنى في دينها	ما يبتغي ذو الحمّة المتعمّل
شكر النبي لها ، وأطلق دعوة	صعدت ، كما شقّ القضاء مجاجل
أطيب بتلك هدية يسعى بها	في الله ساعٍ بالجلال مفاذل
لو أمها وزنت بدنيا قبصر	رجحت ، وأين من الخضم الجدول ؟ ^(١)
هي إن عيت بوصفها ما يجتنى	من نعمة الإسلام ، لا ما يؤكل
ما في جهادك أم زيد ربيّة	نار الوغى احتدمت ، وأنت الجفّل ^(٢)
شرع سرايل الحروب ، وما اكتسى	من سابغات الخير من يتسرّب ^(٣)

المهاجرون في ضيافة الأنصار

يا معشر الأنصار ، هل لي عندكم	نادٍ يضمّ النابغين ومحفل
عندي لشاعركم تحية شاعر	يسمّ القوافي وسمه يتنخل ^(١)
تميم في دنيا البيان روائع	منها رواكد ما تريم وجفّل ^(٢)
الثاويات على هدى من ربها	والسابغات السائحات الجؤل

(١) الخضم - البحر - الجدول - النهر الصغير .

(٢) الوغى الحرب الجفّل الجيش الكبير .

(٣) شرع سواء .

(٤) يختار .

(٥) ما تريم - ما ترح وما تزول .

شُنَّتْ بِهَا الدُّنْيَا . وماهى بالتى
 تأبى القرار بكلّ واد ممحلٍ
 حسان أبلغ من يقول . وليس لي
 أتم قضيتم للنبيّ ذمامه
 وصنعتم الصنع الجليل كرامةً
 فعرفت موضعكم ، وكيف سما بكم
 وأذعته نبأ لكم مامله
 القوم قوم الله ملء دياركم
 الدين يمطف ، والسماحة تحفى
 والله يشكر ، والنبيّ بغبطة
 دين الهدى والحقّ فى أعراسه
 إن هاهنا الحدث الذى نكبت به
 زولى معطلة المقول ، فمن قضى
 ألقى السلاح ، فماخلصكم دافعٌ
 أزرى بك الفشل المبرح وارتمى
 السهل يصعب إن تواكلت القوى
 أرسى المعافل مؤمنٌ ، لا نفسه
 هذا التذير ، فإن أبيت سوى الأذى
 تعنى بدنيا الجاهلين وتشغل
 وتحلّ بالوادی الذى لا يحل
 منه إذا ادعت المصانع مقول^(١)
 ونصرتم الحقّ الذى لا يُخذل
 المهاجرين هم الفريق الأمثل
 مجدّ لكم فى المسلمين مؤنل^(٢)
 نبأ يذاع ، ولا حديثٌ ينقل
 وكأنهم بديارهم لم يرحلوا^(٣)
 والحبّ يرعى ، والرومة تكفل
 والشرك يصق ، والضلالة تذهل
 والجاهلية فى المآتم تعول
 فلسوف تنكب بالذى هو أهول
 أن البصائر والعقول تعطل ؟
 ودعى الكفاح ، فما لجندك موئل^(٤)
 بحماتك القدر الذى لا يفشل
 والصعب إن مضت العزائم يسهل
 تهفو ، ولا إيمانه يتزلزل
 فالأرض بالدم لا محالة تنسل

(١) ادعت انتسبت لإظهار فضلها وشرف سابقتها ، والمصانع جمع مصنع . الينع العالى الصوت لا يرتفع عليه فى كلامه . والمقول هنا من أسماء اللسان .

(٢) اتحد المؤنل ، العالى .

(٣) تفرق المهاجرون ضيوفاً كراماً فى دور الأنصار .

(٤) موئل - ملجأ .

علقت بمقتلها السهام ، وما عسى يبقى الرميُّ إذا أُصيب المقتل ؟
الله أكبر ، كلُّ زور ينقضى مرَّ السحاب ، وكلُّ إفك يبطل

مسجد المدينة

المسجد الثاني يقام بيثرب
عمار أنت لها ، وليس ببالغ
إن ينقل العبء الذي حملته
ماذا بلغت من السناء على يد
مسحّته ظهراً منك طال مُنيفه
هذا رسول الله في أصحابه
يأتى ويذهب بينهم ، فلم
من كلِّ قوَّامٍ على أثقاله
ومحمد الباني يحسُّ ويعمل^(١)
عليها المراتب من يكلُّ ويكسل^(٢)
فلما يحمل ذو التباعة أثقل^(٣)
أدنى أناملها السماك الأعزل^(٤)
حتى تمنى لو يكونك يذبل^(٥)
لا يشتكى نصباً ، ولا يتمهل^(٦)
بالترب يغشى وجهه ، ومكلل^(٧)
سامٍ ، له ظهرٌ أشمٌ وكلكل^(٨)

(١) كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن بنفسه فيدأب المسلمون ويقول قائلهم .

لئن قمنا والنبي يعمل لتأكل منا العمل المضال

(٢) كان الرجل يحمل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فقال له الرسول الكريم . ألا تحمل كما يحمل أمحباك . قال : لبنة عني يا رسول الله ولبنة عنك . ففرض صلى الله عليه وسلم التراب عن رأس عمار ومسح ظهره .

(٣) التباعة : الرغبة .

(٤) السناء : المجد والعرف . والسماك الأعزل : اسم نجم .

(٥) يذبل اسم جبل في بلاد العرب . والنيف العالي .

(٦) النصب : التعب .

(٧) المكلل : المحفوف بالنور .

(٨) الكلكل : الصدر .

ما كان أحسنها مقالة راجز لو كان يعرفُ حكمها التمثيل^(١)
 هتف الامام بها ، فراح يعيدها ثم اثني متلطفًا يتنصل
 عمار ، يأتاك إذ تلام ، وباله من ذى محافظة يلوم ويمذل
 هجت ابن مضمون فأقبل غاضبًا حقًا ، يحيش كما يحيش للرجل^(٢)
 ولقد يحيد عن التراب إناقةً من لا يحيد عن الضراب وينكل
 مهلاً أب اليقظان قرنك باسلٌ وأخوك في جد الوغى لا يهزل^(٣)
 ولئن أهاب الله : يال محمد صونوا الحمى ، لهو الأشدُّ الأبل
 السيف يعجز أن ينال غراره ما ليس يعجز أن ينال المول^(٤)

(١) كان عثمان بن مضمون رضى الله عنه إذا حل اللبنة يجافى بها عن ثوبه ثلاً يصيه التراب . فإن أصابه شيء من التراب فحسه . فنظر إليه على بن أبي طالب كره الله وجهه وأشد يفاكه .

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعه عمار بن ياسر وأخذ يردد قوله وهو لا يدري من يعنى به ، فغضب عثمان وأغضب له القول . وكان معه حديدة قال : لتكفن أو لأضربك بها .

(٢) الخنق التقيظ يحيش يتحرك الرجل الندر إذا فر ماؤه .

(٣) كنية عمار وقرن الرجل كفوّه ومن يقاومه في الشجاعة وغيرها . والبأس شجاع .

(٤) غرار أنسيف حده .

أَبُو بَكْرٍ يُؤَدِّي ثَمَنَ الْحَائِطِ الَّذِي أُدْخِلَ فِي الْمَسْجِدِ

أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَضُمَّ إِلَى الْمَسْجِدِ حَائِطًا يُتِمِّينَ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا فِي كِفَالَةِ أَسْمَدَ بْنِ زُرَّارَةَ - وَقِيلَ مَعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ - وَهِيَ سَهْلٌ وَسَهْلٌ ، وَقَدْ عَرَضَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ أَنْ يُؤَدِّيَ الثَّمَنَ إِلَيْهِمَا فَبُرِيَ النَّبِيُّ ، وَاجْتَنَعَ الْحَائِطُ بِعَشْرَةِ دَنَانِيرٍ أُدْبِتَ مِنْ مَالِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ .

وَقَالَ الْفَلَّاحَانِ : تَهَبْ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَبَى ، وَأَرَادَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَعْضُوهَا عَنْ الْحَائِطِ فَلَمْ يَكُنْ سِوَى آدَاءِ الثَّمَنِ .

وَجَاءَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ اللَّيْنَةَ الْأُولَى فِي الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ دَعَا أَبَا بَكْرٍ فَوَضَعَ لَبَنَتَهُ ، وَهَكَذَا فَعَلَ عُمَرُ وَعُمَيَّةُ بْنُ عَفَّانَ ، وَقِيلَ أَنَّ الْمَرَادَ بِذَلِكَ تَرْتِيبَ الْخِلَافَةِ .

إِيَّاهُ أَبَا بَكْرٍ ظَفَرَتْ بِصَفْقَةٍ	شَتَّى مَفَاتِمَهَا مِنْ يَتَمَثَّلُ
الْقَوْمِ عِنْدَ إِبَائِهِمْ وَسَخَائِهِمْ	لَوْ يَبْذُلُونَ نَفْسَهُمْ لَمْ يَحْفَلُوا
لَا يَقْبَلُونَ الْحَائِطَ ثَمَنًا . وَلَا	يَبْفُونَهَا دُنْيَا تَذُمُّ وَتُرْذَلُ
اللَّهُ يَطْلُبُهُ لِنَصْرَةِ دِينِهِ	وَالدِّينَ هُمْ أَنْصَارُهُ مَا بَدَلُوا
قَالُوا : أَمِنَّا يَا مُحَمَّدُ يُبْتَغَى	مَا لَيْسَ يَخَافُ بِالْأَبَاةِ وَيَحْمِلُ ؟
إِنَّا لَعَمْرُ اللَّهِ نَعْرِفُ حَقَّهُ	وَنَعَزُّ مَنَّتَهُ الَّتِي تَتَمَثَّلُ ^(١)
نُعْطِي الْيَتِيمِينَ الْكَفَاءَ ، وَإِنْ هَا	أَبْيَا ، وَنَتَّبِعُ الَّتِي هِيَ أَنْبَلُ ^(٢)
خَدَمًا أَرَدْتَ ، فَلَنْ نَبِيعَكَ مَسْجِدًا	يَدْعُوهُ فِيهِ مَكْبَرٌ وَمَهْلَلٌ
هُوَ رَبُّنَا ، إِنْ نَالْنَا رِضْوَانَهُ	فَلَنَا الثُّبُوتُ وَالْجَزَاءُ الْأَكْمَلُ
إِيَّاهُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلُكَ مَطْرُقٌ	يَأْتِي ، وَأَنْتَ بِمَا يَرِيدُ مُوَكَّلُ
لَا بَدَّ مِنْ ثَمَنِ يَكُونُ آدَاؤُهُ	حَكْمًا يَطَاعُ ، وَشَرْعًا مَا تَهْمَلُ

(١) تَمَثَّلُ اللَّتَّةُ دَخَلَ فِيهَا .

(٢) كِفَاءُ الشَّيْءِ مَا يَسَاوِيهِ .

تولا الرسول وما يعلم قومه
 وإذا قضى أمراً ، فما لقضائه
 الحق ما شرع النبي ، وباطل
 لا بد من ثمن ، ولست بواجد
 أمر الرسول به ، فدونك أده
 يا باذل الأموال ، نلت ببذلها
 أتبت نفسك ماملكت ، فمهجة
 جهل المحجة ظالم لا يعدل
 رد ، ولا في غيره متعلل
 ما يدعى المرتاب والمتناول
 في القوم من يضح الصواب فيغفل^(١)
 ولأنت صاحبه الكريم للفضل
 مالم ينل في المسلمين ممول
 تنبال طيمة ، وكف تهطل

بلال يؤذن للصلاة

أذن بلال لك الولاية ، لم تُنح
 الله ألبسك الكرامة ، واصطفى
 يا طول ما عذبت فيه فلم تمل
 أحد إهلك ، ما كذبت ، وما لمن
 أرني يديك : أفيهما لأمية
 لبسيف سيف الله أهول موقعا
 لك في غدومه إذا التقت الظبي
 نسواك إذ تدعو الجوع فتقبل
 لك ما يحب مؤمن المتوكل
 تبني التي اتبع الغواة المثل^(٢)
 يرجو النجاة على سواء معول
 ورد من الموت الذعاف مثل^(٣)
 من صخرة تلقى وحبل يفتل
 تحت المعجاجة ، والرماح الذليل^(٤)

(١) مضارع وضع .

(٢) كان أمية بن خلف يخرج بلالا إذا حبت الضيرة بعد أن يجيحه ويعطشه ليلة ويوماً فيطرحه على ظهره في الرمضاء ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بحمد ونعمد اللات والعزى فيأبى . وكانوا يدمعون له إلى أصابعه فيبرصونه بحبل ويضوفون به في شعاب مكة وهو يقول (أحد أحد) وقد رق له أبو بكر عشرة من أمية بن خلف ثم أعقته ، وكذلك فعل رضى الله عنه بكثيرين كانوا يعذبون في الله
 (٣) الموت الذعاف السريع ، والمثل المنقح .

(٤) قتل بلال رضى الله عنه أمية بن خلف يوم بدر فهناه الصديق بقوله .
 هنيئاً ، زادك الرحمن خيراً لقد أدركت ثأرك يا بلال
 وانطى السيف ، والمعجاجة كدرة الجو وغبار المعركة والذيل الرماح الطويلة .

أُذُنْ فَإِنَّ الدِّينَ قَامَ عَمُودُهُ ورست جوانمیه فما يتفاقل
هبط الجزيرة ، فاحتوى أطرافها وانساب في أحشائها يتفاقل
فكأنما طرد السَّوَامِ ضيغم وكأنما ذعر الحائم أجدل^(١)

* * *

خفَّ الرجال إلى الصَّلَاةِ وَإِنَّمَا لأجلُ ما تصف الصُّفوفُ انقل
عنت الوجوه ، فراكم متخشع يخشى الآله ، وساجد متبذل^(٢)
صلُّوا بني الاسلام خلف نبيكم وخذوا بما شرع الكتاب المنزل
الله أيدكم به ، وأمدكم منه بنور ساطع ما يقل
آثرتم السنن السوى ، فجدكم يعلو، وجد ذوى العماية يسفل^(٣)
هل يستوى الجمعان ، هذا صاعد يبنى ، وهذا ساقطٌ يتهيل ؟
يتألفون على الهوى ، وقلوبهم شتى ، يضلُّ شعاعها يتزِيل
نصرٌ على نصر ، وفتحٌ بعده فتحٌ يغيظُ المشركين محجَّل
إنَّ امرأً جمحت به أهواؤه من بعد ما وضع الهدى لمضلل
الحقُّ بابُ الله ، هل من داخل طوبى من يبغي الفلاح فيدخل

(١) السوام جمع سائمة ، الناحية تذهب في المراعى . والضيغم الأمد . والأجدل الصقر .

(٢) عنت خضعت .

(٣) الجدل الحظ .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كانت المؤاخاة بعد بناء مسجد المدينة - وقيل وهو يثبي - وكان المراد منها إزالة الوحشة وشد الأزر في سبيل الدعوة الإسلامية ، وكانت توجب أن يرث كل أخ أخاه دون ذوى الأرحام ، فلما عز الإسلام وتويت شوكته أبطل هذا الحكم بقوله تعالى : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ ، وكان نزول هذه الآية الشريفة في وقعة بدر ، ولم يكن قد عمل بهذا الحكم قبل ذلك . وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل غير هذا .

عن زيد بن أبي أوفى قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة ، فجعل يقول : « أين فلان ، أين فلان . فلم يزل يتفقدهم ويبحث إليهم حتى اجتمعوا عنده فقال - لاني محدثكم بمحدث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم . لان الله تعالى اصطفى من خلقه خلقاً ، ثم قرأ : ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾ قال : ولاني اصطفى منكم من أحب أن اصطفيه وأوحي بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته . قم يا أبا بكر فقام فجثا بين يديه الشريفتين ؛ فقال : إن لك عندي يداً الله يمجزيك بها ، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذتك ، فأنت ممي بمنزلة قيصى من جسدي . وحرك قيصى بيده ؛ ثم قال : ادن يا عمر فدنا ؛ فقال : قد كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص فدعوت الله أن يعز بك الدين أو يأني جهل ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما إلى الله ، فأنت معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة . وآخى بين المهاجرين والأنصار فجعلهم أخوين أخوين .

وكانوا خسين من هؤلاء ومثلهم من هؤلاء . وقيل : كانوا تسعين . وكانت المؤاخاة في دار أنس بن مالك ، وهي دار أبي طلحة زوج أم أنس ، واسمه زيد بن سهل .

هي الأواصر أذناها الدّم الجاري	فلا محالة من حبٍ وإيثار
الأسرة اجتمعت في الدار واحدة	حييت من أسرة ، بوركت من دار
مشى بها من رسول الله خير أب	يدعو البنين فلبّوا غير أغمار ^(١)
تأكد العهد مما ضمّ ألقبهم	واستحصد الحبل من شدّة وإمرار ^(٢)

(١) غير أغمار : غير حاقدين

(٢) استحصد : قوى والإمرار العتل .

كل له من سراة المسلمين أخ
يطوف منه بحق ليس يمتعه
يجود بالدم ، والآجال ذاهلة
هم الجماعة ، إلا أنهم برزوا
صاح النبي بهم ، كونوا سواسية
هذا هو الدين ، لا ما هاج من فتن
ردوا الحياة فما أشهى مواردها
الجاهلية ^{سُم} نافع وأذى
تأهبوا ، إن ديناً قام قائمه
أما ترون رياح الشرك عاصفة
لن أترك الناس فوضى في عقائدهم
أكلما ملك الأقوام مال كهم
الشر عطي أديم الأرض فارتكست
أخفى محاسنها الكبرى ، فكيف بكم
لأنزلن ذوى الطغيان منزلة
خلنوا الضعاف عبداً ، بش ما زعموا
ما غرهم إذ أطاعوا أمر جاهلهم
يرى العروش إذا استعصت ويبعثها
بعث بالحق يهدى الجاهلين كما
أدعو إلى الله بالآيات واضحة

يحمى النصار ، ويرعى حرمة الجار
وليس يعطيه إن أعطى بمقدار
ويبذل المال في يسر وإعسار
في صورة الفرد ، فانظر قدرة الباري
يا عصابة الله من صحب وأنصار ^(١)
بين انقبائل دين الجهل والعار
دنيا صفت بعد أقداء وأكدار
تشقى النفوس بداء منه ضرار
يومي إليكم بآمال وأوطار ^(٢)
تظنى على أمم شتى وأقطار ؟
ولن أسالم منهم كل جبار
رمى الضعاف بأنياب وأظفار ؟
أقطارها بين آثام وأوزار ^(٣)
إذا تكشف عن وجه لها عار ؟
تستفرغ الكبر من هام وأبصار
هل يخلق الله قوماً غير أحرار ؟
بواحد غالب السلطان قهار ؟
مبثوثة في جناحي عاصف ذار ^(٤)
يهدى الحيارى شعاع الكوكب السار
تهدى القوى ، وتنبهى كل كفار

(١) سواء .

(٢) الأوطار الحاجات ويوى يشير .

(٣) اديم الأرض وجهها ارتكس الرجل والشيء ارتكس .

(٤) من ذرت الريح إذا هاجت التراب .

- فمن أبى فدعائي كلُّ ذى شطب
 الله أكبر. هل فى الحق معتبة
 ألم يكن أخذ الميثاق من قدم
 إن الألى اتخذوا الأصنام آلهة
 يستكبرون على من لا شريك له
 راحوا يحولونها من سوء ما اعتقدوا
 لكل قوم إله يؤمنون به
 النار أعظم سلطاناً ومقدرة
 سبحانه من إله شأنه جلل
 لا كشفن عن الأبصار إذ عميت
 ما للسراحين بد من مصارعها
 ضموا القوى ، إنها دنيا الجهاد بدت
 لا بد من غارة للحقّ بأسلة
 خير الذخائر أبقاها ، ولن تجددوا
 لانتقضوا العهد ، إن الله منزله
 قالوا : عليك صلاة الله ، إن بنا
 أخيت بين رجال يصدقون إذا
 جنود ربك ، إن قلت : اعصفوا عصفوا
 من كلّ منعفس فى النفس مرتجس
- (١) ماضى الرسالة فى الثامات بتر^(١)
 نستخفّ بعهد الله غدار ؟
 فما انقام على كفر وإنكار ؟
 على شفا جرف من أمرهم هار
 ويسجدون على هون لأحجار
 والله أولى باجلال وإكبار
 ما يبتغى الله من إيمان فجار ؟
 فى رأى عبادها ، أم خائق النار ؟
 يهدى النفوس بآيات وآثار
 ما أسدل الجهل من حجب وأستار
 إذا انتضت سطوات الضيغم الضارى^(٢)
 أشراطها ، وترآى زندها الوارى
 وجحفل من جنود الله جرّار
 كالعهد يرعاه أخيار لأخيار
 على لسان رسول منه مختار
 ما الله يعلم من عزم وإصرار
 زأت قوى كل خداع وختار^(٣)
 يرمون فى الحرب إعصاراً بإعصار^(٤)
 وكلّ منبجس بالبناس فوّار^(٥)

(١) الشطب الطرائق فى السيف والبنار القاطم .

(٢) السراحين الذئاب والضيغم الضارى الأسد المفرس .

(٣) اختار القدار .

(٤) الإعصار الريح العاتية تثير السحاب ، أو التى يكون فيها برق ورعد .

(٥) ارتجست المياء رعدت ، والسحاب صوت . وانبجس الماء ونحوه نفجر ، والقمر الغبار يشور من حدة المعركة .

اليهود والميثاقون

لما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار دعا اليهود وصالحهم على ترك الحرب والأذى ، لا يحاربهم ولا يؤذيهم ، ولا يعينون عليه أحداً ، وإن دمه عدو ينصرونه ، ثم أقرهم على دينهم وأموالهم . فلما انتشر الإسلام كرهوا ذلك فانتقصوا ، وفي ذلك نزل قوله تعالى : (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) ، ولما نزلت (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) الآية - فل فأنزلهم - حيي بن أخطب في رواية - يستقرضنا ربنا ، ولأنما يستقرض الفقير الغني . فأنزل الله تعالى : (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) الآية - وكانوا يسألون النبي عن الروح ويقولون له : مم خلق الله - أنسب لنا ربك - يريدون تعجيزه وإثارة .

وكان من عظمائهم وأخبارهم حيي ، وأبو ياسر ، وجدى بنو أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وكعب بن الأشرف ، وعبد الله بن سوريا ، وليد بن الأعصم ، وشاس بن قيس ، وعبد الله بن سلام . وكان حيي بن أخطب عظيم بى النصير ، وهو أبو السيدة صفية أم المؤمنين رضي الله عنها ، كانت من سبايا التي في غزوة خيبر بعد قتل أبيها وزوجها كنانة بن الربيع ، جعلها التي عند أم سليم - أم أنس - حتى اهدت وأسلمت ثم أعتقها وتزوجها ، وقد انضم المنافقون من أهل المدينة إلى اليهود ، وكان عبد الله بن أبي بن سلول كبيرهم ، كان من أعظم أشراف أهل المدينة ، وكانوا يريدون تنويع ملكاً عليهم ؛ فلما ظهر الحق على يد الرسول الكريم خاب أملهم ، وعظم غيظه وحقدته .

والمنافقون قوم من اليهود دخلوا في الإسلام لما قوى أمره خشية القتل وبقي هوائهم مع قومهم .

دعاً ، فأجابوا ، والقلوب صوادف وقالوا : استقمنا . والهوى متجانف^(١)
مضى العهد ، لاحت تقام ، ولا أذى يرام ، ولا بغي عن الحق صارف
لهم دمهم ، والدين ، والمال ما وقوا فإن غدروا فالسيف واق مساعف

سياسة من لا يخدع القول رأيه
رسول له من حكمة الوحي عاصم
يسلم من أحبارهم ومتراتهم
يفيظهم الاسلام ، حتى كأنما
إذا هتف الداعي به احتاج ناظم
إذا ما تردى في الضلالة جاهل
يقولون قول الزور - لا علم عندنا
لهم من سنا التوراة هاد وللعلمى
دنا الحق من بهتانهم ، ورمى بهم
عنا ابن أبى من هوى التاج لاعتج
جرى راكضاً ملء العنانين ، فاتحى
فما مثله في مشهد الإفك فارح
ظنون يعقيبها اليقين ، ودولة
يهيب بأضغان اليهود يشبها
وما برح الخبر السمين يفرم
أعدوا له المرعى فراح مهبلًا

ولا يزدهيه باطل منه زائف
ومن نوره في ظلمة الرأى كاشف
رجالاً لهم في السلم رأى مخائف
هو الموت ، أو عا من الخطب جارف
وأعول محزون ، وأجفل خائف^(١)
فما عذر من يأتى الهدى وهو عارف ؟
كفى القوم علماء ما تضم المصاحف
ركام على أبصارهم متكائف
إلى الأمد الأقصى هوى متقاذف
وطاف به من نشوة الملك طائف
له قدر ألقى به وهو راسف^(٢)
ولا مثله في مشهد الحق آسف
من الوهم تذروها الرياح العواصف^(٣)
عداوة قوم شرهم متضاعف
وبأكل من أموالهم ما يصادف^(٤)
كظنك بالخنزير واتاه عالف^(٥)

(١) أجفل اتزعج أو هرب مسرماً .

(٢) رسف الرجل مثنى مثنى المقيد .

(٣) يفيها يحوها ، من عفت الريح المنزل .

(٤) هو مالك بن الصلت من أحبارهم . كان يفضى النبي بغضاً شديداً . ولبس على اليهود فيأخذ أموالهم ، قال له صلى الله عليه وسلم - أنشدك الله - أليس في التوراة أن الله يفضى الخمر السمين . إنك الخبر السمين . سميت من المال الذى يطعمك اليهود . فغضب والتفت إلى عمر قائلاً . ما أنزل الله على بشر من شيء . فكان هذا كفرأ منه بموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء والمرسلين . وعلم اليهود فزعوا عنه الرئاسة وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف .

(٥) المهبل الكثير اللحم .

ينوء بحنييه ويرتحج ماشياً إذا اضطربت منه الشوى والروائف^(١)
 رماهم بها عمية لم يرم معشراً بأمثالها أحبارهم والأساقف
 فقالوا: غوى ابن الصلت وانقض جمعهم يريدون كعباً وهو خزيان كاسف
 رمى الصادق الهادى لفيقة نفسه بصاعدة تنشق منها النفائف^(٢)
 فأما لبيد فاستعان بسحره رويداً أخا هارون تلك الطرائف^(٣)
 أعذدك أن السحر لله غالب تأمل لبيد أى مهوى تشارف^(٤)
 وشاس بن قيس هاجها جاهليةً تطير لذكراها الخوم الرواجف^(٥)
 يقلب بين الأوس والخزرج الثرى وقد وشجت فيه العروق العواطف

(١) الشوى اليدان والرجلان والأطراف . والروائف أسافل الآية لقائم .

(٢) جمع لفيقة ما يلف به الرجل وغيره والمعنى ظاهر والصاعدة من صدم بالحق إذا جهر به أى أن قول الرسول قد كشف أمره أمام قومه .

(٣) لبيد بن الأعصم ، قيل له عمل سحراً للنبي اتخذ له مثالا على صورته من شمع - وقيل من عجين - ثم غرز فيه إحدى عشرة عقدة . وكان للنبي خادم يهودى حمل شيئاً من شعره اشريف إلى لبيد فصنع السحر ووضع في بئر دروان ونزل جبريل فأخبر النبي فأرسل علياً وعمار بن ياسر فاستخرجاه من البئر .

(٤) شارف الرجل الشيء أصلع عليه من فوق .

(٥) كان شديد الطعن على المسلمين ، شديد الحسد لهم . مر يوماً على الأنصار وهم مجتمعون يتحدثون فقاطعه ما رأى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة . فقال : قد اجتمع بدو قبيلة . والله ما أنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ، ثم أمر فتى من اليهود فقال له : اعمد إليهم فاحس معهم ، ثم اذكر يوم بعث - يوم الحرب التي كانت بينهم - وما كان فيه وأشدهم ما كانوا يتفاولون به من الأشعار ففعل ، وثارت نفوسهم فتأهبوا للقتال . وزدى هؤلاء يا للأوس ، وهؤلاء يا للخزرج ثم خرجوا وقد أخذوا السلاح واضطربوا للقتال ؛ فلعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم ؛ فقال - يا معشر المسلمين الله الله . أبدو عوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأسلمكم به ؛ وفضع عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر بالنبي . فعرفوا للقوم أنها نعمة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله تعالى في شاس بن قيس ﴿ يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً ﴾ - الآية .

- يذكّرهم يوم البعث وما جنت
 غلت نخوت القوم ممّا استقرّهم
 وخفوا يريدون القتال ، فردّه
 دعاهم إلى الحسنى ، فأقبل بعضهم
 أتى ابن سلام يؤثر الحقّ ملة
 تسلل يستخفى ، وأقبل قومه
 فقيل : اشهدوا ، قالوا عرفناه سيّداً
 هو المرء لاتبى من الدين ما ارتضى
 فلما رأوه خارجاً ينطق التّى
 ظننا به خيراً . ولا خير فى امرى
 ظلمناه ، لم يوصف بما هو أهله
 ترّاموا بالقباب إذا ما تتابعت
- رقاق المواضى والرماح الرواعف^(١)
 وراجعهم من عازب الرأى سالف^(٢)
 نبىّ يردّ الشرّ والشرّ زاحف
 يعانق بعضاً ، والدموع ذوارف^(٣)
 وينظر ما تآلى النفوس العوازف^(٤)
 وللؤم منهم ما تضم الملاحف
 تجلّ مساعيه ، وتعلو المواقف
 ولا ندع الأمر الذى هو آلف
 هى الحقّ قالوا : عاثر الرأى عاسف
 أبوه أبوسوء على الشرّ عاكف
 فماذاله إن أخطأ الرشداً واصف ؟
 تتابع شؤبوب من الدم واكف^(٥)

(١) رقاق المواضى مى السيوف . والرواعف من رعب الدم إذا سال .

(٢) عازب : غائب .

(٣) ذوارف : من ذرف الدم إذا سال .

(٤) جاء النبى فى دار أبى أيوب فأسلم وكنتم إسلامه عن اليهود ، ورجع فقال : نقد علموا
 أنى سيدهم وابن سيدهم . وأعلمهم وابن أعلمهم . فاختبئى يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك
 ثم ادعهم فأسألهم عني وخذ عليهم ميثاقاً لئى إذا اتبعك وآمنت بك اتبعوك وآمنوا . فأرسل
 إليهم فجاءوا وقال لهم يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعمون
 أنى رسول الله حقاً وأنى جيشكم بحق ، أسلموا ، فأبوا ، قال : فأى رجل فيكم ابن سلام .
 قالوا سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال أرايتم أن شهد أنى رسول الله وآمن
 بالكتاب الذى أنزل على تؤمنوا بى . قالوا نعم . فدعاه فقال يا ابن سلام أخرج عليهم نخرج
 وأظهر إسلامه ثم دعاهم إلى الإسلام وطفق يؤنبهم لأنكار ما علموا من أمر النبوة فى التوراة
 فقالوا كذبت . أمت شرنا وابن شرنا ونزلت فى ذلك (قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم
 به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم . إن الله لا يهدى القوم الظالين -
 الآية) . العوازف جمع عازف وهو المصرف .

(٥) الألقاب المكرومة يتناز بها القوم . والشؤبوب الدفعة من المضروبواك
 من وكف إذا سال .

أهاب أبو أيوب ردوا حلومكم
وقال الرسول استشعروا الحلم ، إنما
أتؤذون عبد الله أن يتبع الهدى؟
أهذا هو العهد الذي كان بيننا؟
تولوا غضاباً ، ما تثوب نفوسهم
يذيعون مكروه الحديث ، وما عسى
إذا بعثوا من باطل القول فتنة
يشايعهم في القوم كل منافق
شديد الأذى يبدى من القول زخرفاً
زحائف سوء ما يكف ديبها
أقاموا على ظلم كأن لم يكن لهم
لكل أناس يعكفون على الأذى
رويد يهود . هل لها في حصونها
يظنون أن لن ينسف الله ما بنوا
سيبقون بؤساً بعد أمن ونعمة

أعند رسول الله تلقى المآزف^(١)
يسود ويستعلى الحليم الملاطف^(٢)
فيا ويحه من مؤمن - ما يقارف؟^(٣)
أهذا الذي يحنى العقيد الخائف؟^(٤)
ولا ترعوى أحقادهم والكتائف^(٥)
يقولون ، والفرقان بالحق هاتف
تلقفها من صادق الوحي خاطف
إلى كل ذى مشنوءة هو دالف^(٦)
وكالسم منه ما توارى الزخارف
وأهون شيء أن تدب الزحائف^(٧)
من العدل يوماً لا محالة آرف^(٨)
معاطب من أخلاقهم ومتالف
من البأس إلا ما تظن السلاحف؟
ولن يثبت البنيان والله ناسف
فلا العيش فيأح ، ولا الظل وارف^(٩)

(١) الأقدار .

(٢) استشعر الرجل الشيء جملته شعاره .

(٣) فارف الذنب خالطه .

(٤) للمعاهد والمعاهد .

(٥) ناب رجع بعد ذهابه . والكتائف جمع كتيفة وهي السخيمة والمخند .

(٦) للمشنوءة . البغض والعداوة - دالف : ساع .

(٧) الزحائف دواب صفار لها أرجل تمشى شبه النمل .

(٨) آرف من أرف بمعنى قرب .

(٩) الفياح الواسع . وورف الظل اتسم وطال وامتد .

غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى

كان عدد الغزوات ثلاثين غزوة شهد النبي صلى الله عليه وسلم تسعاً وعشرين منها وغاب عن واحدة هي غزوة مؤتة ، فأما التي شهدناها فهي : غزوة ودان - العشيرة - سفوان - بدر الكبرى - بني سليم - بني قينقاع - السويق - قرقرة الكندر - ذي امر - بجران - أحد - حراء الأسد - بني النضير - ذات الرقاع - بدر الآخرة - دومة الجندل - بني المصطلق - الحندق - بني قريظة - بني لحيان - ذي قرد ، الحديبية - خيبر - وادي القرى - عمرة القضاء - حنين - الطائف - تبوك - فتح مكة . وقد استثنى الباطم من هذه الغزوات ما لا مجال فيه للقول .

كان خروج المسلمين لغزوة بدر يوم السبت (الثاني عشر من رمضان) وهو الشهر التاسع عشر بعد الهجرة ، وكان عددهم ٣١٣ وقيل ٣١٤ وقيل ٣١٥ رجلاً ، وكان عدد الكفار ٩٥٠ وقيل ألفاً قتل منهم ٧٠ وأسر ٧٠ رجلاً ، فأما المسلمون فقد استشهد منهم ١٤ رجلاً ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار .

ما للنفوس إلى العماية تجنح ؟ أتظن أن السيف عنها يصفح ؟^(١)
داويت بأخفى فليج فسادها ولديك إن شئت الدواء الأصلح^(٢)
الإذن جاء فقل لقومك . أقبوا بالبيض تبرق ، والصوافن تضبح^(٣)
أفيطمع الكفار ألا يؤخذوا ؟ بل غرهم حلم يمد وبفسح

(١) تجنح تميل .

(٢) الخطاب للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

(٣) كانت الآيات التي نزلت بمكة تحض على الصبر واحتفال الأذى ، فلما ثويت شوكة الإسلام بعد الهجرة نزلت الآيات بالقتال . وكان بدءوها في الثاني عشر من شهر صفر من السنة الثانية وأولها (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير) وقيل إن الآية الأولى هي (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) وكان الصحابة يأتون النبي بمكة بين مضروب ومشجوج فيقول : اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال . والضبح صوت الخيل (دون الصهيل - أو عدوها . والصوافن الخيل .

أمنوا نكالك ، فاستبد طغاتهم
لا يستحون ، ولو تأذن ربهم
أملى لهم . حتى إذا بلغوا المدى
من ناقض عهداً . ومن متوعد
لما استقام الأمر لاح بشيرها
ظلمت سيوفك يا محمد فاسقها
فجّر ينابيع الفتوح فرثها
الظالم أوردتها الغليل ، وإنه
اليوم توردها الدماء فترتوى
المشركون عموا ، وأنت موكل
خذهم بياسك ، لاترعى جوعهم
ضلوا السبيل ، وفي يمينك ساطع
هفت المشيرة إذ نهضت تريدها
تمشى مواقر في غواربها العلى

أفكنت إذ تزجي الزواجر تمزح ؟
عرفوا اليقين ، وأوشكوا أن يستحوا
أولى بهم خطب يحل ويفدح^(١)
يمسى على دين الفواة وبصبح
غرّ سوافر من جبينك تنمح
من خير ما تسقى السيوف وتنضح^(٢)
ما تستبيح من البلاد وتفتح
لأشد ما تجدد السيوف وأبرح^(٣)
وتردها نشوى المتون فتفرح
بالشرك يعجى ، والعماء تسمع
فلأنت إن وزنوا الكتاب أرجح
يهدى النفوس إلى التي هي أوضح
والعير دأبة تشط وتنزح^(٤)
أموال مكة فهي ميل جنح^(٥)

(١) أولى له أمهله وسؤل له أولى بالرجل وبالشئ ذمب به .

(٢) بمعنى تسقى .

(٣) الغليل حرارة العنق .

(٤) المشيرة موضع لى مدليج ينبع ، خرج إليها النبي في جمادى الأولى . وقيل الثانية على رأس ١٦ شهراً من الهجرة في ١٥٠ وقيل في ٢٠٠ رجل من المهاجرين يريد عبداً لفريش سارت من مكة إلى الشام للتجارة كانت ألف بئر تحمل ما قيمته خمسون ألف دينار . وكان قائدها أبو سفيان بن حرب ومعه مخزومة بن نوفل . وعمرو بن العاص . فلم يدركها النبي . فلما عادت من الشام خرج إليها . قبل أنها كانت سبأ لوقعة بدر . وكان اللواء في المشيرة لحزبة بن عبد المطلب . وفي هذه الغزوة عقدت معاهدة بين الرسول الكريم وبين بني مدليج . وكانوا حلفاء بني ضمرة . وتشط تبعد .

(٥) مواقر عملة أحملا ثقيلة .

عُدُّ باللواء ، وَقِلْ لِحِزَّةِ إِيَّاهُمْ رَهْنٌ بِمُرْزَمَةٍ تَسْحُ وَتُدْلُ^(١)
 تَهْوِي غَدَاهُ الرُّوعُ فِي طَوْفَانِهَا مَهْجُ الْفَوَارِسِ ، وَاللَّيَالِي تَسْبَحُ^(٢)
 هَذَا الْفَتَى الْفَهْرِيُّ أَقْبَلَ جَانِحًا يَغْزُو الْمَدِينَةَ وَالْمُضَلَّالُ يَجْمَعُ^(٣)
 وَلَوْ يَسُوقُ السَّرْحُ لَوْ لَمْ تَوَلَّهُ سَعَةً لَصَاقَ بِهِ الْقَضَاءُ الْأَفْيَحُ^(٤)
 دَعَاهُ . فَإِنَّ لَهُ بِمَكَّةَ مَشْهُدًا يَرْضِيكَ ، وَالشَّهَدَاءُ حَوْلَكَ تَطْرَحُ^(٥)
 ذَهَبَ ابْنُ حَرْبٍ فِي تِجَارَةِ قَوْمِهِ وَلَسَوْفَ يَعْلَمُ مِنْ يَفُوزُ وَيَرْجُحُ^(٦)
 نَسْرٌ مَضَى مُتَصِيدًا ، وَوَرَاءَهُ يَوْمٌ تَصَادُ بِهِ النُّسُورُ وَتَذْبَحُ
 بَيْنَ يَحْيَدٍ عَنِ السَّهَامِ أَصَابَهُ نَبَأُ تَصَابٍ بِهِ السَّهَامُ فَتَجْرَحُ
 بَعَثَ ابْنُ عَمْرٍو مَا لَكُمْ مِنْ قُوَّةٍ إِنْ مَا لَكُمْ أَمْسَى يُلْمُ وَيَكْسَحُ^(٧)
 وَهَذَا قَرِيشٌ إِنَّهُ الدَّمُ ، فَأَعْلَمُوا مِنْ دُونِ بِيضَتِكُمْ يَرِاقُ وَيَسْفَحُ
 تَرْدُونَ بَرْدَ الْأَمْنِ ، وَالنَّارُ الَّتِي أَتَمَّ لَهَا حَطْبٌ تَشْبُ وَتَقْدَحُ
 إِنْ كُنْتَ لَمْ أَفْصَحْ لِحَطْبٍ هَالَتِي فَسَلُوا بِمَيْرِي إِنَّهُ هُوَ أَفْصَحُ

(١) من أرزم ارعد إذا اشتد صوته . والمراد غارة أو وقعة هذه صفاتها . يقال سحابة تدلح إذا كانت كثيرة الماء ، وأصله أن يمشى الرجل أو غيره منقبض الخطو لثقل حمله .

(٢) الرُّوع بمعنى الحرب وأصله الفرع .

(٣) هو كرز بن جابر الفهري ، كان من رؤساء المشركين أعار على سرح من الإبل والمواشي كان بالمدينة بعد رجوع النبي من المشيرة ببلال . فخرج صلى الله عليه وسلم يطلبه . فلما بلغ سفوان - موضع من ناحية بدر - فانه كرز ، وكان اللواء بيد علي بن أبي طالب - أسلم كرز ومحب وأمر على سرية ، وقتل في فتح مكة . رضى الله عنه .

(٤) الأفيح الواسف .

(٥) إشارة إلى إسلام كرز بن جابر واستشهاده .

(٦) كان أبو سفيان يتجسس أخبار النبي فلما علم بخروجه مع الجيش أرسل ضمضم ابن عمرو الغفاري يستنصر قريباً بمكة واستأجره مشركين مثقالاً على أن يأتي مكة ويجمع أنف بعيره . وبشق ثوبه من قبل ومن دبر ثم يصرخ يظن الوادي على بعيره . اللطيفة اللاطيمة - هي لعير تحمل الطيب والبز - أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد ، لأنكم إن أصابها لن تفلحوا أبداً ، لعوث ، الثوث تنفر الناس وتخلف أبو لهب .

(٧) يكسح يؤخذ كله .

وخذوا النصيحة عن قيصي إنه
إني صدقكم البلاغ لتعلموا
جفلت نفوس القوم ، حتى مالها
وأبى أبو لبب مخافة ما رأت
وأرى أمية لو تأخر حينه
يرمي بالهذر القبيح يلوئه
غشاه سعد روعة ما بعدها
لأجل من يعط النيام وينصح
وجبال مكة شهده والأبطح
لجئ ترد ، ولا مقاود تكبح^(١)
في النوم عاتكة فما يتزحزح^(٢)
لراه عقبه ثاوياً ما يبرح^(٣)
ويؤوه الخلق الذي هو أقبح
لذوى المخافة في السلام مطمح^(٤)

(١) جفلت انزعجت .

(٢) قر الناس للقتال وتخلف أبو لبب لرؤيا رأتها عاتكة ابنة عبد المطلب عمه النبي
(عنت في إسلامها) بعثت عاتكة إلى أخيها العباس فلما جاءها قلت بعد أن أوصته بالسكتمان
خوفاً من كفار قريش - رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته
- ألا انظروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد
والناس يقيمونه ، وبينما هم حوله رأت بعيره مثل به على ظهر السكبة ، ثم صرخ بثملها .
ثم مثل به بعيره على رأس أبي قيس فصرخ بثملها . ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقربت تهوى ،
حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت فأتى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلها منها فلفة .
قال العباس : لأنها لرؤيا عظيمة فاكتمتها . وخرج فأتى الوليد بن عقبه وكان صديقاً له
فذكرها له واستكتمها . فذكرها الوليد لأبيه . فتحدث بها وفشا الحديث . وصر العباس
على أبي جهل وهو في رهط من قريش يتحدثون بهذه الرؤيا فقال له : يا أبا الفضل إذا فرغت
من طوافك فأقبل إلينا . فلما رجع قال له أبو جهل - يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه
النبية ؟ أما رضيتم أن ينبا رجالكم حتى تنبأ لناؤم ؟

جاء ضعض بن عمرو الضناري إلى مكة بعد هذه الرؤيا بثلاثة أيام وفعل ما فعل فكان ذلك
مصادفاً لها - بث أبو لبب مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكان له أربعة آلاف درهم ديناً
عليه ثم عجز عن أدائها فجعلها أجراً له - وقد قتل العاص في غزوة بدر يد عمر بن الخطاب .
(٣) أمية بن خلف ، أراد الخلف وكان شيخاً ثقيلاً فجاءه عقبه بن أبي معيط وهو جالس
مع قومه بجورة فيها بخور ثم وضعها بين يديه وقال له : استجمر فأتما أنت من النساء .
وكان أبو جهل هو الذي دعا عقبه إلى ذلك . ومن قول أبي جهل لأمية : إلك سيد أهل
الوادي فإن تخلفت تخلفوا - فتجز وخرج . والحين الموت والتاوى المقيم .

(٤) سعد بن معاذ ، قدم مكة معتزلاً فنزل على أمية كما كان يزل هو عليه بمدينة
في طريقه إلى الشام فأخبره أن النبي سيقله - والمراد جند النبي - فكان هذا سبب خوفه
وكرهته للخروج .

- نفروا يريدون القتال وغرهم
 غنّت بهجو المسلمين ، وإنها
 الضاربات على الدفوف ، فإن هم
 تلك المآتم ، ما تزال ثقلمها
 أخذوا السلاح ، وقد أغار لأخذهم
 فيهم من الأنصار كل مشيع
 كانوا على عهد مضى فآتمه
 سعد يهيب بهم ، وسعد قائم
 ما أصدق المقداد حين يقولها
 إنا وراءك يا محمد نبتنى
- عبث اللواتي في الهواجج تنسج^(١)
 لأضل من يهجو الرجال ويمدح
 ضربوا الطلى ، فالنابات النوح^(٢)
 تمشى الوئيد بها المطايا الطلح^(٣)
 جند بآيات الكتاب مساح
 يمضي إذا نكص البراع الزمخ^(٤)
 لإلههم عهد أبر وأسمح^(٥)
 تحت اللواء بسيفه يتوشح^(٦)
 حرى ، وبعض القول نار تالفح^(٧)
 ما الله يعطى المتقين ويمنح

(١) خرجت فرس ومعهما النساء يضربن على الدفوف ويغنين بهجو المسلمين ، وكان من زعمائهم أبو جهل . وعتبة وشيبة ابنا ربيعة . وحكيم بن حزام (أسلم بعد ذلك) وأبو البختري بن هشام ، وزعجة بن الأسود ، والنضر بن الحارث . والعباس بن عبد المطلب . وأبى بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا المجاج . وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد (أسلم) .

(٢) الطلى الاعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة .

(٣) الوئيد المشى في بطة . وطالعت المطايا أعيت .

(٤) البراع الجبان ، والزمخ الضميف .

(٥) خرج الأنصار في هذه الغزوة ولأول مرة لأنهم حين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعقة قلوا له - إنا براء من ضناك - أى مناصرتك - إلا أن نكون في دارنا - فإنا كانت غزوة بدر أراد معرفة ما عندهم فقال سعد بن معاذ سيد الأوس كما قال المقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود - يا رسول الله إرض لما أمرك الله فنحن معك . لست نقول لك ما له نول إسرائيل لموسى عليه السلام (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكننا نقول عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، إلى آخر ما قال .

(٦) الأول سعد بن عبادة كان يأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج ، وقد لدغته - رضى الله عنه - حية فتخلف وقال النبي . لئن كان سعد لم يشهد بها (الغزوة) لقد كان عليها حرصاً . ثم ضرب له بسهمه وأجره ، والثاني سعد بن معاذ ، وتوشح بسيفه تقلد به .

(٧) لفحته النار أحرقتة .

- لَسْنَا بِقَوْمٍ أَخِيكَ مُوسَى إِذْ أَبَوَا
هَذَا عَلَىٰ فِي اللِّوَاءِ ، وَمُصْعَبٌ
كَحَلَا لَوَائِيهِ ، فَلَوْ صَدَحَ الْهَدْيُ
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ مِنْ يَكْ مُؤْمِنًا
لَمُوتُ فِي يَدِهِ ، وَعِنْدَ لَوَائِهِ
إِنْ يَمْلِكُ الْمَاءُ الْعَدُوَّ قَدْ هَمَى
هِيَ دَعْوَةُ الْهَادِي الْأَمِينِ وَنَفْحَةُ
مَكْرَ الْحَبَابِ بِهِمْ فَمَوْرَ مَاءِهِمْ
نَبِيٌّ عُمَيْرٌ سَرَاةُ قَوْمِكَ ، إِنْهُمْ
نَبَتْهُمْ الْخُبْرُ الْيَقِينُ ، وَصِفَ لَهُمْ
وَإِذَا ذَكَرَ سَمِيكَ إِذْ يَقُولُ مُحَمَّدٌ
- إِلَّا الْقَعُودَ ، وَسُبَّةٌ مَا تَضَرَّحُ^(١)
وَالنَّصْرُ فِي عِظَقَيْهِمَا يَتَرَنَحُ^(٢)
فِي مَشْهَدٍ جَلِيلٍ لِأَقْبَلِ يَصْدَحُ
فَالِيهِ إِنْ طَرِيدُهُ لَا يُفْلَحُ
رِيحُ الْجَنَانِ مَنْ دَنَا يَسْتَرْوَحُ^(٣)
سِيلُ جَرَى شَوْبُوبُهُ يَنْبَطِّحُ^(٤)
مَنْ يَسُوقُ الْغَيْثَ فِيمَا يَنْفَحُ
وَالْمَكْرُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ أَنْجَحُ^(٥)
زَعَمُوا الزَّاعِمَ ، وَالْحَقَائِقُ أَرْوَحُ^(٦)
بَأْسَ الْأَلَى جَمَعُوا لَهُمْ وَتَبَجَّحُوا
إِرْجِعْ عُمَيْرُ فِدْمَعُهُ يَتَسَحَّحُ^(٧)

(١) ضرح الشيء دفعه ونجاه .

(٢) عقد النبي لواء أبيض ودفعه إلى مصعب بن عمير ، وكان أُمِّه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب ، والثانية مع سعد بن معاذ . وقيل مع الحباب ابن المنذر ، وليس التي درعه (ذات الفضول) وتلقا سيفه (العضب) .

(٣) استروح الشيء تشمه .

(٤) سبق المشركون المسلمين إلى الماء بيدر فلقى الأولون عناء ، ودعا النبي فنهمرت السماء فشرَّبوا واخترنوا واغتسلوا وصلوا ، وصلح موقع الجيش وكانت الأرض هشة تسوخ فيها الأقدام ، تبضع السيل اتسم في البطحاء وسان عريضاً .

(٥) الحباب بن المنذر أشار على النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل بالجيش عند أقرب ماء من القوم ففعل وأمر بالقلب ففورت . وبني حوضاً على الفليب الذي نزل عليه كما رأى الحباب فمطش الكفار عطشاً شديداً ووهنت قوام .

(٦) عمير بن وهب الجمحي (أسلم بعد ذلك) أرسلته قريش ليرى كم عدد المسلمين فجاءه بفرسه حول العسكر وعاد يقول : يا معشر قريش ، البلايا تحمل الماياء ، رجال يترب تحمل الموت النافع ، ألا ترونهم خرساً لا يتكلمون ؟ ؟ يتلمظون تلمظ الأفاعي ، لا يريدون أن يقبلوا إلى أهلبيهم ، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الخجب ، ليس لهم منعة إلا سيوفهم .

(٧) عمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص ، خرج للقزو مع المسلمين وكان عمره ست عشرة سنة فأمر النبي برده لعمره سنة فبكى فأذن له في القتال .

أذن النبي له ، فأشرق وجهه ولقد يرى وهو الأحمُّ الأكفح^(١)
 بطل من القتبان يحمل في الوغي ما يحمل البطل الضليع في رزح^(٢)
 قل يا حكيم فما بعثت ربيته مولى العشيقة للهيم يرشح^(٣)
 نصح الرجال فردهم عن نصحه نشوان يملأه الغرور فيطفح^(٤)
 رب اسفه بيد النبي منيّة بذيابك الأوفى تشاب وتجدح^(٥)
 إليه أبا جهل نصرت بفارس يلقى المنيّة منه أغلب شيح^(٦)
 أرادته حمزة عند حوض محمد فانظر : أقدم أم تحيد وتكفح^(٧)

(١) الأحم والأكفح كلاهما بمعنى الأسود .

(٢) الضليع القوى الشديد الأضلاع . والرازح الهالك هزالا .

(٣) حكيم بن حزام ، لما سمع وفاة عمر بن وهب أتى عتبة بن ربيعة وقال : يا أبا الوليد
 إنك كبير قریش وسيدنا المطاع . هل لك أن تذكر بخبر إلى آخر الدهر . فقال : وما ذاك
 يا حكيم ، قال : ترجع بالناس عليك أن تحمل دم الحضرمي الذي قتله عدا الله بن واعد
 في سرية ابن جهش وتموض على الناس ما أصاب المسلمون من الغنائم فإنك ذو مال كثير
 وقریش لا تريد سوى ذلك ، فقبل عتبة وركب جلاله أحرطاف به على القوم وهو يقول
 يا قوم أضيعوني ، على دم الحضرمي وما أخذ من لير ، أنشدكم الله في الوجوه التي تضيء ضياء
 الضبابيح (يعنى وجوههم) أن تجعلوها أندادا لهذه الوجوه اننى كأنها عيون الحيات (يعنى
 وجوه الأنصار) يا قوم اعصبوها اليوم برأسى وقولوا ، جبن عتبة .

(٤) هو أبو جهل ، بعث عتبة إليه حكيم بن حزام يلقاه رأيه فغضب وأفسد على الناس
 نصحه قائلا . إنه يخاف على ابنه يعنى أبا حذيفة . فإنه كان مع النبي . وبعث إلى عامر بن
 الحضرمي يقول : هذا حليفك عتبة يريد الرجوع بالناس ، فاطلب أنت بدم أخيك . فجاء عامر
 وكشف عن دبره وحثا التراب على رأسه وصرخ ، وامرأه . وامرأه . فثار العوس ،
 وأخفق المسمى .

رأى النبي عتبة وهو يطوف على جملة ينصح الناس . فقال صلى الله عليه وسلم : إن يكن
 في أحد من القوم خير في صاحب الجمل الآخر . إن يطعموه يرشدوا .

(٥) تجدح تخلط .

(٦) هو الأسود المخزومي كان شرسا سيء الخلق . قال : أعاهد الله لأشربن من
 حوصهم (المسلمين) أو لأهملته . أو لأموتن دونه ، ثم أقبل فضر به حمزة بن عبد المطلب
 فوقع صريحا ولكنه زحف إلى الحوض ليصدق في يمينه فقتله حمزة في الحوض . وهو أول قتيل
 من المشركين في بدر الشيخ المقاتل أو الجاد في الأمر

(٧) كفح بمعنى جبن .

- رامَ الورود ، فما اثني حتى ارتوت
جد البلاء ، وهب إعصار الردى
نظر النبي ، فضجَّ يدعو ربَّه
تلك العصابة ما لديك غيرها
لولا تُقيم بناءه وتحوطه
لأهمَّ إن تهلك فما لك عابد
جاشت حَمِيَّته ، وقام خيلُه
وتفوّلت صور القتال ، فأقبلا
في غمرة ضمن الحفاظ لقاحه
استدبق نفسك يا أبا بكرٍ وقف
أعرض عن ابنك إن موتك للذي
صلى عليه الله حين يقولها
- من حوضٍ مُهَجَّتْ المنايا التَّمَحُّ (١)
يرمى بأبطال الوغى ويطوح
لا همَّ نصرك ، إننا لك نكدح (٢)
إن شد عادي ، أو أغار مجَّح (٣)
لعفا كما تعفو الطُّول وتمصح (٤)
ينسلو على الغبراء أو يتروح (٥)
دون العريش يزودُ عنه وينضح (٦)
والأرض من حوليها تترجَّح (٧)
فالحرب تسدحُ بالكُماة وتردح (٨)
إن ضجَّ من دمك الزكي مصيَّح (٩)
حمل الحياة إلى الشعوب لمرح (١٠)
والحرب تعصفُ والقوارس تكح (١١)

(١) يقال لبل قمح أي رافعة الزروس . غاضة العيون . وهذا إذا رويت من الماء .

(٢) يكدح : يسعى ويعمل .

(٣) الجلج - اللقدم من جلع السبع على القوم إذا حمل عليهم .

(٤) من مصحت اندار إذا اندرس أمرها .

(٥) تروح سار في الرواح أي العشى ، وفي الآيات إشارة إلى دعاء النبي ربه بقوله : اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد .

(٦) خيله - أبو بكر ، والعريش الذي أشار سعد بن معاذ ببنائه للنبي ليشرف منه على المعركة ، وينضح - يدافع .

(٧) تفولت تلونت ، وترجج تهتز .

(٨) من سدحت المرأة وردحت إذا أكثرت من النسل وقبعت . والكُماة جمع كمي ، والسككى الشجاع .

(٩) يشير إلى عزم أبي بكر على مبارزة ابنه عبد الرحمن لما ضلَّب المبارزة وكان لا يزال على الشرك ثم أسلم في هدنة الحديبية .

(١٠) مترح - محزن .

(١١) تكح - تكشر في عيوس .

- الله ، لا ولد أحب ولا أب
أما رأيت أبا عبيدة ثائراً
بطل تخطر أم تخطر مصعب
أرأيت إذ هزم النبي جموعهم
هي حفنة لمشركين من الحصى
مثل التمثيلة من مجاجة نافث
الله أرسل في السحاب كتيبة
تهوى بمجاجة تائب أعين
للخيل حممة ترأع لهولها
حيزوم أقدم . إنما هي كرة
جبريل يضرب . والملائك حوله
تلك الحصون المائعات ، بتناها
- منه ، فأين المتأني والمنزح ؟^(١)
وأبوه في يده يتل ويسطح^(٢)
صلب القراضم السنام مكبح ؟^(٣)
فكأنما هزم البغاث المضرح ؟^(٤)
خف الوقور لها وطاش المرجح^(٥)
وكأنما هي صيب يتبذح^(٦)
تهفو كما هفت البروق للمح^(٧)
منها . وتقذف بالمواصف أجنح^(٨)
صيد الفوارس ، والعتاق القرع^(٩)
عجلي تجاذبك العنان فتمرح^(١٠)
صف ترض به الصفوف وترضح^(١١)
نذرى المعازل والحصون وتذرح^(١٢)

(١) المتأني محل البعد ، والمنزح من نزع إذا بعد .

(٢) أبو عبيدة بن الجراح حمل عليه أبوه وكان مع المشركين ليقتله فأعرض عنه فصارده ،

فقتله أبو عبيدة وبتل ويسطح معي يصرع .

(٣) المصعب القحل ومن الجمال ما لم يركب ، وصلب انقرا - شديد الظهير ، ومكبح

شامخ والبيت في وصف أبي عبيدة .

(٤) البغاث صراف الضير ، والمضرح - الصقر الطويل الجناح .

(٥) المرجح الخليم ، والبيت يشير إلى أن النبي رعى المشركين بحفنة من الحصى فلم يبق

منهم رجل إلا نال عينيه منها ثم انهزموا وما رميت لأذرميت ولكن الله رعى .

(٦) التمثيلة البقية والصيب المضرب وتبذح السحاب امطر .

(٧) كتيبة قصعة من الحيش ، تهفو . تسرع وفي البيت وما بعده لإشارة إلى إمداد الله

المسلمين بللائكة في عزوة بدر (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة

مردفين) .

(٨) مججلة - مرعدة ، وأجنح جمع جناح .

(٩) الفارح من الخيل الذي شق ثابه وطمع .

(١٠) حيزوم اسم فرس جبريل .

(١١) ترضح تكسر .

(١٢) تذرى وتذرح بمعنى .

- للقوم من أعناقهم وبنانهم نار تريك الداء كيف يبرح^(١)
 جفت جذور الجاهلية ، والتوى هذا النبات الناضر المسترشح^(٢)
 طفق الثرى من حولها لما ارتوى من ذوب مهجتها يحف ويباح^(٣)
 ومن الدم المنفوح رجس موبق ومطهر يلد الحياة ويلقح^(٤)
 أودى بعتبة والوليد وشيبة وأمية ، القدر الذى لا يدرح^(٥)
 وهوى أبو جهل ونوفل وارعوى بعد اللجاج الفاحش المتوقح^(٦)

(١) كانت الملائكة تضرب أعناق المشركين وبنانهم (فاصبروا فوق الأعناق واضربوا
 منهم كل بنان) والمبرح المؤلم .
 (٢) استرشح النبات طال .
 (٣) يلح يبيس .
 (٤) موبق مهلك .

(٥) عتبة بن ربيعة . برز للقتال فجاءه فتية من الأنصار فقال . انما أريد أ كفاى من
 قريش ونادى مناديه . يا محمد أخرج إلينا كفاءنا فأمر بعبيدة بن الحارث وحررة وعلى رضى الله
 عنهم فقتل على الوليد ، وقتل حمزة عتبة . وتبادل عبيد وشيبة ضربتين أثرتا فيهما ففكر حمزة
 وعلى فأجهزا على شيبة . ثم احتملا عبيدة ومخ ساقه يسيل وكانت الضربة في ركبتيه فأفرشه
 النبي فسمه الشريفة فوضع خده عليها وقال له صلى الله عليه وسلم : أشهد أنك شهيد ، قال
 عبيدة : وددت والله لو أن أبا طالب كان حياً ليعلم أننا أحق منه بتوبله .
 وتسلمه حتى نصرع حوله ونفعل عن أبنائنا والخلائل
 ثم قال : -

فإن يقطعوا رجلى . فأنى مسلم أرجى به عيشاً من الله عالياً
 وألبسى الرحمن من فضل منه لباساً من الإسلام غضى المساويا
 مات رضى الله عنه من هذه الضربة فهو من شهداء بدر ويقصد الوليد بن عتبة وشيبة بن
 ربيعة وأمية بن خلف الذى قتله بلال . وإلى هذا سبقت الإشارة في القصيدة الثابتة من الديوان
 بهذه الأبيات .

أرني يديك . أفهما أمية ورد من الموت الذعاف مثل ؟
 لسيف سيف الله أهول موقعا من ضربة تاقى . وحل يفتل
 لك في غد دمه إذا التقت الضبي تحت العجاجة . والرماح الذبل

لا يدرح لا يدفع .

(٦) أبو جهل ضربه معاذ بن عمرو بن الجحوح . ومعوذ بن عفراء من الأنصار وأجهز عليه
 « بن مسعود » ونوفل بن خويلد ، قال النبي . من له علم بنوفل بن خويلد . قل على . أما قتته =

لما رأى الغازي الظفر رأسه أهوى يكبر ساجدا ويسبح^(١)
 في جلده من رجز ربك آية عجب ، تفسر للميب وتشرح^(٢)
 تلك السطور السود ضم كتابها أبهى وأجل ما يرى انتصفح^(٣)
 إن لم ينيب في جهنم بعدها فلن سواه في جهنم يضرع^(٤)
 أدركت حقلك يا بلال فبوركت يدك التي تركت أمية يشبع^(٥)
 واف المطار ، ووال يا ابن رواحة زجل الحمام إذا يطير ويسبح^(٦)
 هذا ابن حارثة يطوف مبشرا بالنصر يخزي الكافرين ويفضح^(٧)
 لما تردد في البلاد صدا كما أمست قلوب المسلمين تروح^(٨)
 فكان كلا معرس وكأتما منه ومنك مهني ومرفح^(٩)
 قل يا أبا سفيان غير ملوح فالنصر يخطب والسيوف تصرع^(١٠)
 يبض على بلق تساقط حولها سود مذمة تساف وترمح^(١١)

== فكبر صلى الله عليه وسلم وقال . الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه . فإتما لما التقى الصنان .
 نادى نوقل بصوت رفيع . يا معشر قريش . اليوم يوم أرفقة والعلاء ، فقال النبي . اللهم أكفى
 نوفل بن خويلد الفاحش المتوقع المراد به أبو جهل لعنه الله وهو المسمى فرعون هذه الأمة على
 لسان الرسول الكريم وارعوى كف .

(١) لما جرى للنبي برأس أبي جهل سجد لله شكراً ، وقال : الحمد لله الذي أعز الإسلام
 وأهله ، الله أكبر ، الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .
 (٢) الرجز : العذاب ، وقد وجد في جسد أبي جهل آثار سود كأنها ضرب السياط .
 (٣) يضرع : يدغم أو ينحى أو يقير .
 (٤) أمية بن خلف قتله بلال ، وكان يعذبه ليرده عن دين الله ، ويشجع يشق ويفعل به
 كالجمل المشبوح .

(٥) سجدت الحامة سجدت ، وفي البيت وما بعده إشارة إلى إرسال عبد الله
 ابن ربيعة إلى أهل العالية وزيد بن حارثة إلى أهل السافة لإخبارهم بالنصر .
 (٦) أعرس الرجل بأهله بنى عليها - ومرفح من رفقته أي قال له : بالرفاء واللين .
 (٧) هو أبو سفيان بن الحارث بن هشام لما سأله عنه أبو لهب عن خبر قريش قال :
 حلم إلى عدي الحرة ، والله ما هو إلا أن أقينا القوم ففتحناهم أكتفتنا ، يقتلوننا كيف شاءوا
 ويأسروننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا يبض على خيل بلق ،
 فعضب أبو لهب .
 (٨) تلمن بالسيوف وبالرماح .

ذهبوا وأخلفهم رجاء زلزلوا فيه ، فزال كما يزول الضحضح^(١)
 أ كذاك تختلف الزروع فناضر ضاق الظلال ، وذابل يتصوح
 القوم غاظمهم الصحيح فزيفوا ومن الأمور مزيف ومصحح
 خطأ الزمان فشا فلذ بصوابه وانظر كتاب الخلق كيف ينقح
 جاء الإمام العبرى يقيمه سننا مبيّنة من يستوضح

* مَصْرَعُ أَبِي جَهْلٍ *

ضربه معاذ بن عمرو بن الجوح ، ومعوذ بن عفراء من الأنصار ،
 وأجهز عليه ابن مسعود .. وكان سيف ابن مسعود كايلاً فقال له أبو جهل :
 خذ سيفي فاحتر رأسي به فعمل .. وقال له وهو يملأ صدره ليجر رأسه :
 لقد ارتقيت يارويعي الغنم مرتقى صامياً ، لو غير أكار قدنى (الأكار
 انزراع وكان الأنصار أهل زرع) وقد أعطاه الله صلى الله عليه وسلم
 سيفه .

بسيفك فيما احترت من عاجل القتل سقيت ذعاف الموت ، فاشرب أبا جهل
 هو السيف ، لولا الجبن لم يعض حده ولم يرض في جد الكريهة بالهزل
 شهدت الوغى ، تبغى على الضعف راحة لنفسك من حقد مذيب ومن غل
 أفرعون إن تجهل ، فلن تجهل الوغى فراعيتها من ذى شباب ومن كهل^(٢)
 أصابك فيها ما أصابك من أذى وفاتك ما نال الرويعي من فضل
 رماك معاذ قبـله ومعوذ وجاءك مشوباً خميته تغلى
 سقى السيف عفواً من دم لك طبع فمن مرتقى صعب إلى مستقى سهل
 دع الهزل يا ابن الخنظلية إنه هو الجد كل الجد لو كنت ذا عقل

(١) الضحضح : السراب .

(٢) كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن أبي جهل : أنه فرعون هذه الأمة .

(*) جاءت هذه القصيدة في الصورة بعد القصيدة الآتية .

هي اللات والعزى أضلتك هذه وزادتك هذى من ضلال ومن خيل^(١)
مضى جارك المذفون خزيان وانقضت حياالك فانظر: هل ترى الآن من خيل^(٢)
لقد كنت ترجو أن ترى الهبل الذي رضيت به رباً يفوز ويستعلى
أصبت ابن مسعود سناء ورفعة وباء عدو الله بالخزي والذل
نخذ سيفه ، ثم ارفع الصوت شاكراً فما بعد ما أعطاك ربك من سؤل

صَدَى الْوَقْعَةِ فِي مَكَّةَ

لما ترامت أنباء الوقعة إلى مكة فرح المسلمون كثيراً ، وحزن المشركون حزناً شديداً فأقيمت المآتم وجز النساء شعورهن ، وكان ممن عاد إليها من بدر أبو سفيان بن الحارث بن هشام ، وقد تقدم ذكره في المحمة الخائية . فلما أنبا عمه أبا لهب بما رأى وقال : لقينا رجالا بيضاً على خيل بلق . . قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك والله الملائكة . . فضربه أبو لهب في وجهه ضربة شديدة ، ثم احتمله وضرب به الأرض وبرك عليه ، فأخذت السيدة (لباة) عموداً فضربت به رأسه فشجته شجة منكرة . وقالت استضعفته أن غاب سيده ، فولى ذليلاً . ولم يعيش بعد هذه الضربة سوى سبع ليال ثم مات . »

وضح اليقين لمن يرى أو يسمع ولتلقا تجدى الظنون وتنفع

(١) كان المسلمون يقولون في هذه الوقعة : الله مولانا ولا مولى لكم ، وكان أبو جهل يقول لنا العزى ولا عزى لكم .
(٢) تمتش لميس في صورة سراقبة بن مالك للمشركين وقال لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس وإن جاركم ، وكانت يده في يد الحارث بن هشام أخى أبي جهل ، فلما رأى الملائكة انزع يده من يده ، ثم نكص على عقبيه ، فقال له الحارث : يا سراقبة أترعم أنك جار لنا ؟ قال : إني برىء منكم « إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله رب العالمين » فنشبت به الحارث وقال ، والله لا أرى إلا خفافيش يترب . قال الحارث : ما عدت أنه الشيطان إلا بعد أن أسلمت . .
لما قتل رؤساء المشركين قال أبو جهل : يا قوم لا يهولنكم قتل من قتل ، فويلات والعزى لا ترجع حتى تقرن عمداً وأصحابه بالخبال . . لا تقتلوهم ولكن خذوهم باليد . .

النصر حق ، والنبي صادق
 إخشع أبا هُب فإن تك ذاعى
 مولى رسول الله يضرب ماجنى
 هى يا أبا هُب كتائب ربه
 أخذت لبابة للضعيف بحقه
 وشفته منك بضربة ما أقلت
 قالت بنيت عليه واستضعفته
 ما بنعمود ولا برأسك ربيبة
 حيث أم الفضل تلك فضيلة
 الله أهلكه بداء ماله ،
 تمضى البشائر جولا ، وتجول فى
 أمسى المكائر بالرجال مبغضا
 أكلته صاعقة العمود وإنما
 هم غادروه ثلاثة فى داره
 رجوه لو كره السفاهة فارعوى
 ما أكثر الباكين ملء جفونهم
 جز النساء شعورهن وغودرت
 رجمن مكروه العويل على أسى
 والويل للغرور ، ماذا يصنع :
 فجال مكة والأطاح خشم
 ذنبا ولم يك كاذب يتشيع
 نزلت تذلل الكافرين وتقمع
 ومضى الجزاء ، فأنت عان موجع^(١)
 حتى رمتك بعلة ما تقمع^(٢)
 أن غاب سيده وعز شفرع ؛
 ان الغوى بمثل ذلك يردع
 فيها لك الشرف الأعز الأمتع
 شاف ولا فيه لآس مطمع
 دمه السموم ، فجلده يتمزع
 يخفى على قرب المنار ويقمع
 أكلته سبع بعد ذلك جوع^(٣)
 لا الدار تلفظه ، ولا هو ينزع^(٤)
 ماساء مهلكه ، وهال المصرع
 للجمع بالبيض الوائر يصدع
 للحزن منهن الدموع الهمع
 والبيت يشدو ، والحطيم يرجع

(١) هى أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت السيدة ميمونة أم المؤمنين وكانت من السابقات إلى الإسلام .

(٢) أصيب بعد هذه الضربة بالعدسة وهى قرحة خبيثة كانت العرب تنشاءم بها وتحاف عداوها أشد الخوف ، فتباعد عنه أهله وبنوه حتى مات .

(٣) اللباني السبع التى مات بعدها

(٤) بقى بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه ، فلما خافوا السبة وتركه خروا له ثم دفعوه ببعض الأعواد فى حفرته . وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه .

والمسلمون بنعمة من ربهم فيها لكل موحد مستمتع
الله أكبر لا مرد لحكمه هو ربنا ، وإليه منا المرجع

سِوَادُ بْنُ عَسْرَةَ

حليف بني النجار

كان من أفراد الجيش في هذه الغزوة ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم خارجاً عن الصف وهو يعدل الصفوف ، وكان بيده سهم فطعنه به في بطنه ، وقال له : استويا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني ، وقد بشك الله بالحق والعدل ، فأعطى النصارى فكشف الرسول الكريم عن بطنه ، وقال : استقذ (أي خذ قودك وهو النصارى) فاعتنقه سواد وقبل بطنه الشريف .

يوم بدر ، وأنت أعلى مقاما إن ذكرنا من بعدك الأياما
ما ذكرنا بك القواضب يقطي أنت أيقظتها شمعوبا نياما
غرقت في الظلام لا تحسب البغى ذميا ولا الفسوق حراما
تكره العدل في الحقوق وترضى حين يأبى ساداتها أن يقاما
استقم يا سواد في الصف واعلم أن للجيش في الحروب نظاما
يا لها يا سواد طعنة سهم صادفت منك أرمحيا هماما
لو يريد الأذى بها لم تطقها من يعاف الأذى ويأبى العراما^(١)
عدل الصف فاستوى وقضى الأمر على شرعة الهدى فاستقاما
إنها شرعة لربك يمحيا قهــدى الشعوب والأقواما

تمنع انراء ذا البراءة أن يؤذى ، وتحمل الضعيف من أن يضاماً
 وتريه القوى يدعن للحق ويغنى بجانبيه اعتصاماً
 قلت أوجعتنى وقد جئت بالحق وبالعدل رحمة وسلاماً
 القصاص القصاص إني أراه يا إمام الهداة أمراً لزاماً
 قال : هذا بطني لبطنك كفؤ فاستقد ، إن للضعيف ذماماً
 طابت النفس يا « سواد » وعاد الآ ن بردا ما كان منها ضراماً^(١)
 واعتنقت الرسول بعد شكاة فاعتنقت الخلال غرّاً وساماً
 وابتدرت البطن المطهر لئلا فابتدرت الخيرات شتى عظاماً
 ها هنا العدل والسماحة والإحسان ، أعظم هذا المقام مقاماً
 أدب الله عبده وهداه واصطفاه للمتقين إماماً
 أى دين كدينه فى علاه أى قوم كالمسلمين القدامى
 أرايت الضعاف فى كل أرض كيف أمسوا للأقوياء طعاماً ؟
 حرموا الطيبات بغير ظلمة واستحووا الذنوب والآثام
 رب إن شئت للشعوب حياة فابعث المسلمين والإسلاماً
 ابعث النور فى الممالك يهدى كل شعب غوى ، ويمحو الظلاماً

أصحاب القليب

كانوا أربعة وعشرين رجلاً هم . عتبة بن ربيعة . أمية بن خلف
أبو جهل بن هشام . عبيدة والعاص ولدا أبي أحيحة . سعيد بن العاص
ابن أمية . حفظة بن أبي سفيان . الوليد بن عتبة . الحارث بن عامر .
طعيبة بن عدى . نوفل بن عبد ، زمعة وعقيل ابنا الأسود . العاص بن
هشام أخو أبي جهل . أبو قيس بن الوليد . نبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي
علي بن أمية بن خلف . عمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة . مسعود
ابن أبي أمية أخو أم سلمة . قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي . الأسود
ابن عبد الأسد أخو أبي سلمة . أبو العاص بن قيس بن عدى السهمي ، أمية
ابن رفاعة .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فألقوا في القليب إلا أمية بن خلف
فإنه انفخ في درعه فلأها فذهبوا ليجر كوه قزابل - تقصت أو صاله -
فألقوا عليه ما غيبه من الزاب والحجارة . فهم أربعة وعشرون لما استنياه
جاء النبي إلى القليب بعد ثلاثة أيام ثم وقف على شفيره وأخذ ينادى زعماءهم
باسمائهم ويقول ، هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني
الله حقاً . وفي رواية أنه قال لهم - بئس عشيرة كنتم لنبيكم . كذبتموني
وصدقني الناس . وأخرجتموني وآواني الناس . وقاتبتموني ونصرني الناس
جلس عمير الجمحي مع صفوان بن أمية بن خلف بالحجر فتذكرا ما أصاب
قريشاً يوم بدر وذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان ، والله ما في
العيش خير بعدكم ، فقال عمير - صدقت أما والله لولا دين علي ليس له
عندي قضاء . وعيال أخفى عليهم الضيقة بمدى لسكنت آتي محمداً حتى
أفنته ، وإن لي فيهم علة - لا يبي أسير في أيديهم . فاعتنمها صفوان وقال له
على دينك . أما أفضيه عنك . وعيالك مع عيالي أو أسيرهم ما بقوا ، فتعاقدا
على ذلك . وأخذ عمير سيفه فشجذه وسمه ، ثم انطلق حتى قدم المدينة .
ودخل به عمر على النبي وهو آخذ بحمالة سيفه في عنقه فقال صلى الله
عليه وسلم : أرسله يا عمر - إدين يا عمير - ما الذي جاء بك - قل جئت
لهذا الأسير الذي و أيديكم ، يعني ولده وهباً . قال : فما بال السيف - قال
وهل أغنت السيف عنا شيئاً - قال النبي : بل قصدت أنت وصفوان بن
أمية في الحجر وذكر له ما كان بينهما . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله
الحمد لله الذي هدانا لهذا للاسلام

قال النبي لأصحابه حين أسلم عمير ، قهوا أخاكم في دينه . وأفرثوه
القرآن . وأطلقوا له أسيره ففعلوا وأسلم ابنه ، رضى الله عنهما .
كان صفوان يقول لأهل مكة بعد خروج عمير إلى المدينة ، أبشروا

بوقعة تنسكهم وقعة بدر .

أسلم صفوان رضى الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه .
النبى صلى الله عليه وسلم وادياً مملوءاً من النعم ، وكان يسمى سيد البطحاء .

تلك عقبي البغى فانظر كيف عادا ؟
أرأيت القوم شرّاً ، وأذى ؟
غيبوا فى حفرةٍ مسجورةٍ
ملئت رعباً ، وزيدت روعةً
قف عليها ، وتبين ما بها
يا لهم إذ زعموا أصنامهم
جلّ ربى . لم يفادر بأسه
خاصموا الله ، وعادوا جنده
هى غرتهم فضّلوا وعتوا
حاقوا بالأمس فى طفيانهم
عظةٌ فى التّربّ كانت فتنةً
يا له من مصعب ألقى القيادا
ورأيت القوم ناراً ورمادا ؟
تخمد الدنيا وتزداد انتقاداً^(١)
من عذاب كان ضعفاً ثم زاد
هل ترى إلا انتفاضاً وارتعاداً ؟
تعجز الله كفاحاً وجلادا
أنفساً منهم ، ولم يترك عتادا
وأرى الأصنام أولى أن تعادى
واستحبوا الكفر بغيّاً وعتادا
ثمّ بادوا فى مهاويهِ وبادا
وعذابٌ كان شرّاً وفسادا

* * *

كلّ هنيئاً من قلب قرمٍ
طال منك الصّوم ، واشتدّ الطّوى :
جربوا الحرب ، وجاءوا فلقوا
سمعوا الصوت ، وما من ناطقٍ
يا رسول الله هم فى شأنهم
يلعُ الكفار مثنى وفرادى^(١)
نخذِ القوم التّهماً وازدرداداً^(٢)
غُمّاً جلّى ، وأهوالاً شدادا
ينخبر السائل منهم حين نادى
غمرةً تطغى ، وبلوى تتمادى

(١) مسجورة موقدة .

(٢) القرم الشديد الشهوة للحم .

(٣) الطوى الجوع .

صدقَ الوعد ، فكلُّ موقنٌ
 أنكروا الحقَّ ، وراموا غيره
 هكذا من يعبدُ الطاغوت . لا
 جلُّ ربِّي وتعالى إِنَّهُ
 إرفى يا دولة الحقِّ العبادا
 أيُّ حقٍّ ذلٌّ في سلطانه ؟
 إِنَّ لِلَّهِ سِوْفًا خُذْمًا
 بعث الأسطولَ في آياته
 قُوَّةً أَرْسَلَهَا مِنْ أَمْرِهِ
 إِنَّ كُلَّ الْخَيْرِ يَا صَفْوَانُ فِي
 دَعِ عَمِيرًا لَا تَهْجِهْ ، وَاتَّئِدْ
 أَخِذِ السَّيْفَ صَقِيلًا مَرْهَفًا
 ظِلًّا يَسْقِيهِ ، وَمَا أَدْرَاهُ هَلْ
 كَرِهَ الْحَقُّ ، فَلَمَّا جَاءَهُ
 مِنْ حَدِيثِ أَنْبَاءِ اللَّهِ بِهِ
 قَالَ : أَسَلْتُ رَبِّي وَكَفَى
 إِقْرَأِ الْقُرْآنَ ، وَاتَّبِعْ هُدْيَهُ
 إِنَّهُ النَّوْرُ الَّذِي يَجْلُو الْعَمَى

يا له منهم يقيناً لو أفادا
 فكأنَّ الله لا يحزى العبادا
 يتقى ربّاً ، ولا يرجو معادا
 بالغٌ من كلِّ أمرٍ ما أَرَادَا
 وأقيمي يا طواغيت الحداد
 أيُّ زورٍ عزٌّ في الدنيا وسادا ؟
 وجنوداً لا يَمَلُّونَ الجهاداً^(١)
 جانلاً يُعَيِّ الأَسَاطِيلُ اصْطِيادَا
 تفتحُ الدنيا ، وتحتلُّ البلادا
 مهلكِ القومِ ، فلا تعدُّ الرشادا
 إِنَّ لِلْعَاقِلِ فِي الْأَمْرِ اتِّئَادَا
 يأخذُ الأبطالُ والبيضُ الحدادا
 كان مُتَمَّماً سَقَاهُ ، أَمْ شِهَادَا ؟^(٢)
 نبذَ الحقدَ ، وأصفاه الودادا
 خيرٌ من حَدَّثَ عَنْهُ فَأَجَادَا
 بالسَّيْلِ السَّمَحِ دِينًا وَاعْتِقَادَا
 ياعميرُ الخيرُ إِنَّ ذُو النِّفَى حَادَا
 إِنَّهُ السَّرُّ الَّذِي يُحْيِي الْجَادَا

* * *

أين يا صفوان ما أملتَه ؟ أين ما حدثت تستهوى السَّوادا ؟^(٣)

(١) خذما فاطمة .

(٢) جمع شهد .

(٣) السَّواد العدد الكثير . ومنه السَّواد الأعظم .

يألفها داهية طارت بها أعقب الجوة ، وقد كانت ناداً^(١)
 لا تظنَّ الجود ديناً يُشترى سترى الجود المصقَّى والجوادا
 ستره وادياً من نعم يعجزُ الأمال سعيًا وارتدادا
 هو من فيض العباب المرتقى يتقصَّى الأرض مدًا واطرادا
 الرسولُ السَّمْحُ ، والمولى الذى يسعُ الأجيالَ برًّا وافتقادا
 إقترح ماشئت واطمع لا تخف من ندى كفيه نقصاً أو نقادا
 حبذا الموئل فيما تنقى من أذى الدهر وما أعلى المصادا
 سببُ الله من يعلق به لم يخف ضيًّا ، ولم يخش اضطهادا

شهداء بدر رضوا الله عنهم

استشهد من المسامين في هذه الوقعة المباركة أربعة عشر مجاهدًا
 ستة من المهاجرين . وثمانية من الأنصار . فالأولون هم : عبيدة بن الحارث
 ابن عبد المطلب ، مهجع مولى عمر بن الخطاب . حمير بن أبي وقاص . عاقل
 بن بكير الليثي . صفوان بن بيضاء الفهري ، ذو الصالبين عمير ، وقيل الحارث ،
 وقيل عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي ، وأما الأنصار فهم : عوف
 بن عفراء وأخوه شقيقه معوذ بن عفراء . وحارثة بن سراقة ، ويزيد
 ابن الحارث بن قيس بن مالك ، ورافع بن المثل ، وعمير بن الحارث
 ابن الجوح ، سعد بن خيثمة ، مبشر بن عبد المنذر رضى الله عنهم أجمعين

طُف بالمصارع واستمع نجموها وأثم بأفياء الجنان ثراها^(٢)
 ضاع الشذى القدسيُّ في جنباتها فانشقَّ وصف للمؤمنين شذاها^(٣)

(١) الأعقب جمع عقاب . والنَّاد الداهية العظيمة .

(٢) الأفياء الظلال .

(٣) ضاع فاح وانتشر .

حَلَّ يَرُوعُ جَلالها ومنازلُ
 ضمت حُماة الحق ماعرف امرؤُ
 الطالعين به على أعدائه
 الخائضين من الخطوب غمارها
 الباذلين لدى الفداء نفوسهم
 ما آثروا في الأرض إلا دينه
 سلكوا السبيل مسدين تضيئه
 قومٌ هم اتخذوا الشهادة بنيةً
 ثم في حمى الايمان أول صخرة
 حملت جبال الحق في دنيا الهدى
 تؤق الممالك والشعوب حياتها
 ذهبت تُرفرف في مسابح عزها
 تجرى الرياح الهوج طوع قضائها
 طاف الغمام مهلاً بظلالها
 شهداء بدرٍ أتم المثل الذي
 علمتم الناس الكفاح فأقبلوا
 أما الفداء فقد قضيتُم حقه
 من رام تفسير الحياة لقومه
 لولا الدماء تراقى لم نر أمةً
 أدنى الرجال من المهالك من إذا
 وأجل من رفع الممالك مظهراً

من نور رب العالمين سناها^(١)
 عزاً لهم من دونه أوجاعها
 موتاً إذا نشروا الجنود طواها
 المصطابين من الحروب لظاها
 يبعون عند إلههم يحياها
 ديناً . ولا عبدوا سواه إلها
 آى الفصل يتبعون هداها^(٢)
 لا يبتغون لدى الجهاد سواها
 فسل الصخور : أما عرفن قواها ؟
 بيضاً شواحق ما تنال ذراها
 وتقيم من أمجادها وعلاها
 ومضت يفوت مدى النسور مداها
 وتخافها فتجيد عن مجراها^(٣)
 فسقته من بركتها وسقاها
 بلغ المدى بعد المدى فتنها
 ملء الحوادث يذفون أذاها
 وجعلتموه شريعة نرضاها
 قدم الشهيد يُبين عن معناها
 بلفت من المجد العريض منهاها
 عرضت منايا الخالدين أباهها
 بان من المهجر السامح بناها

(١) جمع حلة - حلة القوم -

(٢) الفصل القرآن الكريم .

(٣) الهوج الشديدة التي لا تستوى في هبوبها . جمع هوجاء .

كم أمة لم تُوقِ عادية الردى
 تسمو الشعوب بكل حر ماجدٍ
 ما أكرم الأبطال يوم تفتأوا
 راحوا من الدم في مطارف أشرقت
 لو أنهم نُشروا رأيت كلومهم
 ليسوا وإن وُردوا للنية للآلى
 هم عند ربك يُرزقون فخيّم
 الله بآركها يسدر وقعة
 منعت ذمار الحق حين أثارها
 بخل الزمان ، فكنت من شعرائها
 كم دولة للشرك زلزل عرشها
 في دولة المسلمين ، تشوقهم
 يا ويح للأمم الضعاف : أتتقضى
 أمم هوالك ، ما لمست جراحها
 لم أدر إذ ذهب الزمان بريحها
 إن الذي خلق السهام مثلها
 لولا الذي اقتحم الردى فوقها
 وجبت عليه حقوقها فقضاها
 ظلل الشاياء يبتغون جناها
 حر الجراح بها فكن جِلاها^(١)
 تدمى . كأنك في القتال تراها^(٢)
 غمر البلى وُرادهم أشباها
 وصف الحياة لأنفس تهواها^(٣)
 كل الفتوح الغر من جدوها
 وحت لواء الله حين دعاها
 لو شاء ربى كنت من قتلاها
 بدماء بدر واستبيح حماها
 أيامها ، وتهزهم ذكرها
 دنيا الشعوب وما انقضت بلواها
 إلا بكت ويكيت من جراها
 ماذا من القدر امتاح دهاها ؟
 جمع انصائب كلها فرماها

(١) جمع مطرف وهو الرداء الملم .

(٢) جاء في الأثر الشريف : أنا شهيد على هؤلاء (الشهداء) وما من جرح يجرح في الله إلا بعثه الله يوم القيامة يدي جرحه . اللون لون الدم والريح ريح المسك . الكلوم الجروح .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

ذكري هذه الغزوة المباركة

ضممت هذه القصيدة للحفلة التي أقامتها جماعة إحياء مجد الإسلام
بإفاهرة ، لإجلال هذه الذكرى الإسلامية المحيية في اليوم السادس والعشرين
من شهر رمضان المعظم سنة ١٣٥٨ هـ وقد رأى الناظم إنبتها هي والقصيدة
التي تليها .

تعموا كيف تبني مجدها الأمم	وكيف تمضي إلى غاياتها الأمم
تعموا وخذوا الأنبياء صادقة	عن كل ذي أدب بالصدق يتسم
أمن يقول . فما ينفك يكذبكم	كمن إذا قال لم يكذب له قلم ؟
لكم على الدهر مني شاعر ثقة	تقضي الحقوق وترعى عنده الذمم
نعموا يا بني الإسلام سيرته	وجدوا ما يحا من رسمها أقدم
الله أكبر هل هانت ذخائره	فما لكم مقتنى منها ومنتم ؟
بل أتم القوم طاح المرجفون بهم	وغالهم من ظنون سوء مازعموا
ماذا تريدون من ذكرى أوائلكم	أكل ما عندكم أن تحشد الكلم
لسنا بأبنائهم إن كان ما رفعوا	من باذخ الجدي يسى وهو منهم دم
إن تذكروا يوم بدر فهو يذكركم	والحزن أيسر ما يلقاه والألم
سن السبيل لكم مجداً ومآثره	فلا يد نشطت منكم ولا قدم
غاز يصول بجند من وسوسه	وقائد ماله سيف ولا علم



حيوا الغزاة قياما وانظروا تجلوا	وفودهم حولكم يا قوم تزدحم
ثم انظروا تارة أخرى تروا لها	في كل ناحية للحرب يضطرم
حيوا الملائكة الأبرار يقدمهم	جبريل في غمرات الهول يقتحم
الأرض ترجف رعبا والسماء بها	غيظ يظلل على الكفار يحتمد

هم حاربوا الله لا يخشون نقمته
 من جانب الحق أردته عمايته
 الدين دين الهدى تبدو شرائعه
 ما فيه عند ذوى الألباب منقصة
 يحيى النفوس إذا ماتت ويرفعها
 لا شيء أعظم خزيًا أو أشد أذى
 دين تصان حقوق العالمين به
 ضل الألى تركوا دستورهم سفها
 دعا النبي فآبى من قواضيه
 حرى الوقائع، غرني لا كفاء لها
 تجرى المنايا دراكا في مساييلها
 قواضب الله مانامت مضاربها
 يرمى بها كل جبار ويقصمه
 الجيش منطلق الفارات مستبق
 الله ألف بين المؤمنين ، فهم
 كروا سراعا ، فللأعمار مصطرع
 من كل أغلب يمضى الخلف مقتزما
 حران يحسب إذ يرمى بمهجته
 للحق نشوته في نفس شاربه
 وأظلم الناس من ظن الظنون به
 طال القتال ، فما للقوم إذ دلقوا
 وقام بالسيف دون الليث صاحبه
 ماذا يظن أبو بكر بصاحبه ؟
 في موطن تتلاقى عنده النقم
 وأحزم الناس من بالحق يعتصم
 بيضا تكشف عن أنوارها الظلم
 ولا به من سجايا السوء ما يصم
 إذا تردت بها الأخلاق والشيم
 من أن يطاع الهوى أو يعبد الضيم
 ويستوى عنده السادات والخدم
 فلا الدساتير أغنتهم ولا النظم
 بيض مطاعها الماثورة الخدم
 إن جد ملتهب ، أو شد ملتهم
 كما جرى السيل في تياره العرم
 عن الجهاد ، ولا أزرى بها سام
 إن ظن من سفه أن ليس ينقسم
 والبأس محتدم والأمر مكتم
 في الحرب والسلام صف ليس ينقسم
 تحت العجاج ، وللأقدار مصطدم
 إذا مضى في سبيل الله يعتزم
 نشان يزداد سكرًا أو به لم
 وليس يشربه إلا امرؤ فهم
 ما كل ذى نشوة في الناس منهم
 إلا البلاء وإلا الهول يرتكم
 يذود عنه ، وعزّ الليث والأجم
 إن الرسول حمى للجيش أو حرم

أُمن النفوس إذا احتاجت مخاوفها
هل يعظم الخطب، يرميه أمروءُ درب
راع الكتائب واستولت مهابته
دعافا جت سماء الله وانطلقت
لا همَّ غوثك، إن الحق مطلبنا
تلك العصاة بالله إن هلك
جاء الفيث فدين الله منتصر
جنى على زعماء السوء ما اجتروا
ما الجاهلية إلا نكبة جلال
هذى مصارعها تجري الدماء بها
هذا أبو الحكم أنجابت عمايته
ماذا لقيت أبا جهل وكيف ترى
هذا القلب لكم في جوفه عبر
ذوقوا العذاب أليما في مضاجعكم
لا تجزعوا، واسمعوا ماذا يقال لكم
الشرك يُقول والإسلام مبتم
يا قومنا إن في التاريخ موعظة
لنا من الدم يجرى في صحائفه

والمستفث إذا ما اشتدت الغمم
أفضى الجلال إليه وانتهى العظم؟
على القواضب تلقاه فتحتشم
كتائب النصر ملء الجوتنتظم
وأنت أعلم بالقوم الألى ظلموا
في الأرض من عابد للحق ياتزم
على اللواء . ودين الشرك منهزم
وحاق بالمعشر الباغين ما اجتروا
تردى النفوس وخطب هائل عمم
وتشتكى الهون في أرجائها الرمم
لما قضى السيف وهو الخضم والحكم
آيات ربك في القوم الذين عموا؟
لا اللوم ينفعكم فيها ولا الندم^(١)
ما في المضاحع إلا النار والحمم
فما بكم تحت أطباق الثرى صمم
سبحان ربى له الآلاء والنعم
وإنه للسان صادق وفهم
شيخ يحدثننا أن الحياة دم

الذكرى الثانية

نظمت لاحفلة التي أقمها المركز العام لجمعيات للشبان المسلمين بالقاهرة

١٣٦٠ هـ

على ذكرها فليعرف الحق جاهله
هي الفزوة الكبرى هوى الشرك إذ رمت
وأصبح دين الله قد قام ركنه
بنته سيوف الله بالعزم إنه
تكلّ قوى الجبار عما تقيمه
أهاب رسول الله بالجنّد أقدموا
أما تنظرون الأرض كيف أظلمها
خذوه ببأس لا تطيش سهامه
علينا الهدى ، إنا بآيات ربنا
إذا أنكر القوم البراهين أخضعت
مضى البأس بدرى المشاهد ترمى
وضج رسول الله يدعو إلهه
تنزل يزجي النصر تنساب من عل
أحيزوم أقدم إنه الجدّ لن يرى
هو الله يحى دينه ويعزه
تمزق جيش الكفروا نحل عقده
وما برسول الله إذ ناله الأذى
نبيّ يحب الله حبّ مجاهد
بعضه في نفسه ويطيعه

ويؤمن بأن البنى شتى غوائله
جحافلها العظمى وولت جحافلها
فأقصر من أعدائه من يطاوله
لأصلب من صم الجلاميد سائله
عليه يد البنى وتنبو معاولة
ولا ترهبوا الطاغوت فالله خاذله
من الشرك دين أهلك الناس باطله ؟
فأنتم منايه وهذى مقاتله
وإنا بحد السيف ، لاخاب حامله
براهينه أغناهم ودلائله
أعاصيره نارا ، وتغلى مراجله
فيالك من جند طوى الجوّ جافله
شأيبه نورا ، وينهلّ وابله
سواه عدو كاذب البأس هازله
فمن ذا يناديه ؟ ومن ذا يصاوله ؟
نخابت أمانيه وأعيت وسائله
سوى ما راتضت أخلاقه وشمائله
يرى دمه من حقه ، فهو باذله
وما يقض من أمر له فهو قابله

فيالك عصرا يبعث الحزن زائله
 إلى غيرنا نهذى به وهو شاغله
 فيا لعدو لم يجد من يجادله
 مكائده مبثوثة وحبائله
 وهل يستقيم الأمر عاليه سافله؟
 وجنوا به، والجبل شتى منازله
 فقاطعه منهم سواء وواصله
 حثيثا تهز المشرقين صواوله
 إذا عطلت آدابه وفضائله
 فيمضي بنا في كل أمر نحاوله
 فليس عليها من لواء يماثله
 سراعا، وعادى الشر ينقض عاجله؟
 وتشقى من الهم الذي يحتاج داخله؟
 وتصفى إلى القول الذي أنا قائله؟
 وتمشى على آثاره ماتزايله؟
 فلا تنكروا يا قوم ما الله فاعله

كذلك كان المسلمون الألى مضوا
 صدقنا عن المثلى فأصبح أمرنا
 يجالد من ينفى الحياة عدوه
 بنا من عوادي الدهر كل مسلط
 قضينا المدى ماتستقيم أمورنا
 عجبت لقومي عطل الدين بينهم
 يحبونه حب الذي ضل رأيه
 صلاة وصوم يركض الشر فيهما
 وكيف يقوم الدين ما بين أمة
 سلام علينا يوم يصدق بأسنا
 ويوم تكون الأرض تحت لوائنا
 أنمشی بطاء، والخطوب تنوبنا
 ألا همة بدرية تكشف الأذى
 ألا أمة تنهى النفوس عن الهوى
 ألا دولة للحق تسلك نهجه
 إذا نحن لم نرشد، ولم نتبع الهدى

عَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعَ

كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى هذه العزوة في منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة ، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد وغدر من اليهود . فأظهروا البغي والحسد بعد وقعة بدر .

قدمت امرأة من العرب بحلب لها لبيعه بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ منهم فجعل جماعة من سفهائهم يراودونها عن كشف وجهها وهي تأتي ، فعند الصائغ لما أصراف ثوبها ففقهه إلى ظهرها - وقيل خله بشوكة وهي لا تشعر - فلما قامت انكشفت سورتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله . وشد اليهود على المسلم فقتلوه .

جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وقال لهم : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النعمة (يريد وقعة بدر) وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني مرسل . تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى إليكم . قالوا يا محمد : أنزانا مثل قومك ، لا يفرنك أهلك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب . إنا والله لو حاربناك لنعلمن أننا نحن الناس .

كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالاً ، وأشدهم بغياً ، فلما قالوا ذلك أنزل الله (قل للذين كفروا ستغلبون - الآية) وقوله تعالى (ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم - الآية) .

رُدُّوا بنى قينقاع الأمر إذ نزلوا	هيهات هيهات . أمسى خطبكم جللاً ^(١)
نقضتم العهد معقوداً على دخل	لعاقد ما نوى غشاً ولا دخلاً ^(٢)
ما زال شيطانكم بالغيظ يقده	بين الجوانح حتى شب واشتعل
هاجت وقائع بدر من حفيظتكم	ونبت منكم الداء الذي غفلاً ^(٣)
أتذكرون على الإسلام بهيجته	والله أطلعه من نوره مثلاً ؟
دين الهدى يا بنى التوراة يشرعه	للناس من شرع الأديان والمثلاً

(١) جللاً عظيماً .

(٢) الدخل : المكر والحديعة .

(٣) الحفيظة : الغضب .

لا تدعوا أنكم منها بمعصم
جاء النبيين بالفرقان وارثهم
رأى النفوس بلا هاد ، فأرسله
هلا سألتم أخاكم حين يبعثها
إن التي رامها في عزها سفهاً
لا يبلغ العرض منها حين تمنعه
وقد يكون لها من ربها رصد
ما زال بالدم حتى ظل ساحفه
ما غركم بقضاء الله يرسله
لقد دعاكم إلى الحسنى قال بكم
قاتم . رويداً فإننا لا يصاب لنا
لسنا كقومك إذ يلقون مهلكهم
يا ويلكم حين ترتج الحصون بكم
كم موئل شامخ العرينين يعجبكم
أسمى عبادة منكم نافضاً يده
نعم الحليف غدرتم فانطوى حقنا

واق . ولا تطمعوا أن تتركوا هملا
سبحان من قلل الميراث فانتقلا
يهدى الشعوب ويشقى منهم العللا
هو جاء يعصف فيها الشر ما فعلا ؟
لنؤثر الموت مما سامها بدلا
من خيفة العار حتى تبلغ الأجل
إذا رماه بعيني غاضب جفلا^(١)
يحري على دمه مسترسلا عجلا
على يدي بطل - أعظم به بطلا ؟
من طائف الجهل داع يورث الخبلا
كفو إذا ما التقى الجمعان فاقطلا
على يديك ، وإذ يعطونك النفلا^(٢)
ترجوا الأمان وتبدي الخوف والوجلا
يود يومئذ لو أنه وألا^(٣)
فانبت من عهده ما كان متصلا^(٤)
يرجو آله ، ويأبى الزيف والزلا^(٥)

(١) جفل : أسرع منزعجا .

(٢) النفل الغنيمة .

(٣) طلب النجاة أو اتخذ له موئلا ، شامخ العرين كناية عن العزة والمعنى كم من عزيز يلجأ إليه يطلب النجاة في هذا اليوم .

(٤) كانوا حلفاء عبادة بن الصامت ، وعبد الله بن أبي بن سلول . ففترأ عبادة منهم وقال يارسول الله - أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار - وبقي عبد الله ابن أبي على حلقه لهم ، وفيه نزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض . إلى قوله تعالى - فإن حزب الله هم الغالبون) وانبت - انقطع .

(٥) الحق النقيض - الزيف الضلال .

ما كان كائن أبي في جهالته
 مضى على الخلف يعرى معشراً غدرأ
 لاتذكروا الدم، إن السيف منصلت
 وجانبوا الحرب، إن الله خاذلكم
 مشى الرسول وجند الله يتبعه
 يهفو إلى الموت مشتاقاً، ويطلبه
 لو غيبته المواضي في سرارها
 يخال في غمرات الروح من مرح
 أهاب حمزة بالأبطال فانطلقوا
 عجبت لقوم، طاروا عن مواقعهم
 مضوا سراعاً إلى الآطام واجفة
 طال الحصار، وظل الحنف يرقبهم
 أفنوا من الزاد والماعون ما ادخروا
 من كل ذى سغب لو قال واحده

إذراح شيطانه يرخى له الطولا^(١)
 أهون بكم معشراً لو أنه عقلا
 في كفأبيض يدمى البيض والأسا^(٢)
 ولن تروا ناصراً يُرجى لمن خذلا
 من كل مقدمة يفشى الوغى جذلا^(٣)
 بين الخمسين. لا نكسأولا وكلا^(٤)
 ألقى بمهتته يرتاد مدخلا
 لولا الرحيق المصفي شارباً ثملا^(٥)
 وانساب منطلقاً يهديهم السبلا^(٦)
 ما ذاق هاربهم سيفاً ولا رجلا
 يخال أمنهما من ضعفه طملا^(٧)
 حرات يشجيه ألا ينفع الغملا
 واحتال أشياخهم فاستنفدوا الحملا^(٨)
 كلنى ليعلم ما فى نفسه أكلا^(٩)

(١) الضول الجبل الطويل .

(٢) المنصلت السيف الصقيل الماضى والأبيض الرسول الكريم . والبيض السبوف والأسل الرماح .

(٣) للمقدمة الشجاع والجندل الفرع والوغى الحرب .

(٤) الخمسين الجيش يؤلف من خمس فرق . المقنعة . والقلب . والميمنة . والبصرة ، والسافة . والنكس من لاخير فيه من الرجال . والوكلى المايز يكل أمره إلى غيره .

(٥) الغمرات الشدائد ، والروع الفرع والمراد به الحرب والتمل السكران والمراد أنه يستقبل أهوال الحرب بسرور وفرح حتى لتحسبه ثملا .

(٦) لجأوا إلى حصونهم فسار النبي صلى الله عليه وسلم إليهم . وكان لواؤه بيد عمه حمزة ابن عبد المطلب رضى الله عنه .

(٧) الآطام الحصون .

(٨) الماعون كل ما يتنقم به من منافع البيت .

(٩) السغب الجوع .

لا يملكون لأهليهم وأنفسهم
 ظلت وساوسهم حيرى تجول بهم
 حتى إذا بلغ المكروه غايته
 تضرعوا يسألون العفو مقتدرا
 أعطى النفوس حياة من سماحته
 لو شاء طاح بهم قتلا فمالمكوا
 ما الظن با بن أبيّ حين يسأله
 أما رأوه جريحاً لو يصادفه
 زوال عن الدور والأموال وانكشفوا
 هو الجلاء لقوم لا حلوم لهم
 ساروا إلى أذرعات^(١) ينزلون بها
 بادوا بها ، وتساقوا في مصارعهم
 يلوم بعض على ما كان من سفه
 أهل المعازل ، هدتهم مدمرة
 رمى بها من رسول الله مثد
 هل دولة الحق إلا قوة غلبت ؟

إلا العذاب . وإلا الظن والأمل
 في مجمل يتردى فيه من جهلا
 وهال كل غوىّ الرأى ما حملا
 يجود بالعفو إن ذو قدرة بخلا
 فكان أكرم من أعطى ومن بذل^(١)
 من بعد مهلكهم قولاً ولا عملاً
 من الأناة وفضل الحلم ما سألأ؟^(٢)
 حمّاه لم يجد من دونه حولا؟^(٣)
 عن السلاح . وراحوا خضعاً ذللاً
 ساءوا مقاماً ، وساءوا بعد مرتحلاً
 نكدأ مشائم ، لا طابت لهم نزلاً
 سوء العذاب ومكروه الأذى نهلاً^(٥)
 بمضاً ، فمن يقترب يسمع لهم جدلاً
 تمضى ، فلا معقلاً تَبْقَى ولا جبلاً
 لا يأخذ الناس حتى ينبدوا الرسلأ
 فافتح بها الأرض أوفامسح بها الدولأ

- (١) سألو النبي بعد أن طال الحصار خمس عشرة ليلة ولم يبق لديهم ما يأكلون أن يحلّ سبيلهم على أن يحلوا بنسائهم وذراريهم وأن يكون له المال والسلاح .
- (٢) قيل إن النبي أمر بقتلهم بعد خروجهم من الحصون فكلّمه عبدة بن أبي فيهم وألح عليه . وأنه أدخل يده في جيب درعه الشريفة يسأله أن يخفوعتهم . وأنه صلى الله عليه وسلم قال له خذم لا بارك الله لك فيهم ، وأمر بإجلائهم فتولى عبادة بن الصامت الأمر .
- (٣) قيل إنه جاء إلى منزل الرسول الكريم قبل خروجهم من الحصون يسأله أن يقرّارهم فغضب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدّم وجهه الحائط فشجه فانصرف مضاً المحول اسم من التحول والانتقال .
- (٤) أذرعات بلد بالشام .
- (٥) لم يحل المحول حتى هلكوا بدعوة الصادق الأمين خذم لا بارك الله لك فيهم .
- (• - ديوان مجد الإسلام)

عَزْوَةُ السَّوِيْقِ

كانت في اليوم الخامس من ذى الحجة في العام الثاني من الهجرة .
نذر أبو سفيان بعد وقعة بدر ألا يمس النساء والطيب حتى يفروا الذي
صلى الله عليه وسلم ، ثم إنه خرج في مائتي راكب من مشركي قريش ليبر
يبيته فنزل على مسافة يريد من المدينة وآتى بني الضبيل يريد دار حبي
ابن أحطب أحد رؤسائهم ف ضرب عليه يابه فأبى أن يفتح له ، فجاء إلى سلام
ابن مشكم سيدهم وصاحب كنزهم فأذن له ، واجتمع به ، ثم خرج إلى أصحابه
فبعث رجالا منهم إلى المدينة فحرقوا نخلها ، ووجدوا رجلا من الأنصار
- قيل إنه معبد بن عمرو - وحليفا لهم - الأنصار - فقتلوه ثم انصرفوا
راجعين فخرج النسي يطلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار فجعل
أبو سفيان وأصحابه يخفون للهرب بإلقاء جرب - جمع جراب - السويق
فيأخذهم المسلمون ، وذهبوا فلم يدركوهم - السويق القمح أو الشعير يقل
ثم يطحن .

تأنَّ ابنَ حربٍ لست في مثلها جلدا قصارك أن ترتدَّ حرَّان أو تردى (١)
هي الفارة الحرى ، فإن شئت فانطلق وإن شئت فاقعد واتخذ مضجعا بردا
جلا السيف في بدر لعينك ما جلا وأبدى لك النصر المؤزر ما أبدى (٢)
حافيت لئن لم تأت طيبة غازيا لتجتنبنَّ الطيب والحرَّد الملدا (٣)
أتغزو رسول الله أن هدَّ بأسه من الكفر سدا ما رأى مثله سدا ؟
كذلك وعد الله ، لو كنت مؤمنا لأيقنت أن الله لا يخلف الوعدا
جرى طيركم نحسا ببدر ، ولن تروا لكم ما عبدتم غيره طائرا سعدا
أمضك وجد متلف من محمد ولست أباسفيان إن لم ترد وجدا (٤)

(١) الفصاري : الجهد والغاية . الحران الطشان والمقصود المغيظ وتردى تهلك .

(٢) النصر المؤزر البالغ للعديد .

(٣) الحررد الأبقار والخفرات من النساء والملد الناعمات .

(٤) مضه الأمر وأمضه أخزته حزنا بالغا .

رويداً هداك الله ، إنك لن ترى
 أراك غررت القوم إذ رحت مُوجفاً
 ذهبت تقود الجند يا لك قائداً
 تحاول نصراً من حيّ بن أخطب
 رُدَدت عن الباب الذي جثت طارقاً
 وما نلت خيراً إذ أتيت ابن مشكم
 بعثت على النخل الرجال ، فلم تدع
 شبيت بهم ناراً ترمى لهيبها
 غوارس راحوا خفية في سيوفهم
 يصيبونها شتى الجنى ، وكأنتما
 تولوا سراعاً بعد مقتل معبد
 عليها من الفر الميامين فتية
 دعاها الرسول المجتبي فكأنتما
 مضى ومضوا إثر السراحين تترمي
 فلما رأى الجدّ استطار ولم يجد
 يصيح بجند سوء ألقوا بزادكم
 وطاروا شعاعاً . للسويق وراءهم

له في الوغى إن هجته للوغى ندّا
 تخادعهم عن حلقة لم تكن جدّاً^(١)
 ويال لالي سيقوا إلى يثرب جندا
 وصاحبه هيهات زدت المدى بعدا
 فيالك سهماً ما ملكت له ردا
 وكنت امرأ أعى الهوى لا يرى رشدا
 لنفسك عزاً تبتغيه ولا مجددا
 بعينك يبكي الضال أو يضحك الرندا^(٢)
 فما وجدوا سيفاً ، ولا صادفوا غمدا
 يصيبون من أعدائهم معشراً لدا^(٣)
 وصاحبه والخيّل تبعمهم جردا^(٤)
 تبادر ورد الموت تلتمس الخلددا
 دعا عاصفاً صعباً يهدّ القوى هدّا
 إلى شيخها مذعورة تنقي الأسدّا^(٥)
 من الأرض يهوى في مساربها بُدّا
 وفروا خفافاً ، لا يكن أمركم إدا^(٦)
 ركأمٌ إلى أعداء أربابهم يُهدى^(٧)

(١) أوجف الرجل الفرس ونحوه جعله يحف أي يعدو ويسرع .

(٢) الضال والزند نوعان من اشجر البرى . والأول السدر .

(٣) من اللدد وهو شدة الحصومة

(٤) من الحرد وهو قصر الشعر . صفة محودة في الخيل .

(٥) يريد بالسراحين المشركين وشيخهم أبو سفيان .

(٦) الإد الداهية والأمر بالسكر العظيم .

(٧) شعاعاً متفرقين ، الركأم الشيء المتراكم بعضه فوق بعض .

هم رقدوم كارهين ، ولو وفوا
إليك ابن حرب إن للحرب جذوة
هي النصر أو عاد من الموت واقع
فررت تخاف الفقد في حومة الوغى
أفى الحق أن لا تعبد الله وحده
سبيلان شتى . أنت لا بد عالم
رجعت مغيظاً ، لم تنل وتر هالك
تصدُّ قريش عنك مما كذبتها
قل الحق ، ما للعالمين سَكينة
بأيمانهم كانوا لأسياهم رقداً^(١)
إذا هيجت ذا نجدة زادها وقدأ^(٢)
بكل كَيْي ، لا مفرّ ، ولا معدى^(٣)
بأيدي الألى يستعذبون بها الفقدا
وتسجد للعزى تكون لها عبدا ؟
إذا ما استبنت الرشد ، أيهما أهدى
ولم تشف غيظاً من ذوبك ولا حقدا
ومنيّتها ، يا طول همك لو أجدى
على الأرض حتى يعبدوا الواحد الفردأ
فردوم كارهين ، ولو وفوا

عزوة أحيم

كانت في شوال من السنة الثالثة - وأحد جبل من جبال المدينة .
لما أصاب قريشاً يوم بدر ما أصابها من عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة
ابن أبي جهل ، وصفوان بن أمية إلى أبي سفيان وإلى من كان له تجارة
في العير التي كانت سبباً للوقعة - وكانت لا تزال موقوفة في دار الندوة -
يحرصون على الحرب وأن يجعل ربح التجارة لتجهيز الجيش : فقال أبو سفيان :
أنا أول من يفعل وينو عهد مناف معي ورضى القوم ، وكان الربح خسين
ألف دينار ، وقيل خمسة وعشرين ألفاً . ونزلت (إن الذين كفروا
ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فينفقونها ثم تكون عليهم حسرة .
ثم يقبلون)

أدأبك أن تريد المستحيلاً ؟ تأمل أيها المولى قليلاً

(١) ريد أعطاء وأعانه ، الرقد العطاء .

(٢) الجنوة القطعة من الجمر لا تعطي حتى تصير رماداً .

(٣) مصدر ميمى من عدا الأمر إذا جاوزه وانصرف عنه .

ثلبت تعالج الداء الدخيلاً وتضمر في جوانحك القليل^(١)
وما يحديك لأعجه فتيلاً
أما تنفك تذكر يوم بدر ؟ وما عاينت من قتل وأسر ؟
وراءك ، إنها الأقدار تجري بنصر للنبي وراء نصر
وكان الله بالحسنى كفيلاً
أبا سفيان دع صفوان ييكى وعكرمة يطيل من التشكى
وقل للقوم في بر ونسك نهيت النفس عن كفر وشرك
وآثرت المحجة والسبيل^(٢)
أراك أطعمهم وأبيت إلا سبيل السوء تسلكه مدلاً^(٣)
تريد محمداً وأراه بسلاً رويدك يا أبا سفيان : هلاً^(٤)
أردت لقومك الحسن الجيلاً ؟
قريش لم تزل صرعى هواها وعير الشؤم لم تحلل عراها
أجل عينيك ، وانظر ما عساها تسوق من الجنود إلى وعاها ؟
فقد حلت لكم أسفاً طويلاً
دعا صفوان شاعره فلبى وكان يسومه شططاً فيأبى
أحل له الهجاء . وكان خباً أحب من الخيانة ما أحبا^(٥)
يريد العيش محترماً ذليلاً

(١) القليل : القبط والمقد .

(٢) المحجة : جادة الطريق والمراد الدين الحق .

(٣) المدل الوائق بنفسه وبما لديه .

(٤) البسل : الحرام والمراد الممتنع .

(٥) قال صفوان لأبي عزة : يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك ، ولك على إن
رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أجعل بسانك مع بناتي ، قال إنى عاهدت محمداً حين أطلقني
فيمى أطلق من أسارى بدر ألا أظاهر عليه أحداً ، فقال صفوان : بل أعنا بلسانك يا أبا عزة
فخرج هو وموافع يستغفران الناس ، والشطط مجاوزة القدر في كل شيء ، والحب : الحماح .

يذمُّ محمداً ويقول نكراً ولولا لؤمه لم يأل شكراً
تغمّد حقه وجزاه شراً وأمسى عهده كذباً وغدراً
وإن له لقلباً ويلاً^(١)

ألم ينن عليه إذ الأسارى تكاد نفوسها تهوى حذاراً ؟
تطوف به موهبة حيارى تود لوانها ملكت فرارا
وهل يُعطى عدو الله سولا ؟

جبير أكان عمك حين أودى كعم محمد شرفاً ومجدا ؟
أحزّة أم طعيمة كان أهدى ؟ رويدك يا جبير أتيت إذا^(٢)
وإن قضاء ربك لن يحولا

أراد فما لوحشٍ محيد ولا لك مصرف عما يريد
أليس لحزّة البأس الشديد فما يُغنى فتاك وما يفيد ؟
تبارك ربنا رباً جليلاً

تولوا بالكتائب والسرايا وساروا بالحرائر والبغايا
منايا قومهم جابت منايا فسيرى في سبيلك يا مطايا
ولا تدعى الرسيم ولا الذميلة^(٣)

(١) يأل يقصر في الشكر ، تغمّد حقه أنكره . وأمل المعنى ستر الشيء وإخفاؤه ،
والويل الشديد الشيء ظفر النبي صلى الله عليه وسلم به في وقعة حمراء الأسد فأمر عامر بن
ثابت بقتله . وحمل رأسه إلى المدينة .

(٢) جبير بن مطعم بن عدى دنا غلامه وحشياً . وقال له أخرج بجريرك مع الناس فإنك
إن قتلته حمزة عم محمد بمعنى طعيمة بن عدى (قتلته حمزة رضى الله عنه في وقعة بدر) فأنت
عتيق ، وإذا فظيلاً .

(٣) كان عددهم ثلاثة آلاف رجل . وخرجت النساء مع المشركين بالدخول . ويقول
ابن الجوزى - وساروا بالفيان والدخول والمنازل والجور والبغايا . والكتائب والسرايا
الجيوش والرسيم والذميلة نوعان من سير الأبل والأول أسرع .

ويا خيل اركضى بالقوم ركضاً وجوبى للوغى أرضاً فأرضاً
لعل الناقم الموتور يرضى نشدتك فانفضى البيداء نفذاً
ووالى فى جوانبها الصهباء

ويا هند اندبى القتلى ونوحى وزيدى ما بقومك من جروح
وراءك كل منصلت طموح تهيجُ بأسه ريح الفسوح
وراءك فتية تأبى النكولا^(١)

وراءك نسوة للحرب تُزجى ترجُ دفوفها الأبطال رجاً
وتلك خصور عسكري المرجى وكان الفى بالجملاء أحجى^(٢)
كذلك يطمس الجهل العقولا

رأيتِ الرأى شؤماً أى شؤم وما تدرى يمينك أين ترمى
لعمرك إنه لرئيس هم تغفل منك بين دمٍ ولحم^(٣)
فيا ابنة عتبة اجتنبي الفضولا

أعن جسد الرضية بنت وهب يُشقُّ القبر يامرة بن حرب
ويُقطعُ بالمُدَى فى غير ذنب ليُفدى كل مأسور يارب
فيا عجبا تقول منك قبيلاً^(٤)

هى الهيجاء ليس لها مردٌ فمن يك هازلاً ، فالأمر جدُّ

(١) هند زوج أبي سفيان . كانت ممن خرج مع الجيش من النساء يكنى قتيبة
ويحرضن على القتال وترك القرار وانصلت هنا الماضى فى الأمور وانكول النكوض والحين .
(٢) أحجى أخلق .

(٣) رئيس أهم وغيره ما يثبت منه .

(٤) لما بلغ المشركون الأبواء أشارت هند عليهم بنيش قري أم التى صلى الله عليه وسلم
وأخذ جثمانها . قالت . فإن أسر منكم أحد قديم كل أسير يارب من آرابها - الإرب الجزء -
فأبوا خيفة أن ينش بنو بكر قبور موتاهم .

لبأس الله يا هند أشدُّ له جند ولكفار جند
وإن لجنده البطش المهولا

سيوف محمد أمضى السيوف وأجلب للمعاطب والخوف^(١)
إذا هوت الصفوف على الصفوف وأعرض كلُّ جبار مخوف
مضت ملء الوغى عرضاً وطولا

أرى السعدين قد دلفا وهذا على بالحسام المضرب لاذ
وحمة جدٍّ معتزماً فماذا؟ ومن للقوم أن أمسوا جذاذا؟
وطار حماهم فمضوا فلولاً^(٢)

وفي الأبطال فتیان رفاق بأنفسهم إلى الهيجا اشتياق
لهم في الناهضين لها انطلاق دعا داعي الجهاد فما أطاقوا
بدار السلم متوى أو مقيلاً^(٣)

أعادم النبي إلى العرين شبولاً سوف تصلب بعد لين
يضنُّ بها إلى أجل وحين رعاك الله من سمح ضنين
يسوس الأمر بكره أن يعولاً^(٤)

وقيل لرفع نعم الفـلام إذا انطلقت لغايتها السهام

تقدم أيها الراى الهام إذا الهيجا شب لها ضرام
فأمطرها سهامك والنصولاً^(١)

ونادى سمرة أيرد مثلى وقبل صاحبي وأنا الجحلى^(٢)
أصارعه . فإن أغلب فسؤلى وكيف أذاذ عن حق وعدل؟
وأمنع أن أصول وأن أجولا؟

وصارعه فكان أشد أسرا وأكثرفى المجال الضنك صبرا^(٣)
وقيل له : صدقت فانت أخرى بأن تردَّ الوغى فتنال نصرا
ألا أقبل فقد نلت القبولاً

أعبد الله مالك من خلاق فعد بالناكثين ذوى النفاق
كفأك من الخافة ما تلاقى ومالك من قضاء الله واق
وإن أمسيت للشعري نزيلاً^(٤)

أيت على ابن عمرو ما أرادا وشر القوم من يابى الرشادا^(٥)
نهاك . فلم تزد إلا عنادا ألم يسمع فريقك حين نادى
أطيعوا الله واتبعوا الرسولاً؟

يقول : نشدتكم لا تحذلوه وموثق قومكم لا تنقضوه

(١) فصل السهم حديثه . والنصول جمع .

(٢) الجحلى الأول من خيل السبائي وأذاذ أدفع .

(٣) الأسر الملقق بخاء مفتوحة وشدة الأسر من صفات القوة . والضنك الصبغ .

(٤) عبد الله بن أبي بن سلول - رجم ومن معه من المنافقين وكانوا ثمانية رجل وهو يقول - عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأى له - سيعلم - لا ندرى على م تقتل أنفسنا ؟ أرجعوا أيها الناس . والخلق النصيب الوافر من الخير ، وقيل ما يكسب الإنسان هذا النصيب من أفضاله المدبوحة . والناكثين الغادرين ، والشعري نجم .

(٥) عبد الله بن عمرو بن حرام والدجابر رضى الله عنهما ، انطلق في أثر المنافقين يريد ردمهم ويقول لهم ، يا قوم أدرككم الله أن تحذلوهم قومكم ونبيكم فلم يطيعوه فقال : أبعدهم الله ، سيعفى الله تعالى عنهم نبيه .

(١) الخنوب جمع خنوف وهو الموت .

(٢) سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد وذلما قدما والحسام الضرب السيف القاطع - ولاد جلى ، وجذاذا قطعاً وفلولاً مهزمين .

(٣) عرض النى جيئه بعد أن عسكر بالشيخ - أطمان أو جيلان - فوجد فيه جماعاً من الفتيان لم يبلغوا الخامسة عشرة . وقيل الرابعة عشرة من العمر ، فردم وأجاز رافع بن خديج من دونهم لما قيل له إنه يحسن الرماية ، وقال سمرة بن جندب لزوج أمه : أيقبل رافع وأرد وأصارعه فبلغت مقالته النبي فقال تصارعا فصرع سمرة صاحبه فأجازه والثوى القام .

(٤) عال في الحكم جار ومال عن الحق . وعاله الأمر شق عليه وتقل .

رسول الله إلا تنصروه فإن الحق ينصره ذوهه
ألا بعداً لمن يبنى الغلولا^(١)

تجلى نور ربك ذى الجلال وهز الشعب صوت من بلال
بلال الخير أذن في الرجال فهبوا للصلاة من الرجال
وقاموا خلف سيدهم مثولاً^(٢)

علا صوت الأذنين ، فأى معنى لمن هو مؤمن أسمى وأسمى؟^(٣)
إله الناس فرد لا يشقى تأمل خلقه إنساً وجناً
فان تجد الشريك ولا المثيلاً

أجل - الله أكبر لا مراء فهل سمع الألى كفروا النداء؟
أظن قلوبهم طارت هباء فلا أرضاً تطيق ولا سماء
جلال الحق أورشهم ذهولا

سرى الصوت المردد فى الصباح فضج الكون : حى على الفلاح
تلقى صيحة الحق الصراح فقام يصيح من كل النواحي
يسبح ربه غب ارتياح ويحمده بالسنه فصاح^(٤)
تعطفت الجبال على البطاح وكبرت المدائن والضواحي
وأوبت البحار مع الرياح وصفق كل طير بالجناح^(٥)

(١) لعلول الحياة .

(٢) مضى صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فصف المسلمين وحانت صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فأذن بلال رضى الله عنه للصلاة وصلى النبي بأصحابه - الرجال جمع رجل وهو هاء بمعنى المثوى أو المنزل أو ما يكون مع الرجل من الأثاث . ومثول جمع مائل أى قائم .

(٣) الأذنين المؤذن .

(٤) غب بمعنى بعد .

(٥) التؤيب هنا ترجيع الصوت (و يا جبال أوبى معه) .

كتاب الحق . ما للحق ماح يُرتل فى الغدو وفى الرواح
فقل للناس من ثمل وصالح شريعة ربكم ، ما من براح
فمن منكم يريد بها بديلاً؟

الأطانت صلاتك إذ تقام وطاب القوم إذ أنت الإمام
أقها يا محمد فهى لام تساقط حولها الجن العظام^(١)
بها يتخطف الجيش اللهم وليس كمثلها جيش يرام^(٢)
قضاها الله ، فهى له ذمام وذلك نظامها ، نعم النظام
بوطن من بنى ، وهى الدعام ويصعد بالذرى ، وهى السنام
نهضت لها ، وما هب النيام وبادرها الميامين الكرام
مقام ما يطاوله مقام ودين من شعائره السلام

بصوت لواءه جيلاً فجيلاً

هدى الأجيال يخطب فى الهداة ويأمر بالجهاد وبالصلاة^(٣)
وبالأخلاق غراً طيبات ملقى الوحي والإلهام هات
وصف للناس آداب الحياة وكيف تكون دنيا الصالحات
وخذهم بالنصائح والعظات مضيئات المعالم مشرقات
شعوب الأرض من ماض وآت عيالئك ، فاهدم سبل النجاة

(١) اللام جمع لامة وهى الدرع والجن جمع جنة وهى هنا ما يتقى به من السلاح .

(٢) الجيش اللهم العظيم .

(٣) خطب صلى الله عليه وسلم أصحابه عند صلاة الصبح يحثهم على الجهاد والصلاة . ومن قوله فى هذه الخطبة - ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به . ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه . لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أخطأ عنها . فاقفوا الله ربكم وأجلوا فى طلب الرزق ، لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمصيبة الله . والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم .

إذا ضلّت دهاقين الثقات وأمسى الناس أسرى الترهات^(١)
وخف ذوو الخلوم الراسيات فأصبحت الممالك راجفات
أقت الأرض تكره أن تميلاً

ألا برز الزبير فأى وصف حوارى الرسول بنى ويصغى؟
برزت لمخالد حثفاً لحنف تصد قواه عن كبر وزحف
وتدفعه إذا ابتعث الرعيلا^(٢)

ألم تره وعكرمة استعداً؟ فأما جدّت الهيجاء جدا
بنى لهما رسول الله سدا ومثلك يُعجز الأبطال هذا
ويترك كل ممتنع مهيلاً^(٣)

من يرث الممالك لا سواه أعد القائد الأعلى قواه
وبثّ الجيش أحسن ما تراه تعالى الله ليس لنا إله
سواه فوالله ودّع الجهولا

رماة النبل ما أمر النبيّ فذلك ، لا يكن منكم عصي^(٤)
إذا مازالت الشمّ الجثى وكان لها انطلاق أو مفى^(٥)
فكونوا في أما كنكم حولاً

رماة النبل ردّوا الخيل عنّا وإن نهلت سيوف القوم ممّا
فلا تترجزحوا ، فإذا أذنّا فذلك ، إن للهيجاء ممّا
تأقنه الجهابذة الفحولاً^(١)

تلقّ أبا دجانة باليمن حسامك من يد الهادي الأمين^(٢)
وخذه بحقه في غير لين لتنصر في الكريمة خير دين
يرفّ على الدنى ظلاً ظليلاً

نصيبك نلته من فضل ربّ قضاء لصادق النجدات ضرب^(٣)
تخطى القوم من آل وصحب فكان عليك عضباً فوق غضب
تبغترّ وامض مسنوناً صقيلاً^(٤)

أبا سفيان لا يقتلك هما ولا يذهب بحلمك أن تذلماً^(٥)
أحين بعتبها شراً وشوماً أردت هواة ، وطلبت سلماً؟
مكانك لا تكن مذلاً ملولاً^(٦)

(١) الجهابذة جمع جهيد وهو الناقد البصير .

(٢) أخرج صلى الله عليه وسلم سيفاً مكتوباً في إحدى صفحته .

في الجن عار وفي الإقبال مكرمة والمرء بالجن لا ينجو من القدر
ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فأسكته عنهم . وكان من حملتهم على
بن أبي طالب قام ليأخذه فقال اجلس . وعمر فأعرض عنه ، والزبير (وطلبه ثلاث مرات)
فكنّك ، وقام أبو دجانة فقال ، وما حقّه يا رسول الله . قال تضرب به في وجه العدو حتى
ينضح ، قال أنا آخذنه بحقه فدفعه إليه .

(٣) الضرب من الرجال الماضي في الأمور .

(٤) كان أبو دجانة يحنّال عند الحرب ، وقال النبي وقد رآه بين الصفيين : إنها شعبة
يغضها الله إلا في مثل هذا الوطن .

(٥) نادى عند اصطفاة القوم - يامعشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين بني عمنا
وتنصرف . عنكم فشموه أشد الشم .

(٦) اللذل القلق الضجور .

(١) دهاقين الدين هم قوة التصرف من كبار الرجال والتهات الخرافات .

(٢) قال خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل في طليعة خيل المشركين . فأمر الزبير بن
العوام أن يذهب على رأس قوة من المسلمين فيقف بإزائه . وأرسل جماعة من أصحابه ليكونوا
في حارب آخر وقال لا ترحلوا حتى أؤذنكم ولا يفتن أحد منكم حتى أمره باشتال ولرعي
الضعة من الخيل .

(٣) المهيل من الرمل ونحوه ما أتاه .

(٤) كان رماة خسين رجلاً أمر النبي عليهم عبد الله بن جبير وقال - انضح الخيل عنا
دائس . لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا - وفي رواية إن رأيتونا
تنحطفا اضرب فلا ترحلوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتونا قتل فلا تميثونا ، ليرشقوهم بالنبل
فمن الخيل لا تدم على الدليل ، إنما لا تزال غلبين ما مكثتم مكانكم . اللهم إني أشهدك عليهم ،
(٥) الحبال لرواسي كأنها في صورة من يجثو أى يجلس على ركبتيه أو يقوم على أطراف
أصابعه .

من الداعي يصيح على البعير أمالي في الفوارس من نظير^(١)
أروني همة البطل الغير إلى - فما بثلى من نصير^(٢)

أنا الأسد الذي يحى الشبولا

تحده الزبير وفي يديه قضاء خف عاجله إليه
رمى ظهر البعير بمنكبيه وجرحه منيته عليه

فأسلم نفسه وهوى قتيلًا

ألا بعدا لطلحة حين يهذى فيأخذه على شرأخذ^(٣)
أصيب بقسورى البأس فذئب لعل طاغى النفس مؤذ^(٤)

يعالج داءه حتى يزولا

أمن فقد إلى فقد جديد ؟ لقد أضى اللواء بلا عميد
بصارم حمزة البطل النجيد هوى عثمان إثر أخ قعيد
وأم الكفر ما برحت شكولا^(٥)

(١) خرج رجل من المشركين على بعير يدعو للبراز فأحجم عنه الناس وقام إليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فافتلا فوق ظهره فوق المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه . فأثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال - لكل نبي حواري . وإن حواري الزبير . وقال لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه .

(٢) نكر الرجل الآخر نكيرا جهاه ولم يعرفه .

(٣) طلحة بن أبي طلحة - من بني عبد اندار - حامل لواء المشركين - طلب المبارزة وجعل يهذى بكلام منه - يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلانا إلى النار - وفي رواية - أنكم تزعمون أن الله يعطينا بسيفكم إلى النار ويحبطكم بسيفنا إلى الجنة . فهل أحد منكم يعطيني بسيفه إلى النار ، أو أعجله بسيفي إلى الجنة ، كذبتم واللات والعزى - خرج إليه على بن أبي طالب فقتله .

(٤) القسورى نسبة إلى القسور وهو الأسد .

(٥) لما سقط لواء المشركين بعد قتل طلحة أخذ أخوه عثمان خيل عليه حمزة فقطع يده وكنته حتى انتهى إلى مؤتره ، والصارم السيف انقاص ، والشكول من الشكول وهو القعد والهلاك .

أبى شر الثلاثة أن يريما نحرًا على يدى سعد صريعا^(١)
ثلاثة إخوة هلكوا جميعا وراح مسافع لهم نبيعا^(٢)
رمت يد عاصم سمًا قيعا تورد جوفه فخرى نجيعا^(٣)
وجاء أخوه يلتمس القريعا فأورد نفسه وردًا فضيعا^(٤)
وإن لربك الفضل الجزيلًا

رميتهما فظلا يزحفان يجران الجراح وينزفان^(٥)
وخلفهما من الدم آيتان هما للكفر عنوان الهوان
ترى الرأسين مما يحملان على الحجر المذم يوضعان
أمن تدبى سلافة يرضعان ؟ تقول وقلبيها حران عان
على الجود بالثة الهجان لمن يأتي بهامة من رمانى^(٦)
فواظمأى إلى بنت الدنان تدار بها على فودعانى
وموتا ، إن للقتلى ذحولا^(٧)

دعاة اللات والعزى أنيبوا فليس لصائح منكم محجب
وليس لكم من الحسنى نصيب لرب الناس داع لا ينجيب

(١) لما قتل عثمان بن أبي طلحة أخذ اللواء أخوه أبو سعيد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فقتله ، يريم بمعنى يرجع . صريعا قتيلا .

(٢) مسافع بن طلحة بن أبي طلحة الذى قتله على بن أبي طالب كرم الله وجهه - أخذ اللواء بعد أبي سعيد فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقتله .

(٣) تورده بمعنى ورده ، النجيم ما كان إلى السواد من الدم . أو هو دم الجوف .

(٤) أخو مسافع الحارث بن طلحة أخذ اللواء بعد أخيه فرماه عاصم رضى الله عنه فقتله القريم هنا المفارح .

(٥) كان كل واحد من مسافع والحارث بعد أن رماه عاصم يأتي أمه سلافة ، ويضع رأسه في حجرها فتقول له يابني من أصابك فيقول سميت رجلا يقول خذها وأما ابن أبي الأفلح فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وحمت بمن يحيى به مائة من الأبل .

(٦) الهجان الخالصة .

(٧) بنت الدنان هى الخمر والدحول جمع ذحل ، وهو الشر .

ودين الحق يعرفه اللبيب وما يخفى الصواب ولا يغيب
رويدا إن موعدكم قريب وكيف بمن يصاب ولا يصيب؟
سليب النفس يتبعه سليب أما يقنى الطعين ولا الضريب
لواء ليس يحمله عسيب عليه من مناياكم رقيب^(١)
كفاكم - ياله حملا ثقيلا^(٢)

رمى بالنبل كل فتى عليم فرد الخيل دامية الشكيم^(٣)
بنضج مثل شؤبوب الحميم يصب على فراعنة الجحيم^(٤)
وصاحت هند في الجمع الأثيم تحرض كل شيطان رجيم^(٥)
ألا بطل يذب عن الحرم ويضرب بالهند في الصميم؟
فهاجت كل ذات حشى كلیم تبث الشجو في الهذر الذميم^(٦)
وتذكر طارقا دأب اللميم يسى ويذعى لأب كرم^(٧)

(١) عسيب اسم جبل .

(٢) تتابع القتل في حملة اللواء فتمزق المعركون .

(٣) حامت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات ومي تنضج بالنبل فترجم مغلوة ،
وحمل المسلمون عليهم فحى القتال - والشكيم حم شكيمه ومي حديدة اللجام في فم الفرس .

(٤) شؤبوب الحميم الماء الحار .

(٥) قامت هند زوج أبي سفيان في النسوة اللاتي معها لما حمت الحرب فأخذن الدفوف
يضربن خلف الرجال ويقان .

ويها بنى عبد الدار ويها حماة الأدبار ضرباً بكل بنار
ثم ينشدون :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق مشى القطا التوازيق
والمسك في المفارق والدر في الخنازق أن تهلوا ضائق
وفرش النمارق أو تدبروا قناريق فراق غير واق
وكان اني إذا سمع ذلك يقول : اللهم بك أحول . وبك أصول . وفيك أقاتل . حسبي
الله ونعم الوكيل .

(٦) حشى كلیم جريح والشجو الحزن والألم .

(٧) ادعى إليه انتسب .

وأين مكانهن من النعيم ومن جرثومة الحسب القديم؟^(١)
زعمن الشرك كالدين القويم لئن الويل من خطب عميم
رمى الأبناء وانتظم البعولا

من البطل المعصّب يختليها رقاباً ما يمل الضرب فيها؟^(٢)
بأبيض تنقيه ويعتريها وتكره أن تراه ويشتهيها
لها من حده وال يليها وينتزع الحكومة من ذويها
بررت أبادجانة إذ تريها وحى الموت تطعمه كريها^(٣)
صدت عن السفينة تزدريها وتكرم سيفك العف النزيها^(٤)
تلول الغنية تنقيها فايها يا ابنة الهيجاء إيها
نجوت ولو رآك له شيها مضى العضب المشطب ينتضيها^(٥)
حياة مناجز ما ينتفيها إذا شهد الكريمة يصطليها
فأرسلها دماً وهوى تليلا^(٦)

(١) جرثومة أصل .

(٢) هو أبو دجاجة . كان له عصاية حمراء يعصب بها رأسه في الحرب فسميت عصاية
الموت ، جعل لا يلقى أحداً إلا قتله بالسيف الذي أخذه من رسول الله ، وكان يشعذه بالحجارة
كلما كل فما زال يضرب به حتى انحنى وصار كأنه منجل يختليها يحزمها أو ينزعها تشيهاً لها بالخلأ
الربط إذا فعل به ذلك .

(٣) الوحي السريع .

(٤) هند سمها أبو دجاجة تحرض على القتال أشد التحريض لحد عليها سيفه يضنها
رجلا فولولت فأعرض عنها لأكراما لسيف رسول الله .

(٥) العضب المشطب السيف به خطوط من أثر الضرب .

(٦) التليل المريع .

مقتل حمزة رضي الله عنه

أبلى حمزة رضي الله عنه في وقعة أحد بلاء حسناً . وكان يقاتل
بن يدي الذي صلى الله عليه وسلم سيفين . ويقول : أنا أسد الله . وقد
أصيب ببضع وثماني جراح ما بين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو
رمية بسهم .

قتله وحشي الحبشي مولى جبير بن مطعم بن عدي . قال وحشي . إني
لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه حتى عثر فكشفت الدرع عن بطنه فهزرت
حربتي حتى إذا رضيت منها دفعها عليه فوقعت في فئته (موضع تحت السرة
وفوق العانة) .

خرج النبي صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده يبطن الوادي وقد
بقر بطنه ومثل به فلم يكن أوجع لقلبه الشريف مما رأى وقال - لن أصاب
بمثلك ، وما وقتت موقفاً أعظم لي من هذا . رحمة الله عليك كنت تفوز
للخبران . وصولاً للرحم . ثم صلى عليه وعلى إخوانه من الشهداء وأمر
بدفنهم . وقيل إنه أمر بدفنهم بدمائهم وثيابهم فلم يغسلوا ولم يصل عليهم .
جعلت هند زوج أبي سفيان ومن معها من نساء المشركين يمثلن بقتل
المسلمين يجد عن آدائهم وأتوهم ويتخذن منها التلاذذ ، وقد بقرت هند
بطن حمزة وأخرجت كبده فلا كتبها ولم تستطع أن تسيغها فألقتهما من فيها ،
وكانت قد نذرت أن تأكلها إذا قتل . وقيل إن وحشياً هو الذي بقر بطنه
وحاءها بكبده فأعطته ثيابها وحلبها ووعدته أن تدفع له عشرة دنانير إذا
رجعت إلى مكة . وجاء بها إلى مصرع حمزة فجذعت أنفه وقطعت أذنيه ،
ثم جعلت من ذلك كالسوار في يديها . وفلائد في عنقها .

صاحبُ السيفين ماذا صنعنا ؟ ودّع الصفيين والدنيا معا
غاب عن أصحابه ما علموا أي دار حل لنا ودعا
غاب عن أعينهم في غمرة سد غول الهول منها المظلمة
طلبوه ، وتنادى جميعهم نكبة حلت ، وخطب وقعا
يا رسول الله - هذا حمزة أتري عينك منه المصرعا ؟

إنه عمك إلا أذنا - قطعت منه وأثاقاً جدعا
إنه عمك فانظر بطنه كيف شقوه ، وعاثوا في المعى ؟
كبد الفارس ، ماذا فعلت أين طاحت ؟ من قضى أن تُنزعا ؟
نذر هند هي ، لولا أنها لم تسفها أكتبها أجمعاً (١)
حلفت تمضغ من أفلاذها علقماً مرأً وسمّاً مُنقعا (٢)
كلما همت بها تدفعها ملء شديقها أبت أن تُدفعها
نذرت يوم أبيها نذرها عالمها تشفى الفؤاد الموجد
جاء وحشي فضجّت فرحا ويك ، إن الأرض ضجت فزعا
تبذلين الخلى والمال على أن جناه جاهلياً مفضعا
ياله يا هند جرحاً دامياً ضاق عنه الصبر مما اتسعا
أفما أبصرت رُكني أحد حين سال الجرح كيف انصدعا ؟
وأبو سفيان ماذا حاجه ؟ أفما يزمع أن يرتدعا (٣)
غره في يومه ما غره إن عند الغد سرا مودعا
يطعن الليث ويفرى شذقه حين ألقى جنبه فاضطجعا
لو رآه يتحدّى نفسه لرآها كيف تهوى قطعاً (٤)
يذكر العزى ويدعو هبلاً ويحبه من ذاكر ، ماذا دعا (٥)

(١) ساغ الطعام وأساغه وهو أجود سهل مدخله في الخلق .

(٢) جم قلعة ، وهي القضة من الكبد ونحوها والسلم المدع المرابي .

(٣) جعل أبو سفيان يضرب بزج الرمح في شدة حمزة رضي الله عنه بعد قتله ويقول .
حق عقق : أي ذق جزاء مخالفتك لقومك يا عاق - وقد مر به الحائس سيد الأحابيش وهو
يفعل ذلك فقال يابى كنانة . هذا سيد قريش يفعل بآب عمه ما ترون . فقال أبو سفيان :
أكتبها عني فإنها زلة ويزمع المراد منها هنا يريد .

(٤) تحدى الشيء تعده ، والرجل يراه في قله وتنازعه العلة .

(٥) لما قتل حمزة نادى أبو سفيان . اعل هبل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا عمر
فأجبه قتل . الله أعلى وأجل ، لسا سواء . قتلتا ناك الجنة ، وقتلتا في النار ، فقال أبو سفيان =

أسد الله رماه ثعاب ياله من حادث ، ما أبدعا
أخذته عثرة مزوودة ضجت الدنيا لها تدعو لها^(١)
زالت الدرع فقشى بطنه دافق من دمه فادّرعاً
حربة ظمأى أصابت مشرعا كان من خير وبرّ مترعا^(٢)
جزع الهادي لها نازلة جالت عليها قریش جزعا
تلك رؤياه وهذا سيفه لارعى الرحمن إلا من رعى^(٣)
ثمة هدّت من الكفر حمى زعم الكفار أن لن يُفرعا^(٤)
بورك المضجع والقوم الألى وسّدوا فيه الشهيد الأروعا^(٥)
مثل القوم به من بغيهم مانهاهم دينهم أو منعا^(٦)
ليس للأخلاق إلا دينها يؤثر المثلى ، ويهدى من وعى

= أنكم تزعمون ذلك ، لقد خبنا إذا وخسرنا ، إن لنا العزى ولاعزى لكم ، فقال النبي الله -
مولانا ولا مولى لكم .

(١) مزوودة بمعنى مذعورة وأما أولمأ لك . كلمة تنال عند العثرة ، وهى دعاء بالانتعاش .

(٢) المفرع المورد والمفرع المملوء .

(٣) قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد رأى رؤيا قصصها على سعد بن معاذ
وأسيد بن حضير وسعد بن عباد رضى الله عنهم فقال - رأيت بقرأ تذبج ورأيت في ذبابة .
سبنى (هو ذر الفقار) ثلما ورأيت أنى أدخلت يدي في درع حصينة وآتى مردف كيشاً -
فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت في سبنى فهو رجل من أهل بيتى
يقتل ، وأما الدرع الحصينة فالمدينة . وأما الكيش فأتى أقتل كبش القوم (هو طلحة
ابن أبى طلحة حامل لواء المشركين الذى قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه) .

(٤) فرع الجبل ونحوه علاه .

(٥) الأروع من يعجبك بحسنه وجهارة منظره ، أو بشجاعته . وقيل هو الشهم

الذى اعزّاه .

(٦) ممن مثل بهم من شهداء المسلمين : عبد الله بن جحش رضى الله عنه بدعوة دعاها
على حبه قبل وقعة أحد ومضى : اللهم ارزقنى غداً رجلاً شديداً بأسه فيقتلنى ثم يأخذنى فيجده
أنى وأذننى فإذا لتيك قلت : يا عبد الله فيم جدد أفتك وأذكك فأقول فيك وفى رسولك
فتقول صدقت (هو ابن أمية بنت عبد المطالب) قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق ثم قتل
كبيراً فى وقعة أحد .

وعد الإسلام خيراً من عفى إن حسن العفو مما شرعا
سائل اللأى تقلدن الحلى من جلود من رآها خشعا
أهى كاللؤلؤ ، أم أبهى سنأ من غواليه وأسمى موضعاً ؟
بوركت - إني أراها زلفاً رفع الله بها من رفعا^(١)
لن يفوت الكفر منها ذابح لا يبالى أى جلد مزعا
يا لريب الدهر ما أفدحه حادثاً نكراً ورزاً مفجعا
رجع الذكر به مؤتفناً ولقد أشفقت أن لا يرجعا
شغل الأهل عن الأهل فى عجباً للدهر ماذا صنعا ؟
أفما أبصر إلا لاهياً أو معنى بالأمانى مولعا ؟
اذكروا يا قوم من أمجادكم مانسيتم ، رب ذكر نفعا

(١) جمع زلفة وهى القرية والمترعة .

الشمس

لا تقتل أصحاب لواء المشركين واحدا بعد واحد انهزموا وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح ويتهبون الفئام . فألقى نساؤهم الذنوب وذمهن إلى الجبل كاشفات سيقتهن صارخات مولولات تقارق الرماة أما كنهن ونهائم أميرهم عبد الله بن جبير رضى الله عنه فتركوه واطلقوا يبتدرون الفئام إلا فريقاً منهم دون العشرة ثبتوا معه في أما كنهن .

نظر خالد بن الوليد إلى قلة من بقي في الجبل من الرماة ففكر بالخلد ومعه عسكره بن أبي جهل فخلعوا على هذه البقية فقتلوا ومثلوا بأبيها . وخرجت أحشاؤه لكثرة ما طعن بالرماح .

وأحاط المشركون بالمسلمين وقد شغلوا بالنهب والأسر ووضعوا السبوف فيهم تفرقوا في كل وجه وانتفضت صفوفهم فاختلطوا وصار يضرب بعضهم بعضاً وهم لا يعلمون - وقيل إن منادياً منهم قال : يا عباد الله أخراكم يريد - اخذوا من جهة أخراكم فعطفوا على أخراهم يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون .

وذهبت طائفة منهم إلى المدينة فأقامت ثلاثة أيام ثم رجعت فأنزل الله (إن الذين تولوا منكم يوم الثقي الجعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم) .

ثبت النبي صلى الله عليه وسلم لما تفرق أصحابه وصار يقول : إلى يا فلان ، إلى يا فلان ، أنا رسول الله ، والنبل يأتيه من كل ناحية ، والله يصرفه عنه ، وثبت معه جماعة من أصحابه واستمر أبو طلحة بين يديه - وكان رامياً مجيداً - ينثر كنفاته ويقول نفسى لنفسك الفداء . ووجهى لوجهك الوفاء ، وما زال صلى الله عليه وسلم يرى عن قوسه السكتوم (التى لا اسم لها صوت) حتى صارت شظايا .

أئن تولت جنود الشرك مدبرة خف الرماة وذلوا الأمر قد وجبا ؟

كنهنم والرعان الشم تقدفهم سيل تدفق في شؤبوبة صيباً^(١)

يخالهم من يراهم ساعة انطلقوا سهامهم حين جاش البأس فالتهباً

(١) الرعان : أنوف الجبل ، والجبال يجمعتها ، والشم الضوئ ، والشؤبوبة الذففة من المضر .

ردّوا على ابن جبير رأيه ومضوا أصابها خالد منهم وعكرمة فاستنفروا الخيل والأبطال وانطلقا هم خلّفوا رم القتل مطرحة طاروا إلى جبل راس على جبل قال الرسول فأعطاه مقاتله توزعوه ، فلو أبصرت مصرعه طعن وضرب يعاف البأس عندها سلوا حشاه فظالت من أستهم تتابع القتل يحتاج الألى معه تلك الدماء التى سالت على أحد ظلّمها - ما لشيء مثل رتبها لم يبق سهم ولا رام يسدده وكرت الخيل تردى في فوارسها المسلمون حيارى - كيف يأخذهم حلّوا الصفوف وجالوا في مفاعمهم تسكّرت صور الهيجاء واتخذت خرساء صماء تُعَمّي عن معالمها

(١) سائلا .

(٢) الوابل المضر الكثير .

(٣) ردت الفرس ، رجت الأرض بمخايفها وحزب الأمر اشتد . وهو بمعنى ميقال حربه الأمر .

(٤) شبا جديدة .

إلا فريقاً رأى ما لم يروا وبى أمنية لم تصب من ذى هوى سببا في هبوة تزدهى الأرماح والقضبا وغادروا الجند جند الله والسلبا ما اهتز مدقام من ضعف ولا اضطربا وما سوى نفسه أعطى ولا وهبا أبصرت في الله منه منظراً عجبا سلاح من طعن الأبطال أو ضربا تموج في الدم يحرى حوله سرباً^(١) لولا المناقب لم يترك لهم عقبا لو أنبت الدم شيئاً أنبتت ذهبها وإن تخطى المدى أو جاوز الرتبا تغيب الوابل المطل واحتجبا^(٢) بعد القرار فمسى الأمر قد حزبا^(٣) بأس العدو ، أما ردوه فانقبا ؟ ما ظنّ عسكرهم شراً ولا حسبا من الأعاجيب أثواباً لها قشبا^(٤) عين البصير وتعي الخاذق الدربا

مُعَبَّرَةٌ الْجَوْ مَا زَالَ الْخَفَاءُ بِهَا
تَرَى اللَّيْثَ وَإِنْ كَانُوا ذَوَى رَحِمٍ
يَعْدُو عَلَى مَهْجَةِ الضَّرْغَامِ صَاحِبِهِ
هَذَا الْبَلَاءُ لِقَوْمٍ مَالُ غُلَاقِهِمْ
قَالَ : اثْبَتُوا فَتَوَلَّوْا ، مَا عَصَى أَحَدٌ
أَمْرَ مِنَ اللَّهِ مَرْجُوٌّ عَوَاقِبُهُ
إِنَّ النَّبِيَّ لَيُفْضِي الْأَمْرَ فِي وَضَحٍ
مُسَدَّدِ الرَّأْيِ ، مَا تَهْفُو الظُّنُونُ بِهِ
لِلسَّلَامِ وَالْحَرْبِ مِنْهُ حَازِمٌ يَقْظُ
لِمَنْ الَّذِي زَيْنَ الدُّنْيَا بَطْلَعَتْهُ

حَتَّى تَقْتَعَ فِيهَا الْمَوْتَ وَاتَّقِبَا
لَا يَنْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِذَا وَثَبَا
وَلَا يَجَاوِزُهُ إِنْ ظَفَرَهُ نَشْبَا
عَنْ رَأْيٍ سِيدِهِمْ إِذْ يُحْكَمُ الْأَرْبَابُ^(١)
مِنْهُمْ ، وَلَكِنْ قَضَاءُ وَقَعَ غَلْبَا
يَقْضِيهِ تَبْصَرَةُ لِلْقَوْمِ أَوْ أَدْبَا
مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ يَخْلُو نُورُهُ الرِّيَّا
الْخَيْرِ مَا اخْتَارَ ، وَالْمَكْرُوهَ مَا اجْتَنَبَا
يُمَيِّزُ الذِّهْنَ ، وَيُرْدِي الْجَحْفَلَ لِلْعَجَابِ^(٢)
حَاجِي الْعُرُوبَةِ فِيهِ ، وَاصْطَفَى الْعَرَبَا^(٣)

زياد بن عمار

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كَانَ مِنْ أَعْظَمِ أَبْطَالِ هَذِهِ الْفُرُوزَةِ ، ثَبَتَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَى السَّهَامَ دُونَهُ وَيُدَافِعُ الْقَوْمَ عَنْهُ حَتَّى أَثْقَلَتْهُ الْجِرَاحُ فَسَقَطَ فَأَمَرَ النَّبِيُّ أَصْحَابَهُ وَقَالَ : أَذْنُوهُ مَنِي ، فَأَفْرَشْهُ قَدَمَهُ الشَّرِيفَةَ ثَلَاثَ وَخَدَمَهُ عَلَيْهَا .

أَكُنْ يَزِيدُ بِأَسْكَ إِذْ تَصَابُ ؟ زِيَادَةُ ذَلِكَ الْعَجَبِ الْعَجَابِ
تَكَثَّرَتِ الْجِرَاحُ ، وَأَنْتَ صَلْبٌ يَهَابُكَ فِي الْوَعْيِ مِنْ لَا يَهَابُ

(١) الْأَرْبُ جَمْعُ أَرْبَةٍ وَهِيَ الْمَقْدَةُ الَّتِي لَا تَنْحَلُّ حَتَّى تَحُلَّ .

(٢) يُرْدِي يَهْلِكُ وَالْجَحْفَلُ الْعَجَبُ الْكَثِيرُ الْعَدَدِ .

(٣) حَاجِيهِ نَصْرُهُ وَاسْتِخْصَ وَمَالُ لِيَّهِ .

قَوًى تَنْصَبُ مَعْنَةً حَثَاءً وَلِلدَّمِ فِي مَوَاقِعِهَا انْصِبَابُ
تَرْدُ الْمُنْدَوَانِيَّاتِ ظَمَانِي يَخَادِعُهَا عَنِ الرَّيِّ السَّرَابُ
تَرِيدُ مُحَمَّدًا وَاللَّهُ وَاقٍ فَتَرْجِعُ ، وَهِيَ مُحَنِّقَةُ غَضَابِ
زِيَادَةُ دُونِهِ سَوْرٌ عَلَيْهِ مِنَ الْغَفْرِ الْأَلَى احْتَضَنُوهُ بَابُ
وَمَا بِمُحَمَّدٍ خَوْفُ الْمُنَايَا وَلَا فِي سَيْفِهِ خُلُقٌ يَعَابُ
وَلَكِنْ جَلٌّ مَنْزِلَةٌ وَقَدْرًا فَبَرٌّ رَجَالُهُ وَوَفَى الصَّحَابُ
هُوَ الْبَطْلُ الْمَغَامِرُ وَاضْمَحَّتْ قَوَاهُ ، وَخَارَتْ أَلْهَمُ الصَّلَابُ
حَتَّى صَدَقَتْ مَشَاهِدُهُ فَظَلَّتْ تَعَاوَرَهُ الْقَوَاضِبُ وَالْحَرَابُ
وَهِيَ مِنْهُ الْأَدِيمُ ، فَلَا أُدِيمُ وَأَعُوْزُهُ الْإِهَابُ فَلَا إِهَابُ
تَمَزَّقَتِ الصَّحَائِفُ مِنْ كِتَابِ طَوَاهُ فِي صَحَائِفِهِ الْكِتَابُ
تَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَرَوَّتْ غَلِيلُ جِرَاحِهِ السَّوْرُ الْعَذَابُ
أَيَادِي اللَّهِ يَجْعَلُهَا ثَوَابًا لِكُلِّ مُجَاهِدٍ - نَعْمَ الثَّوَابُ
أَهَابُ مُحَمَّدٍ أَذْنُوهُ مَنِي فَذَلِكَ صَاحِبِي الْخَضِرُ الْإِهَابُ
عَلَى قَدَمِي ضَعُوا لِلَّيْثِ رَأْسًا أَحَازِرُ أَنْ يَغْفِرَهُ التُّرَابُ
خَفَاضَتْ نَفْسُهُ نُورًا عَنْهَا وَمَاجِ الْجَوِّ ، وَامْتَدَّ الْعِهَابُ
عِبَابُ تَنْطَوِي الْأَفَاقُ فِيهِ وَيَفْرُقُ فِي جَوَانِبِهِ السَّحَابُ
مَضَى صَعْدًا عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَارِي وَمِنْ بَرَكَاتِ خَلْقِهِ حِجَابُ
خَلَقَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْأَحْيَا مَنْشُرَةً تَحِبُّ وَتَسْتَطَابُ
وَزَخَرَفَتِ الْجَنَانُ ، وَقِيلَ : هَذَا مَا بَرَكَ - إِنَّهُ نَعْمَ الْمَأْبُ

مُصِيبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَاتَلَ مُصِيبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِتَالًا شَدِيدًا فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ . وَصَنَعَ الْأَعَاجِيبَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَافِعُ عَنْهُ وَبِقِيَّةِ نَفْسِهِ ، وَلَمَّا قُضِيَتْ يَدُهُ الْيُمْنَى فَسَقَطَ الْوَأْدُ وَهُوَ يُجَاهِدُ الْمُشْرِكِينَ أَخَذَهُ يَدُهُ الْيُسْرَى وَبَقِيَ يَمُوتُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَيَدَيِ رَسُولِهِ . فَلَمَّا أَقْلَعَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى وَسَقَطَ الْوَأْدُ جَثَا عَلَيْهِ وَضَمَّهُ بِعَضْدِيهِ إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ دَأَبَ عَلَى الْقَتَالِ حَتَّى قَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُتَيْبَةَ يَظُنُّهُ لِنَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَقُولُ : قَتَلْتُ مُحَمَّدًا ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَقْبَلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَقُولُ : أَيْنَ مُحَمَّدٍ لَا تَجُوتُ إِنِّي نَجَا . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ قَاتِلَ مُصِيبٍ هُوَ أَبِي بَنِي خَلْفٍ .

هُوَ مُرْتَمَى الْأَبْطَالِ ، مَالِكٌ دُونَهُ
وَلَقَدْ صَبَرْتَ تَحْوِضَ مِنْ أَهْوَالِهِ
تَرَى بِنَفْسِكَ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ
تَبْقَى الْفِدَاءُ ، وَتِلْكَ سَنَةٌ مِنْ يَرَى
دَعَا مِنْ يَمُضُّ عَلَى الْحَيَاةِ فَإِنَّهُ
مَا اخْتَارَ نُصْرَةَ دِينِهِ أَوْ رَأْيَهُ
مَا هَذِهِ الْمَثَلُ الَّتِي لَا تَنْتَهِي ؟
طَاحَ الْجِهَادُ بِهِ شَهِيدًا صَادِقًا
إِيمَانُ حَرٍّ لَا يَبَالِي كُلَّمَا
يَرْسُو ، وَأَهْوَالُ الْوَقَائِعِ عَصَفَ
إِنْ يَضْرِبُوهُ فَفَارِسُ ذُو نُجْدَةٍ
مُتَزَحِّجٌ ، فَاصْبِرْ لَهُ يَا مُصِيبُ
مَا لَا يَخْوِضُ الْفَارِسُ التَّلْبِيبُ^(١)
وَتَقِيهِ مِنْ بَأْسِ الْعَدُوِّ مَا تَرْهَبُ
أَنْ الْفِدَاءُ هُوَ الذِّمَامُ الْأَوْجِبُ
غَاوٍ يَضَلُّ ، أَوْ دَعَى يَكْذِبُ
مَنْ لَا يَرَى أَنَّ الْفِدَاءَ لِلذَّهَبِ
هَذَا هُوَ الْمَثَلُ الْأَبْرُ الْأَطِيبُ
أَوْفَى بِعَهْدِ إِلَهِهِ يَتَقَرَّبُ
رَكِبَ الْعِظَامُ أَنْ يَهْوَلَ الْمَرْكَبُ
تَذَرُو الْفَوَارِسَ ، وَالنَّايَا وَتُبَّ^(٢)
مَا أَنْفَكَ يَضَعْنَ فِي النَّحُورِ وَيَضْرِبُ

كَمْ هَارَبَ يَخْشَى بَوَادِرَ بَأْسِهِ
الْمَوْتُ فِي وَثْبَاتِهِ يَجْرَى دَمًا
سَقَطَتْ يَدَاهُ ، وَمَا يَزَالُ لَوَاؤُهُ
لَوْ يَسْتَطِيعُ لَمَدَّ مِنْ أَهْدَابِهِ
يَتَنَاهَى أَمْ يَسْرَاهُ أَعْظَمُ حَرَمَةٍ
جَارَى مَنِيَّتِهِ ، فَكُلُّ يَرْتَمِي
حَتَّى دَعَا اللَّهَ بِرَحْمِ نَفْسِهِ
إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعَاجِيبِ الْوَعْيِ
إِنَّ أَمْرًا كَرِهَ الْجِهَادَ فَلَمْ يَفْزَ
وَيَخْشَى مِنْهُ مَشِيْعًا مَا يَهْرَبُ
وَالْمَوْتُ فِي نَظَرَاتِهِ يَتَلَهَّبُ
فِي صَدْرِهِ يَخْنُو عَلَيْهِ وَيَخْذَبُ
سَبَبًا يَشُدُّ بِهِ إِلَيْهِ وَيَخْذَبُ
أَمْ سَاعَدَاهُ وَصَدْرُهُ وَالْمَنْكَبُ ؟
فِي شَأْنِهِ جَلَلًا ، وَكُلُّ يَدَأَبُ
فَتُجَابُ يَلْتَمِسُ الْقَرَارَ وَيَطْلُبُ
فَالْبِخْلُ بِالدَّمِ فِي الْحَارَمِ أُعْجِبُ
يَمُوتُ فِي غَمْرَتِهِ لِحَيِّبُ

(١) تَلْبِيبُ أَرْحَلٍ لِلْحَرْبِ تَحْزِيمٌ وَتَشْرِيرٌ .

(٢) تَذَرُو تَرَى

المؤمنون والمنافقون

لما ذهب بن قنفة يقول إني قتل محمدًا جاء أبو سفيان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن كان من أمره ما كان فقال ، أشهدك الله يا عمر أننا محمدًا . قال عمر . لا والله ليسمح كلامك الآن - قال أنت أصدق عندي من ابن قنفة وأبر .

قال قوم من المؤمنين إن كان محمد قد قتل أفلا تقتاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء ، وقال ثابت بن الدحداح رضي الله عنه ، يا معشر الأنصار إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت ، فلو على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم ، وفي هؤلاء نزل قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) .

قال بعض المؤمنين الأمر فظنوا حيارى ولكن الله ثبت قلوبهم وحفظ عليهم إيمانهم فلم يزلوا ولم يسكوا عن القتال .

يقول أبو سفيان أودى محمد قتيلاً ، ويأبى الشيخ إلا تمادياً^(١)
فلما أراد الحق أقبل سائلاً فأبدى له الفاروق ما كان خافياً
وقال له : لا يعل صوتك إنه ليسمه من جاء بالحق هادياً
كذلك ظن القوم إذ طاح مصعب فراحوا سكارى يكثرون الدعاوى
وربعت قلوب المؤمنين فاجفوا يخافون من بعد النبي الدواهي^(٢)
وزلزل قوم آخرون فأدبروا سراعاً يجرؤون الظبي والعوالي^(٣)

(١) أودى هلك .

(٢) ربعت من الزرع وهو الفزع وأجفل الزرع .

(٣) هؤلاء هم المنافقون الذين رجع بهم عبد الله بن أبي بن سلول إلى المدينة وكانوا ثلثة رجل ، وكان جيش المسلمين كله في هذه الغزوة ألف رجل . وقد بقي من المنافقين قوم آخرون في أحد لم يسموا ابن أبي . قالت طائفة منهم - لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هنا فتركت (قل لو كنتم في يونس أمراً الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم - الآية) وقال بعضهم ، لو كان نبياً ما قتل ورجعوا إلى دينكم الأول وفي ذلك أنزل الله (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم - الآية) وقال جماعة ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان ، يا قوم إن محمدًا قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوك فيقتلوك . والظبي السيف والعوالي الرماح .

يقولون ما نفعي وهذا نبينا تردى قتيلاً ؟ ليت كان باقياً
فما أقبلوا حتى انبرت أم أيمن وقد جاوز الغيظ الحشا والتراقيا^(١)
تدافعهم غضبي وتحشو ترابها تعفر منهم أوجها ونواصيا
تقول ارجعوا ، ما بالمدينة منزل يبارك منكم بعد ذلك ثلويبا
أمن ربكم يا قوم تبغون مهرباً فيا ويحكم إذ تنقون الأعاديبا
ألا فانصروا الدين القويم وجاهدوا جهاداً يرينا مصرع الشرك داميا
فمن خاف منكم أن يعود إلى الوغى فذا مغزلي ، وليعطني السيف ماضيا
لك الخير ، لو تدرين ما قال معتب لأرسلت شؤبوا من الدمع هاميا^(٢)
جزى الله ما قدمت يا أم أيمن من الخير تقضين الحقوق الغواليبا
تطوفين بالجرحي ، تواسين شاكياً يمج دماً منهم ، وتسقين صاديا^(٣)
سعى بك من إيمانك الحق دائب يفوت المدي الأقصى إذاجد سعي
عجبت لمن يرميك ماذا بداله ؟ أطاشت يده ، أم رمى منك غازيا^(٤)

من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم - الآية) وقال جماعة ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان ، يا قوم إن محمدًا قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوك فيقتلوك . والظبي السيف والعوالي الرماح .

(١) لما رجع من رجع إلى المدينة لقيهم أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم وجعلت تحشو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم - مالك المنزل فأغزل به . وهلم سيفك - أي أعطنيه .
(٢) قيل إن معتب هذا هو الذي قال لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا . ولشؤبوب الدفة من المطر وهاميا سائلاً .

(٣) كانت أم أيمن من جملة نساء المؤمنين اللاتي كن يسقين الجرحي في هذه الغزوة . وعدتهن أربع عشرة امرأة ، منهن عائشة وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم . وأم سليم . وأم عمارة المازنية ، يمج يسيل والصادي العطشان .

(٤) رماها حياض بن العرقه وهي تسقى الجرحي بسهم فاصابها فوقعت واستكشفت فأغرق في الضحك وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهماً لا يصل له وقال ارم به فوق السهم في بحر حياض فوق مستلقياً حتى بدت عورتها . فقال النبي ، استفاد لها سعد ، اللهم استجب لسهمة إذا دعاك فكأن حياض الدعوة .

ألم يرهنداً يرحم السيف ضعفها
تورّع عنها مؤمن ليس دينه
جزاء بها سعد إساءة ظالم
وإذا أنزل الله النعاس فمست
كذلك إيمان النفوس إذا رست
ينام الفتى ، وأموت يأس جنبه
يجانبه حتى إذا جاء يومه
فما أسطعت فاجعل من يقينك جنة
فيصدف عنها وإقر البر وإفيا؟^(١)
كدين حباب إنه كان غاويًا
فأسمى رسول الله جذلان راضيا
جوانح لولا الله ظلت نوازيًا^(٢)
قواعده أمست ثقالا رواسيا
ويرجع عنه واهن الظفر واهيا^(٣)
فأبعد شيء أن يرى منه ناجيا
كفى بيقين المرء للمرء واقيا

* * *

هوت من عيون الهاجعين سنانها
وهب أمير الغيل يدفع دونه
يزلزل أبطال الكريهة مقدما
توالت جراحات الكتوم فأسارت
تضيئ بنجواها وتكتم صوتها
ولاحت عيون الحرب حمرا روانيا
وبولع بالفتك الليوث الضواريا^(٤)
ويصرعهم في حومة البأس داميا
بهم أترأ من ساطع الدم باديا^(٥)
ليخفى من الأسرار ما ليس خافيا

(١) هند زوج أبي سفيان - إشارة إلى ما كان من أمر أبي دجاجة معها حين أراد ضربها وهو يظنها رجلا فولدت لفرها وعف عنها . ويصدف عنها يعيل .

(٢) أنزل الله النعاس على المؤمنين تثبيتاً لهم (ثم أنزل عليكم من بعد الفم أمانة نعاساً ينفى طائفة منكم وطائفة قد أعمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق - الآية) فهو خاس بالمؤمنين دون المنافقين ، عن أنزير بن العوام رضي الله عنه قال : لقد رأيته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقته في صدره . النوازي النوازع ، أو التي تثب .

(٣) وهن وومي معاصها صعب .

(٤) أرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم . الليوث الضوارى هي الأسود والمراد الشجعان من أصحابه .

(٥) الكتوم نوس التي صلى الله عليه وسلم . وأسارت بمعنى أبت .

تظلل شظاياها تطاير حوله
هو القائد الميمون ، ما خاض غمرة
أباطلحة انظر كيف يرمى وجاره
ويا سعد لا ترفق بقوسك وارمها
ودونك فاضرب يا سهيل نخورهم
وعينك فاحمل يا قتادة عائداً
ألا ليتني أدركت أم عمارة
والزرى ألحوب يواليه حاميا^(١)
فقادرها حتى يرى الحق عاليا
قضاء على القوم المناكيد جاريا
سهاماً أصابت من يد الله باريا^(٢)
ودعنى أصف للناس تلك المراثيا^(٣)
بمن لا ترى من دونه لك شافيا^(٤)
فألم منها موطيء النعل جائيا^(٥)

(١) الألحوب الاجتهاد فيما هو الشئ . وهو من الفرس العدو حتى يثير الفبار أو يخرج من حافره نار ، وقيل لأنه جمع اللهب وهو الفبار الساطع .

(٢) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - قال : أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمله فجعلت أرى وأقول : اللهم سهمك ظرم به عدوك ورسول الله يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته وأجب دعوته ، حتى إذا فرغت من كسائتي نثر ما في كنانتي - قيل إن سعداً رأى في ذلك اليوم ألف سهم ورسول الله يقول له عند كل سهم : لرم فذاك أبي وأمي ، وكان الرسول يفتخر به ويقول : سعد خالي فليبرني امرؤ خاله - كان من بي زهرة قوم أمه أمنة .

(٣) سهيل بن حنيف رضي الله عنه ، بايع النبي على الموت في أحد ونبت معه حتى انكشف الناس عنه . وهو من المشهورين بالرماية .

(٤) قتادة بن النعمان الأوسي رضي الله عنه ، قال : كنت أتق السهام بوجهي دون وجهه صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهماً نبرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت بها إليه فلما رأها في كني دمت عيناه وقال : اللهم في قتادة كما وفي وجه نبيك ، وردها إلى موضعها وقال : اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدها فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

(٥) أم عمارة المازنية رضي الله عنها واسمها نسيبة زوج زيد بن عاصم رضي الله عنه ، قالت : خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى فأتته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والريح للسلم فلما انهزموا انحزت إليه فقامت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن النفوس حتى جرحته ، جرحه رضي الله عنها اثني عشر جرحاً بين طعنة برمجة ، أو ضربة بسيف . ورؤى على عاتقها حرج أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا : قالت ابن قنعة ، لما ولي الناس عن رسول الله أقلل يقول دلوني على محمد فلا نجوت لأن نجا فغضبت له أما ومصعب بن عمير فضربي هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما ألت عينا ولا شئاً يوم أحد إلا رأيتهما تقابل دوني .

وأشهد من حول النبي بلاءها
وأجعل من وجهي وقاء لوجهها
ويا ليت أني قد حملت جراحها
تفيض على الجرحى حناناً ، وتصطفى
كذلك كان المسلمون وهذه
إذا الحادثات السود عبّ عبايها
مناقب للدنيا العريضة هرة
لها من معاني الخلد كل بديعة
ووا أسفى إن لم تجد من شيوخهم
إذا ما رأيت الهدم للقوم ديدنا
فوارحمتا فيهم من كان بانيها^(١)

عبد بن حش

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو من أعظم أبطال غزوة أحد ، استشهد فيها على يد أبي الحكم
ابن الأخطب بن شريق الذي قتل كائراً قبل انتهائها ، وكان عبدالله من جملة
الشهداء الذين مثل بهم المشركون ونسأؤهم ، ومن حديثه أنه دعا على نفسه
قبل الغزوة فقال اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسه فيقتلني ثم يأخذني
فيجدع أُنقي وأذني . فإذا لقينك قلت يا عبد الله فيم جدع أُنقك وأذك
فأقول فيك وي رسولك فتقول صدقت (وهو ابن أمية بنت عبد المطب)

أبشر ، فذلك ما سألت قضاء رب هداك ، فكنت عند هداه
آثرته ورضيت بين عباده من صالح الأعمال ما يرضاه
قتلوك فيه تردهم عن دينه صرعى . وتمنع أن يباح حماه
وبغوا عليك فمذبوا الجسد الذي ماله كرامة والنعم سواء
هي دعوة لك ما بسطت بها يداً حتى تقبل واستجاب الله
ولقد رأيت حى الجهاد فصف لنا ذاك الحى القدسى كيف تراه ؟
ماذا جزاك الله من رضوانه وجباك في الفردوس من نعمه ؟
ماذا أعد لكل برٍ مُنقٍ غوت النفوس فما أطاع هواه ؟
أرأيت عبد الله كيف بلفته شرفاً مدى الجوزاء دون مداه ؟^(١)
دمك المطهر لو أتيح لهالك أعياء الأساة شفاؤه لشفاه ؟^(٢)
صوت يهيب لكل شعب غافل طوبى لمن رزق الهدى فوعاه

(١) ديدنا عادة وطبيعة .

(١) الجوزاء نجم في السماء .
(٢) الأساة جمع آس وهو الطيب .

معنى التفوق في الحياة . فمن أبى
الأمر رهن الجِد . ليس بنافع
تَشَقَّى النفوس . ولا كَشَقْوَة خاسر
والمرء يرغب في الحياة وطولها
إلا الصلوات فنادى معناه
قول الضعيف ، نعله وعساه
لا دينه استبق ولا ديناه
حتى يكون الموت جُلّ مناه

* * *

أوتيت نصراً يا محمد ساطعاً
لك من دم الشهداء بأَس لم يَقم
ما تنقضى لأمام حقّ قوة
يبقى على ظلم العصور سناه^(١)
في الأرض دينك عالياً لولاه
إلا تزيد على الزمان قواه

مَحَمَّدٌ سَيِّدُ الدِّينِ

هذا إمام الدين في أعلامه
والدين معتصم بيئس إمامه
يحمي حقيقته بقوة بطشه
وبصون بيضته بخدا حسامه
شيخ الجهاد يود كل مجاهد
لو كان يدعى في الوغى بفلامه
على اللواء يقيمه بخدوده
ويبين المآثر من أحكامه
المصلحون على الزمان سيوفه
وجنوده في حربه وسلامه
عرفوا الجهاد به ، ومنه تعلموا
ما صحّ من دستوره ونظامه
غضبت قریش أن جفا أصنامها
ووفى بعهد إلهه وذمامه
يفزرو فوارسهم ويقتل جمعهم
حتى يدين مرامهم لمرامه
ويرى الحجّة كلّ غاوٍ منهم
فيكفّ عن طغيانه وعُرامه
ويتوب جاهاهم إلى دين الهدى
والنور من دين العمى وظلامه
دلّقوا إليه ، وظنّ أكذبهم مئىً
أن قد سقته يداه كأس حمّاه
أكذاك ينخدع النبیّ وهكذا
يتخطفتون في أوهامه
مهلاً أبى لقد ركبت عظيمة
وأردت صرحاً لست من هُدّاه^(١)

(١) أبى بن خلف ، أقبل يقول أين محمد ، لا نجوت إن نجا ، فاعترضه رجال من المسلمين فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخلوا طريقه وتناول حربة من بعض أصحابه (الحارث بن الصمة . أو الزبير بن العوام) فشدّه بها في عنقه خدشاً غير كبير احتقن الدم فقال قتلى والله محمد فقالوا ، ذهب والله فؤادك - أو ذهب والله عقلك - إنك لتأخذ السهام من أضلاعك فترى بها فما هذا ؟ والله ما بك من بأس ، إنما هو خدش لو كان بين أحدنا ما ضره . فقال : واللات والعزى لو كان هذا الذي بي بأهل ذي الحجاز - سوق من أسواق الجاهلية كان عند عرفة - أو لو كان بريعة ومضر - أو بأهل الأرض - لما توا - كان يقول للنبي بك يا محمد إن عتدى العود - يعني فرساً له - أعلنه كل يوم فرقاً (مكيل يسع اثني عشر مداً) من درة سأقتلك عليه .

صرح بناه الله أول ما بنى
لا يبلغ الباني ذراه ، ولا يرى
مهلا أبى فإن جهات مكانه
أقدم نغذا طعنة من باسل
تلك اللينة يا أبى سقيتها
خدش كوقع الظفر ، أو هو دونه
أبى أين العود والعلف الذى
إذهب لك الويلات من متمرد
لك من قتل الكباش أشام صاحب
أخذ النبي بضربة كانت له
ومن تقدم فوق صهوة عاثر
هو فى الحفيرة دون حصن محمد
أنى القضاء عليه من أثقاله
أرداه بابل الصمة البطل الذى

= كان أبى من أسارى بدر ثم أطلق - مات وهم قائلون به إلى مكة بسرف - وقيل يظن رابع - لم يقتل النبي أحداً بيده الشريفة قبل أبى ولا بعده .

(١) هو ابن فقة - خرج إلى غنمه بعد الزومة فوافاها على ذروة الجبل فأخذ يعترضها . وشده عليه كبشها فطعنه نضجة أداره بها من شاطئ الجبل فتطم - وفى رواية - فسلط الله عليه فيبس جبل فلم يزل ينطحه حتى جعله قطعة قطعة .

(٢) هو عثمان بن عبد الله بن المغيرة - أقبل على فرس أبى وعليه لامة كاملة قاصداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب قائلاً لا تجوز إن نجى فوقك الرسول الكريم وعثر به ثمان فرسه فى إحدى الحفر فشئى إليه الحارث بن الصمة فقتله وأخذ درعه ومغفره . وأقبل عبيد الله بن جابر العامري يعدو فضر به الحارث فخرجه . واحتله أصحابه فوثب أبو دجانة وذبحه .

(٣) جمع جرم بكسر الجيم ، فهى بمعنى الأجسام الثقيلة .

(٤) صمام القارورة وتحوها سدادها ، وهو هنا على الاستعارة .

يفشاه سيف العامرى فينتى
سلمت يدك أبادجانة من فتى
أحسن ذبح المشركين فأشبهوا
ياويهم إذ يقذفون نبيهم
كسروا عوارضه وشجوا وجهه
يجرى الدم المدرار من متهلل
لا يجب الكفار من مسفوحه
ما ظنهم بالله يؤثر عبده
لن يستطيع سوى الضلالة مذهباً
لم يخذلوه ولم تفته كرامة
حبز المشرك للجهاد على الأذى
هذا مقام محمد فى قومه
القادة الهادون من أتباعه
الله أرسله طيباً شافياً
الأمر بان ، فأين يلتبس الهدى
ودم الجريح بيل حر أوامه^(١)
وسم اللينة من حلى صمصامه
ما يذبح الجزار من أنعامه
بججارة تهوى هوى سهامه^(٢)
من كل غاو جد فى إجرامه
طلق الحيا فى الوغى بسامه
فلقد جرى من قبل فى إلهامه
بالبالغ للمفور من إنعامه ؟
من ليس بالمصروف عن أصنامهم
هم عند نصرته ، وفى إكرامه
خلق يتم الجدد عند تمامه
هل لأمري فى الدهر مثل مقامه ؟
والسادة البانون من خدامه
للعالم الوحشى من أسقامه
من ضل بين حلاله وحرامه ؟

(١) الآوام العطش الشديد ، وقيل هو حر العطش .

(٢) قذف الذى صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ، ورماء عتبة بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بحجر فكسر رباعيته اليمنى والسفلى وشق شفته السفلى . ودعا عليه النبي فلم يحل الحول حتى قتل ، ولم يولد لعتبة ولد أو ولد لولد (ساقط مقدم الأسنان) ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى عملها للمسلمين أبو عامر القاسق والد حفظة غسيل الملائكة رضى الله عنه فأغمر عليه وخدشت ركبته . وذلك حين علاه ابن فقة بالسيف فأخذ على بن أبى طالب بيده ورفع طلعة بن عبد الله حتى استوى قائماً . وكسرت البيضة (الحوفة) على رأسه صلى الله عليه وسلم وشج وجه الشريف وحرحت وجنتاه لدخول حقتين فى الحفر فهما عندما ضربه ابن فقة . ولما سال الدم من وجه الشريف جعل يسحه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزله الله تعالى (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) .

غزوة حمراء الأسد

هو مكان على ثمانية أميال من المدينة ، وكان الخروج إلى هذه الغزوة يوم الأحد سادس عشر شوال في السنة الثالثة من الهجرة ، على أثر رجوع المسلمين من غزوة أحد ، دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الصبح ، وأمر ألا يخرج معه أحد ممن تخلف عن أحد وكانت جراحه وجراح الذين أصيبوا معه في هذه الغزوة لا تزال كما كانت ، فلم يتخلف أحد منهم ، وسبب الخروج إلى حمراء الأسد أن أبا سفيان يريد الرجوع إلى المدينة بمن معه ليستأصل من بقي من أصحابه ، وأن المشركين يمرضونه على القتال ، ولما رجع معبد الخزاعي من عند النبي إلى أبي سفيان بأرواحه وصف له بأس المسلمين وقوة جيشهم ، ثم نهاه عن القتال ، فانصرف خائفاً إلى مكة .

- أقبلوا أو فاتقوا سوء الرد ربح الموت بحمراء الأسد^(١)
 غاظكم أن لم تتألوا مأرباً قتمادى الفيظ واشتد الحسد^(٢)
 كيف ينجوم من رمى من قومكم كل جبار ، فأمسى قد همد
 لم لا تُزجى السبائب ، فترى مردفات تشتكى مما تجد^(٣)
 لا تدعها يا ابن حرب جذوة تنلظي من قریش في الكبد
 يا ابن حرب أطفئ النار التي شها أبطال بدر وأحد^(٤)
 كل حرب خمدت نيرانها منذحين ، وهي حرى تنقد^(٥)
 لا تطع صفوان وانبيذ رأيه لا تطعه مرشداً يبئى الرشد^(٦)

(١) ربح أقام

(٢) المأرب الحاجة .

(٣) المردفات المحمولات خلف الراكب .

(٤) شها أشعلها .

(٥) خمدت هدأت حرى ملتهبة .

(٦) هو صفوان بن أمية . نهى أبا سفيان ومن معه عن الحرب ، وقال : يا قوم

ركب النبي إلى المدينة عائد يمشى به جبريل في أعلامه^(١)
 يتوسط الجرحى تسبل دماؤهم فوق الخصى من خلفه وأمامه
 ويمدُّ فوق المؤمنين جناحه يقضى لمن الحق من إعظامه
 نزع أدين مسنون الجهاد ، وذقن في وهج الجلال الحق حرّاً ضرامه
 شمت اليهود وأرجف النفر الألى طبع النفاق قلوبهم بختامه
 قالوا ، أصيب محمد في نفسه ورجاله ، وأصيب في أحلامه ما تلك منزلة النبي ، فإنما
 جلت مطالبه ، فراح يريده يؤتى النبي النصر عند صدامه
 لو أن قتلى الحرب كانوا عندنا ملكا يدوم جلاله بدوامه
 هاجوا من الفاروق غصبة واثق ما هدّ هالكهم ذوى أرحامه
 فدعا : أيترك رأس كل منافق بالله لا يضمنى إلى لوّامه
 قال النبي : وكيف تقتل مسلماً في القوم يؤذينا بسوء كلامه ؟
 صلى عليك الله من متخرج أفا تخاف الله في إسلامه ؟
 سمح الشريعة والخلال مسدّد جمّ الأناة يعف عن ظلامه^(٢)
 في نقضه للأمر أو إبرامه

(١) لما انتهت الواقعة ركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسه عائداً إلى المدينة والمسلمون حوله . وكان أكثرهم جرحى فلما كانوا بأصل أحد قال لهم اصطفوا حتى أتي على ربي عز وجل فوقفوا صفواً ووقف النساء خلفهم وقال - اللهم لك الحمد كله . اللهم لا قابض لما بسطت . ولا باسط لما قبضت . ولا هادئ لمن أضللت . ولا مضل لمن هديت . ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت . ولا مقرب لما أبعدت . ولا مبعد لما قربت . ولما وصل المسلمون إلى المدينة أظهر اليهود والمنافقون الضمات والسرور . وكان من سوء ما قالوا . ما محمد إلا طالب ملك ما أصيب بمنزل هذا نبي قط - أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه ، لو كان الذين قتلوا عندنا ما قتلوا فقال عمر للنبي ، أنأذن لي في قتل هؤلاء المنافقين قال . أليس يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله . لاني نهيت عن قتل المسلمين .

(٢) تخرج جانب المخرج . وهو الائم .

إرجعوا ، فاستأصلوا أعداءكم
حاربوا الله ، وزيدوا شططاً
حاربوه ، وانصروا أصدانكم
يا ابن عمرو هات من أنبيائهم
لك أذن من رسول الله في
شاور الصديق فيهم ودعا
إنها الهيجا يا خير الورى
أرفع الصوت ، وأذن بالوغى
أدع من خاض المنايا ، واصطلى
تلك عز الدهر ، أو مجد الآبد
إنها فتنته في من جحد^(١)
لا تباؤا من قواه ما حشد^(٢)
مارأت عينك من هزل وجد^(٣)
حدّ غضب يتقيه كل حد^(٤)
يسأل القاروق ما ترى الأسد؟^(٥)
مالنا منها ، ولا للقوم بد^(٦)
يا بلال الخير أذن واقتصد^(٧)
جذوة الأمس ، وأمسك لا ترد

* * *

نفر القوم خفاً . ما ونى منهم الجرحى ، ولا استعنى أحد^(٨)

= لانفعلوا فإني أخاف أن يجمع عليكم عد من تخلف عن الخروج إلى أحد ، فارجموا واندوة
لكم ، إني لا آمن إن رجتم أن تكون الدولة عليكم فما بلغ ذلك رسول الله قال : أرشدتم
صفوان وما كان برشيد .
(١) الشطط الجور .

(٢) حشد : جمع .

(٣) قال عبد الله بن عمرو المزني لثني : إنه سمع المشركين يقولون لأبي سفيان : لا محمداً
ولا الكواعب أردقم ، بش ما صنعت أرجعوا .

(٤) الغضب السيف القاطع .

(٥) دعا النبي أبا بكر وعمر ، وحدهما بما قال عبد الله بن عمرو ليعرف رأيهما ،
فقال يا رسول الله اطب القوم ، لا يقتحمون على الذرية .

(٦) الهيجا الحرب والورى الناس .

(٧) أمر النبي بلالا أن يؤذن في المسلمين بالخروج للحرب ، وإن يبعد المتخفون
عن أحد .

(٨) كان منهم الذي به تسم حراحات ، وهو أسيد بن حضير ، ومثله عقبة بن عامر ،
والذي به عثر ، وهو خراش بن الصمة ، والذي به بضع عشرة جراحة ، وهو كعب بن
مالك ، وعشرون ، وهو عبد الرحمن بن عوف ، وبضع وسبعون ، وهو ضجة بن
عبيد الله الذي قطعت أصبعه ، فشلت بقية أصابع يده اليسرى ، رضى الله عنهم (الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) . وونى ضعف

دعوة الحق ، استفتزت جابراً
جاء يشكو : كيف يُنفى دمه
لم أعب عن أحد لولا أبى
فاز بالرضوان إذ خلفنى
ومضى قلبى شهيداً ، فأنا
أنعم الله عليه ، فشفى
سار فى الجيش ، وخلى هم
فوت يا جابر فأنعم واتهيج
فاستفتزت هبزيّاً ذا اليد^(١)
وهو لله يُربى ويعد؟
يا رسول الله والجدّ النكد^(٢)
فى قوارير كثيرات الممد^(٣)
أبتنى الزلفى لدى القرد الصمد^(٤)
ما يعانى من تباريح الكمد^(٥)
يصطايه من تولى وقعد
أفاح الوالد ، واستعلى الولد

* * *

ذهب السكب حينئذ ، فأنجرد
يحمل الويل أقوم غرم
زعموا الحق حديثاً يُفتري
يحمل البأس ، ترامى فاطرد^(٦)
من ذويهم كل شيطان مرد^(٧)
ورضوا بالشرك ديناً يمتقد

(١) جابر بن عبد الله . جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم متهمياً بالخروج ، ولم يكن
قد شهد أحداً . فقال يا رسول الله إنما تخلفت عن أحد لأن أبى خلفنى على سبع - وقيل
تسع - أخوات لى ، وقال يا بنى إنه لا ينبغي لى ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لارجل
فيهن ، ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله . لعل الله يرزقنى الشهادة ، فتخلف على
لأخواتك فبقيت فيهن ، واستأثر هو بالشهادة فائذن لى يا رسول الله ، فذن له ولم يأذن لغيره
من المتخلفين والهبزي الأسد . ليد جمع لبداءة وهى شعر زبرة الأسد .

(٢) الجد النكد الخطء السئ .

(٣) القوارير كناية عن النساء .

(٤) الزلفى القرين .

(٥) يعانى يلاقى من آلام الحزن .

(٦) السكب اسم فرس من خيل الرسول خرج عليه فى هذه الغزوة وعليه لدرع والمعبر ،

ولم يكن فى الجيش يومئذ فرس سواه ، وأنجرد أسرع ومضى لا يلوى على شئ .

(٧) مرد بمعنى عنا وتكبر وجاوز الحد .

وتماروا في النطاسي الذي يصاح الأمر إذا الأمر فد^(١)
 ساحر آناً ، وآناً شاعر مارأوا من سحره ، ماذا قصد؟^(٢)
 سطع النور لمن يأبى العمى فعلى عينيه يجنى من يصد

* * *

من رأى الضعف على الضعف انطوى فإذا القوة والعزم الأشد؟
 حمل الجرح على الجرح فتى موجع الكاهل ، مهدود الكتد^(٣)
 إيه عبد الله أشهد رافعاً غزوة الحمراء في القوم الشهد
 ألقه عن منكب لو ماد من هضب رضوى كل عال لم يند^(٤)
 مالحق الله إلا مؤمن لا يبالي غيره فيما اعتمد
 إيه عبد الله ما أصدقها همة صماء تأبى أن تهتد
 يا أبا سفيان أنصت واستمع ثم أنصت واتشد ، ثم اتشد
 إن ترد خيراً فهذا معبد أو لم ينبئك أن الأمر إذ؟^(٥)

(١) تمارى في الشيء شك . والنطاسى الطبيب والعالم والمراد به النبي صلوات الله وسلامه عليه .

(٢) هكذا كانوا يقولون ، وقصد الشاعر واصل عمل القصاص .

(٣) الكتد مجتمع الكفنيين أو الكاهل ، أو هو ما بين الكاهل والظهر ، والبيت وما بعده في عبد الله ورافع أبي سهيل بن رافع ، قال عبد الله - شهدت أحداً أنا وأخي فرجعنا جريحين ، فلما أذن بالخروج إلى حمراء الأسد قال أخي . أنفوتنا هذه النزوة وما كان لنا من دابة تركبها ، فخرجنا وكنت أخف جراحاً منه ، فكنت أحمله مرة وأرسله أخرى - دعا لها النبي لما انتهيا إليه وقال: إن حال بكما العبر كانت لكما مراكب من خيل ويقال ويل (٤) ماد اضطررب ورضوى اسم جبل .

(٥) كانت خراعة موالية للرسول الكريم ، فلما أصاب المسلمين ما أصابهم في غزوة أحد جاءه معبد الخزاعي وقال : يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في هضك ، وما أصابك في أصحابك . ولوددنا لو أن الله تعالى أعلى كعبك . وإن المصيبة كانت لغيرك ، ثم مضى إلى أبي سفيان فقال : تركت محمداً وأصحابه قد خرجوا لطلبكم في جمع لم أر مثله قط . يتحرقون عليكم تحرقاً ، وأطال في ذلك تخويفاً له ولمن معه ، ثم نهام عن القتال فاتهموا . الأد الأمر العظيم والذاهية .

جمع الغازی لكم من صحبه وذويه كل صنديد نجد^(١)
 أنظروا النيران : هل تحصونها؟ إنها شتى ترأى من بعد^(٢)
 واسألوها ، إنها السنة يا ابن حرب للمنايا الحمر لد^(٣)
 لا تريدوا من بريد غيرها إنها من قومكم خير البرد^(٤)
 لا تظنوا أنكم أكفاؤهم إنها منكم لأحلام شرد
 اذكروا الأبطال تهوى ، واتقوا حاصد الموت . كفاكم حصد

* * *

أرأيت الزعب يغتال القوى مستبداً بالعتى المستبد؟
 رجع القوم سراعاً ، وارعوى عاصف الشر ، فأمسى قد ركذ
 وتولوا فتولت أنفس تنزى ، وقلوب ترتعد
 يقذف الوادى بهم قذف الحصى تبلغ الريح به أقصى الأمد
 غارة الله على أعدائه تتوالى مدداً بعد مدد
 سؤم الأحجار ، لو صبت على ذلك الجمع الملقى لم يعد^(٥)

* * *

يا أبا عزة ماذا تتقى؟ يا أبا عزة أقبل ، لا تحذ^(٦)

(١) النجد الشجاع الماوى .

(٢) كان المسلمون يوقدون كل ليلة خمسمائة نار ليظن العدو منهم كثيرو العدد . وكانوا دون السبعائة رجل .

(٣) من الددد وهو شدة الحصومة .

(٤) جمه يريد .

(٥) ارسل ابو سفيان إلى النبي يقول أنهم أجمعوا على الزجعة ، فقال حسينا الله ونه الوكيل ، والذي نفسي بيده لقد سومت لهم المجارة . ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاه ، وسوم الشيء جعل له علامة .

(٦) أبو عزة الشاعر الذي من عليه النبي وهو أسير بيد ر فأطلقه بغير فداء رحمة بيناته وقد كان عامده أن لا يقايله ، ولا يظاھر عليه أحداً ، فينقص العهد ، وخرج مع المشركين = ،

أين تمضي ؟ كل شيء مصرع
هل رعى السيف دماً من عابث
كل فجع من فجاج الأرض سد
ناكث من كل عهد ما عقد ؟
تطلب العفو ، وتهذى ضارعاً
بينيات ضعيفات الجلد
أو لم يمن عليك المرتجى
لذوى الضعف ، فأكثر الفتد ؟^(١)
تنظم الشعر مُدَحّاً حرداً
ويك خذها ضربة تشفى الحرد ؟^(٢)

* * *

وثب العدل ، يوالى صيده
أخذ الذئبين فى أنيابه
وهو ظلم فأتك إن لم يصد
ما يبالي منهما ما يزدرد ؟^(٣)
لا تمودوا من صرى شقوة
وليعد من كل حى من سعد
موغل فى الشرىسى دأباً
وحقود لو تركى ما حقد
جهلى زل فى إسلامه
فهوى من بعد ما كان صعد
أخطأته خطوة ، كانت له
حظوة الساعى ، وفوز المجتهد
احذر العقبي ، فما بدرى الفتى
أى ورد إن دعا الداعى يرد

* * *

== فى غزوة أحد يستنفر الناس ويحرضهم على قتال النبي - وقم أسيراً فى هذه الغزوة ، فقال للنبي امن على ودعي لبناتى . وعهدى لك ألا أعود مثل ما فعلت . قال - لا يبلغ المؤمن من جحر مرتين ، وأمر بقتله .

(١) الفتد الكذب والكفر بالنعمة .

(٢) الحرد الغضب .

(٣) معاوية بن المغيرة بن أبي العاص . جد عبد الملك بن مروان لأمه ، وابن عم عثمان بن عفان - والخنز بن سويد - أمر النبي بقتل معاوية بعد رجوعه إلى المدينة لأنه كان يتبع أخباره ويلقى بها إلى المشركين ، وكان عثمان شفه له قبل ذلك ، وأمر بقتل الخنز (وكان مسلماً) لقتله أخنذ بن زياد غدراً فى غزوة أحد وكان المخنذ قبل إسلامه قتل أب الخنز بآبيه .

ابتلر يا سعد فالزاد نقد
واصطناع الخير أشهى ماتود ؟^(١)
إبعث التمر على العير لها
من سجاياك العلى حادٍ غرد
تحمل التقوى ، وتمضى سمحة
فى سوى ليس فيه من أود ؟^(٢)
موقرات أقبلت فى جزر
تطرد العسر يسر ورغد ؟^(٣)
ردت الجوع ، وصانت أنفسا
هى لله سيوف ماترد
لك ياسعد لديه ولها
من جزاء غير نزر ما وعد ؟^(٤)

(١) سعد بن عباد . ساق إلى المسلمين فى هذه الغزوة ثلاثين بعبراً تحمل تمر من عنده ، وبعت معها جزراً فحروها وأكلوا منها .

(٢) الأود الإعوجاج .

(٣) موقرات محلات والجزر جمع جزور ما يندرج من الأنعام ، والرغد العيش الهان .

(٤) غير نزر غير قليل .

عنزوة بنى النضير

كانت هذه العنزوة في ربيع الأول من السنة الرابعة ، وبنو النضير قوم من اليهود ، نقضوا العهد ، وذهب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ، ثم أخذ بعضهم ببعض يأغرون به ، وأراد رجل منهم يقال له عمرو بن جعات أن يلقي عليه صخرة من أعلى الجدار ليقنتله ، فنبأ الله بذلك ، فقام من مكانه ، وقد انتهت هذه العنزوة بغيرهم ، وإجلائهم عن ديارهم .

ما السكيد ، ما الغدر ، ما هذى الأباطيل ؟ الجيش محتشد ، والسيوف مسلول
بنى النضير وما تنفى معاقلكم كفوا الأذى ودعوا العدوان ، أو زولوا
لأن القتل لمن غرته صخرته فظن أن رسول الله مقتول^(١)
جاء البريد بها حزان يحمله من رحمة الملك القدوس جبريل^(٢)
ما أكذب ابن أبي إذ يقول لكم لا تنفوا القوم ، إن النصر مكفول^(٣)
أولاكم النصح سلام وأرشدكم لو أن نصح ذوى الألباب مقبول^(٤)

(١) أسلم من اليهود رجلان في هذه العنزوة ، أبو سعد بن وهب ، ويا بن بن حمير فجعل هذا الرجل عشرة دنانير من ماله على أن يقتل عمرو بن جعات غضباً رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله .

(٢) الضمير عائذ على الصخرة . أى بأمرها ، فإن الله أنبأ نبيه على لسان جبريل .

(٣) عبد الله بن أبي بن سلول ، أرسل إليهم يقول : لا تخرجوا من دياركم ، وأقيموا في حصونكم ، فإن معي ألفين من قوى وغيرهم من العرب . يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم ، وتعدكم قريظة وحنافؤكم من غطفان ، فطعم بنو النضير ، وأرسلوا إلى النبي أنهم يريدون القتال .

(٤) سلام بن مشكم أحد سادات اليهود ، نهام عن الحرب . وقال لحي بن أخطب كبيرهم منك نفسك واه يا حيي الباطل فإن قول ابن أبي ليس بشئ . وإعاريك أن يورطك في الملكة ، حتى تحارب محمداً . فيجلس في بيته ويتركك .

مهلاً حتى أما تنهاك ناهية عما أردت ، ولا يهديك معقول ؟
لا الحلف حق ، ولا الأنصار إن صدقوا يفنون عنكم ، وأنى يصدق القيل ؟
بنو قريظة هددوا الخوف جانبهم والقوم من غطفان غلهم غول
إن الألى جمع الليث المحصور لكم لهم الحماة إذا ما استصرخ الغيل
أطلبون دم الإسلام ؟ لا حكم إلا السيوف ، ويقضى الأمر عزريلا
هل ينفع القوم إن أزرى بهم قصر عن مركب البأس آطام بها طول ؟^(١)
ملوا الحياة ، ومثتهم معاقبهم كل بغيض ، وكل بعد ممول^(٢)
يدعو كنانة محزوناً وصاحبه زال الخفاء ، وبعض القول تضليل^(٣)
يا قومنا : أرايتم كيف يخلفكم من كل ذى مقة وعد ومأمول ؟^(٤)
دعوا الحصون ، وزولوا عن مساكنكم حتم القضاء ، وأمر الله مفول^(٥)
قضى النبي فما من دون مطلبه وسوله مطلب للقوم أو سول^(٦)
وليس للأمر إذ يقضى على يده بالحق من ربه رد وتحويل

تلفتوا ، ينظرون الدور شاهقة من حولها النخل ، تخفيها العناكيل^(٧)

(١) الآطام : الحصون .

(٢) طال عليهم الحصار في حصونهم ، فاشتد الأمر عليهم .

(٣) كنانة بن سوريا ، وصلاح بن مشكم ، لما اشتد الأمر على القوم ولم يروا من ينجدهم . جمل يقولان لحي بن أخطب : أين نصر ابن أبي الذي زعمت ؟ فيقول : ماذا أصنع ؟ إنما هي ملحمة كتبت عليها .

(٤) الققة : الحب .

(٥) حتم القضاء : نزل .

(٦) أمرهم النبي بالجلاء ، وأن يأخذوا النساء والذراري والأموال ، لا يحملون من سلاحهم شيئاً .

(٧) العناكيل للنخل بمنزلة المناقيد للضب والشاهقة العالية .

والماء ينساب ، والأطلال وارقة
قالوا : أيزهـب هذا كله سائـباً
وأقـبوا يهدمون الدور ، فاختلفت
لها على الكره في أرجائها لفة
الروح يهتف ، والإسلام مبتهـج
والزراع في شطئه بالزراع موصول^(١)
للقوم من بعدنا ؟؟ تلك العقابيل^(٢)
فيها المعاول شتى والأزاميل^(٣)
كما تردد في الأسماع ترتيل
والكفر في صمقات الهول مخبول

* * *

يا للركائب إذ تمشي مذممة
العز في عرصات الدور مطرح
قالوا : الرحيل ، فما أصفت مثقفة
نادى الموكـل بالأدنى يعلمهم
هذا الذي يرفع الدنيا ويخفضها
مواكب العار ، لا وسم الهوان بها
ما في الهودج ، والديباج يملؤها
وما الأساور والأقراط نافمة
والقوم من فوقها سود معازيل^(٤)
والمال والخلى في الأكوار محمول^(٥)
ولا استجاب طير الحد مصقول^(٦)
وفي الأباطيل للجهال تعليل^(٧)
هيهات - ذلك إرجاف وتهويل
خاف ، ولا أثر الخذلان مجبول^(٨)
للخرى ملء وجوه القوم تبديل
ولا العقود الفوال والخللاخيل

(١) الشطه فراخ الزرع أو ورقه .

(٢) العقابيل : ما ثبت من بقايا الذاء فلم يزل .

(٣) جعلوا يهدمون الدور قبل جلائهم ، ويأخذون من خشبها وحديدتها ما يقدرون على حمله ، والأزاميل جمع أزميل . آلة من الحديد ينقر بها الخشب والحجر .

(٤) لا سلاح معهم .

(٥) جمع عرصة وهي ساحة الدار والأكوار جمع كور وهو الرجل .

(٦) إشارة إلى تركهم السلاح . والمثقفة الرماح المقومة . والخرير الخسد من السيوف وغيرها الماصي .

(٧) هو سلام بن أبي الحقيق أحد كبارهم ، ذهب بحمل أموالهم وحلبهم في جلد جل - وقيل جلد نور - ويقول : لما أعددتنا هذا لرفع الأرض وخفضها .

(٨) خرجت النساء في الهودج علبين الديباج والحريز ، وقطف الخز الأخضر والأحمر والخلى من الذهب والفضة ، وخفضن القبان بالدقوف والزمير ، يتقين الشماتة .

تشدو القيان ، بأيديها معازفها
تجلدوا ، يتقون الشامتين بهم
لئسما زعم القوم المنهازيل
فيم الشماتة ، هل كانوا ذوى خطر ؟
لم يخير أقدار مؤجلة وأذرعات وللاقدار تأجيل^(١)
وما عليها غداة الجد تعويل

* * *

أدركتها يا ابن وهب نعمة نصرت
تلك الوسيلة ، من تعلق بها يده
وأنت يا ابن عمير زدت مرتبة
أنكرت فعلة عمرو حين هم بها
رميته من بنى قيس بمقتنص
أنتك إذ صدقت يا عمرو ، أم حجر
في القوم جدك . والمفرور مخذول^(٢)
لم يعده من عطاء الله تنويل
وللمراتب عند الله تفضيل^(٣)
فالنفس غاضبة ، والمال مبذول
يمشى الضراء ، فأمسى وهو ما كـول
يرى به الصادق المأمون إجفيل^(٤)

(١) ذهب بعضهم إلى خير وبعضهم إلى أدرعت من بلاد الشام ، والمعنى أنهم مدركون في هذه وتلك إذا خان يومهم .

(٢) أبو سعد بن وهب الذي هداه الله للإسلام .

(٣) صاحبه يامين .

(٤) الإجفيل : الجبان .

بنى غطفان جدّوا ثم جدّوا جرى القدر المتاح ، فلا مردّ
بنى غطفان صبراً أو هلوفاً^(١)

مشى جند النبي فأتى جند ؟ وأين مضى الألى كانوا بنجد ؟
تولى القوم حشداً بعد حشد حذار البطش من جنّ وأسد
ومن ذا يشتهي الموت الفظيعة ؟

نساء الخي ، ما صنع الرجال ؟ أمصكتوب عليكم القتال ؟
لكنّ الأمن إن فزعوا فزالوا أما ومحمد وهو الثمال^(٢)
لقد نلتته حرزاً منيعاً

إليه إليه ، إن بكنّ ضعفا وإن به مريحة وعظفا
وفيه من التقي ما ليس يخفى وما حاولت ترجمة ووصفا
فلست مثل ذلك مستطيعاً

نزى الشيب من يحى سواكا ولكن قل : تبارك من هداكا^(٣)
أترقدها هنا ، وهو هنا كا ؟ أما من كالى يُرجى لذاكا^(٤)
إلى أن يبعث الله الصديقا^(٥)

ألا طوبى لعباد بن بشر وعمار كفاية كل أمر

(١) الملوخ الجرح

(٢) الثمال النبات الذى يقوم بأمر قومه

(٣) نزل النبي ليلا في شعب وقال : أنا أكفيك أول الليل ، وتكفي أنت آخره ، فنام
عمار وجاء زوج النسوة اللاتي أصابهن المسلمون ، وكان قد أقسم ألا يرجع حتى يصيب
النبي أو يهريق دماً في أصحابه ، فرى عماراً بالسهم ، وكان يصلى ، فجعل يترج السهم بعد السهم
من جسمه من غير أن يقطع صلته ، فلما غلبه الدم أيقظ عماراً ، ورآه الرجل فهرب .

(٤) الكالى الحافظ والحارس

(٥) الصديق الصبح

غزوة ذات الرقاع

اختلفت الروايات في شأن هذه الغزوة ، فقيل : إنها كانت في شهر
ربيع الثاني ، وقيل : في جمادى الأولى من السنة الرابعة بعد غزوة
بني النضير ، وفي بعض الروايات أنها كانت بعد غزوة خيبر . وقيل في
تسميتها « ذات الرقاع » لأن المسلمين تقبّت أقدامهم وسقطت أظفارهم
فيها ، فنفوها بالحرق ، فسموها ذات الرقاع . وقيل : إنها سميت كذلك
لأنهم رفعوا راياتهم فيها . وقيل غير ذلك . وسببها أن النبي صلى الله عليه
وسلم علم أن بني عارب وبني نعلبة « بنجد » يؤيئون الجوع من غطفان
لحاربه ، فخرج إليهم في أربعمائة ، أو سبعمائة ، أو ثمانمائة من أصحابه .
فلما بلغ نجداً لم يجد رجلاً يقدمون على حربه ، وهمت طائفة منهم أن
يولعوا بالمسلمين عند صلاة الظهر ، فصلى النبي بهم صلاة الخوف ، وترقبوا
صلاة العصر فكانت كذلك (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم
طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم
ولأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم
ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة
واحدة - الآية) ولم تنشب الحرب في هذه الغزوة التي وقع فيها من
العجائب ما جعلهم يسمونها (غزوة العجائب) وقد وجد المسلمون بعض
النسوة فأخذوهن .

إلى القوم الألى جمعوا الجموعا إلى نجد كفى نجدا هجوعا^(١)

أبت شمس الهدى إلا طلوعا ففاض شعاعها ، يفسى الربوعا^(٢)

ويسطع في جوانبها سطوعا

إلى غطفان إليهم استعدّوا وظن غواتهم أن لن يهدّوا

(١) الهجوع لنوم

(٢) الربوع الأماكن

رسول الله نحن لهم ويحرق قضاء الله إن طرقتوا بشر
كمهده إذ جرى سماً قتيماً^(١)

وأجرى الأمر عباداً سويًا ققام ، ونام صاحبه ملياً
وكان بأن ينافسه حربياً محافظة على التلى وبقيا
قريع شداًد وافي قريعاً^(٢)

لربك صل يا عباد فردا وزد آلاء شكرًا وحدا
ومحكم ذكره فاجله وردا فإن له على الأكباد بردا
وإن أذكي الجوانح والضلوعا

ولاح سواده ، فرماه رام أتى إثر الخليفة في الظلام^(٣)
فديتك يا ابن بشر من هام أما تنفك عن نزع السهام
تحامي عن صلاتك ما تحامي وجسمك واهن الأعضاء دام ؟
أما لك يا ابن بشر في السلام وقد جرت الدماء على الرغام ؟^(٤)
ألا أيقظ أخاك من المنام كفأك فقد بلغت مدى التمام
وما تدع القنوت ولا الخشوعا

رأى عمار خطبك حين هباً فلم ير مثله من قبل خطباً^(٥)
يقول ونفسه تنهد كرباً أيدعوني الحفاظ ، وأنت تأبى ؟

(١) أي كما عهدت في مواطن البلاء

(٢) القريع الغالب في المفاوعة ، والفعل والمختار من الرجال

(٣) الخليفة الروجة

(٤) الرغام التراب

(٥) قال عمار لعماد حين أيقظه ورأى ما به : أي أخى . ما منكم أن توقظني له في أول
مهم رى به ؟ قال : كنت أقرأ في سورة الكهف فكهرت أن أفضها ، ولولا أن خشيت
أن أضيع نقرأ أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو أني على قسى .

لقد كلفتُ أمراً منك صعباً ولو أيقظتني لشقيت قلباً
جرحت سواده جرحاً وجيماً

وأبصر شخصه الرامى المالح فززل قلبه للرعب نضح^(١)
وأمسك منه تهتان ومسح وما إن راعه سيف ورمح
ولكن منه خبل فربما

تتولى يحبط الظلاء ذعرا ويحسب درعه كفناً وقبرا
ألا أدبر ، جزاك الله شراً ظفرت بصابر ، وأيت صبرا
فأثرت الهزيمة والرجوعا

وجاء غويرث ينفى الرسولا ويطمع أن يفادره قتيلاً^(٢)
كذلك قال ، يستهوى القبيلة غويرث رمت أمراً مستحيلاً
فهل لك أن تثوب وأن تريعا ؟^(٣)

أتيت محمداً تبدى السلاما وتحنى الفئط يضطرم اضطراما
تقول مختالاً - أرني الحساما وتأخذه ، فلا ترعى الدماما
أغدرأ ؟ ياله خلقاً وضعيا

تهم به ، ولست بمستطيع فأين مضارب السيف الصنيع ؟^(٤)

(١) لما أبصر الرجل عماراً انقلب خائفاً ، والنضح الرى بالنيل .

(٢) جاء رجل إلى النبي اسمه غويرث أو غورث - وقد اعتدنا الأول - يريد قتله .
وقد وعد قومه بذلك . ورأى سيف النبي في حجره فقال له : أرني أنظر إلى سيفك هذا ،
وأخذه من حجره فاستله وجعل يهزه ويهم به فيكبه الله «يخرجه» ثم قال : يا محمد أما تخافني ؟
قال : بل يمنعني الله منك . ثم دفع السيف إليه فأخذه وقال : من يمنعك مني ؟ قال : كن خير
أخذه ، قال النبي : أتشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله ؟ قال : أعاهدك على أني لا أقايلك
ولا أكون مع قوم يقاتلونك . غلى سبيله . وجاء غويرث قومه فقال : جئكم من عند خير
الناس ، ثم أسلم بعد وكانت له صحة .

(٣) تثوب وترجع بمعنى ترجع .

(٤) السيف الصنيع الجرب الصقيل .

وكيف وهت قوى البطل الضليع؟ تعالى الله من ملك رفع
يريك جلاله الصنع البديع
سألت رسوله : أفما تخاف وسيفك في يدي موت ذعاف؟^(١)
أراك من الموارد ما يعاف فلا فرق عراك ولا ارتجاف
فيالك كرة خسرت جميعا

فقال محمد ربي يقيني ويتمنع مهجتي ، ويصون ديني
وصارمه تلقى باليمين ألا بوركت من هاد أمين
تود أناته الحلم النزيما

أخذت السيف لو تبني القصاصا لما وجد المسية إذاً مناصا
تقول له : بمن ترجو الخلاصا إذا أنا لم أرد إلا اقتصاصا
فلن تجد الولي ولا الشفيعا؟

يقول غويرث كن خير مولى وأنت أحق بالخصي وأولى
فقال له : أتؤمن قال كلا ولكني أعاهد ، ثم ولى
ودين الله يطالبه سريعا

وحدث قومه : يا قوم إني بخير الناس قد أحسنت ظني
رأيت خلاله ، فرجعت أني عليه ، وقد مضى الميثاق مني
فلست لمن يناوئه تبعا

أعز الله شيخ الأنبياء وأيده بآيات وضاء
ألم تخبره ترجة الرغاء بما يجد البعير من البلاء؟^(٢)

(١) الموت الذعاف السريع العاجل .

(٢) من العجائب التي وقعت في هذه الغزوة بانقراض الروايات أن بيبراً جاء يرقل حتى
وقف على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل يردد الرغاء . فسأله أصحابه : ما شأنه ؟
قال : إنه يقول إنه أحسن خدمة أصحابه ، فلما كبرهموا بذبحه فهرب ، وجاء مستغيثاً ،
وقدموا على أثره فذكر لهم النبي ما قاله . فقالوا : صدقت . فأوصاهم به خيراً .

توجع يشتكي سوء الجزاء وقعدان المروءة والوفاء
أيدبجه ذووه على العياء وبعد الجدد منه وامضاء؟
رثى لشكاته حق الرثاء وراض ذويه من بعد الإباء
فتنح بالسلامة والبقاء وراح ، فأى حمد أو ثناء
يؤدي الحق ، أو يجزي الصنيعا

غزوة بدر الآخرة

ويقال لها (غزوة الموعد) لقول أبي سفيان عند رجوعه من أحد :
موعد ما بيننا وبينكم بدر - يريد مواسمها - كانت في شهر شعبان من السنة
الرابعة ، خرج النبي إليهما في ألف وخمسمائة من أصحابه ، وكان يحمل لواءه
(علي بن أبي طالب) وذهب (نعيم بن مسعود) الأشجعي (قبل إسلامه)
وهم يتأهبون للخروج فأخبر المشركين بأمرهم . فجعل له أبو سفيان عشرين
بشيراً إذا هو عاد إلى المدينة فنبط المسلمين عن القتال ، وأوهمهم أن المشركين
في جمع كثير . فآزرادهم هذا إلا ثباتاً وقوة (الذين قال لهم الناس إن
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)
وكره أبو سفيان القعود خشية العار . فأجمع أن يخرج بالمشركين ثم يرجع
بهم من مكان قريب ، فلما بلغوا (بجنة) وهي سوق معروف من أسواق
العرب . قال لهم يا معشر قريش لا يصالحكم إلا عام خصب ترعون فيه
الشجر وتشربون الماء ، وإن عامكم هذا عام جذب ، ولاني راجم
فارجموا ، وأقام النبي بجيشه في بدر مدة الموسم وهي ثمانية أيام ينتظر
القوم ثم رجع إلى المدينة .

أليك أبا سفيان لا الوعد صادق ولا أنت ذو جدد ، ولا القوم أبطال
أتاك ابن مسعود بأنبياء يثرب فما تنقضي منكم هوم وأوجال^(١)
لكم عند بدر في لواء محمد خطوط ترامي بالنفوس وأهوال
هنالك قوم يا ابن حرب كأنهم إذا عصفت ريح الكريهة أغوال

(١) أوجال مخاوف .

جنود عليها من على مظهر
دع المرء يذهب بالأباطيل مرجفًا
تردد، يخشى منك شيمة مخلف
تمسك من قول ابن عمرو بموثق
مضى، بصف الكفار وصف مهوّل
فما وجفت تلك القلوب، ولم تكن
رجال رسا الإيمان ملء نفوسهم
ولا الموت مكروه على العزّ ورده
تداعوا فقالوا، حسبنا الله إنه
وأرسلها الصديق ديمة حكمة
محمد إن الله نصر دينه
هم موعد لاند منه، ومورد
لدى الروع، جيش على الهول جوال^(١)
وعده جزاء الإفك - لاحذا المال
يقول، فلا وعد وفى، ولا قال^(٢)
وطارت به في الجوّ هوجاء مجفال^(٣)
يقول: جموع ما تعدّ وأرسل^(٤)
كأخرى لها من هدة الرعب زلال^(٥)
فلا الجبن منجاة، ولا البأس قتال
ولا العيش مورود إذا خيف إذلال
ما شاء من نصر الهداة لفعال^(٦)
ها من فم الفاروق سح وتهطال^(٧)
ومظهره، والحق أقطع فصّال
من الخف، تمشاه نفوس وآجال^(٨)

عزّز علينا أن نكون مقالة
يقولون: لولا الخوف منا لأقبلوا
وخفّ أبو سفيان يكذب نفسه
يقول، وقد وافى الرجال مجنة
أيا قومنا: إنا نرى العام مجدبًا
فعودوا إلى عام من الخصب صالح
يردها قوم مهاذير جبال
وإنّا لإقدام حثيث وإقبال
ويشهدا من خيفة: كيف يحتال
أيا قومنا مهلا، فإننا لضلّال
وشرّ عتاد الحرب جذب وإحمال
ولا تقربوا الهيجاء، فالقوم أصال^(١)

* * *

تقدم جيش الله وارتدّ جيشهم
وأين من الصيد المصاليات معشر
لبئس الموالى ما تزال تفرهم
وما فيه أكفاء تهاب وأمثال
لهم من مواليم لدى البأس خذال؟^(٢)
ظنون كأحلام النيام وآمال

* * *

ألا إنهم الدنيا أعيد بناؤها
فلا شأنها الشأن الذي كان يرتضى
عفا السائف المغرّ من سيناتها
أتبقى قلوب الناس في ظلماتها
هو النور نور الله، يملأ أرضه
أتى مطلق الأسرى يحمرّ أنفساً
وصيغ لها رسم جديد وتمثال
بنوها الألى بادوا، ولا حالها الحال^(٣)
فتلك بقاياها قبور وأطلال
تظاهر أكنان عليها وأقفال^(٤)
فتلقى الهدى فيه عصور وأجبال
لها من سجاياها قيود وأغلال

(١) الروع الفرع والخوف والنقصود الحرب.

(٢) قال أبو سفيان انعيم: بدا لي أن لا أخرج، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة، ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب لي من أن يكون من قبلي، ملحق بالمدينة وأعلمهم أنا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا، ولك عندي من الإبل كذا وكذا، أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو، فبجاء نعيم لي سهيل وقال له: يا أبا يزيد - تضمن لي هذه الإبل وأنطلق إلى محمد فأببطه قال نعم، فذهب يرجف بما قيل له.

(٣) الجوهنا ما اتسع من الأودية، والهوجاء الناقة السريعة الخفّال بمعنى الهوجاء.

(٤) الأرسال الجماعات.

(٥) وجفت اضطربت والهدّة صوت وقع الشيء العظيم كالبناء ونحوه.

(٦) كانوا كلما سمعوا أخبار قرش وجوعها يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل.

(٧) جاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله إن الله مظهر نبيه، ومعز دينه، وقد وعدنا القوم موعداً لا نجب أن نتخلف عنه، فيرون أن هذا جسر، فسر لموعدهم، فوالله إن في ذلك لحكمة - فسر النبي وقال - والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد، واحتدمت نفوس المسلمين حماسة وقوة.

(٨) الخلف الموت.

(١) جمع صل وهو الحية.

(٢) جمع أسيد وهو من صفات الأسد، والأصل فيه ارتفاع الرأس والمصايت جمع مصلات، وهو الشجاع الماضي في الأمور، المشر لها.

(٣) بادوا هلكوا.

(٤) أكنان أغصنة.

غزوة دومة الجندل

مى أقرب بلاد الشام إلى المدينة ، وكانت هذه الغزوة في أواخر السنة الرابعة - على رواية - وفي ربيع الأول من السنة الخامسة - على رواية أخرى - وسيبها أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن بهذه البلدة قوماً يظلمون من ربها ، ويعتدون عليه ، وأنهم يريدون الاقتراب من المدينة فخرج إليها في ألف من المسلمين ، فلما اقترب الجيش منها خاف القوم ففرقوا وأصاب المسلمون من ماشيتهم وروعهم ما أصابوا ، وفي الرجوع من هذه الغزوة وادع النبي عيينة بن حصن القراري ، وأباح له أن يرعى يحمل بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلاً ، فلما سمعت مواشيه ، وعاد إلى أرضه وقد زال عنها الجذب ، أغار على لقاح النبي ، وكان يقال له (الأحمق الطاغ) ومن سوء خلقه أنه دخل على النبي بفخر استئذان - وفيه يقول صلوات الله وسلامه عليه - شر الناس من ترك الناس اتقاء خلقه - أسلم بعد فتح مكة ، وشهد حنيناً والطائف ، ثم ارتد في خلافة الصديق ، وحق بظليجة ابن خويلد الذي أدهى النبوة فأمن به ، فلما هرب طليجة أسره خالد بن الوليد وبشه إلى الصديق في وثاق ، فن عليه وأسلم .

سيرى الهويضي دومة الجندل أمعنت في الظلم ولم تجمل^(١)
أكل من مرّ خفيف الخطى ترمينه بالقادح المشمل^(٢)
المسلمون استصرخوا ربهم فاستعصى منه ، وإن تفعل
مضى رسول الله في جحفل مامله في البأس من جحفل^(٣)
يمشي إذا سودت وجوه الوغى في ساطع من وجيه المنزل
لولا الذي استعظمت من أمره لم يهزم القوم ، ولم تخذل
أهلوك طاروا خوف تقتاله فأيهم بالرب لم يقتل ؟

- (١) أمعن تمادى .
(٢) القادح العظيم .
(٣) الجحفل الجيش الكثيف .

كل له من نفسه ضارب إن يدبر الخوف به يقبل
تلك لعمري من أعاجيبهم ويبتلى ربك من يبتلى

شرّهم مذكور من دارهم لا كنت من دار ومن منزل^(١)
هلاً رعوا إذ أدبروا جفلاً ما ريع من أنعامك الجفل^(٢)
ماذا يريد الجيش من عورة حنت من الذلة في موئل ؟
لولا المروآت وساطنهما لا تقصّر أعلاها على الأسفل
شريعة الإسلام في أهله أهل الحجا والشرف الأطول^(٣)
وسنة المختار من ربه والمصطفى من خلقه المرسل
جاء بملء الأرض من نوره والناس من حيرى ، ومن ضلل
لا عذر للمصروف عن رشده لم يبق من داج ولا يجمل^(٤)
معالم الإيمان وضاحة والحق ملء العين للمجتلى

إيه قنيص الله في حبله ظفرت بالأمن ، فلا توجل^(٥)
جئت معافى في يدي صائد لم يخدع الصيد ، ولم يخل^(٦)
أقبل ، فهذا خير من أبصرت عيناك في الجيش ، وفي الحفل

(١) مذكور اسم رجل من بني عذرة ، اتخذ له النبي صلى الله عليه وسلم دليلاً للجيش في هذه الغزوة ، فلما رآه القوم مقبلاً أخذهم الرعب ففرقوا .

(٢) جفل مترعجين مسرعين .

(٣) الحجا العفل .

(٤) داج مضلم .

(٥) أسر محمد بن مسلمة رجلاً منهم وجاء به إلى النبي ، فعرض عليه الإسلام فأسلم .

لا توجل لا تخف .

(٦) يخل من المخت وهو المداع .

هذا الذى أعرض عن حقه قومك من باغ ومن مُبطل
لو أنهم جاءوه فاستغفروا رأوا سجايا النعم المنفصل
أسلمت تَبَى دينهم أولا فرحبا بالمسلم الأول

* * *

عَيْنُهُ الْمَغْبُوتُ فِي نَفْسِهِ ماذا جنى من دائه المفضل؟^(١)
حَلَّه مَالُو تَلَمَّتْ ذَرَى مُسْتَشْرِفِ الْعَرِينِ ، لَمْ يَحْمَلْ^(٢)
أَلْوَى بِهِ الْجَدْبُ ، فَانْفَضَى إِلَى أَكْنَافِ وَادٍ مَعْشَبٍ مَبْقَلٍ^(٣)
مِنْ أَنْعَمِ الْفَيْثِ الْكَثِيرِ الْجَدَا وَمَكْرَمَاتِ الْعَارِضِ الْمَسْبِلِ^(٤)
حَتَّى إِذَا أَعْجَبَهُ شَأْنُهُ وَغَرَّهُ مِنْ مَالِهِ مَا يَلِي
أَتَى بِهَا شَعَاءَ مَكْرُوهَةٍ مِنْ سَيْنَاتِ الْأَحْقِ الْأَثْوَلِ^(٥)
بُسُ الْمَغِيرِ انْقَضَ فِي غَرَةٍ عَلَى لِقَاحِ الْغَابَةِ الْهَمْلِ^(٦)
مَا وَقَعَةَ النَّصِّ بِتَأْمُونَةٍ وَلَا أَذَاةَ الضَّرِيعِ الذَّمْلِ^(٧)
آذَى رَسُولَ اللَّهِ فِي مَالِهِ وَآثَرَ الْفُسْدِ ، وَلَمْ يَحْفَلْ
لَوْ ارْتَضَى دِينَ الْهَدَى صَانَهُ وَزَانَهُ بِإِنْخِلِ الْأَمْثَلِ

* * *

يَا أُمَّ سَعْدٍ لَسْتَ مِنْ هَهْ سَعْدٌ عَنِ الْأَهَائِنِ فِي مَعَزِلِ^(٨)

(١) الْمَغْبُوتُ الْمَحْدُودُ - الْمَفْضَلُ الْمُسْتَعَصَى .

(٢) مُسْتَشْرِفِ الْعَرِينِ صِفَةُ مَحْدُوفٍ ، وَالْمُرَادُ الْجَبَلُ الْعَالِي .

(٣) أَلْوَى بِهِ دَهَبٌ بِهِ .

(٤) الْمُرَادُ بِهِ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ .

(٥) الْمَجْنُونُ وَالْأَحْمَقُ .

(٦) الْغَابَةُ اسْمُ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ تَرعى فِيهِ الْفَرَاحُ .

(٧) الضَّعِيفُ الْجَبَانُ .

(٨) كَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَ النَّبِيِّ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ . فَاتَتْ أُمَّهُ وَهُوَ عَائِبٌ ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ وَفَاتِهَا صَلَّى عَلَى قَبْرِهَا .

إِنْ أَهْلُهُ إِلَّا الْأَنَى اسْتَوْطَنُوا دَارَ الْوَغَى فِي دُومَةِ الْجَنْدَلِ
لَا تَذْرِفِي الدَّمْعَ عَلَى رَاحِلٍ فِي اللَّهِ نَوْلًا اللَّهُ لَمْ يَرْحَلْ
وَاسْتَقْبَلِي الْمَوْتَ عَلَى هَوْلِهِ إِنِّي أَرَاهُ سَائِغَ الْمَهْلِ^(١)
ظَمْتُ مِنْ سَعْدٍ إِلَى نَظَرَةٍ تَطْفِيهِ حَرًّا اللَّاعِجِ الْمُسْقَلِ
رَوَّاكَ رَبُّ النَّاسِ مِنْ سَرْحَةٍ أَلْقَى عَلَيْهَا ظِلَّهُ مِنْ عَلٍ^(٢)
تَوَقَّى الْجَنَى كَالْأَرْمِيِّ طَيِّبًا إِذَا كَانَ الْجَنَى كَالصَّابِ وَالْحَنْظَلِ^(٣)
صَلَاةُ أَصْفَى النَّاسِ مِمَّا سَقَى أَفْنَانَهَا ذُو النَّائِلِ السَّلْسَلِ^(٤)
لَوْ وَزَنْتُ كُلَّ صَلَاةٍ بِهَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ لَمْ تَعْدِلْ
يَا أُمَّ سَعْدٍ إِنَّهَا نِعْمَةٌ جَاءَتْكَ ، لَمْ تُطْلَبْ ، وَلَمْ تُسْأَلْ
هَذَا جَوَارُ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرِي وَهَذِهِ جَنَاتُهُ فَادْخُلِي

(١) شَرَابٌ سَائِغٌ عَذْبٌ وَالْمَهْلُ مَكَانُ الشَّرْبِ .

(٢) السَّرْحَةُ الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ .

(٣) الْأَرَى السَّلْسَلُ وَالصَّابُ شَجَرٌ مِنْ أَوْ هُوَ عَصَارَتُهُ .

(٤) النَّائِلُ الْعَطَاءُ .

عَنْزُوتُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

بنو المصطلق بطن من خزاعة . والمصطلق لقب جذية بن سعد بن عمرو الخزاعي لقب به لارتفاع صوته (من الصلح) وقبل لأنه كان حسن الصوت ، وأنه أول من غي في خزاعة .

بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق جمع قومه وآخرين من العرب لمحاربه ، فبعث إليهم بريدة بن الحصيب يتعرف أخبارهم ، وأذن له أن يقول فيه ما يشاء ، ليأمنوه ويقوه شرهم ، ورجع يذكر تأهبهم للحرب ، فخرج إليهم النبي يقود جيشاً كبيراً في شعبان من السنة الخامسة . وبعث الحارث عيناً له ليوافقه بأخبار المسلمين ، فأمر النبي بقتله ، فضعت نفسه ، وتفرق عنه كثير من رجاله .

وأعطى النبي راية المهاجرين إلى أبي بكر - وقبل لمار بن ياسر - وراية الأنصار إلى سعد بن عباد ، وأمر عمر بن الخطاب أن يقول للمشركين قولوا لا إله إلا الله تنعموا بها أنفسكم وأموالكم ، فلم يقبلوا ورموا المسلمين بالنبل ، فدار القتال وكان النصر لله ورسوله وللمؤمنين . فقتلوا وأسروا وسبوا ، وعادوا بنعمة من الله وفضل ، وكان من السبايا (برة) بنت الحارث بن ضرار ، بي عليها النبي صلى الله عليه وسلم وسماها (جويرية) فقال المسلمون - أصهار رسول الله ، وأطلقوا من كان بأيديهم من الأسرى والسبايا ، وفي الرجوع من هذه الغزوة كانت واقعة أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها .

لا يفترتكم رسول جاءكم
يا رسول الصدق : ماذا جمعوا
الألى تتسع السبل بهم
ينحقق النصر على أعلامهم
ما يبألون المنايا المنكر في
لأبى بكر وسعد نظرة
في اللوائين ضياء منهما
وعلى الفاروق من إيمانه
وعلى وابن عمار هما
يتراعى القائد الأعلى بهم
جاش فيه كل زحار القوى
خير خلق الله في شكته
سحر القوم ، ومن آياته

مبغض اقلب ، مح المنطق^(١)
لذوى البأس وأهل المنطق^(٢)
للمنايا في المجال الصيق
إن تردى كل جيش يخفق
مرعد من هوى أو مبرق
بعد أخرى ، كالشواظ المحرق^(٣)
واضح انطلق ، طلق المشرق
ما على صمصامه من رونق^(٤)
عدة الحرب هول المذوق
في عيباب للمنايا مفرق^(٥)
يرتقى من لجه ما يرتقى^(٦)
يمتطي خير القتاق السبق^(٧)
رقية السحر ، وطب الأولق^(٨)

(١) هو بريدة بن الحصيب ، جاءهم فقالوا له : من الرجل ؟ قال منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل ، فأسير في قومي ومن أطاعني ، فتكون يداً واحدة حتى نستأصلهم ، قال الحارث : فنحن على ذلك ، فجعل إلينا - قال بريدة : أركب الآن فأتكم بجمع كثير من قومي ففرحوا ، وعاد إلى النبي فغيرهم .

(٢) المصدق الشجاعة وصدق الحملة .

(٣) الشواظ لهب لا دخان فيه .

(٤) صمصامه سيفه والرونق الحسن .

(٥) النبي صلى الله عليه وسلم . العباب في الأصل الماء الكثير والمراد به هنا الموت المحقق بهم .

(٦) جاش تحرك ، وزحار ممتلئ .

(٧) الشكة السلاح كان مع النبي من خيله اللزاز والطرب والعناق من الخيل الكريمة الرائعة .

(٨) الأولق الجنون .

نهضت من كل أوب تلتقي فاحذروها يا بني انصطلق^(١)
إحذروها غارة مملومة يتقى أهوالها من يتقى^(٢)
لا تظنوا جمعكم كفواً لها حين تمضي في المعجاج المطبق^(٣)
سرّحوا الجيش ، وكفّوا ، إنها مصرع الجيش ، وحشف الفيلق
نقق الحارث يدعوكم إلى أن تبيدوا : ليته لم ينقق

(١) الأوب الطريق والجهة .

(٢) مملومة مخمومة مضموم بعضها إلى بعض .

(٣) المعجاج الفبار الثائر من أثر المعركة أضيق عليه النسيء غشيه وعمه .

نزل تذكر عليه ، فانطوى مصحف الخبر وسفر البطرق^(١)
 وسع الكتب جميعاً ، ووعى من سناها كل معنى موق^(٢)
 علم الدنيا الهدى فيما مضى وهو خيرٌ هادياً فيما بقى
 عربى فتحت آياته كل باب للعانى مغلق
 فى أساليب حسان غضة وفنون حرة لم تطرق
 نفحات الحق فى أبهى الحلى من رباحين البيان المورق

* * *

نهض الفاروق يدعوهم إلى ملة الخير دعاء المشفق
 فأبى القوم ، وقالوا : ديننا إن ندعه لسواه نفسق
 ومشى جاسوسهم يبنى الأذى فشى عزربله فى المفرق^(٣)
 قيل : أسألك : لا ، فاحتقتب نفسه إثم الغوى الأحمق^(٤)
 يا أبا برة ليس البر أن تتولى ، فاستد واستوتق
 أئمن يعتق من رق الهوى أنفس الناس كمن لم يعتق ؟
 يا أبا برة لا تأب الهدى وبين حولك فأرأف وارفق
 قاتم : الحرب وقتلاها ، وما هى بالأمر الأحب الأخلق
 وتولى النبل ، يهوى صوبه فوق صوب من نجيع مهرق^(٥)
 إذ يقول الله فى عليائه لرسول الله - سدد وارشق
 قادة ، ما صادفوا أكفاهم وجنود مثلها لم يخلق

(١) السفر الكتاب والبطرق والخبر من علماء أهل الكتاب .

(٢) الموق الحسن المحب .

(٣) المراد به السيف الذى قتل به .

(٤) سأله النبي عن أخبارهم فلم يقل شيئاً وعرض عليه الإسلام فأبى ، فأمر عمر بن الخطاب بقتله واحتقب الرجل الأثم احتمله .

(٥) هى سال والتجيم الدم يضرب لونه إلى السواد والمهرق السائل .

ذعر الجمع ، فلو أن القطا صدر فى آثاره . لم يلحق
 صد عن ظمأى العوالى ، ولوى كل صب فى الموضى شيق
 فجسوا فى النهب والسبي معاً وسقوا أسوأ شرب الستى

* * *

نعمت برة ماذا تشكى من أسى برح ، وهم مقوق^(١)
 يا ابنة الحارث طيبى وانعمى أى رزق صالح لم ترزق ؟
 ذاك جو المجد وضاح السنا حتى ما شئت فيه ، خلقى
 إصطفاك الله فيمن يصطفى وانتقى بيتك فيما ينتقى
 واحتوى التاج الحلى درة منك ، من يمح سناها يطرق
 فارقى أسر ابن قيس واشكرى يا ابنة الحارث ، فضل المطلق
 الألباب الخض من رسل الهدى منذ كانوا . والصميم المعرق^(٢)
 حط عنك الإصر برّاً ، ورثى لك من ضرر شديد مرهق^(٣)
 ورعى حقك ، لا يبنى سوى أن تكونى بأجل الأليق

(١) جاءت إلى النبي فقالت يا رسول الله لاني امرأة مسلمة أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ولاني برة بنت الحارث سيد قومه ، أصابنا من الأمر ما قد علمت ، ووقعت وسبيته ، ابن قيس وابن عم له . وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة ، وكاتبني على ما لا صفة لي به ولاني رجوتك فأعنى في مكاتبتي قال : أو خير من ذلك : قالت ما هو ؟ قال : أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم ، وطلبها من ثابت فقال : هي لك يا رسول الله ، فأدى . كان كاتبها عليه ، وأعتقها ، ثم تزوجها .

(٢) الألباب والخض الخالص .

(٣) الإصر - الحبس والذنب والنقل .

إسلام الحارث بن ضرار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

جاء الحارث بن ضرار إلى المدينة يسوق لإبلًا في فداء بنته برة ولم يكن قد علم أنها أسلمت ، وتزوجت من النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أتى وادى العقيق رغب في بيعين كانا من أفضل هذه الإبل ، فاستقيما في شعب من شعاب هذا الوادي ليرجع بهما إلى دياره ، ثم أقبل فقال : يا محمد أصبم ابنتي وإني لكريمة لا تسي ، وهذا فداؤهما ، فقال له : أين البعيران للذان عقبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا ؟ قال : أشهد أنك رسول الله ، ما أطلع على ذلك إلا الله .

أقبل الحارث يحدو إليه ويبر من طول همٍّ مابه
سيد القوم يريد ابنته ويروم الذبَّ عن أحسابه^(١)
قال - ويحي : كيف تُسبِّي برة وأبو برة في أثوابه ؟
حرّة من حرّة ، أنجبها ونماها نايه من نايه^(٢)
إبل سيري ، وأمي يثرأ واطلب ليث الوغى في غايه^(٣)
شرفي آبي عليه ، وابنتي أفتدى منه . ومن أصحابه

ساقها إلا بيعين هما من صفايا المال أو صيابه^(٤)
غودرا في جانب الوادي ، وما يجلب الأمر سوى أسبابه
قال : دعها يارعاك الله لي واشف هذا القلب من أوصابه^(٥)

بنتها بنتي التي ربّيتها في حي العزّ ، وفي محرابه
أعطينها ، وتقبّل ما معي من فداء جلّ عن أضرابه^(١)
قال : بل أحدثت أمراً لم تخف سوء ما يعشّي الفتى من عابه
غاب عن ذودك ما استبقيته لك في الوادي ، وفي أعشابه^(٢)
يا أبا برة إني لأرى موضع العودين في أنقابه^(٣)
قال : أسلمت ، وما أدنى الهدى يا رسول الله من طلابه
وضح الحق ، فما من حجة لنبيّ القسب ، أو مرتابه
إنه لله فضل ماله غير من يؤثر من أحبابه
نكص الشرك على أعقابهم وهو القائم من أنصابه
يا رسول لا كان امرؤ لم يكن دينك من آرابه^(٤)
شرف الأخلاق من أحكامه والثقى والبر من آداب
أنت نعم انصر مجدداً وسناً إن طلبنا الجّد في أقطابه
جئت بالخير بشيراً ، لم تزل تصدع الأغلاق عن أبوابه
تلك بنتي دخلت فيه معي ما خشينا النع من حجابيه

(١) جل عظم وأضرابه قظرائه .

(٢) الذود من الإبل ما بين ثلاثة إلى عشرة ، أو ما فوق ذلك .

(٣) متى عود ، وهو المسن من الإبل .

(٤) جمع أرب والأرب الحاجة .

(١) يروم يريد والذب يدفع .

(٢) رفعها وعراها إليه .

(٣) النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) صفايا الشيء وصيابه خياره .

(٥) الأوصاب جمع وصب وهو المرض .

بَرَكَتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ جُورِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قالت عائشة رضي الله عنها - لا أعلم امرأة أكثر بركة على قومها من جوريرة ، أعتق بترويحها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مائة بيت .

جوريرة أحدى عتبي البناء بنى بك خير من تحت السماء
باغت به ذؤابة كل عال من الشرف المنع والثناء^(١)
وكنتم لقومك الأدين يمناً يريهم يمن خير الأنبياء
فكم أسرى فككت ، وكم سبايا رددت إلى الخدور بلا فداء
محررة الرقاب كفك فضلاً صنيعك بالرجال وبالنساء
كشفت الضر عنهم بعد بأس وأحييت الرميم من الرجاء^(٢)
توالى المسلمون على سبيل من الكرم المحب والسخاء
لأجلك آثروا البقياء ، وقالوا علينا المهدد عهد الأوفياء
أمن وصل النبي فكان صهراً كنقطع من الأقوام ناء ؟^(٣)

خذوا يا قوم أنفسكم ، وعودوا إلى أوطانكم بعد الجلاء
سموا بنفوسهم وبنى أيهم إلى دين المروءة والإباء^(٤)
ورد الله غربتهم وفازوا بنعمته ، فنعم ذوو العلاء
هو الإسلام ما للنفس عنه إذا ابتغت السلامة من غناء
نظام الأرض ، يدفع كل شر وطب القوم ينزع كل داء
إذا انصرفت شعوب الأرض عنه فبشر كل شعب بالشقاء

(١) دؤبة المر والشرع أعلاه .

(٢) الرميم أصله العظام البالي والمراد به الميت من الرجاء .

(٣) ناء بعيد .

(٤) الإباء العز .

بين الخنزرج والمهاجرين

كان السلون على الماء بعد انتهاء هذه الغزوة ، فاختصم أجبر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسمه جهجاه مع رجل من حلفاء الخنزرج وهو سنان ابن فروة فضربه الأول حتى سال منه الدم فدأى : يا معشر الأنصار ، ونادى الضارب : يا معشر المهاجرين ، فأقبل جمع من الجيشين وشهروا السلاح ، فكادت تكون قتلة عطية لولا أن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ما بال دعوى الجاهلية ؟ فقالوا ، رجل من المهاجرين ضرب رجلاً من الأنصار ، فقال : دعوها يريد دعوى الجاهلية فإنها منتنة فترك المضروب حقه ، وسكنت الفتنة .

جهجاه مالك حبتها مذمومة هوجاء ، لولا الله ظلت تعصف ؟
الخنزرج انطلقوا لنصر حليفهم ومضى لنصرتك الكفاة الدلف^(١)
لسنان إذ تؤذيه منك بضربة أولى وأخلق من تحب وتأنف
هفت السيوف إلى السيوف ، وأوشكت صم الرماح على الرماح تقصف
ومشى النبي يقول : يا قوم اسكنوا أكذاك تضطرب الجبال وترجف ؟
تدعون دعوى الجاهلية جهرة فمن الدعاة من الهداة اهتف ؟
أو لستم النفر الذين بنورهم يجد السبيل الحائر المتعسف ؟
ردوا السيوف إلى جاحم معشر فيهم مرد للسيوف ومصرف

هدأ الرجال ، وراح ظالم نفسه يهذى فيمعن ، أو يظن فيسرف^(٢)

(١) الكفاة جمع كفى وهو الشجاع والدلف جم دالب وهو المتخضم

(٢) هو عبد الله بن أبي بن سلول ، لما اختصم الرجلان غضب وكان عنده رخص من حناقي قومه الخنزرج فقال : ما رأيت كاليوم قتلة . أو قد فعلوها ؟ ما فروا في بلاد . وأماكروا علينا ملتنا ، والله ما أعدنا - يعني الأنصار وقريش - وهؤلاء - يريد المهاجرين - لا كما قل الأول في أمثالهم : سمن كلبك يأكلك . وأجبه يتبعك .. والله لقد ظننت لى ساموت فبن =

قال : اقتصد يا عم ، ما أنا بالذي يفرض إذا اغتاب الرسول محمد^(١)
ثقات على من الغبي مقالة جال ، تهد بها الجبال وتنسف^(٢)
والله لو ألقى صواعقها أبي لحلتها ، وذبحت لا أتخفف

* * *

رؤى الحديث وغيظ من مكروهه عمر ففيض المشرف المرهف؟^(٣)
أغرى بقائله مخوف غراره ما كان يعلم من أذاه ويعرف
سأل الرسول الإذن فيه لعله يشفيه من دمه بما يترشف
فتبى ، وقال : أليس من أصحابنا؟ دعه ، فتلك أشد ما أتخوف

* * *

وأنى ابنه فدعا : أبى أنا خصمه فدعوه لى ، إني به مكلف^(٤)
مرنى رسول الله أكيفك أمره فاقدر عهدتك راحماً تتلطف
إني أحب أبى . وأعرف حقه ولأنت بى وبه أبر وأرأف
سبق أحق به ، فإن يك غيره عظم الأسى فيه ، وهال الموقف
إني لأخشى أن أرى دم مؤمن يبدى لأجل أبى يراق وينزف
قال النبي : ارفق بشيخك وارعه إن العقوق من البنين تتلف

* * *

(١) التجديف الكفر بالثمة والشم والإهانة والافتراء .

(٢) جلل عظمة .

(٣) طلب عمر بن الخطاب من النبي أن يأذن له أو لغيره بقتل عبد الله بن أبي قحافة
وقال - كيف يا عمر إذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه؟ واشترى المرهف السيف الحاد .

(٤) ابن عبد الله بن أبي واسمه عبد الله ، لما علم أن عمر يستأذن النبي في قتل أبيه .
جاء إليه وقال : يا رسول الله إن كنت فاعلاً ففرني أن أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت
الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فأقتل مؤثماً
بكافر ، فأدخل النار ، فقال له الرسول الكريم - بل تترقب به ، وتحسن صحته .

لجج النفاق ، فقائل لا يستحي مما يقول ، وسامع لا يأنف^(١)
ما نال من جمحت به أهواؤه أفما يزال على الغواية يكف؟^(٢)
يؤذى رسول الله يزعم أنه في قومه منه أعز وأشرف
ويقول : موعدا المدينة إذ يرى أى الفريقين الأذل الأضف
فلنخرجن محمداً منها غداً وليعلن الأمر ساعة ينزف^(٣)

* * *

سمع ابن أرقم ما يقول : فهاجبه غضب يضيق به التقى الأحنف^(٤)
ومضى يقص على النبي حديثه فيكاد عنه من الكراهة يصدف^(٥)
قال : اتدد ، فلقد يغان على الفتى فيزل منه السمع أو يتحرف^(٦)
فمضى على أسف يلوذ بعمه فيلام غير مكذب ويمنف^(٧)

= أن أسمع هانماً يهتب بما سمعت . أما والله لئن رجعتا لى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل -
يعنى بالأعز نفسه . وبالأذل النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) لم تهادى .

(٢) جمحت به أهواؤه عليه .

(٣) أرف الأمر حان وقرب .

(٤) كان زيد بن أرقم . وهو غلام حديث السن - عند عبد الله بن أبي ورهمه وهو
يقول لهم ما قال . فشى به لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكره ذلك وتغير وجهه ،
وقال له - يا غلام لملك غضبت عليه - قال . والله لقد سمعته أى الحديث منه ، قال - لعله
أخطأ سمعك والأحنف هنا الشديد الميل لى الحق .

(٥) يصدف يمرض .

(٦) يغان عليه بمعنى يغطى على قلبه .

(٧) لما قال النبي لزيد بن أرقم ما قال : عظم عليه الأمر وذهب لى عمه في غم شديد ،
فقال له : ما أردت إلا أن أكذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثلك ، قال زيد . والله
لقد سمعت ما قال ، ولو سمعت هذه المقالة من أبى لنقلتها لى رسول الله ، ولأنى لأرجو أن ينزل
الله عليه ما يصدق حديثي . ولأذبه لجأ .

عبد الله بن أبي بن سلول بعد نزول (سورة المنافقون)

كان مما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستأذنه في قتل عبد الله بن أبي - ترعد له لادن أنت كثيرة يثرِب - فلما نزلت سورة المنافقين صار قومه يعاتبونه ويعنفونه ، فقال لني لعمر : كيف ترى يا عمر ؟ إني والله لو قتلته يوم قلت لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لنتنته : قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري .

ما يكسب المرء من إثم ولا يزر إلا أحاط به من ربه قدر^(١)
وليس لنفس إن خابت وإن خسرت إلا عواقب ما تأتي وما تذر^(٢)
جلبت يا ابن أبي شر ما جابت نفس على قومها ، لو كنت تعتبر
زودت قومك خزيًا لم يدع أحداً إلا قلائك وأمسي صدره يفر^(٣)
تتابع الوحي ، ترميهم قوارعه لما تتابع مذك اللغو والهمذر

قالوا : استجر برسول الله ملتصاً سبل النجاة ، فما يفنيك منتظر^(٤)
إن تلفه حين ترجوه وتساله مستغفراً لك لا يعلق بك الغمر^(٥)

(١) يزر يحمل .

(٢) تذر تترك .

(٣) قلاه أبفضه ووغر صدره توقد من الغيط .

(٤) قال له أصحابه : اذهب إلى النبي يستغفر لك . فلوى رأسه وقال أمرتوني أن أؤمن فأممت ، وأن أعطي زكاة أموالى فأعطيت ، فلم يبق إلا أن أسجد لحمد ، فأنزل الله تعالى (ولذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو اؤروهم - الآية) .

(٥) هو في الأصل دسم اللحم يتعلق باليد .

القاذف الجبار زلزل قلبه ضاقت مذاهبه ، فأقبل ضارعاً جحد الحديث . وراح يخلف ماجرى إن ابن أرقم لم نككن لتخونه يبقى بها نقش الكلام . كأنما صور إذا ولي اللسان أداها مارمت وصفاً ، حسب زيد أنه الله أنزله بيانا صادعاً كشف الغطاء عن النفاق بسورة جرم إذا استخفى مخافة ذاكر

بالرعب يلتي ، والمخافة تقذف^(١)
وأخو الهوان الضارع المستعطف^(٢)
صدق النبي وأفتري من يخلف
أذن تعي وتصون ما تتأقف^(٣)
نقشت على الصخر الأصم الأحرف
فالزور من أعدائها والزخرف
بفرائد الوحي المنظم يوصف
كبت الألى قلبوا الأمور وزيفوا
نزلت ، وكان غطاؤه لا يكشف
نادى الزمان به ، وضج المصحف

(١) هو عبد الله بن أبي - جاءه رجل من الأنصار الذين سمعوا حديث زيد بن أرقم عنه فقال له : يا أبا الحباب إن كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فيستغفر لك . ولا تجده فينزل فيك ما يكذبك ، وإن كنت لم نقله فائنه واعتذر . واحلف ما قبلته ، فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئاً ، ومشى إلى النبي فقال له : يا ابن أبي إن كانت سبقت منك مقالة فتب . فجعل يخلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به .

(٢) الضارع الدليل .

(٣) كان يقال لزيد بن أرقم رضى الله عنه - ذو الأذن الواعية - لقول الله تعالى فيه (ومهما أذن واعي) وعنه أنه لما نزلت سورة المنافقين ، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بأذنه وهو على راحلته يرفعها إلى السماء حتى ارتفع عن مقدمه وهو يقول - وعت أذنك يا غلام ، وصدق الله حديثك وكذب المنافقين .

قَالَ : يَا وَيْلَكُمْ ، مَا زِلْتُمْ أَتْبَعَكُمْ
لَمْ يَبْقَ فِيمَا أَرَى إِلَّا السُّجُودَ لَهُ
أَذَلَّ الْجِدَ مِنْكُمْ ، أَمْ هُوَ السَّخَرُ ؟
وَصَدَّ مُسْتَكْبِرًا يَبْوَى لَشِقْوَهُ
يَزِيدُهُ الْجَهْلُ طُغْيَانًا ، وَيَصْرِفُهُ
حَتَّى هَلَكْتَ ، فَلَا جَاهَ وَلَا خَطَرَ
يَقْضَى بِهِ الْحَقُّ ، أَوْ يَقْضَى بِهِ الْوَطَرُ
دَعُوا اللَّجَاجَ ، فَهَذَا مَطْلَبُ عَسَرِ
رَأْسًا يَغِيظُ الظُّبَى أَنْ لَيْسَ يَهْتَصِرُ^(١)
عَنِ الْهَلْدَى مِنْ أَفَانِينَ الْهَوَى سَكَّرَ
دُونَ الْمَدِينَةِ لِلْمَخْتَارِ يَنْتَصِرُ^(٢)
حَتَّى تَقَى ، وَحَتَّى يُعْلَمَ الْخَبِيرُ
إِنْ كُنْتَ حُرًّا ، فَبَيْتُ الْكَاذِبِ الْأَشْرُ^(٣)
كُنْهَا رُوحَهُ مِنْ فِيهِ تَنْحَدِرُ
قَدْرًا ، وَأَرْفَعُهُمْ ذِكْرًا إِذَا ذُكِرُوا
لَا النَّصْرَ يَخْطُئُهُ فِيهَا ، وَلَا الظُّفْرَ
وَارْتَدَّ قَائِدُهُمْ خَزْيَانُ يَعْتَذِرُ
يَقُولُ : تِلْكَ دِيَارُ لَسْتُ تَدْخُلُهَا
أَنْتِ الْأَذْلُ فَقَالَهَا غَيْرُ كَاذِبَةٍ
فَقَالَهَا مُرَّةً حَرَّى ، وَأَرْسَالَهَا
مَشَى أَعَزُّ بَنَى الدُّنْيَا وَأَشْرَفُهُمْ
حَلَّ الْمَدِينَةَ مِنْهُ لَيْثُ مَلْحَمَةٍ
فَلْيَعْرِفِ الْحَقُّ قَوْمَ ضَلَّ رَائِدُهُمْ

* * *

قَالَ الرَّسُولُ وَنَارُ الْغِيظِ تَلْفَحُهُمْ
لَوْ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ بِالسَّيْفِ تُخَذَلُ
تِلْكَ الْأَنْفُوفُ الَّتِي كُنَّا نَحَاذِرُهَا
لَوْ قُتِلَ لِلْقَوْمِ : جِيئَنِي بِهَامَتِهِ
أَلَمْ أَفَلْ لَكَ : لَا تَقْتُلْهُ يَا عَمْرُ ؟
بَعَثَهَا غَضَبُهُ جَأَوَاءَ تَسْتَعِرُ^(٢)
أُمْتُ سَلَامًا ، فَلَاخُوفٍ وَلَا حَذَرٍ
رَأَيْتُهُمْ يَفْعَلُونَ الْيَوْمَ مَا أَمَرُوا

* * *

تَبَيَّنَ الرُّشْدُ لِلْفَارُوقِ وَانْحَسَرَتْ
فَقَالَ : بَوْرَكَتُ مِنْ هَادِ الْأُمْتِ
لَسْنَا كَمَثَلِكَ فِي عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ
تَدْرِي مِنَ الْأَمْرِ مَا تُخْفِي ظَوَاهِرَهُ
فِي مَعْجَزَاتِكَ لِلْغَاوِينَ تَبْصِرَةٌ
صَلَّى عَلَيْكَ الَّذِي آتَاكَ مِنْ شَرَفٍ
عَنْ جَانِبِهِ غَوَاشِي الظَّنِّ وَالسُّتْرِ
تَعْيَا بِحِكْمَتِهِ الْأَلْبَابِ وَالْفَكْرِ
أَنْتَ الْإِمَامُ وَهَذَا النُّهْجُ وَالْأَثَرُ
وَمَا لَنَا فِيهِ إِلَّا الرَّأْيُ وَالنَّظَرُ
وَفِي عُلُومِكَ لِلْجَهَالِ مَزْدَجِرُ
مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ جَنُّ وَلَا بَشَرُ

* * *

(١) لما انتهى الجيش إلى وادي العقيق جعل عبد الله بن عبد الله بن أبي يلمس أباه ،
فلما رآه أناخ بعيره وقال - والله لا تدخلها (المدينة) حتى يأذن لك رسول الله ، لتعلم الأعر
من الأذل - فصار يقول : لأننا أذل من الصبيان ، لأننا أذل من النساء : فجاء النبي صلى الله
عليه وسلم وقال : خل عن أهلك فخل عنك .
(٢) أشر الرجل مرح وبطر .

(١) الظن السوف ، ويهتصر من هصر العصف إذا أماله .
(٢) جأواء ، حراء في كدرة تستعرت تشتعل .

قِصَّةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين من غزوة بني المصطلق ، وكانت عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما معه ، بات الجيش في مكان على مسافة من المدينة ، وقبل أن يؤذن الناس بالرحيل ذهب تفضي حاجتها فجاوزت الجيش . وفي عودتها إلى رحلها أحست أنها فقدت عقداً لها ، فرجعت إلى المحل الذي كانت فيه تنتمسه ، وأمر الجيش بالرحيل ولم يزل في التماسه ، وأقبل الموكلون بها فحملوا هودجها ، ووضعوه على البعير الذي كانت تركبه وهم يظنون أنها فيه ، ثم سار الجيش وعادت هي فلم تجد أحداً ، وغلبتها عنها فنامت ، وكان صفوان بن المهطل السلمي على ساقه الجيش ، فتخلف عنه وأصبح عند المنزل الذي بقيت فيه أم المؤمنين رضى الله عنها ، فرأى سواد إنسان فأنتم ، واقترب منه ، وإذا عرفها أخذته الحزن ورفع صوته قائلاً : إنا لله وإنا إليه راجعون : فاستيقظت على صوته وخرت وجهها بجلبابها ، وصمت صفوان بعد ذلك فلم يزد على أن أناخ راحته وقال أمه ، قومي فاركبي ، ثم سار بها فأدرك الجيش بعد ما نزل عند الظاهر قالت رضى الله عنها : فلما نزلنا هلك من هلك بالقول والافتراء والنبي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول ، فإنه أول من أشاع الإفك في العسكر ، ثم برأها الله فصرح صدر النبي والمؤمنين بهذه البراءة (إن الذين جاؤوا بالافك عصية منكم لا تحسوه شرّاً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم - إلى بقية الآيات العشر (سورة النور) .

سيّد الرسل وأم المؤمنين بشر الأبطال بالنصر المبين
خرجت في الجيش ترجو ربّها عصمة الراجي ، وعون المستعين
ينصر الحق ، ويقضى أمره إن رماه كل أفكّ ميهين
إصبري إن جل أمر ، إنها يا ابنة الصديق دنيا الناصحين
أرأيت الأرض لما رجفت إذ هوى عقدك ؟ بل لا تشعرين^(١)

(١) كان لعقد من جرز - خمر ظفار ، وهي قرية من قرى اليمن ، قيل إنه كان يساوي اثني عشر درهماً) وقد وجدته رضى الله عنها في ذلك المكان .

اقتشعرت ، وتمنت لو هوى كل عال من رواسيها مكين .
أنت في شأنك إذ تبغينه وهي في همٍّ وغمٍّ وأنين
سوف يبدي الخطيب عن روعته بعد حين ، فاصبري حتى يحين

* * *

رفعوا الخودج ، والظنُّ بها أنها فيه ، وساروا مُدججين^(٢)
وانجلي الليل عن الخطب الذي غادر الإصباح مسودَّ الجبين
أين غابت أيّ أرض نزلت كيف غمُّ الأمر ؟ هل من مستبين ؟
يا رسول صبراً إنها في ذمام الله رب العالمين
يا أبا بكر رويداً ، إننا لنراها في حمى الروح لأمين .

* * *

رجعت والليل في بردته دائم الإطراق كالشيخ الرزين
ذهب الجيش ، وأمت وحدها غير أصداء من الوادي الخزين
خطرت في الجو من أنفاسها خطرات للأسي ، ما ينقضين
ماج كالبحر طففت أثباجه وارتمت أهواله حول السفين^(٣)
نام عنها الهمُّ لما رقدت فهو في الأحشاء مكتوم دفين
وأنى صفوان ما يبسده له غير شيء مائل للناظرين
يرسل الطرف ، ويشي نحوها مشية المرتاب في رفق ولين
عرف الخطب ، فما أصدقه حين يدعو دعوة المسترجعين
دعوة رنت ، فلو قيل : اسمعوا لسمعنا اليوم ترددّ الرنين

(١) من أدلج إذا سار باتهار .

(٢) أعاليه جمع تبع .

أَبْقَطَتْ عَائِشَةَ مِنْ بَوْمِهَا مِثْلَهَا يَوْقُظُهَا صَوْتُ الْأَذِينِ^(١)
 جَفَلَتْ مِنْهُ ، فَغَطَّتْ وَجْهَهَا وَهِيَ فِي سِتْرَيْنِ مِنْ عَقْلِ وَدِينِ
 بِصَرَفِ اللَّحْظِ كَلِيلًا دُونَهَا خَاشِعَ الْقَلْبِ ، كَدَّابِ الْمُتَقِينَ
 قَرَّبَ النَّاقَةَ مِنْهَا ، وَدَعَا إِرْكَبِي أُمَامَ ، مُلِّيتِ الْبَنِينَ^(٢)
 أَخَذَ الْمُتَقَوِّدَ يَمَنًا ، وَمَضَى يَتَّبِعُ الْمَاضِينَ مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ
 يَنْتَحِي بِثَرِبٍ بِالنُّورِ الَّذِي يَمْلَأُ الدُّنْيَا ، وَيُعْيِي الْمُطْفِئِينَ^(٣)

* * *

نَشَرُوا الْإِفْكَ فُسَادًا وَأَذَى وَعَلَى اللَّهِ جَزَاءُ الْمُفْسِدِينَ
 لَا يَنَالُ الْحَقُّ فِي سُلْطَانِهِ كَذِبَ الْحَقِّ ، وَإِفْكَ الْمُرْجِفِينَ
 يَا هَلَا مِنْ عَصَبَةٍ فَاسِقَةٍ هَاجَبَهَا لِلشَّرِّ شَيْخُ النَّاسِقِينَ^(٤)
 وَجَدْتَ فِيهِ زَعِيمًا حَازِقًا وَإِمَامًا بَارِعًا لِلْمُفْتَرِينَ

* * *

هَكَذَا يَا ابْنَ أَبِي هَكَذَا لَا يَكُنْ شَأْنُكَ شَأْنَ الْمُسْلِمِينَ
 أَنْفَثَ السَّمَّ ، وَخَضَهَا فِتْنَةً تَتَاظَى نَارُهَا لِلْخَائِضِينَ

* * *

يَا ابْنَةَ الصَّدِيقِ صَبْرًا ، لَيْتَهُ أَلُمُ الْمَرْضَى وَهَمُّ الْمَوْجِعِينَ^(٥)
 يَا هَلَا مِنْ عِلَّةٍ لَوْتَعَمِينَ إِنَّهَا أَرْحَ مَا تَشْكُونَ

أَعْقَبَ الْبَشَرَ غُبُوسًا وَبَدَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَا لَا تَرْضِيَنِ^(١)
 كَيْفَ تَبْكُمُ لَيْسَ مِنْ عَادَاتِهِ كَيْفَ تَبْكُمُ يَا لَهْمُ مِنْ مَجْرَمِينَ
 غَيَّرُوهُ ، فَتَوَى مِنْ عَطْفِهِ وَطَوَى مِنْ لُطْفِهِ مَا تَعْمِدِينَ
 وَهُوَ يُخْفِي لَكَ مَا لَا يَنْقُضِي مِنْ هَوَى صَافٍ ، وَشَوْقٍ وَحْنِينَ
 سَجَنَ السَّرَّ ، وَكَمْ مِنْ رَوْعَةٍ لَكَ يَا أُمَامَ فِي السَّرِّ اسْحَبِينَ

* * *

أَنْصَتِي ، قَالِيلُ مَصْغٍ ، أَنْصَتِي وَقَعَ الْخَطْبُ ، فَمَاذَا تَصْنَعِينَ ؟
 جَاشَتْ النَّفْسُ ، وَلَجَتْ رَعْدَةٌ لَمْ تَدْعُ فِي الْقَلْبِ مِنْ رُكْنِ رَكِينِ
 مَسْطَحٌ ، لَا قَرَّ عَيْنًا مَسْطَحٌ شَبَّهَا نَارًا تَهْوِلُ الْمُصْطَلِينَ^(٢)
 فَضَحَتْهُ عَثْرَةٌ مِنْ أُمِّهِ فَانْظُرِي كَيْدَ ذَوِيكَ الْأَقْرَبِينَ
 لَا تَوْمِيهَا إِذَا مَا غَضِبْتَ إِنَّهَا تَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمِينَ
 أُرْسَلَتْهَا دَعْوَةٌ وَاحِدَةٌ لَيْتَهَا زَادَتْ عَلَى حَدِّ الْمُثْنِينَ
 تَعَسَّ الثُّغْلَبُ مَا أَخْبَثَهُ فَدَعَى بَدْرًا وَأَسَادَ الْعَرِينِ

* * *

رَجَعْتُ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَمِّهَا لَمْ تَبْتَ مِنْهَا بَلِيلُ الرَّاقِدِينَ
 لَوْعَةٌ مَشْبُوبَةٌ فِي سَقَمٍ فِي شَأْيَيْبٍ مِنَ الدَّمْعِ السَّخِينِ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَأْذَنُ لِي ؟ إِنْ يَبْقَى بِمَصَابِي الْقَمِينِ^(٣)

(١) كَانَ يَرِيهَا اقْبَاضَ النَّبِيِّ كُلَّمَا جَاءَ يَعُودُهَا وَقَوْلُهُ : كَيْفَ تَبْكُمُ ، ثُمَّ لَا يَزِيدُ .

(٢) خَرَجَتْ مَعَ أُمِّ مَسْطَحٍ خَالَةَ الصَّدِيقِ لِقَاءَ حَاجَتِهَا لِيَلَّا قَعَزَتْ أُمُّ مَسْطَحٍ فِي لِمَازِمِهَا فَقَالَتْ تَعَسَّ مَسْطَحٌ ، فَقَالَتْ لَهَا : بَشًّا قُلْتُ . أَنْتَسِينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا ؟ قَالَتْ يَا هَتْنَاهُ (أَيْ يَا هَذِهِ) أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ وَأَخْبَرْتَهَا بِحَدِيثِ أَهْلِ الْإِفْكَ . وَكَانَ مَسْطَحٌ مِنْهُمْ ، فَأَخَذَتْهَا حَتَّى نَافِضَةً وَأَصْبَحَتْ تَبْكِي .

(٣) دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَبْكِي ، وَقَالَ : كَيْفَ تَبْكُمُ عَلَى عَادَتِهِ فَقَالَتْ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ بَيْتَ أَبِيي فَأُذِنَ لَهَا . وَالْقَمِينُ الْحَلِيقُ وَالْجَدِيرُ .

(١) الْمُؤَذِّنُ .

(٢) مَتَعَتْ بِطَوْلِ حَيَاتِهِمْ مَعَكُمْ .

(٣) يَنْتَحِي يَقْصِدُ .

(٤) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي .

(٥) مَرَضَتْ بَعْدَ قُدُومِهَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا ، وَالنَّاسُ يَفِيضُونَ فِي الْإِنَّاكِ وَهِيَ لَا تَعْلَمُ .

مُر ودع هي لأمي وأبي إنما استأذنت خير الآمرين
بان حسن الصبر ، والعزم الطوى وأرى السقم مقبلاً ما بين
قال : ما شئت ، هلمى فافعلى لك يا صاحبتى ما تؤثرين

* * *

ذهبت ، يحزنها أن لم تكن طوح الدهر بها فى الزاهبين
ثم قالت وهى تبكى : عجبا لك يا أماء ، ماذا تكتمين ؟^(١)
أفلا نبأتنى ما زعموا ؟ ويحكم : ما حيلتى فى الزاعمين ؟
ظلمونى ، ما رعوالى حرمة رب كن لى - ما أفل المنصفين

* * *

جزع الصديق مما نابه إنه خطب يهول الأكرمين^(٢)
قال : أف لك من داهية مارمينا بك فى ماضى السنين
أفلا زائنا دين الهدى ساءنا ست حديث لا يزين ؟

* * *

كيف تيكم ؟ يالها صاعقة أرسلت من فم خير المرسلين
كيف تيكم ؟ كيف تيكم كلما جاء ، إن الله مولى الصابرين
إصبرى يا ربّة المقد الذى زين من عينيك بالدر الثمين

* * *

(١) قالت لأمها : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، وأنت لا تخبرتنى بشئ ،
قالت - يا بنية هوئى عليك ، قالت وهل علم أبى قالت نعم - قالت ورسول الله ، قالت نعم -
فاستعبرت وبكت ، وبانت لا يرقأ لها دمع .
(٢) قال - ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على - والله ما قيل لنا
هذا فى الحاهلية حيث لا يعبد الله أفيقال لنا فى الإسلام ؟

أوجعتها . من على شدة
هى من ذاب الأباة الأولين^(١)
سلط الضرب على مولاتها
أى سرّ عندها للصربين ؟
أقسمت صادقة - ما علمت
غير ما يدفع ادعوى الواهمين
ما نتقى والبر فى تأجيلهما
هل رأى التاجين أعلى المالكين ؟

* * *

مرجباً بانق ، يحى جنده ما استباحث ترهات البطلين^(٢)
مرجباً بالوحى ، يخلو ما طوب ظلمات الشك من نور اليقين
مرجباً بالروح يلقى من على رحمة الله ، تفيث المؤمنين
فتنة جت ، فلما انكشفت أزلقوا الشكر وراحوا راشدين
وتجلت غرة الهادى فلا ريبة تفشى ، ولا ظن يرين^(٣)
يا ابنة الصديق طيبى وانعمى ذاك حكم الله خير الحاكمين
ضرب القوم بتاض مخدّم من مواضيه ، فولوا مدبرين^(٤)
سقطوا صرعى ، عليهم غيرة من قتام البنى تحزى الظالمين

* * *

(١) عن عائشة رضى الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار الصحابة و
أمرها ، فقال له عمر : من زوجها لك يا رسول الله ؟ قال ، الله تعالى ، قال . أفظن أن
الله دلس عليك فيها ؟ - سبحانه هذا بهتان عظيم ، وقال أسامة بن زيد : أهلك يا رسول الله
فما نعلم إلا خيراً ، فأما على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : يا رسول الله لم يضيق الله
عليك ، والنساء بهواها كثير ، وإليك لتقيد أن تستحلف وأن تسأل الجارية بريرة تصدك
وجاءت بريرة فقالت والذى بينك وبينى لم يلبث عليهما من شئ - يعاقب . فقام إليها على
يضرها ضرباً شديداً فقول لها . يا صديق رسول الله ، تختموله ، والله ما علمت إلا خيراً .
(٢) لمشارك إلى نبرول الآيات الشريفة فى برامتها م .
(٣) وان التقى على القلب غلب عليه وكان له كاصداً ونحوه .
(٤) الخدم السيف الفاضح .

أَمْسَكَ الصَّدِيقُ مِنْ مَعْرُوفِهِ يَنْكُرُ الْقَدْرَ، وَيَنْهَى الْغَادِرِينَ^(١)
وَطَوَى عَنْ مَسْطَحٍ نِعْمَتَهُ لِيَرَى حَقَّ الْكِرَامِ الْمُتَعَمِّينَ
عَالَهُ دَهْرًا، قَلَمًا خَنَهُ رَاحَ يُعْزِيزُهُ جِزَاءَ الْغَائِبِينَ^(٢)
سَنَةَ الْعَدْلِ، قَضَاهَا مِنْ قَضَى سَنَةَ الرَّحْمَةِ بَيْنَ الرَّاحِمِينَ
تَوَلَّى، الذِّكْرَ بِهَا قَدْسِيَّةً فَعَمَّا النَّاقِمَ وَارْتَاحَ الضَّيِّقِينَ

* * *

إِجْمَعِ الْخَيْرَ قَرِينًا إِنْ أَبَى كُلَّ غَاوٍ، إِنَّهُ نَعَمُ الْقَرِينَ
جَلًّا زُرْنِي وَعَلَا، كُلُّ أَمْرٍ بِالْمَدَى يَكْسِبُ مِنْ أَمْرِ رَهِينٍ

عَنْزُوتُ الْخَمْسَةِ

لَمَّا أَصَابَ بَنِي النَّضِيرِ مَا أَصَابَهُمْ شَقٌّ ذَلِكَ عَلَى الْيَهُودِ، فَسَارَ مِنْ سَادَتِهِمْ إِلَى مَكَّةَ حَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَسَلَامُ بْنُ مَشْكَمَ، وَكِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ، وَهُوَ ذُو ابْنِ قَيْسٍ، وَأَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ، وَجَعَلُوا يَحْرِضُونَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى قِتَالِ الْبَنِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُعَاهِدُونَهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ. فَرَحِبَ بِهِمْ أَبُو سَفْيَانَ وَقَالَ لَهُمْ: لَا نَأْمَنُكُمْ إِلَّا إِنْ سَجَدْتُمْ لَأَهْلِنَا، فَسَجَدُوا، وَخَرَجَ مِنْ بَنُو قُرَيْشٍ غُصُونٌ رَجُلًا فَأَلْصَقُوا أَكْبَادَهُم بِالْكَعْبَةِ، وَتَمَتُّعُوا بِشَتَارِهَا يَتَحَالَفُونَ عَلَى النَّصْرَةِ وَحَرْبِ النَّبِيِّ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى غُصْفَانَ، وَجَعَلُوا لَهُمْ تَمَرٌ خَيْرَ سَنَةٍ لَئِنْ هُمْ نَصَرُوهُمْ فَرَضُوا. وَتَأَهَّبَتِ الْجُوعُ لِلْحَرْبِ، وَكَانَتِ الْفِيَادَةُ أَعْلَى لَأَبِي سَفْيَانَ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ رَكَبٌ مِنْ خَزَاعَةَ. فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ بِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الصَّحَابَةَ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ. وَهَلْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِيَامِ بِالْمَدِينَةِ أَمْ يَبْقَوْنَ فِيهَا لِلدِّفَاعِ عَنْهَا؟ فَقَالَ سُلَيْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا بِأَرْضِ فَارِسٍ إِذَا تَخَوَّفْنَا الْحَيْلَ خَنَدَقْنَا عَلَيْنَا، فَرَكِبَ النَّبِيُّ فِي رِحَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَجَعَلَ يَرْتَادُ أَضْيَلُ الْمَوَاقِعِ خُفِرَ الْخَنْدَقُ، ثُمَّ أَقْبَلُوا يَصِلُونَ فِيهِ وَالنَّبِيُّ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ انْتَهَتْ هَذِهِ الْفُرُوزَةُ بِقَهْرِ الْمُشْرِكِينَ، وَكُسِرَ شَوْكَتُهُمْ، وَكَانَتْ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ. وَهُوَ قَوْلُ الْجَهْوَرِ.

إِذْ هَبْ حَيُّ مَذْمُومًا مَشْتُومًا أَحْشَدْتَ إِلَّا جَمْعَكَ الْمَهْزُومًا؟
لَيْتَ تَمَضَّبُوا لِبَنِي النَّضِيرِ فَإِنَّهُ خُطِبَ يَرَاهُ بَنُو أُبَيْيكَ عَظِيمًا
الْقُوَّةَ انْصَدَعَتْ، فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا تَرَكَ الْهَدَاةَ بِنَاءَ كَمْ مَهْدُومًا؟
مَرَّتُمْ تَحْكُمُونَ الْجِرَاحَ، وَلَا أَرَى مِثْلَ الْجِرَاحِ إِذَا امْتَلَأَتْ سَمُومًا
رَحَّبَ أَبَا سَفْيَانَ إِنْ لَثَلْتُمْ مِنْ مِثْلِكَ التَّرْحِيبَ وَالتَّسْلِيمًا
جَمَعَ الْهَوَى بِعَسَدِ التَّفَرُّقِ بَيْنَكُمْ بِئْسَ الْهَوَى يَصِلِي النَّفُوسَ جَحِيمًا
تُذَكِّرُ سَيْوْفُ اللَّهِ مِنْ أَضْغَانِكُمْ نَارًا تُصِيبُ مِنَ الْقُلُوبِ هَشِيمًا
خَمَّتُوا الْقَبَائِلَ، وَاجْتَمَعُوا أَحْزَابَكُمْ سَتَرُونَ بِأَسْ مُحَمَّدٍ مَصْمُومًا

* * *

(١) كَانَ مَسْطَحٌ يَتِيمًا فِي حَجَرٍ أَبِي بَكْرٍ، يَتَوَلَّاهُ بِرَعَايَةٍ وَيَنْفِقُ عَلَيْهِ لِقَرْبِهِ وَقَرَابَتِهِ مِنْهُ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ مِنَ الْإِفْكَ غَضِبَ عَلَيْهِ، وَقِيلَ لَهُ أَنَّهُ أَخْرَجَهُ مِنْ مَنَازِلِهِ وَقَالَ لَهُ: لَا وَصَلَتِكَ بِدَرَمٍ أَبَدًا، فَتَنَزَّلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلَا يَأْتِي أَوَّلُ النَّفْلِ مِنْكُمْ وَالسُّمَّةُ أَنْ يُوْتُوا أَوَّلَى الْقُرُونِ وَالْمَسَاكِينُ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَبْغُوا وَلْيَصْغَحُوا أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَنْفِرَ اللَّهُ بِكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فَزَجَّجَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَنْفِقُ عَلَى مَسْطَحٍ.
(٢) عَالَهُ أَهْلُ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ.

قال ابن حرب لليهود مقالة
إن كان حقاً ما زعمتم ، فاعبدوا
خزوا لآلهة ابن حرب سجداً
كفر على كفر رموا بركامه
ستلوا عن العلم القديم فوزروا
قالوا : شهدنا ، دينكم خير لكم
لم تلق إلا فاسقاً وأثيماً
ما نحن نعبد ، واتخذوا التحريماً
لا ينكرون صنيعه المذموماً
والكفر أقبح ما يرى مركوماً
وأذى الزور أن يكون علياً^(١)
من دين صاحبكم وأصدق سياً

* * *

خف الرجال إلى البنية إتهم
عقدوا لهم حلقاً على أستارها
هل ألصقوا الأكلب من سفه بها
كانوا أخف من اليهود حنوماً^(٢)
والله يعقد أمره المحتوماً
أم ألصقوا إحناً بها وكلوها؟^(٣)

* * *

غطفان هبى للكرمية واغنى
كذب اليهود ، وخاب ظنك ، إتهم
لن يطعموك سوى سيوف محمد
ما أ كذب الأحزاب يوم تعاهدوا
جعلوا أبا سفيان صاحب أمرهم
كن كيف شئت ، فلن ترى لك ناصراً
من تمر خير حظك المقسوماً
لم يباؤوا أن يرزقوا المحروماً
وستعلمين ذعافها المطعوماً
أن لا يبالوا الصادق المصوماً
كن يا ابن حرب فائداً وزعيماً
ما دمت لله العلى خصيماً

* * *

(١) قالت قريش : يا معشر اليهود . إنكم أهل الكتاب الأول والعلم القديم ،
أخبرونا عما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمداً ، فديننا خير أم دين محمد ؟ قالوا : بل دينكم خير
من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فآزر الله تعالى (ألم ترك الذين أوتوا نصيباً من الكتاب
يؤمنون بالجبث والطاغوت - الآيات) .
(٢) البنية الكعبة .
(٣) الإحن جمع إحسة وهي الحقد والنصب والكوم جمع كلم وهو الخرج .

جمعوا الجنود ، وجاء ركب خزاعة
حمل الحديث إلى الرسول فزاده
نزلوا على الشورى بأمر نبيهم
قال : انظروا ، أقيم أم تمضي معاً
فأجابه سلمان : نحفر خندقاً
حملوا المساحي والمكائيل ما بهم
هي عندهم لله ، أو هم عندها
حلفت قروم محمد في شأنها
يسعى ويعمل بين عيني ربه
حأب الإمام فما ترى من رائث
حمل التراب ، فظل يثقل ظهره
وإذا رأيت خليفته رأيت به
ومضت بعمارٍ وزيد همة
بيدي الخفي ، ويظهر المكنوم
بأساً ، وزاد المسلمين عزيماً^(١)
يعنى لأتمه السبيل قويماً
نلقى العدو إذا أراد هجوماً ؟
كصنيع فارس في الحروب قديماً
أن يحملوها أنفساً وجسوماً^(٢)
خدامه ، سبجانه مخدوماً
تلقى بيثرب من ذويه قروماً^(٣)
طلق الجلالة ، بالهدى موسوماً^(٤)
إن الإمام يصرف الأموماً^(٥)
ويقاتل الأحشاء والخيروماً^(٦)
لله في توبيهم مأموماً^(٧)
لم تبق من همم الجهد مروماً^(٨)

* * *

(١) العزم عقد الإرادة على الأمر وامضاؤه من غير تردد .
(٢) جمع مسحة آلة من حديد كالخزعة المسكان جمع مكمل وهو الزنبيل يعمل من الخوص -
(٣) حلفت تقنعت والقروم جمع قرم وهو السيد .
(٤) عمل النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق وحمل التراب على ظهره الشريف .
(٥) رائث من راث إذا أبطأ .
(٦) الخيزوم الصدر .
(٧) أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والضمير في (رأيت) عائدة على التراب .

(٨) عمار بن ياسر ، وزيد بن ثابت . كانا يعملان بهمة عظيمة . مسح النبي صلى الله
عليه وسلم رأس عمار وقال : ابن سمية ، تقتلك الفتنة بالآفة . . . وقال في زيد : أما إنه
نعم الغلام .

سلمان أحسن الصنيع وثلته نسباً مضى ، فقضى لك التقديماً^(١)
ما تنافس فيك أعلام الهدى حكم النبي فانصف المظلوما

سلمان منا آل بيت محمد ولقد نسبت فما نسبت زنيا^(٢)
لدين يجمع ، ليس منا من يرى في أهله عرباً ، ويعرف روما
ولأكرم الأتقى تبارك ربنا إنا نطيع كتابه المرقوما^(٣)
لله مولاكم ، وأنتم شعبه لا تذكروا شعباً ولا إقلياً

سمن دعها كدية توهمى القوى وترد كل محدد مثلوما^(٤)
ضرب رسول الله كم من صخرة لم تألها صدعاً ولا تحطياً
من ليس يبلغ من جسارة القوى ما أنت بالفه ، فليس ملوما
بشمر جنودك بالفتوح ثلاثة تدع العزيز من العروش مضياً
وصف اندائن والقصور معشر مثلها صوراً لهم ورسوما
أبصرتها في نور ربك ، ما رأيت عينك آفاقاً لها وتخوما

(١) كان سلمان رجلاً قوياً يعمل عمل عشرة رجال ، فتنافس فيه المهاجرون والأنصار ،
وجمع كل فريق يقول سلمان ما فقال الرسول الكريم سلمان منا أهل البيت .

(٢) الزيم الدعى يسحق بالقوم وليس منهم ، وهم في غنى عنه .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

(٤) استعصت كدية على سلمان ، فأخذ النبي المول من يده وقال ، باسم الله ،
وصرب ضربة فكسر نشأ ، وبرقت برقة . فخرج نور من جهة اليمين . فكبر وقال :
أعطيت مفاتيح الدين ، إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة . كأنها أبواب الكلاب ،
ثم صرب كدية فقطع ثلثاً آخر ، فخرج نور من قبل الروم فكبر وقال : أعطيت مفاتيح
السلام وإني لأبصر قصورها ، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر ، وبرقت برقة فكبر وقال
أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أبواب الكلاب في
مكاني هذه ، وجعل يصفها فيقول سلمان : صدقت ، أشهد أنك رسول الله - قال : هذه
فتوح يفتحها الله بعسى يا سلمان ، والله كسرى في حد المول .

ما زلت تحدث كل أمر معجز لولا النبوة لم يكن مفهومًا
جهل العجائب معشر لم يعرفوا منهم إلا السحر والتنويم
لله أسرار تريك جلاله إن شاء فض كتابها المحتوما
والعلم إن ضل السبيل ، ولم يلد ما يرشد الجهلاء كان عقياً
بلوى ذوى الأسقام أكثرها أذى بلوى أخى عقل تراه سقيماً

بنع الطوى بالقوم غاية جهده وكأنتا طعموا الصفايا الكوما^(١)
جيش يصوم على الذنوب ، ولم يكن لولا أمانة ربه ليصوما
من كل مبتهل يضج مكبراً في الحرب ، يدعو الواحد القتيوما

كانت فتاتك يا ابن سعد إذ أتت غوثاً وخيراً للغزاة عمياً^(٢)
جاءت بيمض التمر ، تطعم والدأ برأ ، وخلا في الرجال كريناً
ألقى عليه الله من بركاته فكفى برحمته ، وكان رحماً
أخذ انتبي قليله ، فدعا الطوى داعى الرحيل ، وما يزل مقياً
جمع الجنود ، وقال : هذا رزقكم فكلوا هنيئاً ، واشكروه نعيماً
فرحوا بنعمة ربهم ، وتبدلوا حثلاً تزيد الكافرين وجوماً

(١) اتصى الجوع ، وقد أصاب النبي وجيذه من شدة في هذه الغزوة ما أصابهم ،
حتى لقد لبثوا ثلاثة أيام بغير زاد ونصفاً من الإبل وعيره خبارها . والكموم جمع كومة .
وهي ذات استقام الضخم من الإبل .

(٢) هي بنت بشير بن سعد ، ما بلغها أن المسلمين يعانون شدة الجوع وهم يفترون
الخدق جاءت ومعها جفنة من التمر ضاماً لأبيها وخالتها عبد الله بن رواحة فأخذ التي خروها
لا يكاد يثلاً كفه الشريف ، ثم دعا بثوب فيطه ووضعه عليه ، وأمر أن ينادى المسلمون :
هلموا إلى نعاء فجاءوا وجلوا ياكلون منه وهو يزيد حتى صدروا ولله يسقط من
أطراف ثوب .

بَعْدَ حَفْرِ الْحَنْدَقِ

لما انتهى المسلمون من حفر الحندق أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجهلوا ظهورهم إلى جبل (سلم) وأن يستعدوا للقاء العدو، ثم أعطى لواء المهاجرين إلى زيد بن حارثة، ولواء الأنصار إلى سعد بن عباد، وأمر بصرف العلماني الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة من سنهم، وكانوا يعملون في الحندق. وكان بنو قريظة على عهد مع صلى الله عليه وسلم، فما زال حيي ابن أخطب يسيرهم كعب بن أسد القرظي حتى نقص منهم، ومزق الصحيفة. وكان أبو سفيان هو الذي حرض ابن أخطب على ذلك.

مضت السيوف، وولت الأرباب
فبلى الهزيمة أيها الأحزاب
لا اللات نافعة ولا أخواتها
كل بلاء واقع وعذاب
في السفح من سلع قضاء راض
واوئيل حين يشور أو ينساب
يبقى القرية. والمنية مخاب
ويصول، والأجل المعجل ناب
هو يا ابن حرب ما علمت وحربوا
الغيب أسأل، والبيوت غضاب^(١)
أشفي سليط وابن عوف ضفكم
أم تمّ ضفن واغر وضباب؟^(٢)
لا بوركت تلك السيوف، فإنها
لتنصيب من أعدائها فتصاب
كل الذي نلتم ونالت من دم
عطب أيتاح لكم معاً وتباب

زيد وسعد في الفوارس، فانظروا
إن كان يصدق نفسه المرتاب^(٣)
الله أكبر، كل شيء دونه
صدق الذين دعاكم فجابوا
ثوبوا جوع المشركين، فإنما
غرركم الأوثان والأصاب

(١) الغيل بيت الأسد وبيل محرم والبيوت الأسد.

(٢) ذهب سليط وسفيان بن عوف من قبل إلى ليستصمأ أخبار اليوم فقتلوا.

(٣) زيد بن حارثة وسعد بن عباد.

هذا الذي صنع الشويبة قاذم: أحب بذلك مشهداً وقدموا^(١)
حيّا النبي. وقال: جئتكم داعياً، ولقد أراقي في الرجال عديماً^(٢)
مالي رعائكم الله غير شويبة. لو زادها ربي بذلت أجساماً
أعددتها لك يا محمد مطعماً يشفيك من سغب. أراه أليماً^(٣)
يكفيك من ألم الطوى وعذابه حجر يظل على الخشا: محزوناً
سار الرسول بخنده، ومشى الذي صنع الشويبة حائراً مهموماً
يارب، صاع واحداً وشويبة: دبر وداو، فقد دعوت حكماً
وضع الطعام، فظل يشرق وجهه بشراً، وكان من الخياء كطيماً^(٤)
وضع النبي يديه فيه، فزاده ربّ يزيد رسوله: تكريماً
تلك الموائد لو يقال لها: انظري شمل الشعوب، رأيته منظوماً
كرم صميم، راح بورث جابراً شرفاً بفوت الوارثين صميماً
والأشهادية إذ يحیی رسوله: يشي بخفتها أغر وسياً^(٥)
الله علمها مناقب دينه فشي الخيال، وأحسن التعليماً
لولا مرأشده تقوم خلقه لم يعرفوا الإصلاح والتقويماً
نهمس الحماة به، ولولم يهتدوا لم يبرحوا في القاعدين جثوماً

(١) هو جابر بن عبد الله صنع شويبة وصاعاً من شعير، وجاء إلى النبي فدعاء إلى بيته وهو يرض أنه سيجيء وحده أو مع رجل أو رجلين من أصحابه، وأمر بلنداة في الجيش: أن هموا مع النبي إلى بيت جابر بن عبد الله. قال جابر، فقلت لانا لله ولانا إليه راجعون، وأخرجنا الشويبة فترك النبي ثم سمي الله تعالى وأكلوا حتى اشدوا عنها وهم أم، وإن برمتنا لنفط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو.

(٢) العديم الفقير.

(٣) السغب الجوع والآليم المؤلم.

(٤) الكظيم المكروب.

(٥) أم عامر الأشهدية، أرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم قطعة فيها حبس وهو في رقبة عده أم ساهه. فأكلت منها ما كلفها، ثم خرج بها على الملأ فذكو منها جميعاً حتى نهوا وهي كما هي والوسيم الجبل.

لا يُعجبني بني قريظة غدُرهم فحمد للغادرين عقاب
هب ابن أخطب فاستزل بكره كعباً ، وأمرُ الجاهلين عجاب^(١)
بالصحيفة إذ يترقها ، أما ينباه عن خطأ الفواة صواب ؟

* * *

خطر الفحول، فأين تذهب فتية مُنذُ السواعد والسيوف رطاب ؟^(٢)
قال النبي دعوا القتال مُعشر بنفوا النصاب ، فلقنات نصاب
إن تذهبوا ناجين من غمراته فلكم إليه مرجع ومآب
لن يُحرموا في الله أجر جهادكم إذ تعملون ويعمل الأصحاب
عنق المجاهد ليس يُغبط حقّه سيّان سيف قاطع وتراب
النفدق الهيجا ، حمّتم عبثها والأمر جدّ ، والخطوب صعب

* * *

هاتيك خيل ابن الوليد وصحبه تدنو فتقطع تارة وتهاب^(٣)

باب من الهيجاء ، لم ترمثه فيما تُسدُّ وتُفتح الأبواب
دُعر القوارس في متون جياهم لما تردّي الفارس الوثاب^(١)
نظروا ، فكان لهم بمصرع نوفل خطب تطيش هوله الألباب^(٢)

* * *

الجو مستعر يشبُّ أواره وبعبُ فيه من اللهيب عباب
جرت النبال به ، يذيب وطيسها بأس الألى لولا الرجاء لذابوا
ماذا لهم بعد الغرور وما لقوا في الحرب ، إن كذب الرجاء وخابوا ؟

* * *

دفعوا الجياد ، وصاح عمرو صيحة هاج الهزبرها ، وماج الغاب^(٣)
شيخ قضى في الغالبين لنفسه فقضى عليه الأشوس الغلاب
يا عمرو خذها من على ضربة هي إن سألت عن الجحيم جواب

* * *

جَبَّان لا سلمت يداك ، ولا سقى أحياء قومك ما حيت سحاب^(٤)

(١) متون الجياد ظهورها تردى هلك .

(٢) هو نوفل بن عبد الله بن المغيرة . أقبل على فرس له ليوثيه الخندق فوقع فيه فندقت عنقه ، وقيل إنه رى بالحجارة ، وأن علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه ضربه بالسيف فشقه نصفين .

(٣) هو عمرو بن عبدود ، أقتل في طائفة من المشركين أكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق كان به ، وكان عمرو شيخاً في التسعين من عمره ، وجعل ينادى مرة بعد أخرى : من يارز ؟ ثم يوبخ المسلمين ويقول لهم : أين جنتكم التي ترغمون أن من قتل منكم دخلها وينشد .

ولقد بحثت من النداء بجمعكم : هل من مبارز ؟
إن الشجاعة في الفتي والجود من خير الفرائز
فقام إليه علي بن أبي طالب وضربه بالسيف على جبل عاتقه فشق قتيلاً ، وكبر المسلمون واهزبر الأسد .

(٤) هو حبان بن العرقعة رى سعد بن معاذ رضى الله عنه بسهم في أكمه عرق في وسط الذراع ، وقد أمر النبي بوضعه في خيمة رفيدة الأسلمية ليؤوده من قرب ، وعرقه اسم جدة حبان . سميت به لطيب عرقها .

(١) قال أبو سفيان نخي بن أخطب : إئت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد فذهب إلى كعب بن أسد لقرضى سيد بني قريظة وولى عهدهم الذي عاهدكم الرسول الكريم عليه ، وأخذ يدق باب حصنه وهو لا يفتح له ، وألح عليه ، فقال له : ويحك يا حي . إنك رجل مشنوم ، ولأن قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً ثم ألح عليه ففتح له . فقال له : ويحك يا كعب ، جئتكم بمنزلة الله ، جئتكم بقريش حتى أنزلتهم بجميع الأسياال (مكان) وبسطفان حتى أنزلتهم بجانب (أحد) قد عاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . فقال كعب - جئتني والله بذل الدهر وبكل ما يغشى ، فإني لم أر في محمد إلا صدقاً ووفاء ، فلم يزل به حتى قضى العهد ومزق الصحيفة .

(٢) هم القلماني الذين أمر النبي بردمهم إلى أهاليهم والمذبح أملود وهو الرطب الناعم .

(٣) لما نظر المشركون إلى الخندق قالوا : والله إن هذه لمكبدة ما كانت العرب تكيدها وصاروا يتناوون ، فيندو أبو سفيان وأصحابه يوماً . وندو خالد بن الوليد يوماً ، وندو عمرو بن نضال يوماً ، وندو هيرة بن أبي وهب يوماً ، وندو عكرمة ابن أبي جهل يوماً . فلا يزلون يحيلون خيابهم ، ويفتقون مرة . ويجمعون أخرى ويناولون المسلمين ، وكان لأمر في هذه الحركة لا يتعدى إلى بنيل واخصى .

أرسلته سهماً ، تضعجُ هوله من ذارميت ؟ رماك ربك بالتي
تهدئ من صدماتها الأصلاب
أخزيت أمك لا تُحدث بعدها
عن طيب أمك هاهنا الأطياب
دم من جرح ، وإن جهلت مكانه
في القوم ، مسك ساطع وملاب^(١)
سعد العشرة والكتيبة حوله
أسد العرين ، تزينها الأحصاب
الفارس - المرجوُّ يقدم قومه
عند الوغى ، والسيد المتتاب^(٢)
إن جدَّ جدَّ الضرب ، فهو مهتد
أوجنَّ ليل الخطب ، فهو شهاب

* * *

أغرى عينه وابن عوف مطمع
يعيا بأيسر أمره الطلاب^(٣)
تركا أباسفيان في غفلاته
وكانما يُلقى عليه حجاب
لم يبصر الذئبين حين تسالا
ومن الرجال ثعالب وذئاب
قالا - رضينا السم ، يشبع قومنا
تمراً ، وراضى السلم ليس يعيب
تمر المدينة إن أصبت نصفه
فلكم علينا ذمة وكتاب
ندع اقتتال ، وإن أبي حنظلون
فاشتدَّ لوم ، واستحرت عتاب^(٤)

(١) الملاب نوع من الضَّيب .

(٢) الذي يقصد في الكبير من الأمور ، أو للغير .

(٣) عيينة بن حصن الخزاعي . جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستخفياً من أبي سفيان ومعه الحارث بن عوف الطري ، وطلبا منه أن يتضعضعاً نصف ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معه عنه . فأبى عليهما إلا شئت ، وبث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه . فقالا : يرسل الله . أمراً نحب فنعطيه ، أم شيئاً أمرك الله به إلى آخره فقلنا - لو أمرني الله ما شاورتكما - فلا : إن كان لإعما هو الرأي فاهم عندنا إلا السيف - وقال سعد بن معاذ : قد كسنا نحن وهؤلاء القوم (يعني غطفان) على الشرك بالله وعبادة الأولياء ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرى أو يبعأ ، نحن أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، ونعربك وبه . فتضعضع أموالنا ؟ وفوق قول آخر - فعطى المدينة ملأنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله - قال له النبي : فأت ذلك . وقال لعبدية وصاحبه : ارجعا . بيننا وبينكم السيف .

(٤) ستر يعني شدة

لهم الكريهة ، يُطعمون سمومها ولنا طعام سائح وشراب

* * *

هاجا من السعدين سورة غضبة هي للضراغم شيمة أوداب
أيا اصطناع الرأي في وهج الوغى لم تصطنعه قواضب وحراب
وتنازعا نظراً يهول ومنطقاً يوهي القلوب الصم ، وهي صلاب
من مُم ؟؟ أيحمل أن يقال : تحكموا فينا ، ونحن السادة الأقطاب ؟
نحى مدينتنا وتمنع نخالها من أن يحوم على جناح ذباب

* * *

قال النبي بدا المغيَّب ، فارجعا ولكل نفس موعد وحساب
النصر عند الله ، يجعله لنا إن شاء ، وهو النعم الوهاب
صبراً على حرِّ القتال ، فإنه خطب يزول ، وغمرة تنجاب

* * *

شغل القتال عن الصلاة ، وإنها سكن لنا من ربنا وثواب^(١)
قم يا بلال مؤذناً لنقيمها سكن القتال ، وزالت الأسباب
رباً ارمهم بالنار ملء بيوتهم وقبورهم ، فلو اتقوك لتابوا^(٢)
وبيأسك انصرنا ، وزلزل جمعهم ترل الهوم ، وتذهب الأوصاب

(١) استمر القتال بين الجيشين إلى الليل ، فلم يصل النبي ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء . فصاروا يقولون . ما صلينا ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه ولا أنا ، ثم أمر بلالاً فأذن وصلوا .

(٢) ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى ، ومن دعائه عليهم - اللهم عزّل الكتاب سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم .

عباد بن بشر رضي الله عنه

كان عباد بن بشر رضي الله عنه لا يفارق قبة الرسول الكريم ساعة من الليل ، فهو يبني طائفاً حولها يحرسها من الأعداء ، وكان بالحنديق ثلثة يتفقدنها صلى الله عليه وسلم بالليل مرة بعد أخرى ويقول : ما أخشى أن يؤتى المسلمون إلا منها ، وقال مرة : ليت رجلاً صالحاً يحرس هذه الثلثة اللبّة . فسمع صوت السلاح . فقال : من هذا ؟ قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : أنا يا رسول الله جئت أحرسك . قال : عليك هذه الثلثة فاحرسها ، وطافت خيل المشركين بالحنديق . فبعث عباد بن بشر وأصحابه في وجوههم ، ورمهم المسلمون بالنبل فانتقموا .

من ينم عن لُذم أو نخذم فابن بشر ساهر لم ينم^(١)
بحرس القبة ما فيها سوى حارس الجيش وحامي العلم
هبّ يدعو : يا ابن بشر خنّى إنها الخيل أراها ترتى
كل لحم من جنودى ودم فهو لحى يا ابن بشر ودى
خنّى واذهب إلى القوم الألى قذفونا بالرعييل المقدم^(٢)
إمض في صحبتك ، إني هاهنا في حمى الله الأجل الأعظم
إحرسوا الخندق وارموا دونه لا تخافوا كل غاو مجرم
أدركوا سدا وكونوا مثله إن رمى في الله سهماً أو رمى
حارس الثلثة ، يُلقى حولها صخرة من عزمه لم تُثلم
أدركوه ، واهزموها قوة لن تنالوا النصر ما لم تُهزم
انصروا الله ، وصنوا دينه إن خير الدين دين المسلم

(١) اللهم الحاد الفاعل من الأبنّة .

(٢) الرعييل القطعة من الخيل .

هو إن طمّ على الأرض الأذى رحمة الأرض ، ومحيا الأمم^(١)
وإذا ما أظلمت أرجاؤها فهو نور الله ماحي الظلم

ذهب الصحب كراماً ، ورموا بيد الله الأعز الأكرم
يذهب السهم سديداً راشداً فهو ملء العين أو ملء الفم
وهو في النحر قضاء آخذ نفذ في كل سد محكم

عادت الخيل سراعاً وبها من جنود الله مثل اللم^(٢)
وتولّى الجند في زلزلة تصدع الفيلق ، إن لم تهدم

حارت الأحزاب : ماذا تنتوى وبين فيما دهاها تحتى^(٣)
خذلتها في الوغى آلهة لو هوى الوادى بها لم تعلم
تطلب الفوث وما من سامع أى غوث يرتجى من صنم ؟
يا زعيم القوم أيقن واستفق إنه الحق الذى لم تزعم
يا زعيم القوم هل من نادم ؟ إنما يهلك من لم يندم
نهض القوم برأى مبصر ودهتكم عثرة الرأى العم
استفيقوا ، وانبدوا أربابكم أو فذوقوا البأس مرّاً المطعم
إنكم ممن كرهتم دينهم بين نابتى كل صيل أرقم^(٤)

(١) طم الأمر غلب وثقافه .

(٢) اللم الجنون أو طرف منه .

(٣) انتوى بمعنى قصد .

(٤) الصل الحية . والأرقم صفة لأخت الحيات وأطلبها للناس ، أو ما فيه يباس وسواد منها ، أو هو الذكر خاصة .

نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيُّ وَجُنُودُهُ

قدم نعيم بن مسعود الأشجعي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني أسألت ، وإن قومي (غطفان) لم يعلموا بإسلامي . فرني بما شئت : فقال له ، إنما أنت رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فإن أخرب خدعة ، وأجاز له أن يقول ما أراد ، فذهب إلى بني قريظة وكان لهم نديماً ، فأخذهم بدهائه ، وقال لهم كالناصح الأمين ، لقد رأيتم ما وقع لبي قينقاع وابني النضير من إجلالهم وأخذ أموالهم ، وإن قريشاً وغطفان يسوا مثلكم . البلد بلدكم ، وبها أموالكم ونساؤكم وأبنائكم ، لا تقدرون على أن ترحلوا منه إلى غيره ، فإن رأي مؤلّا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحذوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به ، فلا تقالوا معهم حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم سبعين رجلاً يكونون بأيديكم : قالوا ، أشرت بالرأي والنصح ، ودعوا له وشكروه . . . ثم ذهب إلى أبي سفيان ومن معه من أشراف قريش فقال قد عرفت ودي لكم وفراق لحمد ، ولأن ناصح لكم ، إن مشر يهود ندموا على ما صنعوا من قرض عهدهم الذي أعطوه محمداً ، وقد أرسلوا إليه وأنا عندهم يقولون : هل يرضيك أن تأخذ لك من قريش وغطفان سبعين رجلاً من أشرافهم تضرب أعناقهم وترد جناحها الذي كسرت إلى ديارهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم لقبول ذلك منهم . . . ثم ذهب نعيم إلى غطفان فقال : ألكم أهلي وعشيرتي ، وأحب الناس لي ، ولا أراكم تهمونني : قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم ، فقال لهم مثل ما قال لقريش ، فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ودهوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر منهم ، فقالوا لهم ، إنما لسنا بدار مقام وقد هلك الحف والمافر . . . فعدوا للقتال حتى تناجز محمداً وقرئ مما بيننا وبينه . . . قالوا إن غداً تسبت وقد علمتم ما أصاب الذين اعتدوا منا يوم السبت . ومع ذلك فإنا لا نقابل معكم حتى تعطونا سبعين رجلاً رهناً . قالوا صدق والله نعيم .

اختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً فقلت بيوتهم وكفأت فدورهم ، وسفت عليهم التراب ، ودمتهم بالمص ، وكانوا يسبحون في أرجاء معسكرهم بالكبير وقطعة السلاح ، ومزق الله سمعهم فأهلبوا حارسين . يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارس على أيديهم ورحموا وجنوداً ثم تروها .

أقبل نعيم هداك ربك ساريا
جئت النبي فقلت ، إني مسلم
مرفى بما أحببت في القوم الألى
قال : ارمهم بالرأى ، يصدع بأسهم
عد يا ابن مسعود إليهم راشداً
قال : استعنت بمن هداك بنوره
ومضى فهزّ بني قريظة هزة
قال : اتبعوا يا قوم رأي نديمكم
أما رأيتم ما أصاب محمد
جهلوا ، فعاجلهم بيأس عاصف
فدعوا قريشاً لا تظنوا أمرها
إن البلاد بلادكم ، فإذا اثنت
إن تأخذوا سبعين من أبطالهم

■ * ■

وأتى قريشاً في مخيلة ناصح
يا قوم إن بني قريظة أحدثوا
قال للنبي . إنهم ندموا على
بعثوا فقالوا يا محمد ما ترى

وكفى بربك ذي الجلالة هادياً^(١)
من أشجع لم يدر قومي ما بيا
كرهوا الرشاد أكن لأمرك واعيا
عنا ، ويتركه ضعيفاً واهيا
واصنع صنيعك آمراً أو ناهيا
ومحا بملك الظلام الداجيا
يقتال راجفها الأشم الراسيا
إني محضتكم الوداد الصافيا
من قومكم لما أطاغوا الغاويا؟^(٢)
لم يبق منهم في الجزيرة ثاويا
من أسركم أما ولا متدانيا^(٣)
ومضى البلاء ، فلن تصيبوا واقيا
رهناً ، يكن حزماً ورأياً شافيا

بيدى الهوى ، ويذيع سرّاً خافياً^(٤)
أمراً طفت له أعض بنانيا
ما كان منهم ، إذ أجابوا الداعيا^(٥)
إن نحن أحسناء أتصبح راضيا؟

(١) كان يحثه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالليل .

(٢) حي بن أخطب .

(٣) الأمام القريب .

(٤) المخيلة هنا ما يظن ويتوهم .

(٥) حي بن أخطب .

نعطى سيوفك من قریش مُثْلَةً ونسوق من غطفان جمعاً رايياً^(١)
من هؤلاء، وهؤلاء نعمدهم سبعين تقتلهم جزاء وافيأ
وترد إخواننا إلى أوطانهم بعد الجلاء، وكان حكمتك ماضياً
كانوا على حدث الزمان جناحنا فتركت ناهضه كسيراً دامياً

* * *

ومشى إلى غطفان ينبئهم بما سمعت قریش أو يزيد مُحايياً
أهلى منحت نصيحتى، وعشيرتى نبهت، أخشى أن يحل مصاييا

* * *

هفت المحاوف بالنفوس، فزُكِلت ومضت بها هوج الظنون سوافياً^(٢)
لم يُبق منها الأشجعى بمكره ودهائه غير الهواجس باقياً

* * *

جلس ابن حرب فى سراة رجاله هماً يطالعههم، وخطباً جاثياً
والرَهْط من غطفان ينظر واجماً حيناً، ويهدر عاتباً أو لاحياً
لبشوا، يدير الرأى كل مجرب منهم، فيالك حيرة هى ماهياً

* * *

بعثوا، فقالوا لليهود تَهَبُوا للحرب، نظوى شرها التهادياً
لم يُبق من خُفٍ ولا من حافر إلا سيصبح هالكا أو فانياً^(٣)
طال المقام، ولا مقام مُعْشَر نزلوا من الأرض البعيدة النائياً
أُمت منازلهم بأرض عدوهم والموت يحظر رأحاً أو غادياً

(١) الثلة الجماعة، ورايياً زئداً.

(٢) من الهوج بفتحين وهو الطيش والتسرع. وهوج جمع أهوج وهو حار.

(٣) المراد ذوات الحف والخافر من الإبل والميل ونحوها.

قالوا: أيوم السبت نبرز للوغى ولقد علمنا ما أصاب الباغيا؟
لسنا نقاتل، أو تُؤدُّ وارهنكم إنا نرى الداء المكمم بادياً
سبعين إن ختم قضينا أمرنا فيهم، ولن يجدوا هنالك فادياً

* * *

غضب ابن حرب ثم قال لقومه صدق ابن مسعود وخب رجائياً
غدر اليهود وتلك من عاداتهم يا قوم، ما للغادرين وماليأ؟
هاكنت أحسب، والخطوب كثيرة أن الأحبة يصبحون أعادياً

* * *

هذا بناء القوم مال عموده فوهى، وأصبح ركنه متداعياً
هدم الإمام العبرى أساسه وسما بدين العبقرية بانياً
شيخ السياسة ليس يبعث غارة أو يبعث الرأى المظفر غازياً
الله علمه. فليس كفته فن، وإن بهر العقول معانياً

* * *

الله أرسله عليهم عاصفاً متمرداً يدع الجبال نوازياً
شرس القوى، عجلان أهوج يرتى يزجى الفوائل مستبداً عاتياً
ما لامرئ عهد يظن بمثله من بعد عادٍ رائياً أو راوياً
قلب المنازل والبيوت فلم يدع إلا مصائب مثلاً ودواهياً
ألقى على القوم العذاب، فما يرى متزحزحاً عنهم، ولا متجافياً
الأرض واسعة الجوانب حولهم مامسٌ منها عامراً أو خالياً^(١)

* * *

(١) كانت الريح تقلبهم وتضربهم بالحجارة ومى لا تتجاوز عسكرهم.

نزلت جنود الله رعباً بالقاء
وأتى حذيفة في مدارع غيب
يتلمس الأخبار : ماذا عندهم ؟
جاء الرجال ، يدس فيهم نفسه
بيدَي معاوية وعمره أمسكت
لولا الرسول ودعوة منه مضت
بلغ البلاء بهم مده ، فلم يجد
يدعو أبو سفيان يا قوم انظروا
فيم المقام ؟ كفى التعلل بالنفي
حسبي على ألم الرحيل وحسبكم
ثم اعتلى ظهر البعير ، وقال : سر
فاهتاج عكرمة وقال : أهكذا
ملأ القلوب ، فما برحن هوافيا^(١)
ألقى على الدنيا حجاباً ضافيا^(٢)
أأفاق غاويهم ، فيصبح صاحبيا ؟
والخف يرقبه مخوفاً عاديا^(٣)
كلنا يديه موارباً ومداجيا
لحقى الأسنة والسيوف مواضيا
منهم سوى شاك يطارح شاكيا
إنا وجدنا الأمر صعباً قاسيا
هبوا ، فإنى قد مللت مقاميا
أن يرجع الجيش العرمم ناجيا^(٤)
لا كان ذا الوادى المروغ واديا
بين الزعيم ألا تقيم لياليا ؟^(٥)

(١) أرسل الله الملائكة في هذه الفزوة ففقدت الرعب في قلوب المشركين وهوافيا من هفا القلب إذا ذهب في أثر الشيء والمقصود ذمل .

(٢) حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، دعاه الرسول الكريم ليأتيه بأخبار القوم وقال له : اذهب فحفظك الله من أمامك ومن خالك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع إلينا .

قال حذيفة : فبحث إليهم ودخلت في غمارهم ، فسمعت أبا سفيان يقول : يا معشر قريش ، ليعرف كل امرئ منكم جلسه ، واحذروا الجواسيس والعيون ، فأخذت بيد جليسى الذى على يميني ، وقلت من أنت ؟ قال : معاوية بن أبي سفيان ، وقبضت يد من على يساري . وقلت من أنت ؟ قال : عمرو بن العاص ، - نعلت ذلك خشية أن يظن بي ، فقال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله لستم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون . فارتحلوا فأتى مرتحل ، ووئب على جملة . . والنهب الضمة الشديدة .

(٣) الخف - الموت .

(٤) الجيش العرمم الكثير .

(٥) عكرمة بن أبي جهل ، قاله لأبي سفيان ، لك رأس القوم وقائدهم : تذهب وتترك الناس ؟ فاستجيا أبو سفيان واناخ جملة ، وأخذ بزمامه وهو يقوده ، وقال للناس : إرحلوا ففعلوا يرحلون .

أنزل ، وسرفى القوم سيرة ماجد
نزل الزعيم يجر حبل بعيره
ويقول : سيروا مسرعين ورائي

ساروا وقال ابن الوليد أماننا
يا عمرو أن تلقى الليث ضواريا ؟^(١)
إن كنت صاحب نجدة فأقم معي
وليبق من رزقوا النفوس أوايا
أيما الرحيل حمية فتخلفا
وأباه قوم يتقون الزاريا
ثم استبد بهم قضاء غالب
ففضوا ، وأدبر جمعهم متراميا

ومضى حذيفة بالبشارة يبتغى
عند النبي بها الحل العاليا^(٢)
وإفاه في حرم الصلاة وقدها
والنور نور الله يسطع زاهيا
حتى قضاها سمحة مقبولة
متهجداً ، يتلو الكتاب مناجيا
ركعات ميمون النقية مشرق
ترد السماء أهلة ودراريا
سمع الحديث ، فراح يحمدربه
فرحاً ، ويشكر فضله المتوايا

إن يجمع القوم الجنود ، فإنما
جمعوا مزاعم تفتري ودعاويا
جمعوا لأغوال يطول غليلها
تأتما تحامها النون تحاميا
من كل مقتحم ، سواء عنده
ورّد المنية شارباً أو ساقيا

سر في عبيدك يا ابن حرب إنما
لاقيت منهم سادة ومواليا

(١) أقام خالد بن الوليد وعمره بن العاص في مثنى فارس بعد مسير أبي سفيان وعسكره ثم لحقوا بهم .

(٢) رجع حذيفة بن اليمان إلى الرسول الكريم وهو يصلى ، فماتت الصلاة نبأه بما كان من أمره وأمر المشركين فضحك حتى بدت ثناياه ثم حمد الله وشكره .

ألم تروا اللواء مشى إليكم به وبسيفه البطل المهول؟
حذار بني قريظة من على ولا يغركم الأطم الطويل^(١)
وما يجديكم الهذيان شيئاً وهل يجدي الخَبَل ما يقول؟
وما لبني القروء سوى المواضي يكون لها بأرضهم صليل^(٢)

* * *

تواروا كالنساء محجَّبات حمتها في المقاصير البعول
خلا الميدان ، لا بطل ينادى ألا بطل؟ ولا فرس يحول
أقاموا مُحَجَّرِينَ على هوان أقام ، فما يريم ولا يحول^(٣)
يرتق عيشهم جوع وخوف كلا الخطبين أيسره جليل^(٤)
يبيت الهم منتشراً عليهم إذا انتشرت من الليل السدول^(٥)
يفهم السهاد ، فلا رقاد يطيب لهم ، ولا صبر جميل
يخاف النوم أكثرهم سهاداً كُن النوم في عينيه غول
إذا مالت به سِنَّة تنزى بظن جوانب الدنيا تميل^(٦)
تطوف بهم منايهم ظنوناً توهجُ في مخالبها النصول

(١) الأطم الحصن .

(٢) إشارة إلى قول الرسول الكريم لم. وقد دنا من حصنهم - يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقته؟ ، فإن علياً كرم الله وجهه أقبل على الحصن في جماعة من المهاجرين والأنصار ، وغرز اللواء عند أصله . فسمع من بني قريظة كلاماً بذيئاً في رسول الله وأزواجه ، ثم رآه مقلداً فأوصى أبا قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن يلزم اللواء وخف إليه فقل : يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخاب ، قال : لعلك سمعت منهم لى أذى قال نعم فدنا من الحصن وقال لهم : يا إخوان القردة . . .

(٣) أحجره غطاءه وستره ، كذبة عن بقائهم في الحصن رام مكانه زال عنه وفرقه .

(٤) يرتق بمعنى يكدر .

(٥) جمع سدول وهو السر .

(٦) تنزى توثب وتسرع .

بهم وبحصنهم مما دهاهم وحق بهم جنون أو ذهول

* * *

يقول كبيرهم يا قوم ماذا ترون؟ أهكذا تَمَعَى العقول؟^(١)
أليس محمد من قد علمتم فما الخَبَل المُلح ، وما الفقول؟^(٢)
رسول الله ما عنه صدوف لمن ينفى النجاة ، ولا عدول
أبعد العلم شك؟ بل ضلتم على علم ، وذلكم الفول^(٣)
هملوا تتبعه ، فإن أيتهم فليس لنا سوى الأخرى بدليل
نضجى بالنساء وبالذراري ونخرج ، والدم الجارى يسيل
بأيدينا السيوف مسالات نصون بها الذمار إذا نصول
فإلا تفعلوا فاقوم منا بمنزلة تنال بها الذحول^(٤)
لهم منا غداً بالسبت أمن فإن تك غرة شفى الفيل
هملوا بالقواضب إن أردتم فما ينفى التردد والنكول

(١) كعب بن أسد ، قال لهم - يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون ولانى عارس عليكم خلا ثلاثاً ، أيها شتمت فذاك قالوا . وما هي؟ قل نابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل ، وأنه الذي تجدونه في كتابكم ، فتؤمنون على دماءكم وأموالكم ونساءكم وأبنائكم ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب ، حيث لم يكن من بني إسرائيل ، ولقد كنت كارهاً لنقض العهد ، ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا المجلس (يعنى حبي بن أخطب) أخذ كرون ما قال ابن خراش حين قدم عليكم ، أنه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصاراً فتكثروا قد آمنت بالكتابين . الأول والآخر - قالوا : لا تفرق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره : قال : فهل قتلتم أبناءنا ونساءنا ، ثم تخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف فإن تهلك تهلك ولم تترك وراءنا مثلاً ، وإن نظف فلعمرى لنجس النساء والأبناء . . . قالوا : قتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم؟ قال - لأن الليلة ليلة السبت . وأن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها ، فنزلوا لعلنا نصيب منهم غرة ، فقالوا قسدت سبتنا وأبوا .

(٢) الفقول بمعنى الفعلة .

(٣) الفلول - الحيانة .

(٤) الذحول جمع ذحل والتحل التآثر .

عصوه ، وراضهم عمرو بن سعدى فما اجْتَنِبَ الجَاح ولا الجَفول^(١)
أبوها جزية ثقلت عليهم وقالوا : بسما يرضى الذليل
ففارقه على سخط وضغن وراح يقول : لا نعم القليل
نهم قبل ذلك أن يخونوا فكان الغدر والداء الويل

* * *

توالى الضر عبثاً بعد عبء فهذه قوامم العبء الثقيل
دَعَوْا يستصرخون : ألا دواء فقد أشفى على الموت العليل ؟
لعل أبا لبابة إن ظفروا بتقديمه لعزتنا مقيم^(٢)
وأرسله النبي لخائفوه وقالوا : لا يصاب لنا قتيل
لكم منا السلاح إذا أردتم وتنطلق الركائب والحول
وعاد ، فراجعوه على اضطرار وهان عليهم المال الجزيل
إليك أبا لبابة ما منعنا وشرُّ المال مامع البخيل
خذوه مع السلاح ، وأطقونا فحسب محمد منا الرحيل
فقل : دماؤكم لا بد منها وذلك حكمه ، فتي القبول ؟
أجب يا كعب إن الأمر حتم فإذا بعد إلا المستحيل
وما من معشر يا كعب إلا على حكم النبي لهم نزول

(١) قال لهم عمرو بن سعدى : خالفتم محمداً ولم أشرككم في غدركم ، فإن أبيتم أن تدخلوا
معه فانيثروا على اليهودية ، وأعضوا الجزية . فأبوا ، وغضب فقال - لى برىء منكم ، ثم
فارقه ولم يعد إليهم .
الجفول النفور من كل شيء .

(٢) لما جاءهم أبو لبابة رضى الله عنه واسمه (رفاعه بن المنذر) قام إليه الرجال وأسرع
النساء ولأفعال يكنون في وجهه ، وقالوا يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد (أن
لا تحقن دماؤهم وأن لا تترك لهم نسأهم وأبناءؤهم) قال - نعم ، فأبوا وقالوا : تترك السلاح
ونجيو ، فلم يقبل النبي ، وعادوا فقالوا تترك السلاح والمال ، فكذلك .

نصحت لكم ، وما للقوم عذر إذا نصح الخفيف أو الخليل

* * *

هووا من حصنهم ، وكذلك تهوى وتهبط من معاقبها الوعول^(١)
وجاءوا ضارعين ، لهم خوار يجاوبه بكاء أو عويل
بيث الوجده مبتئس حزين وتذرى الدمع والهة ثكول
قضاء الله من قتل وسبي مضى ، والبني دولته تدول

* * *

يقول الأوس إن القوم منا على عهد ، وقد طمت السيول^(٢)
موالينا ، إذا خطب عنانم عنانا ما يشق وما يعول
وهم حلفاؤنا ، نحنو عليهم ونحذب إن جفا الحديب الوصول
أنتقلهم بأيدينا ؟ ؟ فغفوا رسول الله إن أثم الضلول
فقال : جعلت أمر القوم طراً إلى سعد فنعم هو لوكيل
وجىء به ، يقول له ذروه ترفق ، إنك المولى النبيل^(٣)
فقال : دعوا اللجاج فان سعداً بنصرة ربه الأعلى كفيل

(١) نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم فبرزوا من الحصن . وجاءوه أذلاء ضارعين .
فأمر بهم فكفوا ، وأخرج النساء والذراري فجللوا ناحية - الوعول جمع وعل . وهو النيس .
الجبلى أو ذكر الأروى .

(٢) توائمت الأوس وقالوا يا رسول الله . موالينا وحلفاؤنا ، وقد نعت في مولى اخواننا
بالأمس ما قد ضلعت يثنون بنى قينقاع حلفاء الخزرج وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبي بن سلول ،
فوجههم له على أن يجلبوا - فقال : أما يرضيكم يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا :
بلى - فقال : فنلك إلى سعد بن معاذ .

(٣) بعث النبي إلى سعد بن معاذ وكان في خيمة رفيقة الأسلية فحمله بعين قومه على
حمار وهم يقولون له : يا أبا عمرو أحسن في مواليك . فبى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحاولته
ذلك لتحسن فيهم ، فقد رأيت ابن أبي وما صنع في حلفائه - كانوا يقولون ذلك له وهو
ساكت فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه : لقد آسن لسعد أن لا تأخذوه و الله ذمة لأمة .
فصاح بصهم : وقوماه .

فصاح يقول : واقوماه منهم رجال عزمهم واه كليـل^(١)
أتى ، فأقرَّ حكم الله فيهم وآل الأمر أحسن ما يؤول^(٢)
على والزبير لكل غضب صقيل منهما غضب صقيل^(٣)
هما استبقا نفوس القوم نهياً وروح الله بينهما رسيـل^(٤)

* * *

تقدم يا حيُّ فلا يحيص وردٌ يا كعب ما ورد الزميل^(٥)
لكل من شقاء الجذِّ ورد وسجل من منيته سـجيل^(٦)
أصابكم من الأقدار رام هوى بكما ، فشأنكما ضليل
لبئس السيدان لشر قوم هم البرحاء والداء الدخيـل^(٧)
منابت فتنة خبثت وساءت فلم تطب الفروع ولا الأصول
قوب من سواد القوم عثى وألباب من الزعماء حول
أضامهم الغباء ، فهم كثير وعمهم البلاء ، فهم قليل

* * *

(١) واه كليـل : بمعنى ضعيف .
(٢) جاء سعد فتان لبي قريظة : أترضون بحكمي ؟ قالوا نعم - قال : فإني أحكم فيكم أن تقتل الرجال ، وتغنم الأموال . وتسبي الذراري والنساء .
(٣) كان الذي تولى قتلهم على بن أبي طالب والزبير بن العوام . رضى الله عنهما .
(٤) الرسيـل المرسل ، والموافق في النضال وغيره .
(٥) جرى بجي بن أخضب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فقال له النبي : ألم يمكن الله منك يا عدو الله ؟ قل بلى ، أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكن من يغفل الله يغفل ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه . أما كعب بن أسد فقال له بعض قومه : يا كعب ما تراه يصنع بنا ؟ قال : في كل موضع لا تغفلون ، أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل . قد دعوتكم إلى غير هذا فأسيتم على ، قالوا : ليس حين عتاب .
(٦) السجل الدلو . وسجيل بمعنى عظيم ، ولا يقال له سجل إلا إذا كان ممتلئاً ، واجد الخط .
(٧) برحاء الأذى الشديد .

تخطفهم هربت الشدق صار له من محكم التنزيل غيل^(١)
فأنجت النساء ولا الذراري ولا سلم الشباب ولا الكهول
تهللت المنازل والمغاني وأشرقت المزارع والحقول
وبات الحصن مبتهجاً ، عليه لآل محمد ظل ظليل

* * *

لعمر المالكين لقد تأذى تراب في حفائهم مهيـل^(٢)
طوى رجساً تكاد الأرض منه تمور بمن عليها أو تزول^(٣)
يساق السبي ، شرذمة بنجد وأخرى بالشأم لها أيل^(٤)
جلائب ، لا أب في السوق يحى ولا ولد يذب ، ولا حليل^(٥)
تجر على الموان ، ولا مفيت بأرض ما تجر بها الذيول
أصاب المسلمون بها سلاحاً وخيلا في قوائمها الحجول
مكرمة ، تعد لكل يوم كريم الذكر ، ليس له مثيل
إذا ذكرت مناقبه الفسوال تعالت أمة ، واعتز جيل
مناقب ما يزال لها طلوع إذا الأفار أدركها الأفول
لها من نابه الأدب انبعاث فما يخفى زواهرها الخول
ضمنت لها البقاء وإن عنتى من الدهر العوائق والشمول
وماتغنى الخزائم حين ملوى إذا انطلقت لحاجتها الفحول

(١) واسع الشدق . من صفات الأسد ، والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم .
(٢) أمر النبي فحضرت الحفائر ، ثم أتى قتلى بني قريظة فيها وهيل عليهم التراب .
(٣) تمور تضطرب .
(٤) بعث النبي سعد بن زيد الانصاري ببعض سبائ بني قريظة إلى نجد ، وسعد بن عباد . بعض منها إلى الصمام لبتاعا بها خيلا وسلاحاً - الأليل الأفي ، ورفع الصوت بالصراخ عند المصيبة .
(٥) جلائب مسوقات يذب يدفع .

ثابت بن قيس رضي الله عنه والزبير بن ساط

كان الزبير بن باطا (بزاي مفتوحة ، وقبل مضمونة) شيخاً من بني قريظة من على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعثت حرب بين الأوس والخزرج كان الضفر فيها للأولين أخذه فخرنا صيته ، ثم خلى سبيله .
سأل ثابتاً رضي الله عنه أن يشفع له لدى النبي صلى الله عليه وسلم لينجو من القتل ، فجاءه وذكر له ما كان من أمره معه ، وقال : يا رسول الله لأنها يد أحفظها له ، وأحب أن أجزيه بها ، فقال : هو لك ، وعاد فأخبر الزبير فقال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ ورجع ثابت فسلم النبي في أهله وولده . فقال : هم لك ، وأخبر الشيخ فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ ؟ وشفع ثابت في ماله ، فقال له الرسول الكريم : هو لك .

قال اليهودي : أما أنت فقد قضيت ما عليك . فإذا فعل بالذي كان وجهه امرأة مضيئة ، تذا أي منها عذارى الحى يعنى كعب بن أسد سيد بني قريظة قال ثابت . قتل ، قال ، فافعل بسيد الحاضر والبادي من يحملهم في الجذب . ويضعهم في الحبل . حي بن أخطب ؟ قال . قتل . ثم سأله عن آخرين من سادات قومه . فقال ، قتلوا ، قال أسألك يا ثابت أن تلحقني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، أ أرجع إلى دار قد كانوا فيها حلولا فأخلد فيها ؟ ؟
قال ثابت : ما كنت لأقتلك ، وقدمه إلى الزبير بن العوام رضي الله عنه فقتله .

كذلك يشقى الجامع المتعسف ويركب متن الظلم من ليس ينصف
يموت بسوء الرأي من ساء خلقه والجرء ذى التقوى عن الغنى مصرف
أضاع الزبير الأمر والأمر مقبل وآثر حد السيف ، والسيف يصدف
سعى ثابت يحزبه سالف صنعه لدى محسن يسدى الجميل ويعطف
فقال رسول الله جنتك شافعاً لشيخ دعاني ضارعا يتلهف
حباني دى يوم البعث وفككتي وتلك يد بيضاء للشيخ تعرف
فيه رسول الله لى إني به على ما ترى من شأنه مكلف

تخلد لها مصونات حسان حرائر ، مالهأ أبداً مُذيل
صفايا الشعر ، لا خلق زري يُخالطها ، ولا أدب هزيل
لعل الله يجعلها ربيعا لألباب أضرب بها الحول
فوا أسفا ، أتطمعنى اقوافي فيخلف مطمع ، ويخيب سول ؟
وواحربا ، أما يُرجى فكك لأمرى ما تفارقها الكبول ؟^(١)

(١) يقصد الأهم الإسلامية العلوية على أمرها في أيامنا هذه .

سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِيْمَةِ رَفِيدَةِ الْأَسْمِيَّةِ

نا روى حبان بن العروة سعد بن معاذ رضى الله عنه في غزوة الخندق
بهم في أكله أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يوضع في خيمة رفيدة الأسمية
رضي الله عنها ، وكانت في جانب من مسجده ليهوده من قرب ، فلما عاد
إليها جد أن أمضى رأييه في بني قريظة انفجر جرحه ، فذا الذين في المسجد
يرون الدم يسيل إليهم - وله هدير من خيمة زوح رفيدة ، وهو من (بنى
غفار) فسألوا فقيل لهم : إنه سعد بن معاذ انفجرت جراحته فأت - وقد
كان سأل الله حين أصابه ذلك السهم أن لا يميته حتى يشق صدره من بنى
قريظة وقد شفاه .

هدأ الخيم ، واطمان المضجع وأبى الهدوء الصارخ المتوجع
الحق جنب الجراحة مشن وحشاشة تهفو وقلب يفزع^(١)
يا سعد خطبك عند كل موحد خطاب يحى به الزمان ويرجع
السهم حيث تراه ، لا آلامه ترجى عواقبها ، ولا هو ينزع
ما أنت حيث يكون - سيد قومه أين الولائد والفناء الأوسع؟^(٢)
لك من رفيدة خيمة في مسجد للمعشر الجفلى تقام وترفع^(٣)
بل تلك منزلة الصقي ، بلغتها فوق الرجاء ، وصح منك الطمع
حذب الرسول عليك ، بكره أن يرى مثواك مطراح الجوار ويجزع^(٤)
جار الرسول وما بليت بحاسد الخير والرضوان عندك أجمع

فقال : فعلنا ، ثم عاد شفيعه
لخذه في الحسن السمح مطمع
بنى وأهلى ليس لى إن فقدتهم
فلم تسنى الأمر قال لثابت
وجاد رسول الله بنال رحمة
يسائل عن كعب وسادات قومه
توجع ما قيل : ذاقوا حمامهم
خذا السيف واضرب يا ابن قيس فإنهم
كنى حزنا يا صاحبي أن تضمني
أرحنى أرحنى يا ابن قيس بضربة
تزودت من نأى الأحبة غلة
فقال : معاذ الله ، لست بفاعل
وجاء به يلقي الزبير على أسى
وقال : اسقه رى الغليل من الردى
فيالك من رأى سفينة ومركب
قضى ثابت حق المروءة وأفيا
ولكن شيخ السوء أهلك نفسه
يبدشه بالعمو ، والشيخ يرجف
وقال : حياة شرها ليس يوصف
سوى الموت ، إنى عن حياتى لأعزف
أبقى بلا مال ، فنشقى وتلف ؟
وبرأ فراح الشيخ يهذى ويهرف
ويطرى سجاياهم ، فيفلو ويسرف
وقال : أريد الموت ، فالعيش أخوف
هم الصحب ، مالى بعدهم متخلف
ديار بهم كانت تحب وتولف
تيت لها نفسى ترف وتنطف
فهل أنت للصادى المذهب مسعف ؟
ومنلى يأبى ما تريد ويأنف
يفالبه ، والموت بالشيخ يهتف
فطاح به ماضى الفرارين مرهف^(١)
كريبه ، وخطب فادح ليس يكشف
وبر رسول الله والبر مجحف
وذو الجهل يرمى من يديه ويقذف

(١) أختته الجراحة أوهمته وأعجزت قواه .

(٢) جمع وليدة وهى الصبية والأمة ، أو التى تستوصف قبل أن تحلم .

(٣) الجفلى جماعة الناس وعالمهم .

(٤) حذب بمعنى عطف .

قال : اجعلوا البطن المنوّه باسمه متى على كسب ، أراه وأسمع^(١)
وأعوذه ما شئت ، أقضى حقه وأرى قضاء الله : ماذا يصنع ؟
حسب المجاهد أن يكون بمسجدي فذلك الحرم الأعزّ الأمتع

* * *

الله خصمك يا ابن قيس إنه سهم أصيب به التقى الأروع^(٢)
لا أخطأتك من الجحيم وحرها مشبوبة فيها تدع وتدفع^(٣)

* * *

نن الدم الجاري ، يظل هديره ملء السامع دائماً ما يُقلع ؟
أما ترون بني غفار أنه من عند خيمتكم فيفيض وينبع ؟
ماذا يسعد يارقيدته خبري إن القلوب من الجنوب تطلع ؟
يا حسرتا : هو جرحه يجرى دماً بسد الشفاء ، ونفسه تتمزع
حضرت منيته ، وحُمّ قضاؤه ولكل نفس يومها والنصرع

* * *

ضجّ النعاة ، فهزّ يثرب وجدها وهفا بمكة شجوها المتنوع^(٤)
ركن من الإسلام ، زال وما انتهى بانيه ، ذلك المهيم المنقطع
خطب أصاب المسلمين ، فذاهل ما يستفيق ، وجازع يتفجع

* * *

صبراً رسول الله إنك شدة نزلت ، فإنك للأشدّ الأضلع
أنت المعلم لا شريعة للهدى إلا تسنّ على يديك وتشرع

(١) على كسب على قرب .

(٢) هو ابن لقرنه .

(٣) دعه دفعه دفماً عنيفاً .

(٤) الوجد الألم والشجو الحزن .

تتضي على المثلى ، وكل يقتفى وتجيء بالفضلى ، وكل يتبع
أنعم الصلاة على الشهيد وسر به في ظل ربك ، والملائك خضع^(١)
يتشون حول سريره عدد الحصى فالأرض ما فيها لرجلك موضع
تمشى بظراف الأصابع ، تتقى ولقد تكون وما توقي الإصبع
العرش مهتز الجوانب ، يحتفى والله يضحك ، والسماء ترجع^(٢)

* * *

يا ناعضا بالدين ، يحمل عباه والبأس بعثر ، والسوابق تضاع
إهناً بها حلت حسانها نوراً على نور يفيء ويسطع^(٣)
هذا مكانك ، لا العطاء مقتر عند الإله ، ولا الجزاء مضيع
لك يوم بدر عند ربك مشهد هو للهدى والحق عرس مُتمتع
نصير النبي به على أعدائه والجو يُظلم ، والمنيايا تلمع

(١) ورد في خبر وفاته رضى الله عنه أن سبعين ألفاً من الملائكة نزلوا لتشيعه إلى قبره
هوان شأنه في ذلك كان كشاف ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري رضى الله عنه ، فإن النبي صلى الله
عليه وسلم سئل بعد دفنه : لم كان يمشى على أطراف أنا مله وهو يشيع جنازته فقال :
والله يمشى بالحق ما قدرت أن أضع قدمي من كثرة ما نزل من الملائكة لتشيعه .

وعن سلمة بن أسلم بن جريش رضى الله عنه ، قال - دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما في البيت أحد إلا سعد مسجى - فرأيت يتخطى . وأوما إلى قف . فوفقت ورددت
حين ورائي ، وجلس ساعة ثم خرج فقالت يا رسول الله ما رأيت أحداً ورأيتك تتخطى فقال :
ما قدرت على مجلس حتى يمضى لي ملك من الملائكة أحد جناحيه .

(٢) تواترت الروايات باعتزاز العرش لموته ، وهذا لفرح الملائكة بقدوم روحه ولما
حل على نعشه جعلت أمه تبكي فقال لها النبي - ليرقاً دمعك ، ويذهب حزنك . فإن ابنك
يضحك الله له - قال صاحب السيرة : وهذا كناية عن إقبال الله تعالى عليه بالروح والريحان
والنفرة والرضوان ، ورجع الرجل ، قال ، إنا لله ولنا إليه راجعون ، وردد صوته في حلقه ،
والمؤذن أتى بكل من الشهادتين مرتين خافضاً صوته ، ومرتين رافعاً إياه .

(٣) أهديت إلى النبي حلة من الحرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال لهم
أنعجبون من لين هذه الحلة ، والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد في الجنة خير منها وألين .

رفيدة الأسلمية رضي الله عنها

أقامت هذه السيدة الفاضلة خيمة ل مداواة جرحى المسلمين الذين ليس لهم من أهلهم وذوي قرابتهم من يقوم عليهم ، ويحول أمورهم ، وكانت هذه الخيمة المباركة في ناحية من مسجد الرسول الكريم بالمدينة .

رفيدة على الناس الحنانا وزيدى قومك المالين شانا
خذى الجرحى إليك فأكرمهم وطوفى حولهم آنا فانا
وإن جمع النيام ، فلا تنامى عن الصوت المردّد حيث كانا
أعيني الساهرين على كلوم تورّقهم ، فثلك من أعانا^(١)
همُ الأهلون ، ما عرفوا أنيساً سواك لهم ، ولا وجدوا مكانا
حبك الله من تقواه قلباً وسوى من مراحمه البنانا
رفعت لأسلم ذكرّاً جليلاً يزاحم فى مواكبه الزمانا
ضيوف الله عندك فى محلّ تذكّرنا محاسنه الجفانا
فيالك خيمة لابر فيها جلال لا يرام ولا يُداني
جلال الله ألقاه عليها فجملها بروعته وزانا
نسيج من شماع الحق بدع نزيد على الزمان به افتتانا
تقلّ بدائع النجاج عنه وإن نسجوا اللجّين أو الجمانا^(٢)
وما يجد الأديب الفرد وصفاً يحيط به ، ولو أفنى البيان
له فى الذهن ترجمة ومعنى جليل الشأن ، يعي الترجمانا

كانت مقالة مؤمن صدعت قوى زعمت قريش أنها لا تُصدع^(١)
بعثت من الأنصار كل مدرّب يقظ المضارب ، والقواضب هُتَم
يا سعد ما نسي العريش مقبمه يحى غياث العالمين ويتمن^(٢)
لما توالى الزحف جثت تحوطه وتردّ عنه المشركين وتردع
فى عصابة ممن اميك دعوتها فالباس يذلف ، والحية تسرع
فتم صفوقاً كالهصاب ، يشدها راس على الأهوال ، ما يتزعزع
ولقد رميت بنى قريظة بالتي سمع الحبيب فهالك ومروّع^(٣)
أحببها من دعوة لك لم تمت حتى أصابك خيرها المتوقّع
تقع الإله غليل صدرك ، إنه بشفى صدور المؤمنين وينقع
إن شيعوك . فلم تجدى بينهم فأنطط خطبي ، والبيان مشيع
الدهر معمور بذكرك أهل مافى جوانبه مكان بلقع

(١) إشارة إلى قوله هو والمقداد بن عمرو الملقب بأبن الأسود لأننى صلى الله عليه وسلم عند الخروج لغزوة بدر الكبرى - ولم يخرج الأنصار معه قبل هذه الغزوة - يا رسول الله إفض لنا أمرك الله فنحن معك ، لنا قول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : لذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون - ولكننا نحامل عن عيتك وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، إلى آخر ما قال -

(٢) توسل إلى النبي يوم بدر أن يبنى له عريشاً على تل يشرف منه على الحركة فقبل ، ولما التحم القتال جاءهم حملة من الأنصار فوقوا أمام العريش بسيفهم مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٣) هو الله تبارك وتعالى -

(١) الكلوم الجروح .

(٢) اللجين والجنان الغضة والدم .

لساني مَوْتَق ، يارب هب لي
فأذهب حيث شئت من القوافي
وألبسها رفادة معجيات
ضوامن أن تُجَلَّ وأن تصان

* * *

رُفيدة جاهدى ودعى الهوينى
وربَّ مجاهد بلغ الثرىا
وكم هزَّ الممالك في علاها
ومن لم يمتحن دنيا المالى
رفيدة ذلك الإسلام حقاً
تبارك ربُّنا ألقى علينا
هدينا العللين به ، وإنا
فما شرف الحياة لمن تواني
وما عرف الضراب ولا الطمانا
فتى ماهزَّ سيفاً أو سنانا
فما امتحن الشجاع ولا الجبانا
تبارك من هداك ومن هدانا
سنا الوحي المنزل واصطفانا
لحن القوم ، لا هادٍ سوانا

سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان طعام المسلمين في هذه الغزوة التمر يرسله سعد بن عبادة رضى الله عنه ، فهو الذى دون الجيش ، ومن مناقه أنه أبى على عبيدة بن حصين والحارث بن عوف أن يأخذوا نصف تمر المدينة ليرجعا بمن معهما في غزوة الخندق ، وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه على رأيه في ذلك ، ومن هذه المناقب ضوانه على الأنصار يستنفرهم للقتال في غزوة بدر ، وقد ضاف عن هذه الغزوة المباركة لأن حية نهشته فلم يقدر على الغزو ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك : لئن لم يشهدنا سعد لقد كان حريصاً عليها : ثم ضرب له بسهمه وأجره .

كان رضى الله عنه نقيب بنى ساعدة (من الخزرج) ومات بحدود من أرض الشام في السنة الرابعة عشرة - في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقبره بالمنيرة (قرية من غوطة دمشق) .

يامطعم الجيش أشبعت السيوف دما
لولاك ما شبت يوماً ولا طعماً
أنت الحياة جرت في كل منطلق
تفشى الكمي ، وتفشى الصارم الخدماً (١)
تتابع الجود ، لا بخل ولا سأم
دين المروءة يأبى البخل والسام
السامون يدُّ الله عاملة
تمضى أصابعها في شأنها قدماً
لا تشتكى إصبع من إصبع وهناً
ولا تغايرها إذ تشتكى الأثماً

* * *

ياسعد أديت حق الله من ثمر
لو كان من ذهب ما زدت عظماء
كذلك الخير ، يُدعى المرء مفتعماً
إن راح ينهبه في القوم مفتعماً
زادتك نخلك يا سعد بن ساعدة
فضلاً ، وزادت على أمثالها كرمها

(١) الكمي الشجاع والصارم الخدم السيف الفاضل .

هذا جناها بأيدي القوم منتهب
أحصاه يا سعد عدداً ثم ضاعفه
والله يكتب ، فانظر ، هل ترى القلما ؟
فلست تحصيه حتى تحصى الانما

* * *

إدفع عينه وارفع جمل صاحبه
تمر المدينة ما فيه مساومة
إن الحديث حديث الدهر لو عما
أو يرجع أن سيف عنه مترعاً بشماً^(١)
لا يفقد السيف عن يطعم الصنا
من عصبة الشرك لا يرضونه حك
لا يحفظ العرض من لا يحفظ العدا
وما على الأرض أن لا تحمل الرما ؟
ما يصنع الناس إن ضاعت محارمهم ؟

* * *

ألم تهب يوم بدر بالألى نفروا
يا قوم إن جموع الكفر حاشدة
لحرب ، يصون من نيرانها ضراما ؟
فأين يذهب دين الله إن هزما ؟
فلا نجا أحد منا ولا سدا

* * *

يا باعث القوم شتى من مجاثمهم
من حية السوء ألقيت السلاح على
كنت الحريص عليها وقعة جللا
كذلك قال رسول الله فابتهجت
أعطاك سهمك يجزى نية صدقت
ما بال عزمك في آثارهم جثا ؟
كره ، ورحت تعانى لهم والسقا
لم تبق للكفر من آطامه أطا^(٢)
منك المشاهد لم تنقل لها قدما
شريعة الله ، ما حاي ولا ظلما

غزوة بني حنينا

كانت في ربيع الأول من السنة السادسة . وسببها حزن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصاب عاصم بن ثابت وأصحابه . والمنذر بن عمرو الخزرجي وأصحابه (الفراء السبعين) رضى الله عنهم من غدر بني الحنينا وفتكهم ، وكانوا قد طلبوا منه أن يبعث إليهم من يفهمهم في الدين ، ويدعوهم إلى الاسلام ، فقتلوا من قتلوا من الأولين في (الرجيع) واستأصلوا هؤلاء عند (بئر معونة) وكانت الواقعة الأولى في مستهل السنة الرابعة ، والثانية في صفر من هذه السنة .

والواقعتان داخلتان في باب السرايا ، وقد اعتمدنا في ملاحظنا هذه أن تبدأ بالغزوات ثم تأتي بعدها بالسرايا في مجموعة خاصة . فنحن إذاً لا نحرى على الترتيب التاريخي في هذين البابين احتماطاً بالوحدة النوعية في كل باب

خرج النبي إلى هذه الغزوة في مائة من أصحابه ، فما بلغ (وادي غراب) من منازل بني الحنينا . وهو المكان الذي قتل فيه أصحاب الرجيع ترحم عليهم ، ودعا لهم بالمغفرة فسمع القوم وهربوا في رؤوس الجبال ، فأقام يوماً - أو يومين - بعث السرايا في كل ناحية من نواحيهم فلا تجد منهم أحداً ، ثم رجع صلى الله عليه وسلم .

بني الحنينا لودوا بالجبال وقوا مهجاتهم حر القتل
أمن غدر إلى جبن ؟ لعمرى لقد ضقت بأخلاق الرجال
لكم من خصمكم عذرميين فليس لناره في الحرب صال
أما انصدعت قواكم إذ أخذتم صحابته بمكر واحتيال^(١) ؟

(*) فهم من هذا أنه سيأتي بالسرايا فقط ولكنه جاء من بعد ذلك بعدد من الغزوات .
(١) أصحاب الرجيع وهم عاصم بن ثابت ، ومرثد بن أبي مرثد العدي ، وخبيب بن عدي الأوسي البدرى ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، وخالد بن البكير ، وزاد بعضهم معتب بن عبيد وبعضهم مغيث بن عوف رضى الله عنهم ، لما بلغوا الرجيع - اسم ماء لهذيل ابن مدركة بن إلياس بين مكة وعسفان - مع الذين يسمون النبي معهم عذر هؤلاء بهم ، واستصرخوا هذيلاً ليعينهم عليهم . فثار إليهم القوم بأيديهم السيوف . وهم في رحلهم ، وكانوا نحو مائتي -

(١) مترعاً ممتلئاً بشماً منتظماً .

(٢) الآطام الحصون .

كذبتم ، ما لأهل الشرك عهد وما الكفار إلا في ضلال
قتلهم عاصماً بطلاً مجيداً مخوف الكرم ، مرهوب التزال^(١)
فنون الحرب تعرفه عالياً بأمرار الأسنة والنصال
وتشهد أنه البطل المرحى إذا فزع الرماة إلى النبال
رماكم ، ثم جالدمكم ، فأدى أمانته ، وأودى غير آل
وقاتل عقبة في يوم بدر أمحفل حين يقتل أو يبالى؟^(٢)
أردتم بيعه لئمال وتر رويداً ، إن صاحبكم لغال^(٣)
وليس لدى سلافة من كفاء لهامة ماجد سمح الخلال^(٤)
حماء الله من دنس ورجس وسوء المنكرات من الأفعال
شهيد الحق تحرسه جنود من الدبر المساح للنضال^(٥)

رجل ، فأخذ عاصم ومن معه أسياهم ليقاتلهم فقالوا : إنا والله لا نريد قتلكم ، ولكم عهد
الله وميثاقه ، فأما عاصم ومرند وخالده فقالوا : والله لا نقبل من معرك عهداً . وقالوا حتى
قتلوا . وأما يزيد وخبيب وعبد الله ، فرغبوا في الحياة واعتصموا ببعض الجبال . فأحاطوا بهم
وقالوا : لستم لعهده والميثاق أن لا تقتلكم إن تزلتم لائناً ، فأنزلوا حتى ربطوهم بأوتار القسي ،
فقتل عبد الله بن طارق . هذا أول الفدر . لا أصحبكم ، إن لي بهؤلاء (يعني القتلى) أسوة ،
فجردوه وعالجوه وهو يأبى فقتلوه وأطلقوا بخبيب وزيد إلى مكة ، فباعوا الأول لبني الحارث
ابن نوفل ، لأنه هو الذي قتل عامر بن نوفل يوم بدر ، وباعوا الثاني لصفوان بن أمية لأنه
هو الذي قتل أمية .

(١) لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال النبي ﷺ : كيف تقاتلون ؟ فقال عاصم
ابن ثابت فأخذ القوس والنبل وقال : إذا كان القوم قريباً من مائتي ذراع كان الرمي ، وإذا دنوا
حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة بالرماح حتى تنقصف ، فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف
وكانت المائدة ، فقال النبي ﷺ : هكذا أنزلت الحرب . من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم .

(٢) عقبة بن أبي معيط - في رواية أنه قتله بعد الانصراف من بدر .

(٣) كانوا يريدون بيعه لولى القليل . والوتر النار .

(٤) امرأة قتل عاصم ابنها مسافعاً وجلساً يوم أحد ، فجعلت لمن يبيعها برأسه مائة
ناقة ، ونذرت لشربين الحمر في فائقة ججمته .

(٥) الزناير ، أرسلها الله فحمت جسده الظاهر ، ولم يستطع أحد أن يناله بسوء . وكان
قد دعا الله فقال : اللهم إني حيت لك ديك صدر التهار فاحم لحى آخره .

وعبد الله فيم قتلتموه وسقتم صاحبيه بشر حال؟^(١)
طلاب المال يولع بالدنيا ويولوى المرء عن طلب المعالي
رضيتم بيع أنفسكم ببخس قليل النفع من إبل ومال

* * *

خبيب في يدي جاف شديد يُدب في أدامه النقال^(٢)
وزيد عند جبار عنيد يصب عليه مختلف النكال
كلا أبوهما قتلا يسدر فتلك حقاظ الرمم البوالى
يزيدهما البلاء هدى وعلماً بأن الحادثات إلى زوال
وأن لكل نفس متباها وإن طمع المضلل في المحال
لكل مشهد عجب ، عليه جلال الحق ، بورك من جلال
بروح الموت حولهما ويفدو يكشر عن نواجذه الطوال
وذكر الله متصل ، يوالى من العيق المقدس ما يوالى^(٣)
هو الإيمان ، من يشد قواه يزلزل في الخطوب قوى الجبال

* * *

هنيئاً يا خبيب بلغت شأوا رفيع الشأن ، ممتنع المنال^(٤)
ملأت يديك من رزق كريم أذاك بغير كدر أو سؤال
تنزل من لدن رب رحيم عيم الجود ، فيأض النوال

(١) عبد الله بن طارق .

(٢) الأدام القيود .

(٣) كان خبيب رضي الله عنه يتعهد بالقرآن فإذا سمعه النساء يكنين ورقفن عليه .

(٤) قالت زينب بنت الحارث ، والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب ، لقد وحدته بكل
قطعة من عنب مثل رأس الرجل ، ولانه لموتق بالحديد ، وما يمكة من ثمرة عنب وما كان
إلا رزقاً رزقه الله .

كل العنب الجنى ، وزده حمداً على حديدوم مدى الليالى
تقول الحارثية ما لعينى أفى سحر تقبّ أم خيال ؟
أرى عنباً ، وما من ذاك شيء بمكة يالهـا عظةً ويالى
ويالك من أسير ما علمنا له بين الأسارى من مثال

* * *

أتى الأجل الذى انتظروا وهذى سيوف القوم محدثة الصقال^(١)
فأذا فى يمينك يا خبيب وما بال الصغير من العيال ؟^(٢)
كأنّ بأمه حذراً عليه نوازع من جنون أو خبال
ترى موسى بكفك ، وهورهن بذبح فوق نفذك واغتيال
ولكن للكريم السمع ناه من الشيم السنية والخصال
وماذا كنت تحذر من عقاب وورد الموت محتضر السجال ؟^(٣)
وسمت عدوك الموتور حاملاً ومكرمة على ضيق الحجال
فأبكم الذى رمت السجاياء مروءته بأسر واعتقال
وأبكم القتل ؟ ومن سيبقى حياة للأواخر والأوالى ؟

* * *

ألا إن الصلاة لخير زاد وإن الركب آذن بارتحال^(٤)

(١) كان شراؤهما فى ذى القعدة فحبسوهما حتى تنتهى الأشهر الحريم .

(٢) لا أجمعوا على قتلها استعار خبيب من زينب بنت الحارث مومى ليستجد به .
فغفلت عن ابن لها صغير أقبل حتى جلس على فخذه والموسى فى يده فخشيت أن يقتله وفزعت
لذلك ، فقال لها ، أنخس أن أفناه ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله .

(٣) جمع سجل وهو الدلو المملوء .

(٤) لما خرجوا بخبيب ليقتلوه قال : اتركوا أصلى ، فركوه فصلى ركعتين ثم انصرف
إليهم وقال : لولا أن تقولوا جزع من الموت لودت ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، ولا تبق
منهم أحداً ، واقتلهم بدداً ، وأنشد أبياتا منها :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى
ودلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو منزع

تروذ يا خبيب وثق برب مثلك عنده حسن المال
قصر فى نوره الوضاح ، والبس جمال الخلد فى وطن الجبال
هنالك معرض لله نغم بديع الصنع ، لم يخطر ببال
أترضى أن ترى خير البرايا مكانك ؟ ساء ذلك من مقل^(١)
صدقت خبيب إنك للعوادى إذا هى أخطأته لذو احتمال
تبيع بشوكة تؤذيه نفساً تشك صميمها صم العوالى
كذلك قال زيد الخير لما تردى فى السفاهة كل قال^(٢)
هو قتيوك مصلوبا وأغروا به وبك الضعاف من العوالى
رفيقك فى التجلّد والتأسى وخذنك فى التقدم والصيال
أتعزّلان دين الله خوفاً ؟ فن أولى بخوف وابتهال ؟^(٣)
معاذ الله ، إن الله حق وإن الجرمين لى وبال
لدين الشرك أجدر باجتناّب وأخلق باطراح واعتزال
هو الداء المضال لمبتغيه وكل الشر فى الداء المضال
كل النفس إيمان وتقوى وماذا بعد مرتبة الكمال ؟

* * *

حييس الأربعين ألا انطلق كفك : ألم تزل مُنقى الرحال ؟^(٤)
تخ أسرك أن تظل مدى الايالى جميع الشمل ، موصول الحبال ؟

(١) لا أرادوا قتله شذوه لى خشية طوبلة ، وأعملوا فيه الرماح والحرايب ، ثم قالوا له :
أحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله ما أحب أن يغدى بشوكة فى قدمه .

(٢) كذلك قالوا لزيد بن الدثنة وقال لهم .

(٣) قالوا لحبيب لارجع عن الإسلام أو نقتلك . قال : إن قتلى فى سبيل الله لقبيل ،
وهكذا قالوا لصاحبه فأجاب بعقل هذا .

(٤) هو خبيب . تركوه مصلوباً على خشبته بعد قتله أربعين يوماً ، وحوله الحراس ليراه

الناس .

على حرقاء يكره من يراها
علفت بها ، فما أحدثت هجراً
يملأ المرء صاحبه فيشقى
ويسو كل ذي شجن ووجد
بليت بكل ذي قلب غبي
لآلت الحجة الكبرى عليهم
فما نفع المرء أو الجدال ؟

* * *

تأهب يا خبيب أتناك غوث
مضى بك ، يتبع الغرماء منه
تقاضوه فما ظفر التقاضي
قطيع من طغام القوم يمدو
فما أوشكوا أن يدركوه
وألقى بالشهيد فنيبته
يزين المسلمين إذا تداعت
طوت جسداً من الریحان رطباً
يؤمك في ركائبه العجـال^(١)
بعيد مدى التملل والمطال^(٢)
بغير علالة النقع المزال^(٣)
على آثاره عدو الرئال^(٤)
أهاب : عليك يارب اتكفى
طباق الأرض كنزاً من لآل
شعوب الأرض من عطل وحال
عليه جلالة الشيخ البجـال^(٥)

(١) المراد بها الحشبة .

(٢) الزوال العراقي .

(٣) المداف الغراب والتدافى ما أشبه لونه .

(٤) بعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو لإنزال خبيب عن خشبته ، فوجدوا عنده أربعين رجلاً يحرسونه ، ولكنهم سكارى نيام فحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء ، وشعر بهما المشركون فأنطلقوا وراءهما : فلما لحقوا بهما بعد جهد فذفه الزبير فابتلعت الأرض .

(٥) المدال المسبل .

(٦) الرئال أفراخ النعام ، واحدها رأل .

(٧) البجال السيد العظيم البجل من الناس .

قضى ، وكأنه حتى يرحى
يدير القوم أعينهم حيارى
ويأسف معشر باتوا سهارى
أجاب الله دعوته ، فبادوا
حسن الصنع من صعب وآل
كأن الله ليس بذي محال^(١)
تفيض جراحهم بعد الدمال
وعادوا مثل محترق الذبال^(٢)

* * *

بنى لحيان ما صنع ابن عمرو
قتلهم صحبه وصرعتموه
ولولا العذر لم يحشوا إذا كم
أصحاب البين بكم أصيبوا
وماذا بالأسود من النمال؟^(٣)
فيا للؤم والخلق الرذال
وهل تحشى القروم أذى الأقال؟^(٤)
لأنتم شر أصحاب الشمال

* * *

بنى لحيان وأعجبى لبأس
فررتهم ، تنقون الموت زحفاً
هو المسخ البين ، فمن أسود
دعوا الشرك المذل إلى حياة
خبت جمراته بعد اشتعال
على القمم الشواحق والقلال^(٥)
تصيد القانصين إلى وعال^(٦)
من الإسلام وارفة الظلال

(١) المحال القوة .

(٢) الذبال جمع ذبالة ، وهي الفتيلة للسراج .

(٣) هو المنذر بن عمرو رضى الله عنه ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه القراء مع أبي عامر بن مالك ملاعب الأستة لما قدم عليه فقال لما رأى أمرك هذا أمراً حسناً شرفاً ، فلو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، قال له : لما أخشى أهل نجد عليهم . فقال أبو عامر : هم في جوارى وعهدى ، فساروا بكتاب من النبي إلى عامر بن الطفيل سيد بني عامر ، فلما انتهوا إلى بئر معونة ذهب أحدهم بهذا الكتاب إلى عامر فلم يظفر إليه وقتله . ثم صاح يقوم من بين لحيان ورجل وذكوان فقتلوا القراء وبقى بكعب بن يزيد رمق فحمل من المعركة وعاش بعد ذلك واستشهد في غزوة الخندق ، ونجى الله منهم عمرو بن أمية الضمري ورجلا آخر .

(٤) الأقال جمع أقال وهو الفصيل .

(٥) رءوس الجبال .

(٦) جمع وعلة وهي آتى الوعل .

هو لدين الذي يُحْيِي البرايا ويصلح أمرهم بعد اختلال
يَظْلُ النور في الأفاق يسرى ويسطع ماتلا القرآن تال

* * *

أرى أئماً على الغبراء مرضى تَبَطَّنْ جوفها داء السلال
تخال أشد خلق الله بأساً على الضعف المبرِّح والهزال
إذا ملأت جوانبها دويماً فلا تفررك جلجلة السعال
مخضبة الجنان لكل صيد يعنُّ ، وتلك أنياب السعال^(١)
حيارى لا تريد الحق نهجاً ولا تدع الحرام إلى الحلال
ألاهاده يَقوم من خطاها ويحسم داءها بعد اعتلال؟

عنزوة ذي قرد

كانت بعد أيام قلائل من غزوة بني الحيات ، وسببها أن عبيدة بن حصن
أغار في خيل من غطفان على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان
يرعاها رجل (١) من غفار ، وامرأة (٢) بمكان يقال له (الغابة) فقتلوا
الرجل ، واحتملوا المرأة مع اللقاح ، وعلم بذلك سلمة بن الأكوع ، فجعل
يرميهم بالنبل بعد أن اشتد في أثرهم . وكان يسبق الفرس جرياً ، ففعل
بهم الأفاعيل ، واستنفذ منهم كثيراً من اللقاح ، وصاح ابن الأكوع فسمعه
النبي وقال : الفرع الفرع ، يا خيل الله اركبي ، فجاء الرجال ، وجعل اللواء
لسعيد بن زيد ، رضى الله عنهم جميعاً .

ترفق يا عيينة باللقاح وبالحيل المغيرة والسلاح^(٣)
وخفض من غرورك والطماح فما مال النبي بمستباح
ولا هو يوم حرب أو كفاح
أتمسبها صناديد الرجال تداعوا بالقواضب والعوالى ؟
وخفوا يا عيينة للقتال ؟ يلقون الرجال على الرجال ؟^(٤)
فليس على الفوارس من جناح ؟
رويداً ، إنها إبل تساق وراع واحد دمه يراق
وما بال التي احتمل الرفاق ؟ أخفتم أن يكون لها انطلاق
فترميكم بمصممة رداح ؟^(٥)

(١) هو ولد أبي ذر الثفاري .

(٢) زوجة أبي ذر .

(٣) كانت عشرين لقحة وهي ذات اللبن القريبة من الولادة .

(٤) الرجال الجماعة المتقدمة من الحيل .

(٥) الشيء المصمت الخافي المبهم الذي يمتنع على من يريد أو يريد أن يعلم ما ينطوى
عليه ، وهو في الأصل ما لا جوف له ولا فراغ فيه والرداح الكتبية الثقيلة الحرارة . والمعنى :
أكنتم تخافون حين احتملتم هذه المرأة الضعيفة أن ترميكم بكتبية هذه صفحتها ؟ ؟ .
(١٣ ديوان مجد الإسلام)

(١) السعالى الأغوال جمع سعاله .

كفى ابن الأكوخ البطل الجسور فذوقوا النار حامية تفور
رمى بالنبل ، فاضطرم السعير كذلك يفعل الراعى القدير^(١)
وتلك سهامه ، ما من براح

يؤالى الكر ، ساعده شديد وبين ضلوعه قلب حديد
عذاب إذ يسكر وإذ يحيد يفوت الخيل منه ما تريد
وإن طارت بأجنحة الرياح

إذا طلبته لم تبلغ مداه وإن رجعت ، فليس لها سواه
يمزقها بما ترمى بداه فتذهب كلما جاشت قواه
حوامل للجراح على الجراح

تخطف لقحة من بعد أخرى وجاهد ، يرهق الفرسان عسرا
يريد لقاح خير انخلق طرا ويكره أن ياء وأن يضرا^(٢)
وتنك مشاهد البطل الصراح

أذا قهر البلاء ، فما استطاعوا وغالم ارتجاف وارتباع
قوى ضاقت بها هم وساع فأسلت الأكف قوى شعاع
وأقلت بالبرود وبالرماح^(٣)

وبالك صيحة ذهبت ترمى فنبهت الألى كانوا نيلا^(٤)

(١) جعل يرميهم بالنبل ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوخ . والبوم يوم الرضع
- أى يوم هلاك اللثام - فإذا وجهت الحبل نحوه انطلق هاربا ، وكانت إذا دخلت في بعض
مضائق الجبل علاه وأخذ يرميهم بالحجارة .

(٢) طرا جميعا .

(٣) ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رما ليخففوا عن أنفسهم وهو يجهدهم
ويستفرغ قواهم .

(٤) لما علم أمرهم علانية الوجاع ، وصرخ بأعلى صوته : واصباحه ثلاث مرات .

تلقاها النبي فما أقاما وهب الجيش يحتدم احتداما
وحانت وقعة القدر المتاح

وطار الأخرم الأسدئ فردا يسب الجرمين وما تعدى^(١)
ولم ير من ورود الموت بدا فجاد بنفسه ورعاه عهدا
دعا داعيه ، حتى على الفلاح

هى الرؤيا التى قص القليل على الصديق صدقها الدليل^(٢)
مضى لسبيله ، نعم السبيل فتى كالسيف مشهده جليل
هوى بمصارع البيض الصفاح

أتى جيش النبي فأى خطب أصاب القوم من فزع ورعب؟
إذا خفق اللواء ، فكل قلب من الخفقان فى هم وكرب
فرقأ يا ابن زيد بالقдах^(٣)

رموا ورميت بالأبطال شوسا تخوض إلى الوغى يوما عبوسا^(٤)

(١) هو محرز بن نضلة . كان أول من لحق بالفريق الأول من المسلمين فى هذه الغزوة .
فلما انتهى إلى المعبرين تقدم فوقهم بين أيديهم وقال لهم : يا معشر بنى الكعبة (اللثيمة) قفوا
حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار ، وقد أخذ سلمة بن الأكوع بسان فرسه .
وقال له إحذر القوم لا يقتطفوك حتى يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال :
يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بى
وبين الشهادة . فخلى سبيله ، والتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة ، فمقر فرس عبد الرحمن وضعه
وطعنه عبد الرحمن فقتله رضى الله عنه ، ولم يقتل فى هذه الغزوة من المسلمين غيره .

(٢) رأى قبل ذلك يوم أن سماء الدنيا فرجت له من وما فوقها حتى انتهى إلى السماء
السابعة ، ثم انتهى إلى سدة المنهى ، فقيل له . هذا منزلك . وثمس رؤياه على ابن بكر فقال
له : ابتسر بالشهادة .

(٣) سعيد بن زيد أمير الجيش القдах سهام اللبس ، وكان من عادتها أن تقلب وتقل
والمنى أن قلوب القوم كانت تشبه هذه القдах فى خفوقها واضطرابها .

(٤) جم أشوس وهو الذى ينظر بمؤخر عينه .

تُفَلَّقُ مِنْ أَعَادِيهَا الرُّوسَا وَتَبْذَلُ دُونَ بِيضَتِهَا النُّفُوسَا:

كَذَلِكَ فَلْيَكُنْ بِذَلِكَ السَّمَا

إِلَى ابْنِ عُيَيْنَةَ انْطَلَقَ الْقَضَاءُ فَمَا بَأْيِهِ إِذَا أَوْدَى غَنَاءُ^(١)

لَهُ مِنْ حَوْلٍ مَصْرَعُهُ عَوَاءُ إِذَا شَفَتِ الصَّدَى الْبَيْضُ الظَّاءُ

فَاهْوُونَ بِالْعَوَاءِ وَبِالنَّبَا

وَأَيْنَ دَمُ ابْنِ نَضْلَةٍ هَلْ يَضِيعُ وَيَبْقَى بَعْدَهُ الْحَدَثُ الْفَطِيعُ؟

لِعَمْرِكَ مَا لَقَاتَلَهُ شَفِيعُ صَرِيعٍ طَاخَ فِي دَمِهِ صَرِيعُ

أَحِيطَ بِهِ ، فَعَوَجَلَ بِاجْتِيَا

هُوَ الْقَدَادُ إِنْ دَعَيْتُ نَزَالٍ تَقَدَّمَ لَا يَهَابُ وَلَا يَبَالِي^(٢)

وَمَا بِأَبِي قَتَادَةَ فِي الرِّجَالِ خَفَاءُ حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي^(٣)

وَحِينَ يَقَالُ : أَيْنَ ذُووُ النَّطَا

أَصَابَ السَّهْمُ وَجْهًا مِنْهُ نَضْرًا وَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ قَالًا : صَبْرًا

وَعَالَجُهُ ، فَخَرَجَ مِنْهُ شَرًّا وَالَّتِي نَفَثَتْ كَرَمًا وَبَرًّا

فَرَاخَ يَزْفُ فِي الْقَوْمِ الصَّحَا^(٤)

تَزَوَّدَ مِنْهُ كَنْزًا لَيْسَ بِفَنَى تَزَوَّدَ دَعْوَةً سَمَدًا وَيَمْنًا

تَزَوَّدَ رَحْمَةً ، وَهَدَى ، وَأَمَّنَا تَزَوَّدَ مَا أَحَبَّ وَمَا تَمْنَى

وَجَاوَزَ كُلَّ سَوْءٍ وَاقْتَرَا

(١) قَتَلَ الْقَدَادُ بْنُ عَمْرٍو ، وَأَوْدَى هَلَكَ .

(٢) كَانَ الْقَدَادُ بْنُ عَمْرٍو أَوَّلَ مَنْ خَفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . حِينَ قَالَ : الْفَرَسُ الْفَرَسُ ، يَأْخِذُ اللَّهُ أَرْكَبِي .

(٣) قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَسْعَدَةَ الْفَزَارِي ، وَقَدْ أُصِيبَ بِسَهْمٍ فِي وَجْهِهِ فَزَعَهُ النَّبِيُّ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ تَزَعًا دَقِيقًا ، ثُمَّ بَرَزَ فِيهِ وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي شَرِّهِ وَنَشْرِهِ . فَمَاتَ فِي السَّبْعِينَ وَكَأَنَّهُ فِي السَّنَةِ الْخَامَةِ عَشْرَةَ وَتَشْتَجِرُ الْعَوَالِي - تَشْتَبِكُ الرِّمَاحَ .

(٤) يَرَفُ بِمَعْنَى يَسْرَعُ .

شَفِيتَ أَبَا قَتَادَةَ كُلَّ صَادٍ لَهْفِ الصَّدْرِ حَرَّانَ الْفَوَادِ

بَيَّيْتُ عَلَى أَسَى مِمَّنْ يَعَادِي رَسُولَ اللَّهِ فِي دِينِ الْجَهَادِ

وَفِي دُنْيَا الْمَرْوَةِ وَالصَّلَاحِ

غَنِمْتَ سَلَاخَ مَسْعَدَةَ الشَّقِيِّ وَفَزْتَ بِطَرَفِهِ فَوْزَ النَّقِيِّ^(١)

عَطَاءُ مِنْ جَوَادٍ أُرِيحِي عَطَاءُ اللَّهِ مِنْ يَدِي النَّبِيِّ

رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلُ مَسْتَا^(٢)

لَقَدْ أَحْدَثْتُ لِلْأَبْطَالِ شَفْلًا وَهَمًّا مَا أَشَدَّ وَمَا أَجَلًا^(٣)

سَقَوْا مَكْرُوهُهُ نَهْلًا وَعَلَاءً وَلَوْلَا فَضْلُ رَبِّكَ مَا تَجَلَّى^(٤)

دَعَاؤًا إِذَا أَبْصَرُوا الْبَرْدَ الْخَلِيَّ عَلَى الْجَسَدِ الَّذِي أَوْجَعْتَ قَتْلًا

نَعَاءُ أَبَا قَتَادَةَ إِذَا تَوَلَّى نَعَاءُ الْفَارِسِ الْبَطْلِ الْمَدْلَا^(٥)

وَضَجُّوا بِالَّتِي فِي الْخَطْبِ تَتَلَّى فَتَنْفَعُ مِنْ تَجَلْدٍ أَوْ تَسْلَى^(٦)

خَقَالَ مُحَمَّدٌ : يَأْقُومُ كَلَّا أَخُوكُمْ لَمْ يَزَلْ حَيًّا ، فَهَلَا

كَفَاكُمْ رَبُّكُمْ قَدًّا وَثُكْلًا فَاشْرَقَتْ الْوُجُوهُ ، وَكَانَ فَضْلًا

طَوَى قِرْحَى الْقُلُوبِ عَلَى ارْتِيَا^(٧)

(١) الطَّرَفُ الْكَرِيمُ مِنَ الْخَيْلِ .

(٢) اسْتَاخَهُ سَأَلَهُ الْعَطَاءُ .

(٣) لَمَّا قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ مَسْعَدَةَ الْفَزَارِي أُلْقِيَ عَلَيْهِ بَرْدٌ أَبَى قَتَادَةَ فَنَضَاهُ ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ اسْتَرْجِعُوا وَقَالُوا : قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيْسَ بِأَبِي قَتَادَةَ وَلَكِنَّهُ قَتِيلٌ لَهُ وَضَعُ عَلَيْهِ بَرْدُهُ لِيَعْرِفَ أَنَّهُ صَاحِبُهُ - أَيْ قَاتَلَهُ فَخَرَجَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى جَاءَهُ ، وَكَشَفَ الْبَرْدَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ مَسْعَدَةُ .

(٤) الْهَلَالُ الشَّرْبُ الْأَوَّلُ وَالْعَلُّ الشَّرْبُ الثَّانِي .

(٥) نَعَاءُ بِالْبِنَاءِ عَلَى الْكُسْرِ كَقَرَالٍ ، اسْمُ فَعْلٍ لِلْأَمْرِ بِمَعْنَى لَمْنَعُ ، قَالَ الْأَسْمَعِيُّ . كَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا مَاتَ مِنْهَا مَيِّتٌ لَهُ قَدَرٌ ، رَكِبَ رَاكِبٌ فَرَسًا . وَجَعَلَ يَسِيرُ فِي اللَّاسِ وَيَقُولُ : نَعَاءُ خَلَانًا . أَيْ لَمْنَعُهُ وَأَظْهَرَ خَبْرَ وَفَاتِهِ .

(٦) كَلِمَةُ الْاسْتَرْجَاعِ . لَمَّا لَمْ يَلَمْ يَرَا جَاعُونَ .

(٧) قِرْحَى جَمْعُ قَرِيحٍ وَتَقْرِيجُ الْجَرِيحِ .

تدعى القوم صفًا بعد صفٍّ وولّوا بعد إقدام وزحف^(١)
مضوا بالنصف، لو ذهبوا بألف من اللأى اصطفي النعمانُ صرف^(٢)
لما فرحوا بفوز أو نجاح

وأقبلت الأخيذة بعد يأس على العضباء في شعث وبؤس^(٣)
عناها الضُرُّ من أسر وحبس وسوء الصنع من ظلم ووكس
على يد كل عريّض وقاح^(٤)

أنت، للمسلمين بها ابتهاج ولل كفار إذ نجت احتياج
أبأذّر وللبضيق انفراج وربّما حلا الورد الأجاج^(٥)
هنيئًا، بات صدرك في انشراح

أتذكر إذ يقول لك الرسول أقم فالأمر باطنه مهول؟
وما تدري إلى مَ غدًا يؤول ستمره وتذكر ما أقول
إذا ما الغيب آذن باتضاح

أنت فرحى، وقالت: حلّ نذرى فإن أذن الرسول قضيت أمرى

(١) من تدعى البناء إذا انهار.

(٢) نصف اللقاح والنعمان بن المنذر كانت له إبل تسمى عصفير النعمان.

(٣) هي امرأة أبي ذر انفلتت من الوثاق ليلا. فأنت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير
رغا فتتركه، حتى انتهت إلى العضباء فلم ترغ، فقعدت على عجزها ثم زجرتها. وعلوا بها
فطلبوها فأعجزتهم، فنذرت لئن نجاها الله عز وجل لتنحرنها وتأكل من كبدها وسنامها،
وأقبلت تنحر الرسول الكريم بذلك، فنبس وقال، بثما جزيتها لا نذر في مصيبة الله، ولا
فيما لا تمسكين، إنما هي ناقة من إبلي، أرجعى إلى أهلِكَ على بركة الله.

(٤) العريص الذي يتعرض للناس بالشر.

(٥) استأذن أبو ذر صفارى رسول الله أن يكون في الاقتراح فقال له: لا تأمن عينه
ابن حصن وذويه أن يغيروا عليك. فألح عليه فقال له: لكأنى بك قد قتل ابنك، وأخذت
امرأتك، وحثت تنوكاً على عصاك. فلما وقعت الواقعة جعل أبو ذر يجب ويشيع الحديث،
والإجاج لما لمع.

هي العضباء تعقر ما لإصرى سواها، إن أردت شفاء صدرى^(١)
على اليوم بعد فكاك أسرى وفاء النذر، مالى من مفر
وقانى الله من سوء وشر له سبحانه حمدى وشكرى
على أن صرت مطلقة السراح

فقال لها رسول الله إيه لبئس جزاءها أن تفقيه
دعى النذر الحَرَمَ وأتركه وخافى الله ربك وتقيّه
لشر النذر مالا يرتضيه وما لاحقاً للإنسان فيه
دعى لى ناقتى وتعلميه قضاء ما اهتدى من لا يعيه
وكيف تُقاس منزلة الفقيه بمنزلة النبىِّ أو السفیه
هنالك حىُّ أهلك، فاطلبيه على بركات ربك واحمديه
إلهاً ما لما يقضيه ماح

قضيت الحق، فاغتنم الجزاء وزد يا سعد في الدنيا علاء^(٢)
وسعت غزاة ذى قرَد سقاء وكنت لهم أخاً يرعى الأخاء
بعثت التمر يُعجبهم نماء وسُقت البدن تُطربهم رُغاء^(٣)
قِرالك إذا هم التمسوا الفداء وبرئك، لا يزال لهم رجاء
كذلك أنت ما تألوا وفاء وحياً للألى صدقوا البلاء

(١) الأصر الثقل أو العبء الثقيل.

(٢) سعد بن عبادة رضى الله عنه، بعث إلى المسلمين في هذه الغزوة بأحوال من التمر
ويعسر جزائره، فقال النبي: اللهم ارحم سعداً وآل سعد، نعم المرء سعد بن عباد، فقالت
الأنصار: هو سيدنا وابن سيدنا. من بيت يطعمون في الحُل، ويحملون المكل الضعيف
وينهضون بأمر العشرة، فقال صلى الله عليه وسلم: خيار الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية
إذا فقهوا في الدين.

(٣) البدن جمع بدنة، وهي الأنحية السمينة.

بُنَاةُ الْحَقِّ ، مَا مَتُوا الْبِنَاءَ وَإِنْ عَلَّتِ الدَّمَاءُ بِوِ الدَّمَاءِ
أَجَلُ يَأْسَعِدُ فَارْفَمَهَا سَمَاءَ تُجَاوِزُ كُلَّ مُطْلَعِ سَنَاءِ
جَرَى الْكِرْمَاءِ ، فَاتَهَبُوا الثَّنَاءَ وَمَا بَلْفُوكَ جُودًا أَوْ عَطَاءَ
رُزِقْتَ الْبَأْسَ أَجْمَعَ وَالْمَضَاءَ فَكُنْتَ أَحَقَّ مِنْ مَنَعَ الْآوَاءِ
بِشُكْرِ الْهَزَاهِرِ وَامْتِدَاحِ^(١)

رَسُولُ اللَّهِ يُؤَذِّنُ بِالْإِيَابِ وَيَرْجِعُ بِالْأُجْبَةِ وَالصَّحَابِ
يَسِيرُ مِنَ الْجَلَالَةِ فِي رِكَابِ تَدْرِينُ لَمَزِهِ غَلْبُ الرِّقَابِ
تَسَايَرُهُ بَيَاتِ الْكِتَابِ مُرْتَلَّةً بِأَنْفَامِ عَذَابِ
صَفُوفٍ مِنْ مَلَائِكَةِ طَرَابِ تُظِلُّهُ بِأَجْنَحَةِ رِطَابِ

تَرْفُ عَلَى الرِّوَابِ وَالْبَطَاحِ

حَبَابُ الْأَكْوَعِ الشَّرَفِ النِّيفَا وَحَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ رَدِيفَا^(٢)
كَذَلِكَ يَرْفَعُ اللَّهُ الشَّرِيفَا وَيَحْزِي الْمُؤْمِنَ الْبِرَّ الْخَنِيفَا
أَطْلَى نَاقَةَ اللَّهِ الْوَجِيفَا وَوَالِي الْخَطُورِ مَرْتَجِلَا خَفِيفَا^(٣)
حَمَلَتْ أَجَلَ مَنْ يَحْمِي الضَّعِيفَا وَأَعْدَلَ مَنْ يَحَازِرُ أَنْ يَحِيفَا
حَاكُ ، وَعَظَلُ النَّذَرِ السَّخِيفَا وَأَمْضَى حَكْمَهُ سَمَحًا عَفِيفَا
حَمَلَتْ اللَّيْثَ ، فَاتَمَسَى الْفَرِيفَا جُزَيْتِ كِرَامَةٍ ، وَرَزَقَتْ رِيفَا^(٤)
وَبُورِكَ فِي غَدُوكَ وَالرِّوَااحِ

رَسُولُ الْخَيْرِ جَاءَ بِكُلِّ سَمَحٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي صَدَقٍ وَنَصَحِ

تَدَارَكَ سَوْرَةَ الْبَطْلِ الْمُنْحُ وَأَوْصَاهُ بِإِحْسَانِ وَصَفَحِ^(١)
وَكَانَ الْقَوْمُ فِي جَهْدٍ وَبَرَحٍ وَرَاءَ الْمَاءِ مَا ظَفَرُوا بِرَشَحِ
تَنَحَّوْا عَنْهُ إِذْ كَرِهَ التَّنَحَى فَمَا ابْتَلَّتْ جَوَانِحُهُمْ بِنَضَحِ
وَلَوْ أُخِذُوا بِتَقْتِيلِ وَذَبْحِ لَمَّا اعْتَصَمُوا بِسَيْفِ أَوْ بَرَمَحِ
صَنِيعَةِ مُحْسِنٍ يَمْسِي وَيَضْحَى لَهُ تَاجَانِ مِنْ شُكْرِ وَمَدَحِ
رَحِيمِ الْقَلْبِ ، يَأْسُوكُلُ جَرَحِ وَيَعْتَدُّ الْجَمِيلُ أَجَلَ فَتَحِ
وَمَا يَنْفَكُ فِي كَدٍّ وَكَدَحِ يَقِيمُ الْحَقِّ صَرَحًا بَعْدَ صَرَحِ
وَيَحْمِي الدِّينَ مِنْ كُلِّ النَّوَاحِي

(١) هو سلمة رضى الله عنه ، غارده بقوم حتى أجلاهم عن الماء وهم عطاش ، وجاء بحمر
النبي فقال له : ملكتك فأسجح فركهم بشريون .

(١) الهزاهر الأمور العظيمة تحرك الناس ، والحروب .
(٢) رجع إلى المدينة على ناقته الغضاء مردفا سلمة بن الأكوع رضى الله عنه .
(٣) الوجيف نوع من سير الإبل والجمال .
(٤) لغريف العبضة أو الأجمة ، والشجر المثقف ، وانقصود هنا بيت الأسد .

عزوة الحديبية

ويقال لها عمرة الحديبية بئر قريبة من مكة ، خرج إليها النبي صلى الله عليه وسلم في أئنف وأربعائة - على أصح الروايات - من أصحابه يوم الإثنين مستهل ذي القعدة من السنة السادسة . وكان قد رأى أنه دخل مكة وأصحابه آمنين ، محققين رده وسبهم ومنصرين ، وأنهم دخلوا البيت وطافوا به ، وأخذ هو مفتاحه ، ووقف على عرفة مع الواقفين .

فمن هذه الرؤيا على أصحابه فقرحوا ، وخرجوا معه معتمرين محرمين من ذي الحليفة والهدى يساق بين أيديهم ، ولم يكن معهم من السلاح سوى سيوف ، وكانوا يخافون أن تصدم قريش عن البيت ، وعلم النبي أنهم خرجوا في نسائهم وصبياتهم متأهين للقتال . فصف الجيش ومضى بعد أن استشار أصحابه ، واختلفت "رسل بين الفريقين ، فمقد الصلح على وضع الحرب مدة اختلاف الرواة في تقديرها ، فقال بعضهم عشر سنين ، وقال بعضهم أربع ، وقبل سنتان ، وأن من جاء إلى النبي من المسلمين بغير إذن وليه رده إليه ، ومن أتى للمشركين بمكة مرتداً من المسلمين احتسبوه عندهم وأن يرجع النبي وأصحابه ، ثم يعودون للطواف بالبيت في العام التالي ، لا يحملون سوى سلاح الزراكب ، فتخلى لهم قريش مكة ثلاثة أيام يعودون بسما إلى المدينة ، وقد نارت نفوس المسلمين لهذا الصلح ، ولكن الله ثبت قلوبهم ببركة رسوله الكريم وحكته التي تجلت آثارها بعد ذلك ، وكانت بيعة الرضوان من بركات هذه العزوة الميمونة .

منك الحنين ، ومنه ما هو أعظم لو يستطيع أذاك لا يتلوم^(١)
البيت أنت به أحق وإن أبي من أهل مكة جاهل لا يعلم
ما أصدق الرؤيا وأقرب حينها فاصبر على ثقة ، وربك أكرم
إن يخل منها اليوم ، فالفد بعده بالخير والرضوان منها فمقم^(٢)
سريارسول الله جنسك بأسل وقواك محصدة ورأيك محكم^(٣)
آثرت ربك وحده ، لا تشكي فيه من الأهوال ما تتجشم

(١) التلوم التلكت والانتظار .

(٢) ملائ .

(٣) المحصدة تحكم القتل .

ومضيت معتمراً بصحبك محرماً والهدى حال بالقلائد معل^(١)
واللؤمات الصالحات كأنما فيهن سارة والرضية مريم^(٢)
من كل أم برة لم يلها بقل ، ولم يغلب نوازعها أبتم^(٣)

يا طيب ماليت ربك إنه للحق يزلفه فؤادك والقم^(٤)
أين الشريك لمن تصرف وحده في ملكه ، أمن سواه النعم ؟
ليبك ربى ، إن قضيت لنا الهدى فكتابك الهادى ، وأنت الماهم

تلكم قريش أقيمت في غصبة مشبوبة ، وحمية تنضم
قالت : أيدخلها علينا عنوة ؟ السيف أولى أن يحكم والدم^(٥)
وروى ابن سفيان الحديث ، فلودرى لفة السيوف لخالها تتكلم^(٦)
أصفت إليه ، فلم يقر بفمده منها على طول التحمل مخذم^(٧)
يجد التقاة المحرمون ولا كما يجد انتقى من السيوف المحرم

(١) الهدى ما يهدى إلى الحرم من النعم .

(٢) خرجت أم سلمة وأم عمار ، وأم منيع ، وأم عامر الأشهبية - رضى الله عنهن - مع الجيش في هذه العزوة .

(٣) ابن .

(٤) لبي صلى الله عليه وسلم بقوله - ليبيك اللهم ليبيك ، لا شريك لك ليبيك إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك يزلفه بمعنى يقربه .

(٥) قالوا : أريد عهد أن يدخلها مكة علينا في جنوده معتمراً ، فتسمع العرب أنه دخل علينا عنوة . وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ؟ والله لا كان هذا أبداً ومناعين تطرف .

(٦) هو بسر بن سفيان أرسله النبي إلى مكة لتعرف أخبارهم فعاد إليه يقول أنهم استنفروا من أطاعهم من العرب ، وخرجوا بالنساء والصبيان ، وليسوا بجنود النمر ، ولهم نزلوا بنى طوى يتعاهدون على صد المسلمين - قال : وهذا خالد ابن الوليد في خيابه عند كراع العميم .

(٧) اتخذم السيف القاطم .

أبديت تباريح الهموم شديدة وأشأت منها ما تُجئ وتكتم
وددت لو أن الله قال لها، اضربي فضت، تظللها النور الحوم

* * *

قال النبي أنتقيها خطئة هي ما علمت، أم نجدت وقدم؟^(١)
فاجابه الصديق بلى نمضي إلى ما كنت تنوي بالخروج وتعزم
ورمي بها المسقداً خطبة مؤمن يرى الخطوب بنفسه، لا يحجم^(٢)
ومضوا يرون المشركين بذى طوى والخليل شتى، والحميس عرمرم^(٣)

* * *

أبلال أذن للصلاة، فنهض النبي يقيمها في صحبه
نهض النبي يقيمها في صحبه الله، تبدأ بالخشوع وتحم
وأعد طائفة تقوم، فتتقى كيد العدو إذا يكر ويهجم
حتى إذا سجد الرفاق تحننوا عنهم، فضوعف أجرم والمنعم

* * *

(١) لما سمع النبي أن المشركين يريدون منعه عن البيت، قال لأصحابه: أشيروا على أيها
الناس، أتريدون أن نؤم البيت فني صدنا عنه قاتلناه؟ قال أبو بكر: يا رسول الله خرجت
عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرباً. فتوجه له، فن صدنا عنه قاتلناه.
(٢) القصاد بن عمرو، قال يا رسول الله - لا تقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى
ولسكننا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون. والله لو سرت بنا إلى (برك
الغناد) سرنا معك ما بقي منا رجل، قاله: فامضوا على اسم الله، فواؤه لا أزال أجاهد على
الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة صفحة الضيق، كناية عن القتل.
(٣) الحميس العرمرم الجيش الكثير العدد.

(٤) صلاة العصر كانت بعصفان وهو موضع قريب من كراع الغميم - موقف خالد بن الوليد
بالخيل - صف النبي المسلمين صفين ثم أحرم بهم وركع فركعوا، واعتدل فاعتدلوا، فلما سجد
سجد معه الصف الأول سجديته، وتخلف الصف الثاني فبني معتدلاً للحراسة، ثم قاموا فسجد
هؤلاء وقاموا، ثم تقدم الصف الثاني وتأخر الأول، فقام بالحراسة على النحو السابق،
فلما جلس النبي للشهادة في الركعة الأخيرة جلسوا جميعاً فتمت الصلاة.

جيش الهدى واليمن عند جلاله يمين قائده يصف ويُنظم
جعل ابن بشر^(١) في الجهاد لخالد يلقاه إن جمع الفوارس مازم^(٢)

* * *

سلكوا الطريق الوعر يسطع نوره وأضل غيرهم الطريق المظلم^(٣)
يمضي الدليل بهم، ويذهب موقنا ثباتاً، فما يرتاب أو يتوه
بوركت ناجية بن جندب من فتى جلد على الضراء لا يتبرم
وجب الثناء لأسلى ماجد شرفت به نسباً، وعزت أسد

* * *

تلك الحديبية الحبيب ذكرها للحق فيها منزل ونحيم
نزل الهداة بأرضها، فكأنما طلعت لأهل الأرض فيها الأنجم
يامبرك القصوى أنك رسالة جاءتك، أم هي من كلال ترزم؟^(٤)
أبت المضي، ولم يكن ليعوقها لو شاء ربك مبرك أو مجثم
لو شاء أرسلها فززل مكة خطب يضح له الخطيم وزمزم

* * *

أبديل أقبل في رجالك، والتمس علم اليقين لمن يظن ويزعم^(٥)
قال النبي أتيت غير محارب وانظر، فإن الحرب لا تتشم
الهدى حولك، والسيوف كما ترى مقروبة، وكأنما هي نؤم^(٥)

(١) لما صف النبي الجيش جعل عباد بن بشر يأزاه خالد بن الوليد والمأزم المضي.
(٢) قال النبي: من يخرج بنا على طريق غير طريقهم؟ فقال رجل من أسلم هو ناجية
ابن جندب: أنا يا رسول الله، ومشي أمام الجيش في طريق وعر حتى جاءوا الحديبية بأسفل مكة
(٣) ناقة النبي، بركت في مكان هناك، فعلم أن الله لا يحب أن يدخل مكة عنوة.
(٤) بديل بن ورقاء سيد قومه أسلم يوم فتح مكة قدم إلى النبي من قبل قريش في رجاله
من خراعة يسأله ماذا يريد؟ فقال: ما جئت للحرب، ولكي جئت زائراً للبيت، ومعضاً
لحرمته، فلما عادوا إلى قريش وأخبرهم بذلك اتهمهم وأخطبهم بئس القول.
(٥) مقروبة مقعدة في قريش جمع قراب وقراب السيف عمده.

ما جئت إلا للبينة زائراً
إرجع إلى القوم الغضاب، وقل لهم
إن تمنعوا البيت العتيق يكن لكم
البيت بيت الله، جل جلاله
أقضى لربي حقها وأعظم
ردوا النفوس إلى التي هي أقوم
يوم من الحدثن أريد أقم
ولنحن أولى بالناسك منهم

* * *

نصح ابن ورقاء الرجال، فياله
قالوا: أئذعن صاغرين؟ وأقسموا
وتتابعت رسل، فمنهم غادر
ومقسم الأخلاق يحسن مرة
أهوى على يده المغيرة ضارباً
ما انفك يضربه بمقبض سيفه
أسرفت عروة فاقصد، واقبض يداً
كيف ارتقيت إلى محل ماله
أبلحية المختار تمسك؟ إنها
أحسن قولك في الذين ذمتهم
من ذي مناصحة يسب ويشتم
أن يندبوا المثل، فبئس المقسم
يبغى الفساد، وحاذر يتأثم^(١)
ويسىء أخرى في الحوار فيعزم^(٢)
لولا الأناة لطار منه المعصم
والسيف يفضى، والمنية تحلم
ربيع السماك لها، وغيط الرزم^(٣)
راق، ولو أن الكواكب سلم؟
لنصان في حرم الجلال وتعصم
وأبى الذين طفوا، فأنت مذم^(٤)

(١) الغادر هو مكرز بن حصن، بشوه إلى النبي، فلما رآه مقبلاً قال: هذا الرجل غادر، وكان ما أخبره به كاذباً سمعه بدبل بن ورقاء والحاذر هو الخليل بن علقمة سيد الأحابيش.
(٢) عروة بن مسعود الثقفي أسلم بعد ذلك وقد على النبي فجلس بين يديه ثم قال يا محمد جئت أوباش الناس ثم جئت فيهم إلى بيضتك لتفضي بهم، لأنها قريش خرجت معها العود للطائفيل قد لبسوا جلود النمر، يماهدون الله أن لا تدخلها عليهم عتوة أبداً، وأيم الله لكأنى يهؤلاء قد انكشفوا عنك، ثم حمل يتناول لحية الغريفة وهو يكلمه على عادة العرب، والمغيرة بن شعبة واقف على رأسه يضرب على يد عروة بمقبض السيف ويعزم بمعنى يفارق القصد ويجاوز الحد.

(٣) السماك نجم والمزيم الأسد.

(٤) لا رجع عروة إلى قريش قال: إني جئت كسرى في ملكة، وقبصر في ملكة، والنجاحي في ملكة، فوافقه ما رأيت ملكاً في قومه قط كحمدي أصحابه، إني رأيت قوماً =

عابوك إذ قلت الصواب جهالة
صدق الخليل فأوجعوه ملامة
بعث الهداة الهدى، ثم أقبلوا
جاءوه شعناً يرفعون لربهم
فهمت جوانحه، وقال على أسي
سبحانه، أنصدكم عن بيته؟
مولى الأحابيش الذين تألهاوا
نبذت قريش رأيه، واستكبرت
أيعاب من يابى النفاق ويوصي؟
والقوم لليقظ السدد لوم^(١)
يلقونه، فعساه هم مؤلم
صوتاً يردده الأصم الأبكم
سبحان ربي، مالنا نتجرم؟^(٢)
إنا إذا قوم نجور ونظلم
لا يتبعون سبيل أقوام عموا
والنبي أنكذ ما علمت وأشام

* * *

أذهب خراش إلى قريش ناصحاً
عقروا بعيرك ناقين، وأوشكوا
لولا الأحابيش استحل بظلمهم
منه دم ما يستحل محرم^(٣)
فلعلها تبغى الصواب فتفهم

* * *

لا يسلمونه لشيء أبداً، فبرأ رأيكم فإنه عرض عليكم رشداً، إقبلوا ماعرض عليكم فإني ناصح
لكم، وأنكم لن تنصروا عليه - قتلوا: لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور... قال ما أراكم إلا
ستصيحكم قارعة، ثم انصرف هو ومن معه إلى الطائف - وعروة هذا هو ابن مسعود الثقفي
الذي عنته قريش بقولها (لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وقيل هو الوليد
بن المغيرة.

(١) سيد الأحابيش لما رآه النبي قال: هذا من قوم يتألهون، أي يعبدون ويعظمون
أمر الله، لبثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رآه يسيل عليه بقلائمه من عرض الوادي قد
أكل أوبراه من طول الحبس، واستقبله المسلمون يلون قد شعنوا، صاح قتلوا: سبحان
الله. ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، هلكت قريش ورب الكعبة، وعاد إليهم
فهمهم عما اجتمعوا له، فقبضوا وقالوا: لجلس فإنا أنت أعراي ولا علم لك، فثارت نفسه،
ونوى الإقصال عنهم.

(٢) تجرم الرجل على الآخر نسب إليه الجرم وهو يرى.

(٣) خراش بن أمية الخزاعي بعث النبي إلى قريش وحله على بعير له ليبلغ رؤسهم أنه
حاجب محارباً فقروا بعيره وأرادوا قتله فسمه الأحابيش.

ذهب ابن عفان إليهم يبتغي
فأبوا وقالوا، لا فكاك لكم وما
هم أمسكوه ثلاثة في صحبه
أفلا رعوأرسل النبي وصهره ؟
أن يؤثروا الرأي الذي هو أحزم^(١)
نحن الألى نأبى الهوان ففرغ
ورموا بها ملسومة تتقحم
إن العقول على الراس لتعقم

* * *

دب ابن حصن في الظلام، فراع
حمل ابن مسلمة ففادر صحبه
جاءوا المعسكر أربعين، يقودهم
وأنى الرماة فجال في أحشائهم
منع الأسى، وشفى كلوم قتيالهم
أشقى الأذى والعدر جدّ رجالهم
سقطوا، فحسب انقوم ما يجدونه
يقظان مثل الصلّ ليس يوم^(٢)
ومضى، فلا رجع الجبان الأيهم^(٣)
أسرى عليهم للمذلة ميسم
سهم تظال به السهام تحطم^(٤)
شكوى قنوب من قریش تكلم^(٥)
وجرى لهم بالأسر طيّر أسحم
وكفى شهيد الحق ما يتسّم

* * *

بعثت قریش أطلقوا أصحابنا وخذوا الرهائن والأسارى منكم^(٦)

- (١) هو عثمان بن عفان رضى الله عنه، ذهب إليهم في عشرة رجال من أصحابه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفهم عما هم فيه فلم يقبلوا، واحتبسوه ومن معه ثلاثة أيام .
(٢) مكرز بن حصن، بعثه قریش في أربعين رجلاً ليحيطوا بمعسكر المسلمين ليلاً، لعلهم يصيبون منهم أحداً، أو يجدون منهم غرة، وكان المعسكر في حراسة محمد بن مسلمة رضى الله عنه، فحصل عليهم وأسروهم إلا مكرزاً (الفادر) فإنه أفلت والصل الثعبان وهوم الرجل هوم رأسه من النعاس أو نام قليلاً .
(٣) الأيهم من لا عقل له ولا فهم .
(٤) لما أسر محمد بن مسلمة من أسرى بعثت قریش قوة من رجالها فرموا المسلمين بالنبل .
(٥) هو ابن زعيم رضى الله عنه أصابه سهم فأت .
(٦) هم عثمان بن عفان وأصحابه رضى الله عنهم .

صدموا بقارعة تفاقم صدعها
لولا الضراعة من سهيل هدّهم^(١)
بنس المآب لعصبة تأبى الهدى
يا تارك الطغيان يعبس جده
من حقذى النورين أن يدع الدجى
أإليك مد ذوو العمى أضفارهم ؟
لولا سفاقة رأيهم لم يصدمو
بأس تهّد به الجنود وتهدم^(٢)
بيضاً معالنه، ونعم المقدم
أقبل، فخذك مقبل يتبسّم
خزيان، يُلطم وجهه المتجهم
فانظر إلى الأظفار كيف تُقلّم

* * *

هى بيعة الرضوان لم تترك لهم
سهل يشق على العيون مبرح
فكأنما فى كل عين مبرد
المسكون يبسايمون نبيهم
لا يحسبون دم المجاهد مغرمًا
إن ضمّهم عند الشهادة مورد
الله مولاهم، ونصر رسوله
لىلا ينام، ولا صباحاً ينعّم^(٢)
وأسى يقض على القلوب مسّم
وكأنما فى كل قلب أرقم^(٣)
يستمسكون بعروة ما تنصم
هو عندهم إن لم يُرقه المغرم
لذّ المذاق لهم، وطاب المطعم
حقّ عليهم فى الكتاب تحمّم

- (١) سهيل بن عمرو، بعثه قریش إلى النبي في جمع، فتقدم إليه صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد إن الذى كان من حيس أصحابك وما كان من قتال من فأتلك لم يكن من رأى ذوى رأينا، بل كنا كارهين له . حين بلغنا، ولم نعلم به، وكان من سفهائنا، فابست إليها بأصحابنا الذين أسرت أولا وثانياً . قال رسول الله - لئن غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي : فقالوا فعل ، وقضى الأمر على هذا .
(٢) كان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً تحت شجرة من السمر فدعا أصحابه - أيها الناس البيعة البيعة ، نزل روح القدس ، فأخرجوا على اسم الله - فقبلوا فبايعوه على الصبر والثبات وأن لا يفروا ، فأبى الفتح ، ولما الشهادة ، وقد خوطبوا بقوله : أتم خير أهل الأرض ، وقد أحب الناس هذه الشجرة فاتخذوا لهم مسجداً عندها يصنون فيه ، وعزم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأمرهم فتوعدهم وأمر بقطعها لئلا يقتنوا بها .
(٣) الأرقم أخبث الحيات وأظلمها للناس أو مانيه سواد وبأس أو ذكر الحيات .
(١٤ - ديوان مجد الإسلام)

نهضوا خِفَافًا ، لو رأيت جموعهم
ما منهم إِلَّا على يَدِهِ يَدٌ
لَثِمَتْ بِإِيمَانِ القلوب ، وإنها
نعم العطاء مُعْشَر ما بينهم
ما جَلَّ مُدْخِر نَجِيم شأنه
إِلَّا الَّذِي ادْخَرُوا أَجْلًا وَأَنْفَحَ

* * *

هذا سهيل جاء يحمل سؤْلهم
ويقول : دعها يا محمد خطه
إِنَّا نَخَافُ العَارَ ، فَذَيْكُ بَيْنَنَا
الحرب تُوضَعُ بَيْنَنَا أَوْزَارُهَا
لَكَ مِنْ سِلَاحِكَ مَا تَقَلَّدَ مُنْجِدٌ
وَاجْعَلْ سِيفُوكَ فِي القُمُودِ وَلَا تَنْضُقْ
حَدُّ المَقَامِ ثَلَاثَةَ ، فَإِذَا انْقَضَتْ
مِنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَا يُرَدُّ وَمَنْ يَحْيِ
هذا الَّذِي نَرْضَى ، فَهَلْ مِنْ كَاتِبٍ

* * *

(١) سهيل بن عمرو ، بعثته قريش لعرض الصلح على النبي ، فرضيه حقاً للدماء ، وإيثاراً لما هو أحق وأولى . فبدأ التذمر من بعض المسلمين ، وذهب عمر غاضباً حتى أتى أبا بكر فقال له : أليس هو رسول الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى : قال أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فلام نعطى الدنيا في ديننا ؟ فقال له أبو بكر يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أقبل عمر على النبي فقال له مثل ما قال لأبي بكر فقال له : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره . ولن أخاف أن يضيئني .

(٢) أنجد الرجل أنى نجداً أو خرج إليها أو دخل في بلادها ، وأتهم أن تهامة أو كان كذلك .

رَضَى النبيُّ يريد رحمه ربه
صاح الرجال ، وراح فاروق الهدى
ويقول للصديق من هو يا أبا
أهو الرسول ونحن نتبع دينه ؟
الذين من خلق الضعيف ودأبه
مهلاً هداك الله ، والزم غرزه
إهنا أبا بكرٍ قضيت بِحُجَّةٍ
وأبو عبيدة إذ يعود بربه
يرقى من الفاروق نفساً صعبة
قال النبيُّ كفك يا عمر اتَّئِدْ
أرضي وتأبى أنت ؟ ؟ إن وراءنا
إني رسول الله ليس بخاذلي
الأمر غيب ، ما مثلك مطمع

* * *

اكتب على فلن ترى من جامع
إلا يُزَمُّ على الزمان ويُنْظَمُ^(٦)

(١) المحرم البعير المكرم ، لا يركب ولا يذلل .

(٢) الفرز ركاب الرجل من الجلد .

(٣) أبو عبيدة بن الجراح قال لعمر وهو يراجع النبي في الأمر : ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول ؟ نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وجعل يكررها والصدع الشق ويلام يفتن .

(٤) قال الرسول الكريم لعمر : يا عمر إن رضيت وتأبى .

(٥) مطلق .

(٦) قال النبي لعلي بن أبي طالب ، اكتب باسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : بل يكتب باسمك اللهم على عادة قريش - قالوا . وأول من كتبها أمية بن الصلت - وقال لعلي بعد أن كتبها ، اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : =

وأبى سهل أن يصكون كتابه
قال : امح باسم الله وامح رسوله
الدين مختلف ، وليس لنا سوى
فأبى على ما أراد ، وهاجه
قال النبي افعل ، وسوف يثألها

* * *

نظر ابن عمرو نظرة ، فرأى ابنه
قال : ارجعوه فذاك أول عهدكم
وانقض يضره ، فيالك مسلماً
رقت قلوب المسلمين لخطبه

لو شهدت أنك رسول الله لم أهلك ولم أصدك عن البيت . فليكتب باسمك واسم أبيك . فقال النبي لعل . امح رسول الله واكتب محمد بن عبد الله . فشق عليه الأمر وقال . ما أنا بفاعل ، فعا النبي الكلمة بيده الشريفه وقال لعل ، اكتب فإن لك مثلها تعطيه وأنت مضطهد - يشير إلى ما وقع بين علي ومعاوية في حرب صفين ، فقد كتب الذي تولى عقد الصلح بينهما : هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه معاوية بن أبي سفيان فقال عمرو ابن العاص (أحد الحكمين) اكتب اسمه واسم أبيه . وقال معاوية لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين ، فعبت كلمة أمير المؤمنين وكتب مكانها (علي بن أبي طالب) ويزم عقاد بالزمام وهو الحبل يخضم بوضع الخنظام وهو الحبل في عنقه أو عليه وعلى أقه .

(١) الروشم الطامع .

(٢) تؤدم بمعنى تخلص .

(٣) الحرد الغضب ، وكظم غيظه كئسه .

(٤) هو أبو جندل بن سهل بن عمرو . كان يذهب بكمه لإسلامه فأقلت من المشركين وجاء يرسف في الحديد ثم رى نفسه بن أظهر المسلمين فجعلوا يرحبون به ويهتفون ، وقام إليه أيوم فصار يضربه على وجهه . فرقوا عليه وبكوا ، وقال أبوه . يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه . فقال : صدقت . وأخذ يرده يرده إلى قريش فجعل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أريد إلى المشركين يفتنونني عن ديني ، ألا ترون ما لقيته ؟ قال النبي يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولئن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، لما عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله أن لا نتدر بهم .

أأخذ النبي بشو به فأعاده
قال : اقلب ، وكفى بربك حافظاً
فغضى يقول : ألا ذلماً لأمري
عد في قيودك واصطبر ، إن الأذى
كم للآلى اتبعوا الهدى من مغم
خير على خير يضم ركامه
يترجم الباكي وإن بلغ الأسى
أخذوا الصحيفة قهقري في أوهامهم
طاروا بها فرحاً ، وبين سطورها
نصر مضى لمظفرين أعزق
ليس التصرف للقواضب ، إنها
للبنى حين ، ثم يقصم صلبه
ولقد يقام العرس من سفه الآلى
من مكرمات الحق أن وآليه
وأحق من حمل اللواء مجاهد
وف الطالب حقها ، واصبر تفرق
هذا نظام للشعوب ، ومنهج
نزل الكتاب به ، فأيقن مهتد
طب الهدى الشافي ، وأعجب ما أرى

يبني لأمته البناء ويدعم
إن التوكل للسلامة توأم
يبني الفرار بدينه يستعصم ؟
لأضر ما اتجع الرجال وأوخم
في حرمة تنفي وحق يهضم
شر على شر يضم ويرك
منه ، ويهكي الناعم المتزعم
كالكنز يأخذه الفقير المعدم
دهياه بارزة النواجر صيلم
لم يمض منهم مخدوم أولهم
بالرأى تحكم في الرقاب وتحكم
والعدل صاب قائم ما يقصم
فرحوا ، وأولى أن يقام المأثم
بأشد ما يرمى يعان ويخدم
ماض على هول الخطوب مصمم
ما خب إلا من يمل ويسم
حق يراه فصيحها والأعجم
وارتاب ضليل ، ورج مرجم
طب تصح به النفوس وتسقم

أَتَقْدَحُ يَا حَوِيطُ بَ زَنْدَ سَوِّ دَعِ الرَّأْيَ الرَّشِيدَ ، وَزَدَهُ قَدَحًا
لَعَلَّكَ إِنْ رَأَيْتَ لَهُ هَيِّبًا تَكُونُ أَشَدَّ مِنْ يَصْلَاهُ بِرَحًا

* * *

وَرَاءَكَ يَا حَوِيطُ كُلُّ عَضْبٍ يَسْحُ الْمَوْتَ مِنْ حَدِّيهِ سَحًا^(١)
يَجْرِدُهُ لِنَصْرِ اللَّهِ قَرَمٌ يَصُولُ فَيَمْسَحُ الْأَعْنَاقَ مَسَحًا^(٢)
سَخِيئُ النَّفْسِ ، وَالْهَيْجَاءُ تَغْلِي فِتْمَلًا أَنْفُسَ الشَّجْعَانِ شَحًا

* * *

بَنِي بَكْرٍ أَمَا أَبْتَمُ حَزَانِي كَمَا آبَتْ خَزَاعَةٌ وَهِيَ فَرْحَى ؟
هُوَ الْجَدُّ الشَّقِيُّ عِلَاهُ جَدُّ تَلَقَّى نِعْمَةً ، وَأَصَابَ نَجْحًا

خِزَاعِيَّةٌ وَبَنُو بَكْرٍ

و هذه الخِزَاعِيَّةُ المَبَارَكَةُ دَخَلَتْ خِزَاعَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَدَخَلَ بَنُو بَكْرٍ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ ، فَسَاءَ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنْ رَجَالِهِمْ ، وَمِنْهُمْ
حَوِيطُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى ، فَقَالَ لِسَهْلِ بْنِ عَمْرٍو : بَادِ أُنَا أَخَوَاكَ بِالْمَدَاوَةِ
وَكَانُوا يَسْتَرُونَ مِنْهُ . قَالَ سَهْلٌ : مَا مُمْ إِلَّا كَثِيرُهُمْ ، هَؤُلَاءِ أَقَارِبُنَا وَلِحَنُنَا
فَدَخَلُوا مَعَ مُحَمَّدٍ مِنْهُمْ قَوْمٌ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أُمْرًا ، فَمَا ضَعَفَ بِهِمْ ؟ .
قَالَ حَوِيطُ : تَصْنَعُ عَلَيْهِمْ حُلَفَاءُ نَا بَنِي بَكْرٍ ، قَالَ سَهْلٌ : لِيَاكَ
أَنْ يَسْمَعَ هَذَا مِنْكَ بَنُو بَكْرٍ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ شَوْمٍ ، فَيَسْبُوا خِزَاعَةً ، فَيُضْضِبُ
مُحَمَّدٌ حُلَفَاءَهُ ، وَيَنْقُضُ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ .

خِزَاعَةٌ أَبْشَرُ بِالْعَهْدِ سَمَحًا وَزَيْدِي دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ فَتَحَا
كَفَى بِذِمَامِ أَوْفَى النَّاسِ عَهْدًا لِكُلِّ مَعَاهِدٍ غَنَمًا وَرَبْحًا
أَلَحَّ عَلَى بَنِي بَكْرٍ شَقَاءٌ تَزَلُّ لَهُ الْعُقُولُ إِذَا أَلَحَّا
هُمْ اتَّبِعُوا الْأَلَى انْقَابُوا بِقَرْحٍ فَزَادُوهُمْ بِمَا اقْتَرَفُوهُ قَرْحًا^(١)
حَوِيطُ مَا يُفِيظُكَ مِنْ رَجَالٍ هُمَا ضَرَبُوا عَنِ الْغَاوِينَ صَفْحًا ؟
أَتَيْجُ لِقَدْحِهِمْ فَوْزٌ مُبِينٌ وَخُبٌّ مِنْ أَحَبِّ ذَوِيكَ قَدْحًا^(٢)

* * *

رَوَيْدُكَ ، إِنَّ أَخَوَالَ ابْنِ عَمْرٍو لَأَرْفَعُ قَبَّةً وَأَعَزُّ صَرْحًا
وَلَوْلَا مَا بِرَأْيِكَ مِنْ ضَلَالٍ لَجَانَبْتُ الْمَلَامَ ، وَقُلْتُ : مَرْحَى^(٣)
أَمِنْ عَرَفِ الرِّشَادِ فُطَابِ نَفْسًا وَأَقْبَلَ يَبْتَغِيهِ كَنْ تَنْجَى ؟
تَحَاوَلُ أَنْ تُثِيرَ الْحَرْبَ حَتَّى تَرَاهَا تَلْفَحُ الْأَبْطَالَ لَفْحًا
لَقَدْ مَضَتْ انْقِلَابًا مِنْ لَبِيبٍ يَقُولُ الْحَقُّ ، لَا يَأْلُوكَ نَصْحًا

(١) 'القرح الجرح .

(٢) 'القدح' السهم .

(٣) كلمة نعال للرأي إذا أصاب تعجبا .

(١) 'العضب من السيوف' انقطاع .

(٢) 'القرم' الفحل الكريم ، وبه يشبه السيد العظيم .

أَمْ كَلِثُومٌ حَتُّهُنَّ

من بنت عتبة بن أبي معيط ، وأخت عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة ، وخرجت من مكة بعد رجوعه من المدينة مهاجرة لله ولرسوله . فلما بلغت المدينة ذهبت إلى دار أم سلمة رضى الله عنها وهي من أمهات المؤمنين ، فرحب بها الرسول الكريم ، وخرج أخوها عماره والوليد في طلبها ، يريدان ردها بأحق الذي في العهد ، فقالت : يا رسول الله أنا امرأة ضعيفة لا تردني إلى الكفار ، إني أخافهم على ديني ، فنزل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فمتجنوهن - الآية) والامتناع أن تستجيب المهاجرة أنها إنما هاجرت لله ورسوله ، وبهذه الآية خرجت المؤمنات المهاجرات من حكم الرد الذي وضع في ذلك العهد ، فبقيت السيدة أم كلثوم وكانت أول مهاجرة ، ولم يكن لها زوج بمكة فتزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه .

أجيبى أم كلثوم أجيبى
مكة إذ يضم لدين فيها
خدى قصد السبيل إلى ديار
حتى الإسلام يمنع كل عاد
رعائى الله ، فانطلق وسيرى
أردت الدين معمور انواحى
طمين التفت من حذار
زويدك ، إن عين الله ترى
أرى أخويك فى أمر مريج
يف حشاهم حزن عجب

ترامت دعوة الداعى المنهيب
أحق بكل أوقاك مريب
محببة المسالك والدروب
وغيل الحق يدفع كل ذيب
ولا تهنى على طول الدروب
نحوضى اليد مقفرة وجوبى^(١)
وقبك لا يقر من الوجيب
خطاك ، فإن يسوءك أن تؤوى
وهم من مصابهما مذب^(٢)
إروعة ذلك الحدث العجيب

لكلٍ منهما فى الحى عين
وقلب دائم الخفقان هاف
هنا كانت ، فأين مضت ؟ وأنى
أما عند ابن عفان شفاء
أتذهب أختنا ، لأنحن ندرى
كنى يا بنت عتبة ما تقينا
تدور كأنها عين الحريب^(١)
طويل الوجد ، متصل اللهب
تعاود خدرها بعد أنغيب ؟
فيكشف كربة العانى الكتيب ؟
ولا هو عنده عم لليب ؟
من الأحداث بعدك والخطوب

قنى يا أم كلثوم فهذا
حلت بفضل ربك خير دار
تلقاك النبي فؤى بشر
يرحب ما يرحب ، ثم يضى
وما نسب بأقرب من سبين
سبيل الله ، ليس إذا ما
هذى السارى ، يسده فيمضى
يمر بأخرين ، ثم عواء
يرى سبل انجاة ، وكيف ضو
ويحمد فائق الأصباح حمدا
تعالى الله ينزل كل بر

محط الرحى لى العريب
بطية فانعى نفسا وطيب
رعت عينك فى لكره الخصب ؟
عليك حنان ذى النسب القريب
يؤلف بين أشقات القلوب
بوت السبل أجمع من ضريب^(٢)
تمتدق السباب والسهوب^(٢)
يشيع بالتوجع والنحيب
فيحب لمصارع والجنوب
يهز جوانح الوادى الطروب
بغال من مناره رحيب

عمارة والوليد ولا حفاء
على فرط تنجهم ولشحوب

(١) الحريب الذى سلب ماله .

(٢) السباب جمع سبب ، وهو الغارة أو الأرض المتوية البعيدة ، والسهوب بمعناها

(١) من جاب قطع .

(٢) أمر مريج محنط أو ملنس .

هما عرفا السبيل ، فلا مقام وكيف مقام مختبل صليب ؟
أهديا بالرسول أعذ إلينا وديعتنا ، فبابك من نكوب^(١)
هو العهد لذى أخذت قریش ومالك غير نفسك من حبيب
سجيتك الوفاء ، وما عمنا عليك الدهر من خلق معيب
برأيك فاقض ، وزددها علينا فإنك أنت ذو الرأي المصيب

* * *

عندها أن تُردَّ ولا ظهير بقيها ما تخاف من الكروب
فصاحت : إنني مرأة وملى على المكروه من عزم صليب
ربك يا محمد لا تدعني فريسة كل جبار رهيب
يعذبني لأترك دين ربى إلى دين المآثم والذنوب
أرجع يا حمى الضعفاء ولهى ومالى فى ظلالك من نصيب ؟

* * *

أتى التنزيل بصدع كل شك ويخلو ما استكن من الغيوب
ويحكم حكمه عدلا وبرًا فيلقى بالدواء إلى الطبيب
إذا جاء النساء مهاجرات يردن الله ديان الشعوب
بقين مع النبي وإن تمادت لجانحة كل عريض شغوب

* * *

ليهنك أم كلثوم مقام كريم عند مرجو مثيب
وزوج ذو محفظة نجيب يقى إلى ذرى النسب النجيب
يقى إلى ذرى لإسلام منه فتى للسلم يُرجى والحروب

(١) - نكوب نيل ونهرون .

وما زيد بن حارثة ينكس إذا التقت الكفا ولا هيوب^(١)
أخو المختار من عليا قریش ومولاه الحبيب أبو الحبيب^(٢)

(١) النكس الضعيف الدنى الذى لا خير فيه ، والكفا جمع كفى . وهو الشجاع أولابس السلاح ، لأنه كفى نفسه ، أى سترها بالدرع والبيضة .

(٢) فى البيت إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة رضى الله عنه أنت أخونا ومولانا وأنه كان حبه كما كان ولده أسامة بن زيد يدعى الحب ابن الحب .

أبو بصير وأصحابه رحمهم الله

جاء أبو بصير رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من المختارين بمكة ، فبعث أزهري بن عوف أسلم بعد ذلك يطلب رده من النبي في كتاب يحمل له رجل من بني عامر اسمه خنيس وجاء معه آخر يهديه الطريق وقال النبي لأبي بصير : اخلق إلى قومك فليس القدر من ديننا وسيجعل الله لك فرجاً ، فرجع معهم ، واحتال على أخذ السيف من أحدهما قتله به ، وحمل على الثاني ففر راجعاً إلى المدينة وهو يعدو في أثره ، وقال الرجل للنبي : قتل صاحبكم صاحبى وأقلت منه ولم أكده ، ثم استغاث به ، وقال أبو بصير للنبي : لقد غيبت بذمتك ، فقال له : اذهب حيث شئت : فذهب إلى محل من طريق الشام تمر به تجارة قريش ، وطار الخبر ، فقدم إليه أبو جندل في سبعين فارساً ، ولحق به آخرون من المسلمين ، فكانوا ثمانية مقاتلين . ما رأوا غيراً لقريش إلا أخذوها ، ولا رجلاً إلا قتلوه ، فبعثوا يسألون النبي بالأرحام إلا آوى هذه القوة إليه ، وقال بعضهم - لانا أسقطنا شرط رد اللاجئين من العهد ، فن جاءك منهم فأمكنك ولا حرج عليك - فكتب إلى أبي بصير وأبي جندل يستقدمهما إليه ، ويأمر أن يذهب من معهما إلى بلادهم وأهليهم غير متعرضين بأذى لقريش ، فأخذ أبو بصير الكتاب وهو يحتضر فأتاه وهو في يده يقرؤه ، فدفعه أبو جندل وعاد مع الناس من أصحابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

رحمة يا أبا بصير ونعمي
جاءك الغوث ، فانطلقت حينئذ
أنت أقلت من حباثل قوم
ذقت منهم أذى كثيراً وظلما
جعلوا الحق خصمهم من غباء
وغبي من يحمل الحق خصما
جئت دار النبي فادخل وسلم
وارع حق للقيام روحا وجسما
كم تمنيت أن ترى لك حصنا
فتأمل حصون ربك شئنا
وارض حكم الرسول إنك مردد
ود ، ومن مثله قضاء وحكما ؟
ذا خنيس وذا كتاب ابن عوف
فالزم الصبر ، أصبح الأمر حتما

سألا العهد عند أكرم مسئو ل فأعطاهما وفاء وحلما
إتقلب يا أبا بصير فليس الدين الهداة غدراً وإثما
حببك الله إنه لك عون وسيكفيك كل خطب أئما
هو مولى المستضعفين ينجيهم إذا ما طغى البلاء وطما

عاد يُخفى لصاحبيه من الشنآن ما يملأ الجوانح ثم^(١)
وشفاها بذى الخليفة نفساً أو شكت أن تزول همماً وغما^(٢)
نظر السيف في يدي أحد الخصمين ، يبدى من المنية وشما
وهو يطريه في غرور ويسقيه نفوس الكفاة ظنا وزعما
قال : بل أعطني أنظره ، إني بسجايا السيوف أكثر علما
ثم غشاه ضربة عمت كيف يخشى الهزير من كان شهما
جاء بصطاده غروراً فأرداه ، وكان الغرور شرا وشوما
صد عنه رفيقه وتولى يتوق قضاءه أن يحكما
طار يهفو كالسهم ، يمضي بعيدا وهو أنأى مدى ، وأبعد مرى
طلب السيف نفسه وهى وهى لو تذوق الردى لما مر طمعا

كذب الوهم ، ما الحياة سوى الأمن ، وشر الأمور ما كان وهما
وقع الطائر الميف على النسر الذى يملأ السماوات عزما
الرسول الذى تدين له الأراض ، وتهفو إليه حربا وسلما
قال : إني لهالك ، فأجرنى لا تدعنى لبعض صحبتك غلما

(١) الشنآن البغض .

(٢) المـكان الذى قتل الرجل فيه

ردّ عنى أبا بصير فحسبى ما جناه على صدعا وكلما^(١)
جرّح الخنثف صاحبي وانبرى يطلب قتلى ليتبع الجرم جرما
إنه جاء راکضاً يحمل السيف فهب لى دى ، لك الشكر جما
عفّ عنه ، وقال : ما ثم شيء يا نبي الهدى أرى الأمر تما
صدق العهد ، وانقضى الرد فانظر ما ترى فاقضه سداداً وحزماً
قال : فاذهب فقد برئت ، وظلم أن يلام البريء أو أن يذما
لك ما شئت أن تحل من الأَرْضِ سوى أرض يثرب أو تؤما
فتولّى إلى مكان يزيد الـ كافر والكافرين خسفاً ورغماً^(٢)
كل مال ثقلٌ غير قریش بين عينيه ظاهر ليس بكى^(٣)
إنه الأرقم الأصمّ تداعت فارتمت حوله الأرقام صما
مؤمن حل في العراء محلاً جمع المؤمنين فيهِ وضماً
أقبلوا ينسلون من كل أوب يطلبون المصال قرماً قمرماً^(٤)
لمّ ذو العرش شملهم بعد صدع وخليق بشملهم أن يلمسوا

* * *

يا أبا جندل عليك سلام جئت بالخليل ترجم الأرض رجما
اغفر ما جنى أبوك سهيل يوم يطنى عليك ضرباً ولطما
إنما الصابرون أوفى نصيبا يا أبا جندل وأوفر قسما
أعملوا القتل والنهاب ، وردّوا كل غم أصابه القوم غرماً

(١) السلم المرح .

(٢) الرغم الكره والفسر .

(٣) كفى الشيء ستره وغطاه .

(٤) ينسلون يسرعون وأوب مكان والأرقم الشجاع .

غارة بعد غارة تاكل انسا ل ، وتطوى الرجال خضماً وقضماً^(١)
ززلوا من أبى بصير بخطب بالغ صدعه أبى أن يرتما
مخّذم قاطع ، ومسرّ حرب جريته البيض القواطع قدماً^(٢)
ضاقّت السبل والفجاج عليهم واستحال القضاء سداً وردماً
عاد رتقا كأنه سد يأجو ج وماجوج ما ترى فيه ثماً^(٣)
جأروا يشتكون ، واذكروا الأَرْحَامَ يستشفعون أجبناً وأوما
واستمدوا الخنان من أعظم النسا س حناناً ، وأقرب الرسل رحا
قال ذو أمرهم : أغثنا ولا تمّ نف علينا ، إن القيوب لتعمى
أفسدَ العهدُ أمرنا فعرفنا ه ، وماذا لنا إذا الأمر عُثى ؟
قد تركنا لك الرجال فأمسك كل من شئت منهم أن تُذمّا^(٤)
حَسْبُنَا التَّمُّ يا محمد إن تَبَسَّطْ علينا ظلاله ، فنعمّا
بدّد الضر والأذى بكتتاب نظم البر والمروءة نظماً
لم يدعه أبو بصير ورامى الـ موت يلقي عليه سهماً فسهما
جاد بالنفس وهو في يده يتلوّه ، ما أعظم المقام وأسمى
آخر الزاد إن أردنا له اسماً وأراه أجلّ من أن يسمى
قال : أقبل وفرق الناس وليعلموا ، لحسب الطغاة قمعاً ووقفاً^(٥)

* * *

(١) الخضم الأكل بجميع اللحم والنضم الأكل بأطراف الأسنان .

(٢) جاء في السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق على أبى بصير هذا الوصف

(٣) مسرّ حرب .

(٤) الرقى السدود المنطق .

(٥) أذم فلاناً أجاره .

(٥) وقه قهره وأذله .

رجع القوم راشدين ، ومن أرشدُ يَمُن رعى الضلال فأنصى ؟
وأبو جندل يؤم رسول الله في رُقَّةٍ إلى الله تنص
كوكب الحق والهدى يتقى من ذويه الهداة نجماً فنجماً
طلعوا والزمان أسود داج فجوا من ظلامه ما أدلهما
ورموا بلشعاع مقتل دين رد وجه الحياة أغبر جهما
إعرف الحق ، لاترعك لدعوى فانروآت والنقاب ثدما
أى مجد فى الأرض ، أوأى فضل لم يكونوا له أساساً وجذما ؟^(١)

• • •

إن فى حكمة الرسول لذكرى لبيب أصاب عقلا وفهما
هدم الله ما بنى العهد من آمل قوم يبنون للدين هدماً
كم رأوا من مشهد لوهم فيه مشهداً رائع التهاويل نفما
لا يفرّتهم من الفيث وكف إنه السيل موشك أن يعما
همة من هدى رسول ولود تورث الشرك والضلالة عقما
لم تزل تضرب الطواغيت حتى جرّعتها الرزّازين نكلا وبتما
إن للحق بعد لين وضعف قوة تحسم الأباطيل حسما

عزوة خيبر

كانت هذه العزوة فى الحرم من السنة السابعة ، فلما أشرف الى
صلى الله عليه وسلم فى جيشه على مدينة خيبر عند الصبح ، وكان اليهود
قد أصبحوا يحملون القنوس والمساحى ليعملوا فى مزارعهم ، فأخذهم العرب
وعادوا إلى حصونهم ، فبقوا محاصرين فيها ، ثم خرج رؤسائهم يبارزون
المسلمين فيأخذهم الله بسيوفهم ، ثم دارت رحى القتال بعد ذلك ، وكان على
ابن أبي طالب كرم الله وجهه قد تحاف بالمدينة لرممدا أصابه ، فبعث إليه
التي سبعة بن الأكوع ، فجاء به يقوده وهو معصوب العينين ، وعقد له
التي اللواء فيأشرك القتال ، وفتح الله على المسلمين ، وقد طلب اليهود الصلح
على أن تحقن دماؤهم . وترك لهم النساء والذراري ، ثم ينقشعون عن خيبر
لا يحمل الواحد منهم سوى ثوب واحد ، فقبل النبي ، وأراد الله له أن يقرم
على أرضهم عمالا ، فساقم على النخل وزارعهم على الأرض ، وبقي أمرهم
كذلك إلى أن كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحدث أن ابنه
عبد الله ذهب إليهم فأصابوه بسوء بليغ ، فأجلاهم عن أرضهم وديارهم ،
وذهب بعضهم إلى تيماء وبعضهم إلى أريحا .

أعدى النمل خيبر والذبابا أعدت يثرب الأسد الفضاءا
ومدّى من حصونك كل عال ليرفع فى السماوات القبابا
سينزع بأسهم حصناً فحصناً ويفتح عزيمهم باباً فبابا
أتاك الفاتح المقدام يزجى مع الجيش الدعاء المستجابا^(١)
أتوك مكبرين فلا تلوذى بغير الذعر واضطربى اضطرابا
أما والذاكرين الله فرداً لقد هزوا المحارم والشعابا^(٢)
أجيبى : أين جندك ؟ واسألينه لمن جمع السلاح ؟ وكيف غابا ؟

(١) لما أشرف الرسول الكريم على خيبر قال لأصحابه قفوا ، ثم قال لهم قولوا - اللهم
رب السماوات وما أطلن ، ورب الأرضين وما أقتلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب
الرياح وما أفرين ، فإننا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك
من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، فلما قالوها قال : أقدموا باسم الله .

(٢) المحارم جمع محرم ، وهو منقطع الأكمة وأتف الجبل والطريق فى الأرض الفيلطة .

(١٥ - ديوان محمد الإسلام)

تواروا في الحصون وخادعتهم ظنون كنّ حلاً أو سراباً^(١)
 ولو جعلوا السحاب لهم محلاً لطار الجيش يقتحم السحاب
 جنود محمد كنوت يمضي على قدر صعوداً وانصباباً
 وليسوا في الحروب إذا تلظت كن جهل الأمور أو استراباً
 وفي حصن النطاة لسان صدق يُعلم كل من جهل الحباب^(٢)
 رأى الرأى الذى ذقت يهود مرارته ، فكان لهم عذاباً
 أصابهم حمياً اليأس ما تنحى الجيش يلمس الصواب^(٣)
 سل البطل الحزب لو أجاباً أعلم أى داهية أصاباً؟^(٤)
 رماه بعامر قدر إذا ما رمى المهجات غادرها خراباً
 ولكن المنية أخرته ليبلغ في غوايته الكتاب^(٥)
 وخن السيف صاحبه ، فودى شهيداً ، برّ مصرعه وطاباً

(١) لما بلغهم أن النبي سيفزوم جعلوا يخرجون ويقفون صفوة ثم يقولون ، محمد يغزونا ، هيهات ، وذكر أن عبد الله بن أبي بن سلول أرسل إليهم : أن خذوا حذرهم ، وأدخلوا أموالكم حصونكم ، وأخرجوا لقتاله ، ولا تخافوا منه . إن عددكم كثير كانوا عشرة آلاف وقوم محمد شرفمة قليلون - عزل لاسلح معهم إلا قليل .

(٢) وضع ليهود أموالهم وعبائهم في بعض حصونهم ، وعسكروا في حصن النطاة ، فنزل المسلمون قريباً من هذا الحصن . فتقدم الحباب بن المنذر إلى النبي وقال له : يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان عن أمر أمرت به فلا تكلم ، وإن كان الرأى تنكلمنا ، قال هو الرأى : فقال الحباب . إنهم قوم يجيدون الرأى ، وهم مرتفعون عنا ، ولا نؤمن من بيئاتهم يدخلون في حزة النخل ، تحول يا رسول الله . ففعل .

(٣) حميا الشيء شدة .

(٤) هو مرحب ملك اليهود خرج يرتجز .

قد علمت خبير أنى مرحب شاكي السلاح ، بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تاهب

فبرز له عامر بن الأكوع فضربه مرحب بسيفه ، فوقعت الضربة و ترس عامر فأراد أن يضرب مرحباً من الأسفل فداد إليه سيفه فأصابه ثبات .
 (٥) أى الأحل المكتوب له .

هنيئاً عامرٌ رضوان رب حباك الأجر جمّاً والشواب
 بسيفك ميتٌ موت فتى كرم يحاذر أن يعير أو يعابا
 برزت لمرحب بطلا مهيباً أبى أن يتقى أو أن يهابا
 ولولا نبوة للسيف طاشت بمضربه لأورده التباب^(١)



توالى الزحف ، واستعرت نفوس توالى الزحف ، واستعرت نفوس
 لئن خاضت غمار الموت ظمأى لئن خاضت غمار الموت ظمأى
 سهامٌ بوسائلٍ لاقت سهاماً يكاد جبانها يخشى التراب^(٢)
 تحدث عن مخاوف باعثها حديثاً يبعث العجب العجابا
 دعيتهم للوغى بيض المواضى وصيرت السهام لهم خطابا
 ولو ملكك مسامهم قلبوا لنا ملكوا الجاحم والرقابا
 لوان الحصن أوتى ما تمنى أبى إلا هزواً واقلابا
 رماه محمد فألح حتى لأوشك أن يقول : كفى عقابا^(٣)
 يظل الظرب يحمل منه طوداً طوى الأطواد ، وانتظم المضابا
 وأمسك هذه الدنيا ، فأمت وما تخشى الزوال ، ولا الذهابا
 لواء الفتح في يده رهين بصاحبه الذى فاق الصحابا^(٤)

(١) التباب الهلاك .

(٢) اشتد التراب بالنبل بين المسلمين واليهود . حتى لقد أصابت سهام هؤلاء ثياب

النبي صلى الله عليه وسلم وعلقت به .

(٣) ألم الرسول الكريم بالرمي على حصن ناعم إلحاحاً شديداً ويهود تقابل ، وهو

على فرسه الطرب وعليه درعان ومقفر وبيضة ، وفي يده قناة وترس .

(٤) لما اشتد الأمر واستعصت الحصون قال النبي صلى الله عليه وسلم لخمد بن مسعدة

رضي الله عنه : لأعطين الراية لرجل يحب الله ورسوله ويحباة ، لا يولى أدر ، يفتح الله عز وجل على يده ، فلم يكن من الصحابة أحده له منزلة عنده إلا رجاً أن يكون هو المعنى بذلك وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما أحببت الامارة إلا ذلك اليوم ، وبعث النبي على بن أبي طالب وهو أرمد ، فدفع إليه الراية وكان أسنمها المقاب ثم أعطاه سيفه

يشير إليه محتجباً بوصف يكاد سنام يخرق الحجاب
ويذكره وبالفرق حرص على أن ليس يعدوه انتخاباً
على للعقاب ، وما على سوى البطل الذي يحى العقاب
شهاب الحرب ، لا عجب ولكن عجت لفرقد قاد الشهادة
رسول جاء بالفرج المرجى وبالنور الذي كشف الضبابا
تقدم يا على رعاك رب كفى عينك داءك والعصابا
بطب محمد أدركت مالو أراد الطب أعجزه طلابا
شفي الرمد الذي آذاك حيناً وكان لعزمك الماضي قرابا
خذ السيف الذي أعطاك ، واصدع بياضك هذه الصم الصلابا
حُصون كلما زيدت دعاء إلى البيضاء ، زادت اجتنابا
تُحب الكبر ، لا ترضى سواه على آفاته خلقاً ودابا

* * *

تقدم ، ما لصيدك من قرار إذا لم تؤته ظفراً ونابا
خذ الذئب اللعين ولا تدعه صدود الليث ، يحقر الذئبابا^(١)
كفى بالحارث المفرور علماً لمن رزق النبلاء ومن تقابى
أرقت حياته ، فأرقت منها صريح الكفر يابى أن يشابا
ورعت به أديم الأرض لما جعلت عليه من دمه خضابا

* * *

== دا اعفار قال على كرم الله وجهه ، يا رسول الله إن أردت كما ترى ، لا أبصر موضع قدسى .
فتل في عينيه بعد أن وضع رأسه و حجره . وقيل أنه قتل في كفه الشريف ثم فتح عينيه
ودلكهما - فبرى .

(١) ذهب على إلى الحصن فركز الراية تحته ، وكان أول من خرج إليه الحارث أخو
مرحب ، وكان معروفاً بالشجاعة ، فثبت له وتضاربا فقتله ، وانهزم اليهود إلى الحصن ، ثم
مررت به مرحب فقتله .

تَحَيَّجَ مرحب ما ليس حقاً ومنته الظنون متى كذابا
مشى يختال مرتجراً فلاقى قضاء الله ينسرب انسرابا
سقام الموت أبيض مشرفي يذيب الموت يحمله شرابا
لك الولايات من ملك غوي أحيط بملكه ، فهوى وذبابا
أعدته اليهود لكل خطب فضل رجؤهم فيه وخبابا
أما نظروه مأخوذاً بيأس يهدئ البأس أخذاً واستلابا ؟
وكل مغالب ، فله على غداة السكر يأخذه غلابا
توتب يا سرب ، فتلقفته نخالب فانتك ألف الوثابا^(١)
أما سمعته خير حين يهدى فصدت عنه توجهه عتاب ؟
ولو تسلطع لاتخذت حياء من البيض الرقاق له نقابا
غراب الشوم يفرعها نعيماً فيالك بومة ولدت غرابا
فتى شاكي السلاح ، ولا سلاح لمن يبغى من الموت اقترابا
ألا إن الزبير لدو بلاء وإن خشيت صرته أن يصاب
حواري الرسول يكون منه بحيث يريد صبراً واحتسابا

* * *

تجلت غرة الفتح المرجى وأمسى النسر قد طرد الذبابا
وأعولت النطاة لفقد حصن يعم يهود شجواً وانتخابا^(٢)

(١) لا قتل مرحب خرح أخوه ياسر وكان من مشاهير فرسان اليهود وشجعانهم وهو
يرتجز .

قد علمت خير آتى ياسر شاكي السلاح بض مغاور
ويقول ، هل من مبارز ؟ فخرج إليه الزبير بن العوام فقتله ، وكانت أمه صفية . فنت
عند خروجه : يا رسول الله أنه يقتل ابني ، فقال لها : بل انت يقتله إن شاء الله .
(٢) هو حصن ناعم ، فتحه الله على يد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فقتل
الذين بقوا فيه من اليهود إلى حصن الصعب .

هو البأس المدمر يا عليّ فدع آطامها العليا يبابا
 وحصن الصعب أذعن بعد كبر وأعلن بعد غلظته اللثابا^(١)
 وأدّى ما أعدّ القوم فيه فأمسى بين أعينهم نهابا
 وراح المسلمون بخير حال ولولا الله ما برحوا سقابا
 أتاح لهم على الضراء رزقاً فأمسى اليسر بعد العسر ثابا
 مفانم من عتاد القوم شتى تجاوز حين تحصيها الحسابا
 كفى بالصبر للأقوام عوناً إذا حدث من الأحداث نابا
 وما أمر اليهود إلى صلاح إذا الداعي إلى الهيجا أهابا
 مشى لهم الحباب يحزّ جيشاً شديد البأس ، يلتهب التهابا^(٢)
 فزّزل حصنهم ، حتى لوذّوا لو ان له إلى الطير انتسابا
 ولو منك الجناح لطار يطوى طباق الجوّ ذعراً وارتعابا
 تنادّوا للقتال ، فبادرتهم سيوف الله شقيقة طرابا
 وليس لقوم يوشع من بقاء إذا طعموا الطعان أو الضرابا^(٣)
 عباب الموت يملك جانبهم فتم القوم إن ملّكوا العبابا

* * *

تتابعت الفتوح محجّلات تزيد يهود حزناً واكتسابا
 أصيبوا بالقوارع راجفات تهدّ الشيب منهم والشبابا

(١) كان اليهود قد وضعوا في حصن الصعب شعيرم وتمرّم ، ومنهم وزيتهم وشحمهم
 وماشيئهم ومتاعهم ، فغمّ المسلمون كل ذلك ، وكانوا في حاجة إليه شديدة .

(٢) الحباب بن المنذر ، دفع اثني اللواء إليه ووجهه إلى حصن الصعب ففتح
 على يده .

(٣) يوشع هذا رجل من اليهود خرج من هذا الحصن قبل فتحه مبارزاً ، قتله الحباب
 رضي الله عنه .

فتلك حصونهم أمست خلاء كأن لم يعمرها منها جذبا^(١)
 تساقوا بالعراء الذل مرّاً يود طفاتهم لو كان صبا
 وأنقوا بالسلاح وما أصابوا من الأموال جمعاً واكتسابا
 وضاقوا بالجلاء فأدركتهم عواطف محسن تسع الرحابا
 أصابوا من رسول الله مولى يتوب على المسىء إذا أنابا
 قضى لهم القضاء ، فلا انتزاحاً لقوا بعد المقام ، ولا اغترابا
 ثووا في الأرض عملاً عليها يؤدّون الإتاوة والنصيبا
 ولأه الزرع للإسلام منهم شريك ليس يظلم أو يحجب
 هداة الناس أرشدهم سبيلاً وأحسنهم إذا انقلبوا مآباً

(١) الجباب الفناء أو ما قرب من محلة القوم .

كَنْزُ بَنِي النَّضِيرِ

هو حليم الذي كان سلام بن أبي الحقيق حمله في جند بصر - وقيل في جند نهر - يوم إجلاله بني النضير وهو يقول : إنا أعددتنا هذا لرفع الأرض وخفضها - لما فتحت خيبر سأل النبي عنه فقالوا : أذهبته الحروب والنفقات ، فدفع رجلاً منهم اسمه سعية بن عمرو ثم حي بن أخطب إلى الزبير بن العوام فمعه بمذاب ، فدخل على مكانه ، وكان حي قد دفنه في ذلك المكان .

منايا القوم في جلد البعير فإين يضع كنز بني النضير ؟
مرء الأمر في رفع وخفض لهذا الأرض في الحدث الكبير
كذلك قال أكذبهم مقالاً وأجهلهم بعقاب الأمور
هم اتخذوا الخداع لهم سبيلاً وكانوا أهل بهتان وزور
فما صدقوا النبي ولا استحسبوا سوى الطمع الحبيب والغرور
وما الكنز الذي دفنوه إلا نذير الويل أجمع والنبور
يقول غواتهم : لم يبق شيء مقل ذوي السفاهة والتفجور
فما من صاحبهم عذاب بدا الشر الغيب في الصدور
وحى بكنزهم إرثاً عتيداً لوراث أئمالك والدهور
ولو جحدوه أقبنت المنايا تؤذن في الزقاة وفي النحور
فبادوا في مصارعهم وعادوا كطسم أو كعاد في الدثور
وما برحت عودى الدهر تجري على أهل النأثم والشور
لهم في ذمة الفساروق يوم يطعنهم بشر مستطير^(١)
فصبراً ، إنه لا بد آت فما ليهود خيبر من مجير

المُخَلَّفُونَ

جاء الذين تخلفوا عن غزوة الحديبية إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخرجوا معه طلباً للفتنة فقال لهم ، لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد ، فأما الفتنة فلا ، ثم أمر منادياً ينادي بذلك .

هو الدين ، ما في الدين غم ولا غرم هو المقيم الوافي ، هو المقتنى الضخم
أتى القوم ينفون القتال مأرب وعند رسول الله من أمرهم علم
فقال : ارجعوا لا تجعلوا المال همكم ولا تجهلوا ، إن الجهاد هو الهم
فمن جاءنا يبغى مفاسد خير فليس له فيها نصيب ولا سهم
هو الدين دين الله يا قوم خلصا فإن تلحدوا فيه ، فذلك الظلم
ألم أدعكم من قبل ، فأنصرفتم بكم عن الله دنيا الناس وانتقض العزم ؟
عصيتم عن المثل ، وأقبل معشر مناجيد ، لا أعي القلوب ولا صم
رموا في صدور المبطلين وجاهدوا مناصرة رب حقه واجب حتم
أولئك أهل الرأي ، لا نفر الألى تولوا ، فلا رأى لديهم ، ولا حزم
أولئك أوفى الناس قسماً وخيرهم جزاء ، فعودوا ، لا جزاء ولا قسم
هو الدم والحق الغم فاعلموا وثه ما بقضى ، له الأمر والحكم

(١) إشارة إلى إجلالهم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

عبد الله بن أبي بن سلول

عقرب السوء تهادى فى الأذى والأذى بعض سجايا العقرب
وبلك عبد الله ماذا تبتغى؟ تعب الشر ولما تعب
إتلب يا ابن أبي واجتنب خطل الرأى وسوء المذهب^(١)
أنت أضلت الألى طمعتهم من وصاياك يبرق خلب^(٢)
ليس فيما نابهم من عجب خائب طاح بقوم خيب
قومك الأبطال : ماذا صنعوا بالحصون الشم؟ قل ، لا تكذب
أتراها فى صياصيبها العلى دافعت عن ياسر أو مرحب؟^(٣)
إمتلى يا ابن أبي غضباً ليس يرضى الحق إن لم تغضب
أفما يرضيك فى الدنيا سوى موقف الجانى ومثوى المذنب؟
لو صدقت الله فى دين الهدى فزت منه بالذمام الأقرب
خطة المؤمن يمن ماله دونها من خطة أو مركب
لك فى الإسلام من أعدائه خلق الذئب ، وطبع الثعلب
هكذا قدر ربى وقضى ما الخبيث النفس مثل الطيب

صفية أم المؤمنين رضي الله عنها

مى بنت حبي بن أخضب سيد بنى النضير ، وهو من سبط هارون بن
عمران أخى موسى عليهما السلام . سبيت من حصن الوضيح وكان اسمها
زينب . فلما هداها الله إلى الإسلام سميت صفية وكانت زوجاً الكنانة بن
الربيع بن أبي الحقيق ، تزوجها بعد أن طلقها سلام بن مشكم الذى روى
أنه لم يدخل بها - غيرها النبي صلى الله عليه وسلم بين أن يعتقها فترجم إلى
من بقي من أهلها ، أو تسلم فيتخذها لنفسه ، فقالت : أختار الله ورسوله

إن جال غم المسلمين بخير فما غنمت أجل منه وأكبر
الله أكبر يا عروس محمد هذا هو الشرف الأعم لأوفر
هذا مكانك عالياً ما مثله فى السؤدد العالى مكان يؤثر
يادرة صينت لتاج جلاله الدر من تحته والجوهر
الشان شأنك ، أنت خير صفية والتاج أنت به أحق وأجدر
أدركت بالإسلام فى حرم الهدى جهد المنى مما يتاح ويقدر
أدركت دنيا الصالحين ودينهم فظفرت بالحسن ، ومثلك يظفر
ولقد غنيت ودون ما تجدينه دنيا مذممة ، ودين منكرو
ذعر الوطيح فأسلمتك حمته وحلت بالحصن الذى لا يذعر
ما مثل رؤياك التى كانت أذى رؤيا تفسر للنيام وتعبر^(١)
أفكنت ناسية ، فجدد ذكرها أثر بعينك يا صفية أخضر؟
يا ويلتنا لابن الربيع يفيظه هذا المقام الصعب كيف يُيسر
لطمتك من سفه وسوء خديقه يده ، وتلك جنابية ما تفسر

(١) رأى النبي صلى الله عليه وسلم خضرة فى إحدى عينيها فسأها ما خرها ففأت لها
نامت فى حجر زوجها كنانة بن الربيع وهى عروس . فرأت كأن الفجر وقع فى حجرها ،
وأخبرته بذلك فلطمها وقال ، تريدن ملك العرب فكان هذا الأثر الأخضر .

(١) إتلب بمعنى استعج خطل الرأى فساد .
(٢) البرق الخلب الحادع الذى لا مض فيه .
(٣) لصياصى الحصون .

ماذا رأيت من الذى أبغضته وقعت ما يرضى وما يتخير؟^(١)
أردى أبائك وهدد زوجك بأسه وأصاب قومك منه موت أحر
ماذا رأيت؟ أما عذرت سيوفه وعلمت أن عدوه لا يُعذر؟
وقد بلوتِ خلاله فوجدتو نعم الخليل إذا يسوء المعسر
أحبته الحب الكثير على القلى ولحب ربك ذى الجلالة أكثر
ذهب الرعاة ، فما يسرك صاحب ورعك صاحبك الأبرء الأطهر
آثرتو ، ورضيت ربك إنما لله عندك نعمة لا تكفر
أعنى محلك فانعمى وتقدمى بأجل ما يثنى عليه ويشكر
ولأنت إن عظمت فوائد خير أسنى وأعظم ما أفادت خير

* * *

يا قبة المختار دونك ما بنى فى ملكه كسرى وشيّد قيصر^(٢)
مشوى يهول الناظرين ومنظر عجب يروع مقامه والمظهر
فيه الجلال الضخم ، ترتدّ منى من دونه مذعورة تتعثر
فيه السلام لكل جيل يبتنى فيه النظام لكل عصر يذخر
فيه الحياة تسلى من أكفنها هلكى الشعوب ، إذا تموت وتقبر

* * *

إيه أبا أيوب ما بك ربية إن الحب على الحبيب ليسهر^(٣)

(١) ذات : انتهيت إلى رسول الله وما من الناس أحد أكره إلى منه ، قتل أبى وزوجى وقوى ، ثم فت من مقعدى ومن سس أحد أحب إلى منه .

(٢) أعرس بها النى فى قبة يمكن يقال له الصبياء بن خير والمدينة .

(٣) بن أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه ليلة العرس متوشحاً سيفه يحرس النى ويضرب حول قبة فلما أصبح ورأى مكانه سأل : ما جملة يفعل ذلك ، فقال : خفت عليك من هذه المرأة . قتلت أباه وزوجها وقومها وهى حديثة عهد بكفر فت أحفظك : قال : اللهم حفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى ، فما دفن بلاد الروم أرادوا به شراً فحفظه الله . . .

تأبى الكرى وتطوف حول محمد والسيف يقظان المضارب ينظر
ماذا تخاف على حبيبك من أذى والله كاف ما تخاف وتحذر؟؟
إهنا بدعوته ، فتلك وفاة من كل ذى جبرية ينمر
تلك الولايم فى رحاب محمد شتى ، سر بها النفوس وتخبر
الصحب من فرح عليها عكف والرسل أجمع والملائك حضر
عرس النبی وأى عرس مثله؟ هيات ، تنك فضيلة لا تنكر

واذكروا خطبكم وكيف ذهبتم خيفة الضيم في البلاد عزيزنا^(١)
 تركبون العباب يأخذه الكبر، فيأتي عناه أن يلينا
 يضرب الموج في جوانبه للوج، وترجى السفين فيه السفينا
 اتخذتم أرض النجاشي داراً وتركتم دياركم والقطينا
 ملك عادل أقام عليكم من كريم الجوار حصناً حصينا
 ورعاًكم رعى الحق يؤدّي حق أضيافه وفيّاً أميناً
 وجد العار في هدية عمرو فبأها وردّ عمرّاً حزينا
 قال : يا ويلتنا ، أأهدم مجدى وأعادي أبوتى الأولينا ؟
 أبيع الضيوف يا عمرو دعها خطة تجعل العزيز مهينا
 إنها سبة على الدهر يؤبى كل حرّ مهذب أن تكونا
 راعه جعفر بقول مبين فرأى الحق واضحاً واليقينا
 ودرى أنما السجود لغير الله إثم يحق بالساجدين
 واهتدى قلبه فأثر دين الحق في مجمع القساوس دينا
 دلف القوم بالمصاحف لا يدرون ماذا يريد أن يستبيننا
 قال : ما عندكم ؟ أما قال عيسى سوف يأتي من بعده من يلينا ؟
 بطل الشرك ، واتته الأفك هذا خاتم الأنبياء والمرسلينا
 كيف نأبى محمداً وهو حق ؟؟ أيقول الهداة إنا عمينا
 رب إني آمنت . فاغفر ذنوبي واهدني في عبادك المؤمنين
 هكذا فاز بالكرامة حزب الله طوبى لحزبه المفلحين

ادن يا جعفر لك الرتب العدا ، وكنت أمراً بهن قينا

رجوع المهاجرين من الحبشة

كانت هجرة المستضعفين من المسلمين من مكة إلى الحبشة مرتين ، الأولى في شهر رجب من السنة الخامسة للنبوة والثانية بعد رجوع أكثرهم في شهر رمضان - وقيل شوال - عند ما بلغهم إن مشركي مكة أسلموا ثم طهر لهم غير ذلك ، وسبب هذه الهجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين لما أصابهم الأذى : تفرقوا في الأرض وأين نذهب ؟ فأشار إلى جهة أرض الحبشة وقال : إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد - وكان عدد المهاجرين في المرتين ثلاثة وثمانين رجلاً ، وثمان عشرة امرأة وبشت قريب في أثرهم عمرو بن العاص . وعمار بن الوليد بهدية إلى النجاشي وعطاء رجلاه هؤلاء المهاجرين إليهم ، وقال عمرو وصاحبه : إنهم لا يسجدون لك كما يسجد الناس . ويقولون في عيسى بن مريم عليه السلام مالا يرضيك ، فبعث النجاشي إلى الأساقفة فجاءوا بمصاحفهم ، وتولى جعفر بن أبي طالب الكلام عن المهاجرين الذين كان يسميهم (حزب الله) فقال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ولا نقول في عيسى عليه السلام إلا ما يقول إنه روح الله وكلمته أنقأها إلى مريم . قال النجاشي : يا معشر القساوسة هذا ما عندهم في المصاحف ، أشهد أنه رسول الله الذي بشر به عيسى في الإنجيل ، ثم قال للمسلمين : لا تزلوا حيث شئتم من أرضي آمنين ، وأمر لهم بما يصاحبهم من الرزق ، وقال : من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني - ردوا هذه الهدايا فلا حاجة لي بها ، وكان عودة هؤلاء المهاجرين في غزوة خيبر فأمر لهم أنى بأخذ أنصبتهم من الغنائم .

مرحباً بالأحبة المقبلينا أطفئوا شوقكم ، وقضوا الحنيننا
 أذن الله باللقاء ، وكانت لوعة للفراق دامت سنينا
 إن هذى دياركم فادخلوها طيبات لمعشر طيبينا
 ادخلوها بنعمة وسلام واعمروها بأهلكم والبنينا
 أقبلوا أقبلوا ، وحيوا رسول الله مستبشراً بمد اليينا
 صالحوه محبب الوجه سمحاً وارموه مباركاً ميمونا
 ونظروا حوله الجنود أوفاً بعد أن لم تكن تداني المثينا

خُذِ الْقُبْلَةَ الَّتِي هِيَ أَقْصَى مَا تَرْجِيهِ أَنْفُسُ الْمُتَّقِينَ (١)
 إِدْنِ يَا أَشْبَهَ الرِّجَالِ بِأَعْلَى النَّاسِ قَدْرًا وَخَيْرِهِمْ أَجْمَعِينَ (٢)
 وَلَكَ الْعَذْرُ إِنْ رَقَصْتَ فَهَذِي نَشْوَةُ الْحُبِّ تَأْخُذُ الْمُحْلَصِينَ (٣)
 نَادِ يَا شَاعِرَ الْعُرُوبَةِ وَاهْتَفِ مَرْحَبًا بِالْأُمَاجِدِ الْأَكْرَمِينَ
 هَذِهِ خَيْرُ الْعَصِيَةِ دَالَتْ لِسُيُوفِ الْبَوَاسِلِ الْفَاتِحِينَ
 نَصَرَ اللَّهُ جَنْدَهُ وَجَبَاهُ فِي لُؤَاءِ النَّبِيِّ فَتَحًا مَبِينًا
 فَخَذُوا حَقْمَ هَنِيئًا مَرِيئًا وَاشْكُرُوا اللَّهَ أَكْرَمَ لِلنَّعْمِينَ (٤)

أم حبيبة رضي الله عنها

هي بنت أبي سفيان . هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ، فارتد عن الإسلام هناك ومات نصرانياً - أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه في الحُجْرَمِ سنة سبع إلى النجاشي ليزوجها منه ، ففعل ودفع الصداق من ماله أربع مائة دينار . أو أربع مائة مثقال ذهب ثم أومأ للناس بعد ذلك ، وكانت إحدى جواريه قد أخذت منها بعض الهدايا والأموال لما بشرتها بخطبة الرسول الكريم ، فأمرها بردها فأخذت ، وأمر نساءه أن يقدمن إليها العطر والطيب ، ثم أرسلها إلى النبي مع شر حبيبل بن حسنة .

بشراك أم حبيبة بمحمد تمت لك النعمى ففوزى واسعدى
 هذا بشير الخير أى طلاقة تحكى طلاقة وجهه الغض الندى (١)
 حمل الرسالة مشرعاً من رحمة فيه الشفاء لغلة القاب الصد (٢)
 بشراك أم المؤمنين فهذه رؤياك عند أوانها والموعود (٣)
 بعث النجاشي الوليدة فاسمى أشهى الحديث إلى الكراشم واشهدى
 هذا عطاؤك لو يكون مكانه أغلى الكنفوز خشيت أن لا تحمدى (٤)
 نعم العطاء بذلته مرضية في الله راضية . وبالك من يد
 قلدت أمرك خالداً فضى به شرقاً على شرف أشم مخد

(١) عمرو بن أمية الضمري .

(٢) المعرع المورد .

(٣) رأت في المنام كأن قائلاً يقول لها . يا أم المؤمنين ، ففرغت وأوتيتها إن النبي يتزوجها ، قالت : فما شعرت إلا وقد دخلت على جارية النجاشي فقالت لي . إن الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليه أن يزوجه منك . فقالت بسم الله بالخبر ، ووكلت عني خالد بن سميد بن العاص (رضي الله عنه) .

(٤) أعطت الجارية سوارين وخاتمين وخواتم فضة مروراً بما بشرت به .

(١٦ - ديوان عبد الإسلام)

(١) عاتقه النبي وقبل ما بين عينيه .

(٢) قال له صلى الله عليه وسلم : أشبهت حاني وخاني .

(٣) لما قال له ذلك رقص من ثمة هذا الخطاب .

(٤) إشارة إلى أخذ أنصبتهم من النعام .

هتف الرسول : أجب وكيل محمد فشى إلى الملك الأعز الأصيل^(١)
 يبقاه في تاج الهدى وسريره بين الأرائك والجموع الحشد
 في مشهد زائته غرة جعفر زين الندى ونور عين المنتدى^(٢)
 جمع الأحبة والرفاق ، فقبلوا من كل عال في الرجال ممجد
 أذى النجاشي الصداق مباركا ملء اليدين يسوقه من عسجد
 وأقام لله الولائم كلها زادت وفود القوم قال لها : ازددى

* * *

مضت الوليدة بالصادق فصادفت كرمًا يجاوز مطمع المسترفد^(٣)
 نالت . ولم تسأل . ولم تمدد يداً خمسين ديناراً عطاء كاللد^(٤)
 فضلٌ لأُم المؤمنين تفجرت عنه ، فراح يفيض غير مصرود^(٥)

* * *

تلك الوليدة قال سيدها : ارجعي أنسيت حقَّ الضيف عند السيّد؟^(٦)
 رُدِّي العطية والهدية واذكري آلاء ربك ذي الجلال الأوحد
 لا ترزني زوج النبي بأرضنا شيئاً ، فبئس الزاد للمتزود

* * *

(١) عمر بن أمية .

(٢) أمر النجاشي أن يحضر جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين حفل عقد الزواج

(٣) دفع النجاشي الصداق إلى خالد بن سعيد بن العاص فأرسله إلى أم حبيبة مع جارية النجاشي فأعطتها خمسين ديناراً .

(٤) الدد اللعب .

(٥) المصرد المنفل .

(٦) أمر النجاشي أن ترد الجارية جميع ما أخذت ففعلت . وأمر نساءه أن يهدين الطيب إلى أم حبيبة ففعلن ، وقالت الجارية لها حاجتي إليك أن تقرني النبي السلام وتبليغيه إني قد اتعت دينه .

قالت : إليك المال والحلي الذي أعطيتني . فليس أمرى في يدي
 أمر للملك فلا مردّ لأمره ولك الكرامة في الفريق الأرشد
 في في ذمامك حاجة منشودة لولا الهدى وسبيله لم نُنشد
 هل تحملين إلى الرسول تحية مني إذا انطلقت ركابك في غد؟
 حبيته مُنعمه وقولي : إني أحبته حبَّ التقي المهتدي
 ورضيتُ ممته لنفسى ، إنه لعلّ طريق للسداد معبد

* * *

رضيَ الملك وراح يحمد ربه حمد امرئٍ للمصالحات مُسدد
 ودعا إلى الصنع الجميل نساءه فالطيب ذو عقب يروح ويفتدى
 تمشي الولائد خلفه يحملنه في ملتقى بهج وحسن توذد
 يأتين أمّ المؤمنين يزدها ويقلن : مهلا كلفانات : قدى

* * *

سيرى هداك الله شطر نبيه في موكب من نوره المتوقد
 إلا يكن من هاشم وفد فكم لله حولك من رسول مُوفد
 جبريل يمشي في ركابك خاشعاً بين الملائك . فاشهدى وتفقدى
 الله بوأك الكرامة منزلاً وأعز جدك بالنبي محمد

آہل وندک

ثم قوم من اليهود بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بحبة بن مسعود رضي الله عنه وهو على مقربة من خير يدعوهم إلى الإسلام وينفروهم عاقبة أمرهم إذا عصوا فقالوا : إن في خير عشرة آلاف مقاتل فيهم عامر وباسر والحارث وهرحب ، فإن يظلمهم المسلمون ، على أننا سنبيت ملكا بعد يومين رجالا للصلح ، وذلك من مكرم ليروا لمن يكون النصر ، فلما جاءهم الذين هربوا من حصن فاعم بعد فتحه ، أرسلوا نون بن يوشع وهو رجل من رؤسائهم في جماعة منهم إلى النبي يطلبون الصلح فأجاب سؤلهم .

محیصة بَلَغَ ما أُمِرَتْ فَأَتَتْما
إلى فِدْكَ فَاحْمِلْ بِلَاغَ مُحَمَّد
أَبُوا أَنْ يُجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَابْتَغُوا
يَقُولُونَ : لَنْ يَسْطِيعَ جَيْشُ مُحَمَّد
يُدَافِعُ عَنْهَا مِنْ صَنَادِيدِ أَهْلِهَا
لَهَا عَامِرٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَيَأْمُرُ
وَأَنَّ بِهَا مِنْ كُلِّ رَامٍ وَضَارِبٍ
عَلَى أَنْتَا لَا نَكْرَهُ السَّلْمَ ، فَانْتَظِرْ

* * *

كذلك قالوا، يَكْرُونُ كذبهم
أطالوا المدى حتى يروا جدَّ قومهم
فلما رُموا بالحق من حصن ناعم
مشت رسلهم للصالح، تهوى أمامها

وماذا يفيد المكر أو ينفع الختل ؟
وجَدَّ رسول الله أيهما يعلو
وقيل لهم : ضاقت بقومكم السبيل
قلوب. هي الكتب الخفيفة والرسل

يُظَلُّ عَمِيدُ الْقَوْمِ نُونُ بْنُ يَوْشَعَ
وَلَاذُوا بِأَكْنَافِ النَّبِيِّ فَصَادُوا
أَحْلَلَهُمْ صَلَاحًا ، وَإِنْ دُمَاءَهُمْ
لَنْ يَخْلُقُوا لِلزُّمِّ أَهْلًا فَإِنَّهُ
لَهُ النِّصْفُ مِنْ تِلْكَ الْحَقُولِ يُعَدُّهُ
كَذَلِكَ مَوْلَى الْقَوْمِ ، يَرْجُونَ ظِلَّهُ

(١) جاء عبيد بن ربيعة مع رجال منهم يطلبون من النبي أن يصالحهم على أن تحقن دماؤهم ، ويخلى بينهم وبين الأموال ، فوقع الصلح على أن يكون له نصف الأرض ولهم نصفها ، فكان صلى الله عليه وسلم يعود من هذا النصف على صغير بني هاشم وفقيرهم ، ويرزق منه أيتهم ، وجرى الخلق الصالحون من بعده على ذلك ، فجعلوا ما يخرج منه صدقة للمسلمين (٢) الأزل الضيق والشدة .

بنو غطفان وسيدهم عيينة بن حصين

لما علم أهل خير أن المسلمين قادمون لغزوم ، بشوا إلى حليفهم عيينة بن حصين سيد بني غطفان يستمدونه وقومه عليهم ، ولهم في ذلك نصف ثمار خير ، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بنهما عن مظاهرة اليهود . فأبوا وقالوا حلفاؤنا وجيراننا . ثم خرجوا لنصرتهم فسمعوا من ورائهم صوتاً في ديارهم وهم في قوسهم أنه صوت الفزاة من المسلمين ، فأخذهم الرعب ، وارتدوا على أعقابهم مسرعين .

أما تدع العاية يا ابن حصين وتسلكها معبدة سوية ؟
أضنتك اليهود فرحت تبغى ثمار النخل ، يالك من بليته
لبس الأجر أجرك من أناس يرون الحق منزلة دنيته
أترضى أن تكون لهم حليفاً ؟ لعمرك إنيهم شرُّ البرية
رموك برسالم ، يرجون نصراً فما وجدوك من أهل الروية
أهبت بقومك : انطلقوا ورأى فتلك سرية تتلو سرية
تريد محمداً وبني أبيه أولى النجذات والهمم العلية
حماة الحق ، ليس له سواهم إذا غلت الحفيظة والحمية
نهاك محمد فأبيت رشداً لنفسك ، إنها نفس غوية
وقلت : أنترك الحلفاء نهياً ونحن أولو السيوف المشرقية ؟

رويدك يا عيينة أي خطب أصابك ؟ ما الحديث ؟ وما القضية ؟
وما الصوت المردديا ابن حصين ورائك في منازلك القصية ؟
وراءك يا عيينة لا تدعها فما هي عن دفاعك بالغنية

رجعت بجندك المهزوم رعباً فرحى ، ما الهزيمة كالنيته
لو انك جئت خير وهي ظمأى سقتك من الردى كأساً روية
نويت غيائها . فشعلت عنها وأمر الله يغلب كل نية
بربك يا فتى غطفان آمين فإن له آيات جليلة

رجعت إلى النبي تقول مالا يقول امرء ذو النفس الحية (١)
ألسن من خلفت بهم حليفاً ؟ فهب لي من مفاسمهم عطية
وإني قد آيت فلم أعظم عليك ، وما تركتك عن تقية
فقال : كذبت ، مالك من خلاق وما تخفى على الله الطوية
عليك بذى الرقية إن فيه كما أحببت من صلة سنتيه
تأمل : هل ملكت على أمرى ؟ وهل صدقتك رؤياك الغيبة ؟
لكل من دعاة الشرك حرب مظفرة الوقائع خيرية
سجاياء المرهفات البيض أولى بمن جمعوا النفاق لهم سجية

(١) جاء عيينة إلى النبي بعد فتح خير في رجال من قومه فقال : أعطى مما غنمت من حلفائي ، فإني امتنعت عن قتالك ، فقال له : كذبت ، ولكن الصباح الذي سمعت أهلك إلى أهلك ، لك ذو الرقية . قال عيينة . وما ذو الرقية ؟ قال الجبل الذي رأيت في منامك أنك أخذته وكان عيينة قد رأى ذلك فلما اتقه من نومه قال لقومه أيسروا فإني رأيت أني أعطيت ذا الرقية لقد والله أخذت برقة محمد ، ذو الرقية من جبال خير .

حجاج بن علاط السلمي

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بخير فأعلم ، وكان له مال كثير متفرق في تجار مكة . فاستأذنه في أن يذهب اليها ليجمعه قبل أن يعلم إسلامه وأن يقول للقوم ما يرضيهم ليعينوه على ذلك فأذن له ، وذهب فرأى عند البيت جماعة منهم يتلصسون أخبار خير ، فأقبلوا عليه يقولون : إيه يا حجاج ، فقال : هزم محمد وأصحابه هزيمة لم يسمع بمثلا ، وهو أسير في أيدي اليهود ، لا يريدون أن يقتل في غير مكة . ففرحوا وأعانوه ، وشاع الخبر فخرن المسلمون . وكان أشد دم حزناً العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، فبعث غلامه إلى حجاج يسأله . فماد ببشره بكذب ما أذيع من هذه الأنباء ، فأعتقه سروراً بذلك ، وجاءه حجاج فصدقه الحديث ، وسأله أن يكتم الخبر ثلاثة أيام حتى ينجو بنفسه وماله ففعل وخرج العباس بمدها على المشركين في زينة فأنبأهم بما غاظهم وأوجع قلوبهم .

تقدم ، فهذا مطلع الحق والهدى
أتيت رسول الله تتبع دينه
لك الله يا حجاج أسيت مشركاً
سيفر ما أسلفت من جاهلية
سألت رسول الله ما لو سأنته
تقول له : دعني أزور مقالة
بمكة لي مال كثير موزع
سأكنم إسلامي وأؤذيكم ، إنهم
ورحت تحاييهم وتشق صدورهم
تقول : لقد فاز اليهود وأدركوا
أغاروا ، فردوهم ، وأمسى محمد
أبوا أن يذوق القتل إلا بمكة
فطاروا سروراً واستمر غواتهم

ألت ترى النور الذي جاوز المدي ؟
وتوتر خير الزاد فيمن تزودا
وأصبحت تدعوه تقياً مؤحدا
ليالي تأتي أن يطاع ويعبدا
سواه لأعطاك الحسام المنهدا
تسوءك ، إنى أحذر المعشر العدى
أخاف عليه أن يضيع ويفقدا
هم أقوم ، لا يؤذون إلا من اهتدى
بخرقاء تستهوى الغي المبلدا
على الفاتحين الغر نصراً مؤيذا
أسيراً لدى ساداتهم ليس يفدى
وإن له عما قريب موعدا
يذيعونه زوراً وإفكاً مردداً

وطاشت عقول المسلمين فأصبحوا
وأرضى الألى ضلوا السبيل بشيرهم
تزود هما كل من كان مسلماً
فأرسل : ما هذا الذي أنت قائل ؟
تبارك ربي ، إنه جل شأنه
فقال : نعم : عديا غلام وقل له
فأعتق من فرط السرور غلامه
ووفاه حجاج بأنباء خير
وناشده أن لا يذيع حديثه
فما انقضت راع الرجال بطلمعة
تدقق بشراً وجهه ، وجرى السنا
يقولون ، لا تحزن ، فيا للألى عمو
رماهم بأخبار الفتوح ففاظلمهم
يضجون : أين ابن العلاط ؟ أمانا
لقد غرنا كما يفوز بماله
فواهاً له من ما كر لو نصيبه
جزاهم إله الناس ، ما ذنب مسلم
رأى شرهم فاحتال يحفظ ماله

حيارى يرون العيش أغبر أسكدا
لنن جمعوا من ماله ما تبددا
وأعيا على العباس أن يتجددا
قل الحق يا حجاج واقع به الصدى
لحق عليه أن يُعز محمد
أبا الفضل أبشر وانتظر مقدمي غذا
وراجعه من أمره ما تعودا
فأمسى الذي أخفى من الأمر قد بدا
ثلاثة أيام حذاراً من الردى
تشق على الأعداء مرأى ومشهداً^(١)
على صفحتيه ساطعاً فوقدا
ويالك من حزن أقام وأقعدا
وردة ذليلاً كل عاتٍ تمردا
إليه سبيل ؟ ؟ إنه كان مفسدا
خاق بنا من إثمه ما تعمدا
إذن لجزيناه الجزاء المشددا
كريم السجايا ، ما أساء ولا اعتدى ؟
عليه ، ويأبى أن يغادره سدى

(١) عمد إلى حلة فلبسها ، ثم تخلق بخلق . وأخذ بيده قضييا ، ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قرين وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . هذا والله التجدد لحر المصيبة ، قال : كلا والله الذي حلقم به ، لا يصيبني إلا خير ، وذكر الفتوح وغنائم المسلمين فخرنوا وقالوا . انتقام عدو الله - يعنون حجاجاً - أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن .

فلاقت زينب قتلا بقتل
أمن حمل الحمار من الغواني
كذلك حكم ربك في كتاب
هو القسطن أنزل مستقيماً
أني يحى الحقوق ويقتضيها
بناء العدل ، ليس به خفاء
ألا خسر اليهود ولا أصابوا
كأن الغدر عند القوم دين
وما كانت لصاحبهم كفاءة
كمن حمل العامة واللواء ؟
أقام السبل بيئة وضاء
لمن يزن النفوس أو الدماء
فلا جنفاً يريد ولا عداء
فسبحان الذي رفع البناء
طوال الدهر خيراً أو نساء
فما يدع الرجال ولا النساء

الشاة المسمومة

عمدت زينب بنت المارث أخى مرحب - ومي امرأة سلام بن مشكم - إلى
عز لها فذبحتها ، وجاءت بسم قاتل لساعته فأشاعته فيها ، وعلمت أن النبي
صلى الله عليه وسلم يحب الذراعين فأكثرتهما من ذلك السم ، ثم جاءت
فوضعت يديها في يديه ومعه طاقة من أصحابه فيهم بشر بن البراء بن معرور رضى الله
عنه . فلماذا قها النبي أنباء الله بأمرها ، فقال لأصحابه : ارفعوا أيديكم وكان
بشر قد أصاب منها ففعل فيه السم ومات بعد سنة ، فأمر النبي بقتل تلك
اليهودية الخبيثة .

أكانوا كلهم داء عياء ؟ فما يجد الأساة لهم دواء ؟
ألا إن النطاسى المرجى أنى يلقى الألى انتظروا اللقاء
أتى بالحكمة الكبرى رسولا فكان لعلة الدنيا شفاء
أظمع زينب بذراع شاة يُسم أن يضر وأن يساء ؟
أبى الملك المهيم ما أرادت فخبيها ، وكان له وقاء
أنت تمشى بها ، وتقول : هذا طعامك ، فارضه ، وانعم مساء
فقال لصحبه : رزق أنا أنا فباسم الله ، لا نحصى ثناء
فما ذاقها قال : أتركوها فإن الله قد كشف الغطاء
طعام السوء مسموم ، وهذا أخى جبريل بالأنباء جاء
فكفوا غير بادرة لبشر مضت قدراً لربك أو قضاء
فيالك طعنة لم تبق منه لحاجة نفسه إلا ذماء^(١)
إذا رام التحول أمسكته ولو قدرت مفاصله لئاء
قضاها حجة من ذاق فيها مرارة عيشه كره البقاء
وحمّ قضاؤه ، فمضى رضياً يسواً جنة المأوى جزاء
وقال محمد يا آل بشر كفى بدم التي قتلت عزاء

المؤمنات في جيش الرسول

خرج في هذه الغزوة مع جيش الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم عشرون امرأة من نساء المسلمين فيهن عمته السيدة صفية رضي الله عنها وعنهن ، وقد أعطن نصيباً من الغنائم .

أتين بهن من شوق غليلٍ وعدن لهن منقلب جليل
خرجن من الغدور مهاجراتٍ فلا دعة ، ولا ظلٌ ظليل
يسرن مع النبي على سواء ولا هادرٍ سواء ولا دليل
يردن الله ، لا يبين دنيا كثيرٌ متاعها نزرٌ قليل
عقائل في حمى الإسلام يسمو بهن من العلى قرغٌ طويل
يفتن إلى صفية حيث كانت وكان سبيلها ، نعم السبيل
عليها من رسول الله وسم مبيت العتق ، وضاح جميل
عشيرة سُودِدٍ ، وقبيل مجد فبوركت العشيرة والقبيل
يُجرِّدن النفوس مجاهدات بحيث يجرِّد العضب الصقيل^(١)
فلا ضعف بعوق ولا انوب ولا ولد يشوق ولا حليل
نساء الصدق ، ما فيهن عيب وليس لهن في الدنيا مثيل
أخذن عطاءهن على حياء يزيد جماله الخاق النبيل
لئن قل الذي أوتين منه فجز الله موفور جزيل

غزوة وادي القري

كانت بعد خيبر ، وأهل هذا الوادي من اليهود دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فأبوا إلا القتال ، وحمل ثلاثة منهم في الطبيعة واحداً بعد واحد ، وحمل على بن أبي طالب والزبير بن العوام وأبو دجاجة قتلوه ، ثم نشب القتال بين الجيشين فكان النصر للمسلمين . وطلب اليهود الصلح فتركت الأرض والنخيل والبساتين والمدايق في أيديهم يعملون فيها أجراً كإخوانهم يهود خيبر .

خوضوا الوغى يا أهل وادي القري واستقبلوا الموت وأشد الشرى
أنكرتم الإسلام دين الهدى والله والسيف من أنكر
إن تطلبوا البرهان فاستخبروا جيرانكم ، أو فاسألوا خيبر
أقتل على أيديهم معشر ما مثلهم أعمى الهوى معشر
ويا حوارى الرسول اقتنص كل غوي جاء مستهترا
وأنت فاضرب في الطلى يا أيا دجاجة اضرب مقبلاً مدبراً
كثروا جنود الله في نصره ليس لغير الله أن ينصر
لا تركوا جيش الألى استمسكوا بالكفر حتى يرجع القهقري
يا صولة هدت فراعينهم ما أشجع القوم وما أصبرا
أبطال حرب لم يزل بأسهم يلتهم المسكر فالعسكرا
وادي القري التف على روعة يا ويح للرتاع ، ماذا يرى ؟
من مثل الأغوال تهفو به أهوالها العظمى ؟ ومن صورا ؟
بأس رسول الله في صحبه ما أعظم البأس وما أكبرا
ذلت يهود بعد أن لم تكن تظن أن تغلب أو تقهرا
استعمر الفاح زراعهم في الأرض ، لولا الرفق ما استعمر

فَلْيَشْكُرُوهَا مِنْهُ أَكْرَمَةً
وَلْيَرْقُبُوا الْعَقَبَى وَزَلْزَالَهَا
لَا حَوْلَ لِلْقَوْمِ وَلَا حِيلَةَ
لَنْ يَصْحَبَ الْإِسْلَامَ فِي دَارِهِ
بِإِشَارَةِ اللَّهِ أَتَانَا بِهَا
مَنْ حَقَّهَا الْوَاجِبُ أَنْ تُشْكِرَ
إِنْ أَظْهَرَ الْخِطَابُ مَا أَضْمَرَ
فِيمَا قَضَى اللَّهُ وَمَا قَدَّرَا
أَحْبَابُ دِينٍ غَيْرِهِ مُفْتَرَى
أَصْدَقُ مِنْ بَشَرٍّ أَوْ أَنْذَرَا

أَهْلُ تَيْمَاءَ

رَأَى أَهْلُ تَيْمَاءَ ائْتِمَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ فِي خَيْرٍ ، وَفَدَكَ ، وَوَادَى الْقُرَى ،
فَارْتَلَوْا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ الصَّلَاحَ عَلَى أَنْ يُؤَدُّوا إِلَيْهِ
الْجَزْيَةَ قَبْلَ وَأَقْرَمَ عَلَى حَالِهِمْ .

هُوَ النَّصْرُ يَا تَيْمَاءَ يَتَّبِعُهُ النَّصْرُ
دَعَى الرِّسْلَ تَمْضَى مَا عَلَيْكَ مَلَامَةٌ
فَإِنْ تَخْفِضِي مَنْكَ الْجَنَاحَ لَتَنْعَمِي
وَهَلْ يَرْفَعُ الْمَصْفُورُ يَوْمًا جَنَاحَهُ
إِذَا أَمْسَكَ الصَّبْرُ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
أَلَمْ يَكْ أَهْلُ الْأَرْضِ مَوْتَى ، لِحَاثِهِمْ
أَبَى أَنْ يَظْلُتُوا آخِرَ الدَّهْرِ فَوْقَهَا
حَيَاةَ الدُّنَى فِي سَيْفِهِ وَكِتَابِهِ
فَإِنْ كُنْتِ فِي رَيْبٍ فَقَدْ وَضَحَ الْأَمْرُ
وَكَيْفَ يَمَافِ الْأَمْنُ مِنْ غَالِهِ الذَّعْرُ ؟
بِأَفْيَاءِ عَيْشٍ سَاكِنٍ ، فَكُ الْغُدْرُ
إِذَا حَقَّ الْبَازِي ، أَوْ انْطَلَقَ النَّسْرُ ؟
فَإِيسَ عَلَى هَذَا قَرَارٌ وَلَا صَبْرُ
رَسُولَ حَيَاةٍ دِينَهُ الْبُعْثَ وَالنَّشْرُ ؟
يَسِيرُونَ فِي الْأَكْفَانِ وَفِي لَهْمِ قَبْرِ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا هَا عِنْدَهُ سِرُّ



لَكَ الْأَمْنُ يَا تَيْمَاءَ لَا الدَّمُ دَافِقُ
وَلَا أَنْتِ تَكْلِي ، مَا تُغْبِكُ لَوْعَةٌ
أَعَانِكَ رَأَى أَبْصَرَ الْقَصْدَ فَاتَّحَى
وَلَوْ آثَرُوا الْإِسْلَامَ دِينًا لَأَفْلَحُوا
أَبَا وَتَوَلَّوْا يَشْتَرُونَ نَفْسَهُمْ
يُؤَدُّونَهَا مِنْ خَيْفَةِ الْقَتْلِ جَزِيَّةً
وَلَا انْتَفَعَ مَسَوْدٌ ، وَلَا الْجَوْ مَغْبَرُ
مَوْجَجَةٌ كَالْجَرِّ ، أَوْ دُونَهَا الْجَرُّ
بَاهْلِكَ مَا لَا يَنْتَحَى الْجَاهِلُ الْغَرُّ
وَلَكِنَّ الشَّرْكَ الْمَذْمُومَ وَالْكَفْرَ
بِأَمْوَالِهِمْ ، هَذَا هُوَ الْعَيْنُ وَالْخُسْرُ
عَلَى الْهَوْنِ ، مِمَّا يَرْزُقُ الْحَبُّ وَالْتَمَرُ

أقاموا يريدون الحياة بأرضهم
رويد الألى اختاروا الضلالة خطّة
يَضِلُّون والفجر المنور طالع
لكل أناس مدّة ثم تنجلي
وكيف حياة القوم إن فسد الأمر؟
فلك - وإن لم يعلموا - خطّة نكر
ولا عذر للضلال إن طلع الفجر
عميتهم ، فليصبروا إنه الدهر

عُمْرة القضاء

ويقال لها عمرة القضية . والصلح والقصاص ، وهى التى أجازها عهد
الحديبية للرسول الكريم وأصحابه رضوان الله عليهم ، وكانت فى شهر
ذى القعدة من السنة السابعة . وهو الشهر الذى صده المشركون فيه عن
البيت سنة ست ، ويقال لهذه العمرة غزوة الأمن ولهذا ألحقت بالغزوات
لأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إليها بالخيول والسلاح مخافة أن يقدّر
المشركون فيقاتلهم ، وخرج معه من أصحابه ألفا رجل أكثرهم ممن شهد
الحديبية ، فلما رأى احترام القوم للعهد أمر بوضم السلاح فى مكان قريب
من الحرم يقال له بطن ناجح ثم دخل مكة هو وأصحابه آمنين وقضوا مناسكهم
من صلاة ونواف ونحر وخرجوا بعد ثلاثة أيام وقاء بالهدى .

مضى العام ، وانبعث المنتظر وخليت السبل للمعتصر
لقد يستر الله تلك الصعاب فما من عصي ولا من عسر
بدارٍ بدار جنودَ النبي فإن الغنيمة للمبتدر
إلى البيت سيروا سراعا الخطى فما ثمّ من خيفة أو حذر
وسوقوا الهدايا إلى ربكم فما خاب من ساقها أو نحر
دعوها لناجية إيه لنعم الفتى أن تمطى السفر^(١)
دليلكم الصدق فيما مضى يشقّ الصعاب ، ويهدى الزمر
وللخيل قائدها المجتبى^(٢) وفارسها الشّرى^(٣) الأغر
رأوها مطهّمة فى السلاح فطاروا يقولون : أمر قدر^(٤)

(١) ناجية بن جندب جعله النبي على الهدايا ، وفى البيت وما بعده إشارة إلى ما كان
من أمره فى الحديبية وهو مذكور فى مكانه .

(٢) هو محمد بن مسلمة . أقيم على الخيل .

(٣) الماضى فى الأمور المحرب .

(٤) المطهم التام من كل شيء وهؤلاء قري كانوا يمر الظهران فلما بلغته الخيل ورأوا
السلاح طاروا إلى مكة فأذاعوا الخبر . وفرح القوم وقالوا إنما على عهدنا فما محمد يعزونا .

(١٧ - ديوان محمد الإسلام)

أيا قومند إنهم أقبلوا
خذوا جذركم ، واجمعوا أمركم
وجه ابن حصن رسولا يقول
أتقض عهدك تبغى القتال
قريش على العهد ما بدلو
على م السلاح ؟ وماذا تريد ؟
فقال النبي : اهدأوا إني
سابق السلاح بعيد المكان
مكة حرمته والذمام
وأقبل في صحبه الأكرمين
فيا ابن رواحة خذ بازمام
جلا القوم يابون لقيد النبي
فطافوا وصنوا وخفوا معاً
وقضوا الناسك مستبشرين
وجه حريطب^(١) يلقي النبي
يقولان : إنا على موعد
قضيت الثلاثة فاذهب إلى

(١) هو مكرز بن حصن النادر .

(٢) عبد الله بن رواحة أخذ بزمام ناقة النبي وهو مقبل على البيت وصار يرتجز :

(٣) خرجوا من مكة حتى لا يسخطوا عليهم النبي لأن يمضي الموعد ، وهكذا كتب

في العهد .

(٤) حويطب بن عبد العزى .

(٥) سهيل بن عمرو الذي تولى إبرام عهد الحديبية مع النبي .

فأرعد سعد وجاشت به
والتي بصاعقة تستطير
قال النبي : رويداً رويداً
وحم الرحيل ، فنعم السبيل
هو صبروا ، فاثبتوا ظافرين
شكراً رب يحبّ التقى
حيّة مستوفز كالنمر^(١)
على جانبيها بروق الشر
وأطفأ من غيظه المستعر
سبيل القبيل الجليل لخطر
وما الصبر إلا بشير الظفر
ويضفي العطاء على من شكر

(١) سعد بن عباد . غضب وأغلظ القول للرجلين ، فهدأ الرسول الكريم منه .

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الجذلية رضي الله عنها

اختارها الله زوجاً لرسوله الكريم في هذه العمرة ، وكان اسمها قبل ذلك (برة) فسمّاها (ميمونة) وهي أخت أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب . وأخت أسماء بنت عميس زوج حمزة لأُمّها .

سم سما لفظه وازدان معناه
ميمونة أنت : هذا ما تحبّه
أوفي بحمزة والعباس مجدهما
لأنت أكرم عند الله منزلة
لم تعلق : أمّا يا الله حاملة
إلى المدينة سيرى في كلاته
قرى ببعلك عيناً ، إنه شرف
أطربت فيك وفي المختار مؤمنة
عزّ يوطد للإسلام جانبها
ما انفكّ يتخذ الأسمار يحجهم
سياسة ماري الطّب اللبيب بها
وقوة لرسول الله شامة
وسنة لبنى الإسلام يشرعها
هم أسرة في ظلال الله واحدة
لا تعرف الرشد إلا في شرائعه
دين الألى يؤثرون العزّ منزلة
لكل شعب بناء ليس يمسكه
لولا الأواصر والأرحام ما التأمّت

حلاك ربك بالحسن وحلاه
لك الذي اختاره من خاتمه الله
يا أخت زوجيهما والناس أشباه
يا زوج أحمد إذ أعطاك إياه
منك الجلال الحلي ، أم مطايا ؟
يا طيب مثواك إن شارفت مثواه
ما مثله شرف عال ولا جاء
عزت بأباج ما تحصى مزاياه
من جانب الله مولاها ومولاه
لدينه الهادم الباني ودينه
إلا أصاب بأذن الله مرماه
بين القبائل يرعاها وترعاها
والخير أجمع شرع من سجايها
تمضى على الحق ، ترجوه وتحشاه
ولا ترى الخير إلا في وصاياه
ما كان أهون دنيا الناس لولاه
شيء إذا نام عنه من تولاه
منه الصدوع ، ولا انضمت شظاياه

إسلام خالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة وعمر بن العاص رضي الله عنهم

قال خالد رضي الله عنه ، لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم لعمرة القضية تنقيت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد دخل مكة معه . فطلبني فلم يجدني فكتب لي .

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وقلة عقلك . ومثل الإسلام هل يجوله أحد ؟ سألني عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أين خالد ؟ قلت : يأتي به الله : قال : ما مثله يحجل الإسلام ، ولو كان يحجل نكاحه مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ، ولقد مناه على غيره ، فاستدرك بأخى ما فاتك . فقد فاتك مواطن صالحة .

قال خالد : فلما جاءني كتابه فطعت للخروج ، وزادني رغبة في الإسلام ، وسرتني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورأيت في الزام كافي في بلاد ضيقة جدبة . فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة . ثم خرج إلى المدينة . فلق صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعثمان بن طلحة ، فعرض عليهم الإسلام . فقبله إلا عثمان ، ولحق خالد وصاحبه عمرو بن العاص فوافقهما ، وكنسوا على النبي فأسلموا ، رضي الله عنهم .

ثم ودع الأوثان والأصناما
يا خالد اعمد لتي هي عصمة
الله رب العالمين ودينه
اقرأ كتاب أخيك ، مالك مصرف
أقبل دعاك الله ، إنك لن ترى
سأل النبي بأى حال خالد
إني رأيت لخالد من عقله
ما مثله يرتاب في دين الهدى

أفأ ترى برهان ربك قاما ؟
لذوى البصائر ، وانبذ الأوهاما
دين السلام لمن أراد سلاما
عما يريد ، ولن ترى الإحجاما
كسبيل ربك مطلباً ومراماً
أفأ يزال يحانب الإسلاماً ؟
فيا يمارس مُرشدًا وإماماً
فيرى الضياء المستفيض ظلاماً

إنا نعرفه رشيداً حازماً ونراه شهماً في الرجال همما
لو أنه جعل المضرّة والأذى للمشرّكين لما استحقّ ملاما
ولكان عندي يا وليد مقدّماً يلقى لدى البر والإكراما

* * *

أقبل أخى وتلاف أمرك، لا تكن ممن إذا وضع السبيل تعامى
كم موطن جلل لو أنك لم تقب عنه ، لكنت إذاً أجلاً مقاما
يكفيك ما ضيّعت ، ليس بحازم من لا يزال يضيّع الأياما

* * *

نشط الهمام ، وراح يدرك نفسه يبنى لها عند النبيّ ذماما
ألقي إلى الوادى الخصب برحله فأصاب فيه مرتعاً ومساما^(١)
أقيم بالوادى الجديب فلا يرى إلا سرايباً كاذباً وجهاما^(٢)
لاق بعكرمة وبابن أمية شراً يعبّ عبابه وعُراما
قال : اثنيا نبغى النجاة فأعرضا وتنازعا قولاً يشبّ ضراما^(٣)
وأجابها عثمان دعوة ناصح يأبى الهوى ويحانب الآثاما

(١) السام المرعى :

(٢) الجهام السحاب لأمه فيه .

(٣) قال خالد ، لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى أن محمداً صلى الله عليه وسلم طهر على العرب والعجم . فلو قدمنا عليه فانبضاه فإن شرفه شرفنا ، قال : لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبداً . قلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه بيدى ، فقلت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان . فقال مثل الذى قال صفوان ثم لقيت عثمان بن طلحة . فقلت : هذا لى صديق ، فأردت أن اذكر له ما عندى . ثم ذكرت من قتل من آباءه وأخوته فكرمته ثم قلت وما على ؟ فقلت له : إنما نحن بمنزلة ناعب في جحر لومب عليه ذنوب من ماء لخرج . ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة (الذين قتلوا أبوه طلحة وعمره ، عثمان ، وإخوته مسافع والجلاس والحارث وكلاب) قتلوا جميعاً يو أحد .

مضيا على سنن الطريق فصادفنا عمرأ قالا مالنا ؟ وإلى ما؟^(١)
يا عمرو دين الله ، لسنا كالألى جعلوا الحلال من الأمور حراما
قال : اهتديت ، ولنأكون كمن يرى طول الحياة لنفسه ظلاما
ومشوا ، فما بلغ الرسول حديثهم حتى بدا متبلا بساما
سرّته مككة إذ رمت أفلاذها كبداً تكن الحب ولإعظاما^(٢)
بعثت إليه من الجبال ثلاثة رضوى يصاحب يذبل وشامما^(٣)
خفّ الوليد يقول : لا تتمهلوا إن الحديث إلى انبي ترى^(٤)
حسوا المطى ، فإنه مترقب وأرى جوانحك ترفأ أواما

* * *

وفدوا كراما يؤمنون برهم ورسوله بيض أنجوه وساما
نفضوا الهوان عن الجباه فأصبحوا شمّ المعاطس يرفعون الهاما
أنعبدون مع الفواة حجارة ؟ أم يعبدون الواحد العلّاما ؟
كُشف اللثام عن اليقين ، وإن ترى كالجهل سترأ ، والغرور لثاما
لو طاول الناس الطبيب لما اشتكى من يحمل الأدوية والآلاما

(١) قال خالد : لقينا عمرو بن العاص فقال : مرحباً بالقوم ، أين مسيركم ؟؟ قلنا : الدخول في الاسلام ، قال : هذا الذى أقدمنى : وفي رواية أنه قال لخالد : يا أباسنيان أين تريد ؟ قال : والله لقد استقام الميسم ، وظهر الأمر ، وإن هذا الرجل لنبى . فذهب فأسلم . لحنى متى ؟؟ قال عمرو : أنا ما جئت إلا لأسلم .

(٢) لما بلغ النبي خبر قدومهم قال لأصحابه : رمتكم مكة بأفلا ذكبيها .

(٣) رضوى ويذبل وشام أسماء جبال .

(٤) قال خالد : لقيت أخى فقال : أسرع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مر بقدمك وهو ينتظركم ، فأسرعنا المشى ، فاطلعت عليه ، فما زال يتقسم لى حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنوة فرد على السلام بوجه طاق . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، قال : الحمد لله الذى هدانا لهذا فقد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلك إلا إلى خير ، قلت يا رسول الله ادع الله أن ينفر لى تلك المواطن التى كنت أشهدك عليك . قال : الاسلام يجب ما كان قبله ، وتقدم عثمان وعمر فأسلما . رضى الله عنهما وعنه .

يعرف لربك حقه ، فالحكمة
أرأيت كالإسلام ديناً قيماً
الله أحكم أمره وأقامه
نادى النبی به فافزع صوته
ودعا إليه ، وسعيه يمينه
تمضي أباطيل الحياة ، ولن ترى
خلق العقول وأنث الأحلاما
ساس الأمور ، ودبر الأحكاما ؟
للمؤمنين شريعة ونظاما
أتم ، تفاق البلاد نياما
يمضي حياة مرة وحماما
لسوى الحقائق في الزمان دواما

* * *

صمعت نفوس المشركين وهائم
قلوا : فقدنهم ثلاثة قادة
ما أعظم البلوى وبالك نكبة
نزل البلاء بنا فكان مضاعفا
هـ إذا أنجحت المهوم أقاما
ما مثلهم بأساً ولا إقداما
ملكنا علينا النقص والإبراما
وجرى العذاب معاً ، فكان غراما

* * *

إني إخال البيت بشرق جوّه
يا ابن الوليد لك الأعنة كلها
سترى للشاهد ترجف الدنيا لها
بشر حمة الشر منك بوقعة
وإخال مكة ترفع الأعلاما
فائق القناب ، وادفع الأقواما^(١)
وترى الحصون تميد والآطاما
توهى القوى وتزلزل الأقداما

عشرون مؤتمنة

كانت في جمادى الأولى سنة ثمان . ومؤتمنة موضع معروف عند الكرك
بالشام . وسبها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي
إلى هرقل ملك الروم بالشام بكتاب منه ، فلما بلغ مؤتمنة تعرض له شر حويل
ابن عمرو الفسائي من عمال قيسر ثم ربهه وقتله (١) .
فسير النبي لمقاتلة ملك الروم ثلاثة آلاف رجل من أصحابه بقيادة زيد
ابن حارثة (٢) .

وعقد له لواء أبيض دونه إليه ، وأوصاهم أن يأتوا مؤتمنة فيدعوا من
بها إلى الإسلام فإن أبوا فالجور . فلما أتوا معان بلغهم أن هرقل في مائة
ألف من قومه ، ومثلهم من العرب المنتصرة (٣) .
ومعهم من الخيل والسلاح ما ليس مع المسلمين ، ولما بينهم الجوع
فقتلوا ، وهزم الروم والذين معهم من العرب هزيمة مشكرة بعد مقتلة
كبيرة على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وقد لقبه النبي صلى الله عليه
وسلم بسيف الله من يومئذ .

ودع ذوبك وسرفي شأنك الجلال
سربالكتاب رسولا حسبه شرقاً
يا حامل الجبل المرقوم دونكه
إلى هرقل تأتي دون سده
لله يا ابن عمير أنت من رجل
أن راح يحمله من أشرف الرسل
من ذا سواك رعاك الله للجبل ؟
صيد المنوك ، وتلقاة على مهل
ترتد عن تاجه الأبصار خاشعة
فما تلاحظه إلا على وجل
إليه يا ابن عمير لست واجده
إلا أمراً هملاً في معشر همل
لأنت أعظم منه في جلالتك
وما جلالة غاري أراى مختبيل ؟

(١) لم يقتل للنبي رسول غيره .

(٢) قال النبي : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب عني جيش . فإن أصيب فزيد الله
ابن رواحة ، وقد أصيب الثلاثة رضي الله عنهم

(٣) هم بنو بكر ولحم وجذام .

(١) ما زال خالد على أعنة الجبل منذ أسلم . والقناب جمع مقنب والمقنب الجماعة من الخيل
من الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء الثلاثمائة .

لا يعرف الدين إلا فتنة وهوى
هذا كتاب رسول الله بنذره
أعنى التقاصد والآفاق والسبل
فأذهب إليه وخذه غير محتفل

* * *

مهلا شربيل لأحييت من رجل
بأدى الشراسة عاد ما يلائمه
إن هم بالشر لم يخفل ولم يُبيل
في موضع الذم إلا أسوأ المثل
هاجته من نزوات الجهل نائرة
لم تبق من كلب يهتاج أو ثول^(١)
فطاح بابن عمير بأسلا بطلا
يفل في الروع بأس الباسل البطل
يا للربيط ، يسل السيف مهجته
في غير معترك حام ومقتل
كذلك الغدر ، لا ظلم بمجنب
في الفادين ، ولا لوم بمعتزل
ما كان ذنب امرئ في الله مرتحل
يرجوه في كل محتل ومرتل ؟

* * *

سر يا ابن حارثة بالجيش ، تقدمه
أدع الألى اتخذوا العمياء وارتكسوا
هذا لوأوك فابعثه على عمل
فيها إلى أرشد الأديان والمثل
فإن أبو فسيوف لله تأخذه
من كل متقد الحدين مشتمل
أمر النبي فسر يا زبد مشلا
والجند جندك ما تأمره يتشل
فإن أصبت ، فمن سئى على قدر
ونس للنفس إلا غاية الأجل
لأشع وصيده في لا يحل لكم
ولا يليق بكم من سئ العمل^(٢)

(١) الثول عارض من جنون .

(٢) قال لهم الرسول الكريم وهو يودعهم - أوصيكم بتقوى الله وعن معكم من المسلمين خيراً ، اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله في الشام ، وسجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين فلا تعرضوا لهم ، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ، ولا بصيراً قانياً ولا تقطعوا شجراً ، ولا تهدموا بناء .

دعوا الصوامع واستبقوا النساء ولا
لا تقطعوا شجراً ، لا تهلموا جذراً
تؤذوا صغيراً ، ولا تؤذوا بمكهل
لا تقربوا ما استطعتم موطن الزلل

* * *

هذا هرقل يسوق الجيش مرتكاً
يزجي الكتائب من روم ومن عرب
كالعارض الجون يرى الأرض بالوهل^(١)
في المرهفات المواضي والقنا الذيل
والصافنات تهادى لا عداد لها
من كل منذلق في الكر منجفل^(٢)
إن الذين أداروا الرأي وانتظروا
لم يبرح النصر مولاهم ولم يزل^(٣)
الغالبون وإن قتلوا وظن بهم
ما يكره الله أهل الزور والخلل
لم يابث القوم حتى قال قائلهم
ييم الحوار ؟ وهل في الأمر من جدل^(٤)
إنا خرجنا نريد الله ، فاستبقوا
من كل منتهب للخير مهتل^(٥)
لو زالت الأرض أو حالت جوانبها
بمن عليها من الأقوام لم نحل
هما سبيلان ، إما النصر ندركه
أو جنة الخلد فيها أطيّب النزل
لسنا نقاتل بالآلاف نحشدها
ألفاً لألف من الأبطال مكتمل
إننا نقاتل بالدين الذي ضمنه
أعلامه النصر في أيامنا الأول
لولا مقالة عبد الله ما انكشفت
تلك الغواشي ، ولولا الله لم يقل

* * *

(١) العارض السحاب المعترض في الأفق والجون الأسود الوهل الضعف والفرع .

(٢) الصافنات الخيل ومنجفل مسرع .

(٣) علموا بأمر هرقل وجنوده . فأقاموا ليكن ينظرون في أمرهم : أيطيدون لنجدة .

أم ماذا ؟ .

(٤) عبد الله بن رواحة . قال لهم يا قوم والله إن الذي نكرمون للذي خرجتم له ، خرجتم تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به فإنما هي إحدى المسفين ، إما ظهور ولما شهادة ، قالوا : صدقت ومضوا للقتال .

(٥) اهتبل الأمر اغتنمه .

تقلدوا العزم للهيبة وأدرعوا
وأقبلوا لتميل الشئ من فرع
يا مؤتة احتملى الأهوال صابرة
جن الكريهة يستشري الصيال بهم
ما زال قائدهم يلقى بمهجته
يفشى موارد من أهوالها لججاً
ما من يخوض الوغى تظفى زواجرها
يا زيد أديت حق الله فامض على
آبوا إلى خير دار ، ما لنازلها
يسلوا أخو العقل عن دارهموم بها
جاهدت في الله ترضيه وتنصره
هذا الذى نبأ الله الرسول به
وأنت يا جعفر المأمول مشهده
هذا جوادك ما حالت سجيته
عقرته ، وركبت الأرض ، تمنعه
أكرمته ، وحرمت القوم نجده
دلفت تمشى على الأشلاء مقتحماً
فقدت يمينك ، فانصت اللواء على
حتى هوت فجعلت الصدر موضعه

من صادق البأس ما يغنى عن الخيل
لم يضطرب جمعهم خوفاً ولم يبل
هيئات - ذلك شئ غير محتمل
في موطن لو رآته الجن لم تصل
يرمى للنية في أنيابها العطل^(١)
تلك الموارد ، ليس العنبر كالوشل^(٢)
كمن يحانبها خوفاً من البلل
نهج الألى انتقلوا من قبل وانتقل
من أوبة تبعث الأشجان أو قفل
ويحتوى منزل الأدوية والعلل^(٣)
لم تلق من سام يوماً ولا مال
فاغنم ثوابك ، والى الصحب في جدل
خذ اللواء وجاوز غاية الأمل
ولا ارتضى بوفاء الحر من بدل
مواطن السوء من ضم ومن خل
فصنت نفسك عن لوم وعن عدل
والقوم منجدل في إثر منجدل
يسراك ، ما فيه من أمت ولا خلل^(٤)
كأنه منه يضع غير منفصل^(٥)

(١) الموجة .

(٢) نعيم الماء الكثير ووشل القليل منه .

(٣) اجتوى المنزل والشئ كرهه .

(٤) انصت بمعنى انتصب والامت الاعوجاج .

(٥) البضع من الشئ القطعة منه .

يضنه ضم صدى النفس ، يولعه
يا قائد الجيش ، ضج الجيش من ألم
تقضى الذمام ، وتمضى غير . كثر
لقت حتفك في شعواء عاصفة
أعطيتها منك نفساً غير واهنة
لك المنافى لم تقدر غرائبها
من يؤثر الحق يبذل فيه مهجته
لاشئ يعجز آمال النفوس إذا
إنهض بعينك عبد الله مضطلعاً
هذا مجالك ، فاركض غير متدد
كم جئت بالعربى السمع مرتجلا
للعبقية فيسه مظهر أنق
قنعت بالشعر أغزو المشركين به
لقطرة من دمي في الله أبذلها
نقلد القوم ملء الدهر من شرف
إن شاء ربى حبانى من ذخاثرها
الحمد لله ، أجرى النور من قلبى
أوتيت ما جاوز الآمال من أدب

بمن أطال صداه لذة القبل
وأنت عن دمك المسفوك في شغل
كأنما الأمر لم يقدح ولم يهزل
حرى الجوانح ظمأى البيض والأسل^(١)
أعصتكَ سورة مجد غير منتحل^(٢)
ملء المشاهد ، لم تعهد ولم تخل
ومن يكن همهُ أقصى المدى يصل
خلت من الضعف واستعصت على الكسل
بكل ما تحمل الأطواد من ثقل
وإن رأيت الناياب جولا لخل
واليوم يوم منايا الروم فارتجل
يا حسنه مظهراً لو كان يقدر لى
فلم أصب فيه آمالى ولم أنل
أبقى وأنفع لى من هذه الطول^(٣)
وليس لى من غواليها سوى العطل
أغلى الحلى ، وكسائى أشرف الحال
هدى لقومى ، وعافانى من الخبل
على الجلال ، مصون غير مبتذل

* * *

(١) صفات الحرب . والبيض السوف والأسل الرماح .

(٢) سورة المجد أثره وعلامته .

(٣) القصائد الطوال .

يا شاعر الصدق ما خاب أرجاء ولا
خذ عند ربك دار الخلد تسكنها
آثرته ، واصطفيت الحق تكاؤه
ليس العرائن كالأذنان منزلة
مثل العطاء الذي أدركت والنفل^(١)
قدسية الجو والأرواح والظلل
مما يحاول أهل النقي والضلل^(٢)
ولا الفطرفة الأجساد كالسفل

* * *

بما عقبه اصدع بها بيضاء ناصعة
القتل أجدر بالأحرار يأخذهم
ويا ابن أرقم نعم المرء أنت إذا
قالوا : لك الأمر فاخترت الكفى له
لكنها نفس حرّ ذى محافظة
صنت اللواء وآثرت الأحق به
أبى عليه حياء زاده عظما
قلت : اضطلع خالد بالأمر فاستمرت
تنفى الوسوس ، أو تشى من النفل^(٣)
مستبسين ، وينهاهم عن الفشل
تنوزع الأمر عند الحادث الجلال^(٤)
وأنت صاحبه المرجو للمفضل^(٥)
صافى السريرة ، بالإيمان مشتمل
إيثار أغاب لاواه ولا وكل
ما مثله من حياء كان أو خجل
منه حمية لا آب ولا زحل^(٦)

(١) إشارة إلى قوله عند خروجه إلى هذه الفروة .

الكنى أسأل الرحمن مغفرة
أو طمأنينة يسدى حران مجزة
حتى يقولوا إذا مروا على جدي
أرشدك الله من غاز وقد رشدا
(٢) الضلال اسم من الضلال .

(٣) هو عقبة بن عامر . لما قتل عبد الله بن رواحة اختلط المذنبون مع المشركين ، وأراد بعض الأولين النجى عن القتال فقال - يا قوم لأن يقل الإنسان مقبلا خير له من أن يقتل مدبرا فقتلوا وقويت أنفسهم .

(٤) ثابت بن أرقم . أخذ اللواء بعد مقتل عبد الله بن رواحة وقال للمسلمين : من تغتربون له ؟ قالوا أنت ، فقدم به إلى خالد بن الوليد وأعطاها إياه . فثبت خالد أن يقبله لأول مرة لثباته ، فألح عليه فقبله .

(٥) لفضل الدواهي . جمع عضلة

(٦) ارسل المنعنى المياعد .

وراح يُبدع من كيد الوغى نطحا
رمى العدى حوّل شقى مكائده
ظنوا الجنود تنحت عن مواقفها
جيش من الرعب يشى فى جوانحهم
من خلفه الجيش يشى ابن الوليد به
ضاقوا بمقتدر ، فى الهول منغمس
أذاقهم من ذعاف الموت ما كرهوا
ما للمسيئين إلا كل معتزم
رمت بهم هبوات البأس فأنكشفوا
بئس الجنود أضتتهم عمايتهم
ظنوا الأمور لغير الله يملكها
وحاربوا الحق من جهل ومن سفه
ما ينقم الناس من دين يراد به
فليصبر القوم : إن الله مظهره
لدولة الله أبقى فى خليقته
أدعوك يارب للإسلام مبتهلا
نام المحامون عنه ، فهو مضطهد
صرح من العز والسلطان ما برحت
طاشت مرانيه بالألياب وانقل^(١)
جُمُ الأحابيل ، يعنى كل محتبل
لغيرها من عى بالقوم أو حوّل
لم تمتص مهجة منه ولم تثل
فى مسبل من مشار النقع منسدل
لنفسه فى غمار الموت مبتسل^(٢)
ما كفّ عن علل منه ولا نهل
فى الروح ، يحسن ضرب الهام والطلل^(٣)
يندس هاربهم فى كل مدخل
فما لهم بجنود الله من قبل
إذا جرت بين معوج ومعتدل
والحق فوق منال المعشر العثل^(٤)
فك العقول من الأغلال والعقل^(٥)
على الممالك والأديان والنحل
فلا يقرنك ما استعظمت من دول
وأنت تسمع دعوى كل مبتهل
يشكو الأذى فى شعوب خضع ذل
تهوى صياصيه حتى عاد كالطلل^(٦)

(١) غير خالد نظام الجيش فجعل مقدمته ساقه - إنيته مقدمة . ووضع الميمة ، مكان الميسرة والميسرة فى موضع الميمة . فظن القوم أن مددا لحق به ، فأصابهم الرعب ، ووهنت قواهم فانهزموا .

(٢) ابتسل نفسه للموت يعنى وطئها له .

(٣) الطلل الاعناق جمع طلة

(٤) المثل جمع عثول وهو الأحمق .

(٥) جمع عقال . وهو الجبل يعقل به البعير فى وسط دراهم .

(٦) الصياصى الحصون والضل مائل باقيا من البناء المنهدم .

الفخ الأعظم - فتح مكة

كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة مع جنوده المنظرين في شهر رمضان من السنة الثامنة على أصح الروايات وكان عدد الجيش عشرة آلاف مقاتل - أو اثني عشر ألفاً - وسبب ذلك أن رجالاً من بني بكر الدين دخلوا في عهد قريش عهد الحديبية عدوا على رجال من خزاعة فقتلوه ، وكانت خزاعة قد دخلت في عهد النبي ، فانتقض العهد بذلك . وحل القتال ، ولما دخلت خزاعة في عهده صلى الله عليه وسلم لحلف كان بينها وبين جده عبد المطلب بن هاشم حين أخذ عمه نوفل ما كان بيده من أمر السقاية . تحالف عبد المطلب خزاعة ، وحالف نوفل بني أخيه عبد شمس وقد جاء رجال خزاعة يوم الحديبية إلى النبي بكتاب جده عبد المطلب في ذلك الحلف ، فقرأه عليه أبي بن كعب رضي الله عنه ، وكان يعرفه قبل ذلك فقال : ما أعرفتي بحلفكم ، وأتم على ما أسلمتم عليه من الحلف . وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيد الإسلام إلا شدة (١) ولا حلف في الإسلام (٢) .

حلف عبد المطلب

بسمك اللهم . هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة ، إذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي منهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم . أن يبتنا وبينكم عهود الله وعهوده ، وما لا ينسى أبداً ، اليد واحدة . والنصر واحد ، ما أشرف ثبير ، وثبت حراء . وما بل ببحر صوفة ، ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تهادداً ، أهد الدهر سرمداً وفي رواية - حلفاً جامعاً غير مفرق الأشياء على الأشياء ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب . وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد . لا ينقض ولا ينكث ما أشرفت شمس على ثبير ، وحن فلاة بغير وما أقام الأخشيان ، واعتمر بمكة لإنسان حلف أبداً ، أطول أمد يزيد طلوع الشمس شداً ، وظلام الليل مدأ ، وإن عبد المطلب ومن معه ورجال خزاعة متكفئون . متضافرون ، متعاونون . . . على عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب ، وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب أو حزن أو سهل ، وجعلوا الله على ذلك كفيلاً ، وكفى به حيلة .

(١) الحلف الذي يراد به دفع الظلم .

(٢) أي على الشر والفساد .

بنو بكر وخزاعة

إسلام أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء

بنو بكر وما يغني الملام تلظى البأس ، وانتفض الحسم
ذمام صادق ، ودم حرام وعز من خزاعة لا يرأ
يقوم عليه حام لا ينأ (١)

أعانكم الألى نبذوا الوفاء وراح القوم يمشون الضراء (٢)
وما تحفى جريرة من أساء سيوف محمد جعلت جزاء
فما البغى الذميمة وما العرام ؟

قتلتم من خزاعة بالوتير (٣) رجالاً ما أتاكم من نذير
لبس الفدر من خلق نكير ويا للناس للاحداث الكبير
أكان محمد ممن يضام ؟

أتوه ، ينشدون الحلف وفدا تهذا شكاته الأحرار هدا (٤)
فقال لهم : نصيرتم واستعددا وراح يسوقه للحرب جندا (٥)
تظله الملائكة الكرام

(١) النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) قاتل مع بني بكر قوم من قريش خفية ، منهم صفوان بن أمية ، وحوطيل بن عبد المزى ، وعكرمة بن أبي جهل ، وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو (أسلموا بعد ذلك) .

(٣) الوتير ماء كان لخزاعة بأسفل مكة .

(٤) أقبل عمرو بن سالم ومن معه من خزاعة على النبي فدخلوا عليه المسجد ، وأنشده عمرو أبياتاً منها .

يارب إني ناشد محمداً حلف أبتنا وأبيه الأندلا إن قريشاً أخلفوك الوعدا
وقهضوا ميثاقتك اللؤكدا هم يبتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركماً وسجدا
(٥) قال الرسول الكريم : نصرت يا عمرو بن سالم ، لارجعوا وتفرقوا في الأودية -

يريد إخفاء مجيئهم إليه .

أبا سفيان ذلك ما تراه هو البأس انتقم لاسواه^(١)
 أليس الخلف قد وهنت عراه فكيف تشد بعدئذ قواه ؟
 أبا سفيان ليس لكم ذمام
 كتبت الحق ، تطمع في الحال فما بال الثقات من الرجال ؟^(٢)
 ففتحتم بالأذى باب القتال فما دون اللقاء سوى ليال
 ويفتح مكة الجيش المهام
 دع الأرحام ليس لكم شفيع لقد حاولت مالا تستطيع^(٣)
 رويدك ، إنه الرأي الجميع وإن الله ليس له قريع
 تعالى جدّه وسما انتقام
 رجعت وأزعجت الحادثات فسرت تقول : هل قدم الغزاة ؟
 نعم ، قدم أنبياء الهداة وتلك جيادهم والرهفات
 فدع دين الفواة ، وقل : سلام
 أبا سفيان هل أبصرت نارا ككنار القوم إذ باتوا سهارى
 أبت وأبوا ، فما تألو استعمارا ولا تحصى وإن عدت مرارا
 هو الفزع المؤجج لا الضرام^(٤)

(١) قال أبو سفيان حين صاب إليه أن يصلح الأمر ، ليفزونا محمد إن صدق ظني وهو صادق

(٢) كان بديل بن ورقاء الخزاعي قد قدم على النبي ومعه نفر من قومه بعد رجوع عمرو ابن سالم ومن معه فأخبره بما كان من أمر الواقعة . فجاء أبو سفيان إلى المدينة وهو يظن أن الحر لم ينقل إلى النبي فدخل عليه ، وسأله أن يجدد العهد وي زيد في الدة فأبى عليه وسأله : هل ثم من حدث ؟ فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصالحنا لا نغير ولا نبدل ، ثم أعاد السلام عليه فسكت عنه .

(٣) ذهب أبو سفيان إلى أبي بكر وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وغيرهم يناشدكم الأرحام ويسألهم أن يكلموا النبي فيما جاء له . فصدفوا عنه ، ولم يقبلوا له قولا .

(٤) كانت عشرة آلاف ناز أمر النبي بإيقادها إلى بلع الجيش من الطهران لبراهما المشركون فيربعوا .

لقد أذرت قومك فاستطاروا وراحوا ما يقتر لهم قرار^(١)
 نبت بهم اننازل والديار وضاق سبيلهم فيها فحاروا
 وقال سرائهم : خطب جسام
 فدعهم يا ابن حرب تلنّ رشدا وبالحق اعتصم فالحق أجدى
 سبيل محمد فاسلكه أهدي وخذه يا ابن حرب منه عهدا
 لبيتك فيه من شرف دعام^(٢)
 مع العباس سرت إلى الرسول لأعظم مطلب وأجل سول^(٣)
 لمدين الله ، دين ذوى العقول من نفر المساميح العدول
 صدقتك ، ليس كالنور الظلام
 نقيت محمداً حرّاً رشيداً فعدت بيمينه خلقاً جديداً
 هديت وكنت جباراً عنيداً هنيئاً فاصحب الجُدّ السعيدا
 بما أولاك صاحبك المهام
 أصبت الخير أجمع والرشادا على يده ونلت به المراد
 أفادك يا ابن حرب ما أفادا فبارك فيك ربك ثم زاد
 وعند الله يلتبس التمام
 نظرت فهل رأيت أشدّ صبراً وأحسن منظراً وأجلّ قدرا ؟^(٤)

(١) لا رجع إلى قريش قالوا : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال لا والله . لقد أبى علي ، وقد نقيت أصحابه فما رأيت قوماً ملك أطوع منهم له .

(٢) جمل له النبي حق الحوار فقال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

(٣) حمله العباس بن عبد المطلب على يافته وقدم به على النبي فأسلم .

(٤) أمر به النبي فجلس على الطريق في وجوعه إلى مكة ليرى جيوش المسلمين ، وأمر أن تكون كل قبيلة عند راية قائدها . فجعلت تحربه كتيبة كتيبة . وهو ينظر إليها ويسأل عنها ، فلما مرت الكتيبة الأولى وكانت من بني سليم وعددها ألف رجل أو تسعمائة معهم لواءات يحملها العباس بن مرداس . وخفاف بن تدبة كرت ثلاثاً فقال أبو سفيان للعباس بن عبد المطلب : من هؤلاء ؟ قال : خالد بن الوليد معه بنو سليم ، قال - مالي ولبنو سليم ، ثم مرت

كتائب من جنود الله تترى تمرُّ عليك واحدة فأخرى
 لها من دينها العالى نظام
 تُكثِرُ ربها وتراه حقاً وتبذل فيه أنفسها فتبقى
 لك البشرى، نعمت وكنت تشقى فماذا من أيدي الله تلقى؟
 لقد جأت فليس لها انصرام
 لنعم الصاحبان الناجيان على طول التردد وانتوانى

= الثانية فكبرت ثلاثاً . ذل : من هؤلاء ؟ قال العباس : الزبير بن العوام في خمسمائة من المهاجرين وأبناء العرب ، قال : الزبير بن أختك ؟ قال نعم ، ثم مرت كتيبة بني غفار في ثلثمائة يحمل رايتهم أبوذر . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً ، فقال من هؤلاء ؟ قال : غفار ، قال مالى ولغفار ، ثم مرت أسلم في أربعمائة لها لواءان يحملهما بريدة ابن الحصيب . وناجية بن الأعجم . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . فقال من هؤلاء ؟ قال مالى ولأسلم ، ثم مرت بنوكعب بن عمرو ، وهم خزاعة في خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء ؟ قال بنوكعب اخوة أسلم ، قال هؤلاء خلفاء محمد ؟ قال نعم ثم مرت مزينة فيها مائة فارس وثلاثة ألوية يحملها النعمان . وعبد بن عمرو بن هوف ، وبلال بن الحارث . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء ؟ قال : مزينة ، قال مالى ومزينة . قد جاءتني تقطع من شوعها . ثم مرت جبهينة في ثلثمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد بن خالد . وسويد بن صخر ، وراعي بن مكث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . فقال من هؤلاء ؟ قال العباس . جهينة ، قال . مالى وجهينة . والله ما كان بينهم وبينى حرب قط ، ثم مرت كنانة - بنو ليث وضمرة ، وسعد بن بكر - في مائتين يحمل لواءهم أبو وائد اللبى ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء ؟ قال . بنو بكر . قال . نعم أهل شؤم والله ، هؤلاء الذين غرانا محمد بسبيهم ، ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواءان يحملهما معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الأشجعي فكبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء قال أشجع : قال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد ، قال العباس . دخل الاسلام في قلوبهم وهذا من فضل الله . ومرو بنو نعيم . وبنو فزارة . وسعد بن هذيم . وهم من قضاة قتلوا مثل ذلك . ثم جاءت كتيبة خضراء فيها أنما دارع ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون والأنصار وفيها الرايات والألوية . مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية وهم في الحديد ، لا يرى منهم إلا الحديد ، وكانت راية الأنصار مع سعد بن عباد فلما رآهم أبو سفيان قال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله في الأنصار ، فقال أبو سفيان ، ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة .

حكيم وابن ورقاء اللذان أراد الله فيما يبغيان
 فليس بغير منتهى اعتصم
 كلا الرجلين غطريف كريم له في قومه حسب قديم
 زعيم نجاء يصحبه زعيم كذلك يظهر الدين العظيم
 فتعرفه العطارقة العظام
 مضى لك يا حكيم ولابن حرب قضاء زاد حياً كل قلب (١)
 ومن أولى من الهادي بحب ؟ وأجدر من عشيرته بقرب ؟
 قريش قومه ، وهو الإمام
 إذا جعلت قلوب الناس تهفو فمن يبتئكما حرز وكهف
 وعندكما ظلال الأمن تصفو وورد العيش للوراد يصفو
 هما البيتان كلهما حرام
 وفي حرم اللواء لكل نفس تلوذ به كفاية كل بأس (٢)
 يراه سراة مكة فوق رأس ليمون النقيية غير نكس
 من النفر الألى صلوا وصاموا
 لواء أبى رويحة ما أعز لواء قام للإيمان رمزا
 يهز قلوب أهل الشرك هزا ويترك بأسهم ضعفاً وعجزا
 فمن للقوم إن وقع الصدام ؟

(١) حكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، قدما على النبي فأسلما (حكيم بن حزام بن خويلد أخى السيدة خديجة أم المؤمنين ، فبى عمته ، كان عمره حين أسلم ستين سنة ، وعاش بعد ستين سنة ؟ وكان من أشرف قريش في جاهليته وإسلامه ، أعتق في عهده الأول مائة رقبة ، وحج في الإسلام فلما كان بعرفة أعتق مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها ، عتق الله عن حكيم بن حزام ، وفي هذه الحجة جعل النبي لحكيم ما جعل لأبى سفيان من الإجارة .

(٢) كذلك قال الرسول الكريم ، من دخل في لواء أبى رويحة فهو آمن .

وقية الفتح الأعظم

جعل النبي صلى الله عليه وسلم لواء المهاجرين مع الزبير بن العوام . وأمره أن يدخل مكة من كداء وأن يركز رايته بالحجون ثم يمكث عندها لا يبرح حتى يأتيه ، ويبت خالد بن الوليد وكتائب من قضاة وسلم وأسلم وغفار ومزينة وجبنة وغيرهم ، وأمره أن يدخل من أسفل مكة ، وقد تجمع بها ناس من بني بكر وبني الحارث بن عبد مناف . وناس من هذيل ، فقاتلوا خالداً ومنعوه الدخول ، وشهروا السلاح ورموه بالنبل ، وقالوا ، لا تدخلها عنوة . فقاتلهم وانهمزوا (١) واشتد الأمر بمكة . فصاح حكيم ابن حزام : وأبو سفيان : يا معشر قريش على م تقتلون أنفسكم ؟ من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن . ومن وضع السلاح فهو آمن ، فجمعوا يقتحمون الدور ويفلقون أبوابها ، ويطرحون السلاح . في الطرق فيأخذهم السهون ، وقد أيد الله رسوله وأدخله مكة فتراً منصوراً .

ديار مكة هذا خالد دلفا فما احتيائك في الطود الذي رجفا ؟
طود من الشرك خاتته جوانبه لما مشى نحوه الطود الذي زحفا
إن الجبال التي في الأرض لو كفرت لدكها جبل الإسلام أو نسفا
لما دعاه بسيف الله سيده زاد السيوف به في عزها شرفا
ديار مكة أمّا من يسالسه فلا أذى يتقى منه ولا جنفا
تلك الوصية ما يرضى بها بدلا ولا يرى دونها معدى ومنصرفا (٢)

(١) كان من هؤلاء صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، تجمعوا بمكان يقال له الخندمة ليقاتلوا المسلمين . فقتل من هؤلاء مسلمة بن الحيا ، وقتل من المشركين إثنين أو ثلاثة عشر رجلاً ، ثم انهزموا وخالد من ورائهم ، وقد استشهد من أصحابه وجلان آخران هما حبش بن الأشعر الخزاعي أخو أم معبد التي مر بها النبي في هجرته إلى المدينة وكرز بن جابر القهري الذي أسلم بعد غزوة بدر وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين ، وهو الذي أمار على سرح النبي .

(٢) أمره النبي أن يفرز رايته عند أدنى البيوت من مكة ، وألا يقاتل إلا من يقاتله .

لا تجزعي ، إنه العهد الذي انبعثت
ليل الأباطيل ما التفت غياهبه
هن المنايا . فيالقوم من بطل
ضاقوا بسعد فقالوا : قائد حنق
واستصرخوا من رسول الله ذا حذب
هبت إلى الشر من جهالهم فئة
واستغفرت من قريش كل ذي نزع
نخاضها خالد شعواء كالحة ...
رمى بها مهبج الكفار فاستبقت
أتولره تصدع العهد الذي سلفا
على الحقائق إلا انجاب وانكشفا
رُمُوا به حية من حية خلفا
لوجاوز الحد بعد الحد ما وقفنا (١)
إذا استغاث به مستصرخ عطفنا
لم تأل من جهالها بغيًا ولا صلفا
إذا يشار إليه بالبنان هفا
إذا جرى الهول في أرجائها عصفا
تأقي البوار ، وتشكو الحين والتفا

(١) لما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان وهو في كتيبة النبي صلى الله عليه وسلم قل له يا أبا سفيان . اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، أي يقتل من يهدر دمه ولو تعاق بأستارها ، فلما حاذاه النبي قال له : أمرت بقتل قومك ؟ قال : لا ، فذكر له ما قال سعد . وناشده الرحم . فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة ، ثم تعرضت امرأة للنبي فأشده .

يا رسول الهدى إليك لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأر
والفت حلقنا البطان على القو
إن سعداً يريد قاصمة الظهر
خزرجي لو يستطيع من الغي
وغير الصدر لا يهيم بشيء
قد قلظي على البطاح وجاءت
إذ ينادي بذل حي قريش
ولئن أتعجم اللواء ونادى
ثم ثابت إليه من بهم الخ
لتسكون بالبضاح قريش
فانهينه فإنه أسد الأسد
لأنه مطرق يريد بنا الأمل
يا قريش ، ولات حين لواء
ص ، وعادهم لاله السوء
م ، ونودوا بالصيلم الصلواء
ر بأهل الحجون والبطحاء
ظ رمانا بالنسر والدواء
غير سفك الدماء وسي النساء
عنه هند بالسوء السوء
وإن حرب بذل من الشهداء
يا حاة الأدبار أهل الشوء
رح والأوس أنجم الهيجا
قنعة القاع في أكف الإمام
لدى الغاب والنج في الدماء
ر سكوتا كالحية الصماء

فأمر النبي بأخذ آراية منه ودفعها إلى ولده قيس ، ثم خفي سعد أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي فسأله أن يأمر بأخذها منه ففعل ، وبقي سعد في مقدمة كتيبة الرسول الكريم ولا آراية معه وهو بذلك راض ، رضى الله عنه .

وقال قائلهم : أسرفت من بطل
وهاج هم أبى سفيان ما وجدوا
فلا ت قلب رسول الله مرحة
وقال : سر يارسولي ، فأنه صاحبتنا
عن القتال ، فحسى ما جنى وكفى

* * *

مضى الرسول يقول : اقتل فبهيجها
وعاد والدم في آثاره سرب
قال النبي ألم تذكر مقاتلتنا
فقال : بوركت ، إن الله حرقها
سبحانه . إن أمر الناس في يده
لا يعرف المرء من خافيه ما عرفا

* * *

لا يجزع القوم إن السيف مرتدع
لم يرفعوا الصوت حتى لاح بارقه
هذا الزبير تراعى في كتابه
يلقى كداء به والحيل راكضة
عما قليل ، وإن النصر قد أرفا
تحت العجاجة ، يحلضوه السدفا^(٢)
كالسيل ، لاتمسك الأسداد ماجرفا
ما قال حسان من قبلى وما ازدهفا^(٣)

* * *

(١) جاء أبو سفيان فقال يا رسول الله : أبيع خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، فقال لرجل : لاذهب إلى خالد وقل له لا تقتل ، فذهب الرجل وأجرى الله على لسانه أن نبي الله يقول لك اقتل من قدرت عليه . فقتل سبعين رجلا . فلما رجع إلى النبي وكان قد علم بأمر القتل قال له . ألم أمرك بأن تدعو خالداً إلى الكف عن القتل ، فذكر له ما كان وقال : أردت أمراً وأراد الله غيره ، فكان أمر الله فوق أمرك . وما استطعت إلا الذي كان .

(٢) السدف الظلم .

(٣) لما دخل النبي مكة رأى النساء يلطمن وجوه الجبل بالحجر . فتبسم وقال لأبي بكر : ماذا قال حسان ، فأشده :

عدست بنيتي إن لم تروها
ينازعن الأعنة مسرجات

يأطهن بالحجر النساء
فقال النبي : ادخلوها من حيث قال . وازدحف بمعنى انحرف أو تريد في الكلام .

الله أكبر ، جاء الفتح وابتهجت
مشى النبي يحف النصر موكب
أضحى أسامة من بين الصحاب له
لم يبق إذ سطعت أنوار غرته
تحرك البيت حتى لو تطاوعه
واقاه في صحبه من كل مزدلف
العاكفون على الأصنام أتحكمهم
كانوا يظنون أن لا يستباح لها
نامت شياطينها عنها مذمة
هوت تفاريق ، وانقضت محطمة
ريمت شيوخ قريش من قذائفها
رأته ينحط من عليائه فزعا
وما درى هبل والطنن يأخذه
لو كان للدم يحسرى حوله دفعا

(١) انتهى النبي إلى الكعبة ومعه المسلمون . فاستلم الركن بمحجنه ، وكاد فكبروا مرجعين حتى ارتجت مكة . وكان يشير إليهم أن اسكتوا ، وكان محمد بن مسعدة يأخذ بزمام باقته في طوافه . ازدلف تقدم وتقرّب .

(٢) قال ابن عباس . كان على الكعبة يوم الفتح ثلاثمائة وستون صنما ، لكل حي من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرماس ، فجعل النبي يهوى بقضيب كان معه إلى كل صنم فيها فيهوى ، ولأنه كان يقول ، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ، وكان هبل من أعظم هذه الأصنام فجاءه النبي ومعه قوس جعل يطعن بها في عيبيه وهو يقول : جاء الحق الآية ، ثم أمر به فكسر ، وبقي من هذه الأصنام على الكعبة صنم كبير من نحاس - وقيل من صفر - لحزاعة جعلوا له أوتاداً من الحديد مثبتة في الأرض ، فأمر النبي علياً بن أبي طالب أن يرميه فرمى به وكسره .

(٣) الكسف التطم .

(٤) المشترف للتصب .

(٥) الثعب مسيل الماء من الخوص .

رمى به الله ، يحى البيت من عبث لم يبق بالبيت أصنام ولا صور للجاهلية رسم كان يعجبها لا كنت يازمن الأوهام من زمن إن الشريد الذى قد كان يظلمه ردّ الظلامة فى رفق وإن عفوا إن الرسول لسمح ذو مياسرة شكراً محمد إن الله أسبغها وعدوّى لإمام المرسين به خذ المحصّب إن وافيته نزلا قد عاد يكلف بالإسلام من رشد ثم استقام على البيضاء يسلكها مشى طليقاً إلى غاياته مرحاً يفشى موارد للايمان صافية

يماف باطله من عاف أو عزفا^(١) زال المعى، واستحال الأمر فاختلفا^(٢) فى دهرها ، ففقت أيامها وعفا أرخى على الناس من ظلماته سجفا ذوو قرابتة قد عاد فاتصفا^(٣) ولو يشاء إذن لاشتدّ أو عففا إذا تملك أعناق الجناة عفا عليك نعمى ترى ظلمها وضفا والله إن وعد الرسل الكرام وفى واذكر به ذلك الميثاق والخلقا^(٤) من كان بالكفر من غى الهوى كلفا من كان يضرب فى العمياء معسفا وكان فى القيد إن رام الخطى رسفا ما امتاح من مثاها يوماً ولا اغترفا^(٥)

(١) عزف عن الأمر زهد فيه وانصرف عنه .

(٢) أبى أنى أن يدخل البيت وفيه ما به من التماثيل التى اتخذها القوم على صور شتى ، فأمروها فأخرجت ثم نادى مناديه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما إلا كسره ، فكسروا الأصنام التى كانت فى بيوتهم ، وعمدت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان لأن صنم كان عندها فجعلت تضربه وتقول : كنا منك فى غرور ، ثم يمّث أنبى السرايا لكسر الأصنام التى كانت حول مكة .

(٣) الذى صلى الله عليه وسلم .

(٤) قاله السى : إذا فتح الله لنا مكة نزلنا الحيف - خيف بى كنانة يعنى المحصّب - وهو الذى تحالفت فيه قريش وكنانة على معاظمة بى هاشم وبى عبد المطلب حتى يسدوه إليهم ، وقد فتحت مكة وقيل ذلك .

(٥) امتاح الماء غرفة .

عادوا طهارى ، فلم يعلق بهم وضّرّ تتابع القوم أفواجا ، فأمنهم كذلك الحق يعلو فى مصاعده مرمى العقول إذا ما غرها هدف وما على الحق من بأس ولا حرج إن الذى جعل الإسلام معقله لم يرض ما نال من مجد فأورثه شتان ما بين صرح ثابت رفعت

مما جنى الكفر قبل الفتح واقتربا دين السلام وأمسى الأمر مؤتلفا حتى ينال الذرى أو يبلغ الشغفا^(١) فإن تريد سواء إن رمت هدفا إن هوّم العقل عنه مرة فغفا أعلى لأمتة الأركان والسقفا مجداً طريفاً ، وعزاً منه مؤتلفا^(٢) منه القباب وصرح واهن خسفا

لتنصت الأرض ، وأنسمع ممالكها ماذا يقول لها الرعد الذى قصفا^(٣) شرائع الخير يلقيها محبة شيخ النبیین يبنى البر واللطفا

(١) الشغف رهوس الجبال جمع شغفة .

(٢) لمتلف الشيء بمعنى استأنفه أى ابتدأه .

(٣) دعا النبى عثمان بن طلحة ففتح له الكعبة فدخلها معه ومع بلال وأسامة بن زيد ، وصلى فيها ركعتين ثم خرج فوقب على بابها ، وقال : -

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده . ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ثم خطب خطبة طويلة منها - يا معشر قريش ، إن الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . والناس من آدم ، وآدم من تراب ، وتلا قوله تعالى (يا أيها الناس إنما خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) ثم قال : يا معشر قريش ماذا تطنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت ، وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، فقال الرسول الكريم ، أقول كما قال أخى يوسف (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) اذهبوا فأنتم الطلقاء ، فخرجوا وكأنا نضربون من القبور ثم أسلموا .

وذكر فى هذه الخطبة بعض الأحكام ومنها ، لا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا يجمع المرء بين المرأة وعمتها ، ولا بينها وبين خالتها ، والبيئة على من ادعى واليهين على من أنكر . ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع محرم . ولا صلاة بعد =

الناس من آدم والبقى مهلكة فليتنق الله منهم من قسا وجفا
قل للأئى خطبوا الأفوام أو كتبوا دعوا المنابر والأقلام والصحفا

العباس بن عبد المطلب عليه السلام

خرج العباس بأهله وعياله مهاجراً إلى المدينة ، فتنى النبي صلى الله
عليه وسلم بالحنفة وكان قد أمره بالإقامة بمكة ليكتب إليه أخبار قريش ،
واستأذنه في الهجرة فكتب إليه : يا عم أقم مكانك الذى أنت فيه ،
فإن الله يحتم بك الهجرة كما حتم بى النبوة ، وكان ينفع المستضعفين من
المسلمين ، وقد أعلن إسلامه يوم الفتح وكان يكتمه قبل ذلك ، وكان أجود
قريش كفاً ، وأوصاها رحماً ، ومن مناقبه أن عمر بن الخطاب كان يستسقى
به فى خلافته إذا قحط الناس فيستقون ، وفى ذلك يقول عقيل بن أبى صالب :
بعمى سقى الله البلاد فأهلها عتبة يستسقى بشيئته عمر
توجه بالعباس فى الجذب داعياً فما حاد حتى جاد بالديمة المطر

أبا الفضل أقبل وارفع الصوت شاكراً فذلك فضل الله ، أسداه وافراً
أقمت تراعى الركب حران شقيقاً هنيئاً ، فهذا الركب وافك زائراً
هنيئاً ، فقد أوتيت سؤالك كله ولقيت عن قرب من السعد طائراً
إذا ما التمتست الركب : أين مكانه فحيث ترى نور النبوة باهراً
أبا الفضل أقبل ، واقضها من لبانة لنفسك ، تشفى منك داء مخامراً
حبيب نأى يطوى السنين ، وذو هوى يعالج وجداً بين جنبيه ثائراً
ويلقى الأذى بعد الأذى فى سبيله فيرضى ، ويفضى الجفن فى الله صابراً
لك الله يا عباس هذا محمد فسلم ، وطب ماشئت نفساً وخاطراً
أتى بعد ما جرّ السنين مهاجراً يجرّ السرايا خلفه والعساكراً
رآك فقرت عينه ، وترافدت تحيياته تنفك زهراً نواصراً
لها عبق من رحمة الله ، لم يزل مكانك منه إلى اليوم عاطراً

أقمت على المستضعفين بمكة ترد الأذى عنهم ، وترعى الأوصار
إذا فرغوا للظلم كنت لهم حمى وإن أعوز الأنصار ألفوك ناصر

== العصر وبعد الصبح ، ولا يصام يوم الأضحي ويوم الفطر ، ثم قال - أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، إلى آخر ما قال صلوات الله وسلامه عليه .

يظنك أهل الكفر منهم ، وإنما
شدت قوى الإسلام بين ربوعهم
وكنت له عيناً تظاهرها يد
تمد رسول الله بالكتب حقلاً
بريد ، إذا كف البريد من الوفي
وكنت إذا استأذنت تبغى جواره
وقال : انتظري أعم ، إنك مرجأ
فجى خستم الله النبيين كلهم
وإني لأرجو أن تكون بيثرب

* * *

هو الله فانظر يا أبا الفضل ما قضى
تجلت دياجير الهموم دميعة
ألا رب يوه ذقت من سوء ما جنى
وليل كما احتاج الجبان مفزع
كدأبك إذ قالوا أصيب محمد
فلما عرفت الحق أوفيت ناهضا
وترسله حراً طليقاً ، وإنه
نهضت خفيف الجانبين ، ولم تكن
يسرك ماسر الرسول وما يكن
هديت أبا سفيان ترحم نفسه
وجئت به ، والجند بالليل راصد

(١) إشارة إلى قصة حجاج بن علاط السلمي رضى الله عنه وقد تقدمت .

فأسلم يرضى الله من بعد نفرة
وفى ابن حزم وابن ورقاء شاهد
ثلاثة أقطاب صرفت قلوبهم
ولو أعرضوا لم يردع الحرب رادع
حققت دماء ، لو يخلّى سبيلها
فأمست قريش ما لها من بقية
بيومئذ يا عم الرسول تنابت
وكنت امرأ من قبل ذلك محسناً
عظيماً ترزجيه قريش لما بها
وإنك إذ تسقى الحجيح لسيد
لعثمان ما يرضى ، ومالك غيرها
وليس التي يأتي الحميلة غارماً
حرمت الرضى إن عبت عثمان إنه
له من عطاء الله كنز مبارك
يضمن بمفتاح البنية جهده
أمانة رب البيت لم تمط خائناً

* * *

(١) كان مفتاح الكعبة مع عثمان بن طلحة بن أبي طلحة من ولد عبد ادبار بن قصى ابن كلاب ، فلما جاء وفتحها للرسول الكريم سأله عمه العباس أن يعطيه إياه ليجمع بين السقاية والخدمة فأبى وقال ما معناه - إنما أعطيكم يعني آل بيته ، ما يبدلون فيه أموالكم للناس ، لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم - ثم رد المفتاح إلى عثمان وقال : خذوها (يعني الخدمة) خالدة نالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف . وفي هذه الواقعة نزل قوله تعالى - (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها - الآية) .

أبا الفضل هذا ما أحب محمد
إذا أظماً الله البلاد وأهلها
لعمري لقد غادرت غير منازع
صدقك ، إني لو تناسيت حقها
أعني بروح منك يارب واهدني
دعوك للإسلام أمسيك مجده
ظفرت به ، لازال سهمك ظافرا
فباسمك يسقيها الغيوث الموطرا
مناقب ذكراها تهز المنابرا
على ما عناني ، لم أجدي عاذرا
سبيلك ، إن أضللت في الناس شاعرا
وأدرك منه ما طوى الدهر ناشرا

إسلام هند بنت عتبة زوج أبي سفيان

لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من مبايعة الرجال تقدم إليه النساء
يباعنه ، وفيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ، وكان قد أهدر دمها لأنها
مثلت بعمه حزة رضي الله عنه يوم أحد ، ولاكت كبده ولم تقدر على
اجتماعها فلفظتها ، وأخذت القلائد من جلده لأنه قتل أباه يوم بدر -
تقدمت إلى الرسول الكريم منتقبة خوفاً منه فعرفها ، وثالث له : أعف
عما سلف ، عفا الله عنك ، ياني الله ، ثم بايعته . ومما يؤثر عنها أنه لما
قال (ولا تزني) قالت : أو تزني المرأة يا رسول الله ؟ ؟

يا هند حسبك مقنا وكففاك إن الذي يهدي النفوس هداك
أقبلت ، ترخين القناع حيية تحفين نفسك والنبي يراك
أولست هنداً ؟ قلت في خجل : بلى لا تخجلي ، فالله قد عافاك
داويت بالإسلام قابك فاشتقي وغسلت من تلك الجريمة فاك
لا تذكري الكبد التي مارسها فأبت عابك ، لعاهها تنسأك
ودعي قلائد يوم بدر والبسي في بهجة الفتح المبين حلاك
أخذ الهدى بك في سبيل محمد نخذي عن الشيخ الجليل أذاك^(١)
ما كان بالمفتون حين شتمته وبلغت في سوء الصنيع مداك
قلت : اقلوه ، ولو أطاعك جمعهم لجري الدم المصفوك من جرأك
يا هند إن الحق أعظم صولة من أن يهابك أو يهاب أبأك
ما مثله إن رُمت في الدنيا أبأ يا بنت عتبة من أب يرعأك

(١) لما رجع أبو سفيان إلى قريش من عند النبي فقال لهم : هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل
لكم به ، أسلموا له ، قامت هند فأخذت بشاربه وقالت : اقلوا الحيت (الزق الضخم)
الدم الأحمر ، قبحت من طليعة قوم - وفي رواية أنها أخذت بلحيته ونادت : اقلوا الشيخ
الأحق ، هلا قاتله ودافعه عن أنفسكم وبلادكم ؟ ؟

إسلام عثمان أبي قحافة والراي بكر الصديق رضي الله عنهما

لا يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وجلس في المسجد والناس حوله ، ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بأبيه عثمان - ويكي بأبي قحافة - يتوده وقد كف بصره ، فلما رآه قال لأبي بكر : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية ؟ قال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمتني إليك من أن تمتني أنت إليه ، ثم أجلسه بين يديه الشريفين مسح صدره وقال : أسلم تسلم ففعل ، وهنا النبي أبا بكر بإسلامه فقال : « والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه » .

شيخ يقاد إلى النبي على يد هـذا أبو بكر يقدم شيخه قال النبي ألا رثيت لضعفه لو لم يحيى شيت أشهد أمره يا والد الصديق خذها نعمة ما كنت بالمرصوف عن دين الألى العاكفين على شرايع ربهم الظالمين إلى الجهاد ، فإن دُعُوا يتهافتون على جوانبها إذا من كان يسعد في الرجال بوالد من سؤدد الصديق أن زمانه الحاضن الإسلام يجعل صدره يعطيه مهجته وصفوة ماله قال النبي اهنا ، فقال وددتها هذا هو الإيثار ، فاعجب واعتبر

هي للنبي إذا رمى أعلى يد يهديه ، إن الأسمى ليهتدى وتركته في داره لم يجهد ؟ وأجله شيخاً كريم المشهد سيقته إليك من النبي محمد كفروا بآلهة كأن لم تعبدا من ركن بيض الجباه وسجد وردوا حياض الموت عذب المورد نادى رسول الله أئسكم الصد ؟ فبمن ولدت أبا قحافة فاسعد لو لم يلد له لكان خصم السؤدد كهفا يقيه أذى العدو المنفسد ويكون للحدث الجليل برصد كانت لعمرك ذى القعال الأجد وأعد على الدهر الحديث وردد

من قدم الدنيا ، فليس يبلغ فيم اعتذارك ، والمهدية سمحة بإمت أهدى العائين طريقة ينسى الإساءة ، وهي جرح بالغ مهما تنله الحفظات من الألى أعجبت إذ ذكر الفواحي هاديا إن تعجبي للعرض بـذل هيئنا عرض الحرائر ماعمت وإنما يحفظنه ، ويددن عن ممنوعه قأبي التي منهن يقتلها الطوى وأصد ممرضة تضن بنفسها عار الزنا يخزي الوجوه وشرة يا هندي إن الله أمضى حكمه أوتيت زادك من تقى وهداية

ما قدمت عند الرسول يدك وهواك في تقوى الإله هواك^(١) ورضيت منه مهذباً يرضاك ويعوذ بالخلق الكريم إذا كي جهلوا ، فليس بعاتب أو شاك فنهى اللواتي جنته ونهاك ؟ وهو الحياة بأسرها فكذلك يرضى سواهن الزنا وسواهن شهوات كل مخادع فتاك أن يشتري بذختر الأملك^(٢) ولو ان مضجعهما ذرى الأفلاك يرمى البلاد وأهلها بهلاك فكفاك سوء عذابه ووقاك فتزودى ، سبحان من نجاك

(١) أهدت إلى الذي مع جارية لها جدين مشوين وقديماً ، وأوصتها أن تعتقر إليه على لسانها وتقول : لم غنمنا قليلة الوادة .
(٢) الضوى الخوع -

كعب بن زهير وأخوه بجير بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى اللزني أحد أصحاب العقبات ، كان يرعى غنماً له مع أخيه بجير ، وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ، قال له بجير : أنبت أنت في غنمنا ودعني أذهب إلى عمد فأسمع كلامه وأعرف ماعنده ، وجاءه بالمدينة فهداه الله للإسلام ، وبعث إلى كعب يخبره بذلك ، ويسعوه لمن مافعل (١) فأجابته كعب على رسالته لأنما ، وكان الرسول الكريم قد أهدر دم كعب لما قال فيه ، فأقام يغالب نفسه ثم قدم فأسلم ، وقال قصيدته المشهورة بانت سعاد .

بجير كيف يخطئك السداد ويمنح ضلّة منك القياد ؟
ألا إن اللبيب لذو صلاح إذا ما رأى خالطه الفساد
تركت أخاك تنشده مراداً لنفسك صالحاً ، نعم المراد
تقول له : أنبتني في ظنون تزدود البينات ، ولا تذاد ؟
فدعني وانتظر يا كعب إني لأخشى أن يطيح بنا الغناد
أجىء محمداً فأرى : أغى ؟ يراد بمن يليه أم رشاد ؟

أتى ، فرأى اليقين ، له جلاء فطابت نفسه ، وصنا الفؤاد
وأسلم ، لا يرى لله ندّاً تدين له الخلائق والمباد
وأنفذه إلى كعب كتاباً كأن سطوره البيض الحداد
دعاه إليه يكره أن يراه كمن صدقوا عن المثلي وحادوا

(١) بث بجير إلى كعب يقول : إن رسول الله قتل رجلاً ممن كانوا يهجونه ويؤذونه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فاضر إليه مسرعاً فإنه لا يقتل من جاءه ثباً ، وإن أنت لم تفعل فاح إلى نجاتك من الأرض ثم كتب إليه :

فمن ملبع كعباً ، فهل لك في التي تلوم عليها باطلا وهي أحزم ؟
إلى الله - لا العزى ولا اللات - وحده فتتجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا يتجو وليس بمفلت من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ودين أبي سلمى على محرم

وقال : لئن أبيت فلا تلمني إذا أخذتلك داهية نَد
يرميت محمداً فلأنت صيد له يا كعب والرامي يصاد
إذا لم تأتنا فاذهب بعيداً عسى منجى يُعينك أو مصاد

أتاه نذيره ففناه همٌّ * * * وطال الليل وامتنع الرقاد
إذا التمس القرار أبي عليه وغال قواه ذعر وارتماد
يظن الأرض ترجف أو تنزى فما ترسو الجبال ولا الوهاد
وأرسل : يا بجير صبات لما سقاك بكأسه السمح الجواد (١)
أدينَ أباك تترك يا بجير ولادين سواه ولا اعتقاد ؟

وساوس ذاهل يفشاه رعب غيوره جنوناً أو يكاد
قلما ضاقت الدنيا عليه وهدت ركنه الكرب الشداد
أتى بيني الأمان لدى كريم يرجى الخير منه ويستفاد
تدارك نفسه منه بغفو فعادت حين لا يرجى معاد
ولاذ بمقل الإسلام كعب فلا ركن يميل ولا عماد

هلمّ فلاقه يا كعب رزقا من الرضوان ليس له نفاذ
لنعم الزرع زرعك حين تبغى جناه ، وحين يدركه الحصاد
لقيت كرامة ، وسعدت جدّاً فغنّ إذا ، وقل بانت سعاد
بوخذها بردة للشعر فيها طريف العزّ والمجد التلاد

(١) لما جاءت رسالة بجير أخاه كعباً كتب إليه :
ألا أبلغا عني بجيراً رسالة فقول لك فيما قلت ويحك هل لك ؟
فبين لنا إن كنت لست بفاعل على أي شيء غير ذلك دلوك ؟
على خلق لم تلف أمّا ولا أباً عليه . ولا تلى عليه أخا لك
سقاك بها للمؤمن كأساً روية فأهلك المأمون منها وعلكا
صبا الرجل خرج من دين إلى دين .

وإذا الحديث الحق جاء كبيركم
شتم الألى صدقوه ألا يدعوا
ورمى بهم في الحبس خوف حديثهم
فألزور أولى ، والحققة أوجب^(١)
مالم يروا شططاً ، وألا يكذبوا
فألمر فوضى ، والصواب مغيب

* * *

أغضب دريد أوارض ، لست كالك
ملك القياد فلا مرداً لأمره
أكذلك زعمك يا ابن عوف؟ إنها
أزعمت أن محمداً لم يلقه
وظننت أنك إن لقيت جنوده
إن الذي حدثت قومك جاءه
في القوم إذ يرضى وبذ ينتفضب
ولسوف يهلك من بقود ويخضب
لكبيرة ، بل أنت ويحك ناعب^(٢)
من قبل قومك من يخاف ويهرب؟
لم تكن عنه كتيبة أو مقنب
فأئن عجت لما أصابك أعجب

* * *

هو ملتقى الجيشين ، فانظر هل ترى
وإع الرماة بهم ، فتلك سبهم
قوماً تظن عيونهم تتلطب؟
ملء القسي إلى النحور تصوب^(٣)

== ومالك ، ثم أشار عني بأمر لم يقبلها وقال ، والله لا أضيقك ، أنك قد كبرت وضعف رأيك
فقال دريد هوأزن ، أنا راجع إلى أهلي إذن . فتموه ، فقال مالك لهم ، والله انطبعي بمعشر
هوأزن أو لا تكني على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ، فقالوا : أطنناك ، وقال دريد .
يا ليتني فيها خذع ، أخب فيها وأضع أنود وضاء الزم . كأنها شاة صدع
(١) أرسل مالك بن عوف ثلاثة من رجاله يستطلعون أخبار المسلمين ، فوجدوا إليه
مذعورين ، فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجلاً بيضاً على خيل بلق ، فأصابنا
ما ترى ، وإن أطننا لخرج من قومك ، فقال : أف لكم ، بل أتم أجبن القوم ، ثم حبسهم
كيلاً شيخ الحذر .

(٢) بعث النبي عند الله بن أبي حذرد الأسعي ليأتيه بأخبار القوم ، فما انتهى إلى
مالك بن عوف وعنده رؤساء هوأزن سمعه يقول لهم : أن محمداً لم يقاتل قبلاً أحداً من أهل
الحروب إنما كان يأتي قوماً أغماراً فيظهر عليهم وأنا أعالده ، وعاد عند الله فقص الحديث على أبي
(٣) كانت هوأزن رماة لا يكاد يخطئ لهم سهم . فألحوا على المسلمين بالسل .

عزوة حنين

لما فتحت مكة اجتمع أشراف هوازن وثقف يقولون ، قد فرغ لنا
حمد ، فلأرى أن تقروه نحن قبل أن يفزونا ، وجعلوا أمرهم إلى مالك
ابن عوف أسلم بعد ذلك على أن يرجع فيما يريد إلى دريد بن الصمة لسنه
وتجربته ، وكان عدد جيشهم ثلاثين ألفاً - خرجوا بالنساء والأولاد
والمواشي - وكان خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى هذه الفزوة
يوم السبت سادس شوال من السنة الثامنة في اثني عشر ألفاً ، وبعد أن
رتب الجيش أعطى الرايات إلى علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ،
وعمر بن الخطاب ، والجباب بن المذر ، وأسيد بن حضير . وقد اشتد
القتال في هذه الفزوة ، فتراجم المسلمون ثم نصرهم الله .

لئن الجوع كثيرة تتألب؟ مهلا هوأزن أين أين المذهب؟
مهلا ثقيف ركبت من غي الهوى وعمايه الأوهام مالا يركب
مهلا بغاة السوء ما لحمد كفو ، ولأمنه لباع مهرب
قلتم : قضى حاجاته ، وخاللنا فبدار ، إننا معشر لا نقرب
وبعثموها ظالمين ، تهزكم نشواتها ، فريدوا الموارد واشربوا
حل ابن عوف في الكريمة أمرهم فأنهار كاهله ، وخز المنكب
ولقد دهاكم من دريد أنه شيخ تسلس به الأمور مجرب
فسأتموه الرأي يعصم مالكا ويريه ما يأتي وما يتجنب
هيئات ، كل الرأي - إن غضب الألى لا يرتضون سوى الجهاد - محجب
سوقوا النساء ، وجندوا أنماكم ودعوا البنين بكل أرض تدأب^(١)

(١) أمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبنائهم لينتقم
من الفرار ، فلما نزلوا بأوطاس (مكان الواقعة) قال دريد بن الصمة : مالي أسمع رغاء الإبل
ونهاق الخيل ، وبكاء الصغير ، وبيمار النساء ، وخوار البقر ؟ قالوا ، هكذا أراد مالك ،
فدعاه إليه ، وسفه رأيه ، وكان مما قاله له : إنك رويي ضأن . فالك وللحرب ، هل يرد التهمز
شيء ؟ هي إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل يسبقه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في نفسك =

غفت مواقعها عن الدم إذ جرى فكانها بدم الزماعة تُخَضَّب
كرهوا السيوف ، واللوعى أبطأها تُدْعَى ، فتستل السيوف وتضرب

* * *

حيدوا جنود الله ثم تقدّموا فالجرب في أطوارها تتقلب^(١)
آبَا تَرَدُّ عن الفريسة نابها تبغى مقاتلتها ، وآبَا تنشب
تُزجى رواعدها البروق ، فصادق ينهل صَيِّبه ، وآخر خلَّب
غَرَّارة ، يشقى العبي بكيدها إن بان من غيب الأمور محجب
تُبْدى من الحاجات ما لا تبتنى حذرًا ، وتكتم ما تريد وتطلب
علم توارثه الثقات ، وزاده شيخ الوغى وأبو الثقات المنجب

* * *

حمى الوطيس أجل تبارك ربنا فافزع إليه ، هو الفياث الأقرب^(٢)
هذى كتائبه عليك تنزلت ومضت إلى أعدائه تتوثب^(٣)
بصروا بها ، فتزابلت أوصالهم رعبًا ، وضاق سبيلهم والمذهب
هم في حنين لا يحمد مناهم في يوم بدر صدعهم ما يرأب
مدد السماء أعدّه لك منجد لا جنده يفنى ، ولا هو يتعب

(١) هكذا حدث حين اشتد القتال ، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم في مكانه مع طائفة من أصحابه ، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعباس وابنه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب (بن عمه) وأسامة بن زيد ، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان يدفع بيته إلى الأمام ويقول : أنا النبي لا كذب . أنا ابن عبد المطلب .

(٢) قال النبي حين استجر القتال (الآن حمى الوطيس) وقد رفع يديه في هذا الموضع وقال : اللهم أنشدك ما وعدني ، اللهم لا يفي أن يظهروا علينا ، اللهم كنت وتكون ، وأنت حي قيوم ، اللهم إن نشأ لا تميد بعد اليوم . اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان .

(٣) أنزل الله الملائكة في هذه الغزوة ، وقد اختلف في عدتهم فقيل حصة آلاف ، وقيل ثمانية آلاف ، وقيل ستة عشر ألفاً .

سبحانه ، ما من إله غيره لو يستقيم الجاهل المتنكب

* * *

يا مولعاً بالحرب ، يستقصى المدى في وصفها منه البيات المسهب^(١)
سل بغلة حملت رسول الله هل حمت فوارسها العتاق الشرب ؟
طاروا عليها مدبرين ، ولم يطر مضوا فتولا ، وهو راس يرقب
بطل يرى موج المنيا حوله فعزيمة تطفو ، وقاب يرشُب
تجربى ظنون القوم في حركاته فيفوت غاية من يظن ويحسب
كل امرئ يأتي الأمور عظيمة فإليه في الدنيا العريضة ينسب
ما العبقريّة في مراتبها العلى ؟ هو في سماء العبقريّة كوكب
متألق ، من لم يسر في نوره أودى الظلام به وطاح الغيب^(٢)
أين الألى ملأ الفضاء سوادهم وأصلهم ساداتهم فتحزبو ؟
غنموا القرار ، فما يرى من بعدهم إلا المقام ، تستباح وتنهب^(٣)
خير أتيح ونعمة مشكورة سبقت على قدر ، ورزق طيب
راحت بأيدي المسلمين ، وإنهم لأحق من يُعاقب الجزيل ويوهب
تقضى الديون بها ، فلا ابن أمية يشكو المطال ولا حويطب يعتب^(٤)
ويقام دين الله في القوم الألى فتدوا بأصنام تقام وتنصب

* * *

(١) الشرب جمع شارب وهو الضامر .

(٢) أودى أهلك والغيب الضلعة .

(٣) غنم المسلمون من الإبل أربعة وعشرين ألفاً . ومن الغنم أكرم من أربعين ألف شاة . ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، وعدداً قليلاً من البقر .

(٤) استقرص النبي قبل خروجه من مكة إلى هذه الغزوة خمسين ألف درهم من صفوان ابن أمية ، وأربعين ألفاً من عبد الله بن ربيعة ومثلها من حويطب بن عبد العزى فرقها وأصحابه من أهل النصف ، ثم ردّها بما غنم وحبس .

قتلى هوازب هل تفجع مالك
قم يا دريد قتل لقومك خطبة
انظر إلى الأسرى وساهم : ما لهم
ويح النساء ومن ولدن الأفاقي
إسمع دريد فقد أهاب محمد
لا تقتلوا الأولاد، ما فيهم لنا
أسخريت بالبطل الصغير فهل نجا
أعطاك سؤلك، ما تردد سيفه
إن ضاق صدرك حين تذكر أمه
قالت : أتقتله ، ربعة ؟ إنه
ومضى لمصرعكم ينوح ويندب؟^(١)
تجنوا الموم ، فقد عهدتكم تخطب^(٢)
نكبوا ، وكان الظن ألا ينكبوا
يحمي الذمار ؟ ألا كمي يحرب^(٣)
يخنو على النساء الضعيف ويحدب^(٤)
خصم ، ولا منهم أثيم مذنب
منه بتهجته الكبير الأشيب^(٥)
ولأنت سؤل غرارِه والمأرب
فاصدرها لو كنت تعلم أرحب
شيخ له فضل يعد ومنصب^(٦)

* * *

ما بال سيف الله ؟ أين مكانه ؟
سأل النبي فقيل : عند جراحه
أيفيب عن نظر النبي ويعزب ؟^(٧)
لو يستطيع أتى يهش ويطرب

فمضى إليه يعود في موكب
بوركت خالد ما رأيت عين دماً
قم في جراحك ، إنها لك قوة
قم للشدائد ، ما تاتين صلابها
لك همة ما استطاع ونجدة
من يجهل الرثيال ، ينفذ نابه
الله فيه من الملائك موكب
كديم جرى من خالد يتصبب
تدع القواضب وهي حيرى هيب
فلأنت صاحبها الأشد الأصلب
مذخورة للأمر ساعة يحزب^(١)
في كل مقتنص ، ويمضي الخنب ؟

* * *

إشهد حنين بما رأيت ولا تخف
حدثت عنك، وقات : بأرض اسمي
ماذا أقول ؟؟ أنا الميئ وإن جرى
خصما ينازع ، أو عدوا يشغب
فهتز مشرقها وماج المغرب
قمن بأبلغ ما يقال ويكتب

(١) قتل من المشركين في هذه الواقعة أكثر من سبعين رجلاً قبل الموقعة وثمانمائة بعدها ولم يقتل من المسلمين غير أربعة .

(٢) كان دريد بن الصمة من فحول الشعراء . وهو صاحب القصيدة التي يقول فيها .

أمرتهم ، أمري بمنعرج الأولى فلم يستبينوا الرشداً إلا ضي الفد
وهل إلا من غزية أن غوت غويت ، وإن ترشد غزية أرشد

(٣) الحرب الشجاع الشديد الحرب .

(٤) نهى النبي عن قتل الأولاد رحمة بهم .

(٥) هو ربعة بن ربيع السلمي . أخذ بنظام جمل دريد فقال له : ما تريد ؟ قال : أريد أن أقتلك ثم ضربه بالسيف فلم يصب منه شيئاً ، فقال دريد يسخر به ، ولس ما سلتك أمك خذ سبني فاضربني به ، ثم إذا أنبت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فقتله ، فلما أخبر أمه قالت : هلا تكلمت عن قتله ؟ إن له فضلاً .

(٦) المصب الميت واخذت .

(٧) أتت خالد الجراحات فتى في مكانه . وقال النبي : من يدلني على خالد ، فدلوه عليه فمضى إليه وتفل على جراحه .

الأنصار يَبْكُون

جاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة إلى انصعا ، وجعل ينظر إلى البيت ، ثم رفع يديه يدعو الله بما أراد والأنصار حوله ، فقال بعضهم لبعض : إنه يحزن إلى قرينه وعشيرته ، وظنوا أنه سيقم بمكة ، فجزعوا لذلك وبكوا ، وعلم الرسول الكريم بأمرهم فقال لهم : هاجرت إلى الله وإليكم ، فالحبا محياكم ، والمات مמתكم ، ففرحوا بذلك وعابت قلوبهم .

ما للدموع على التظنن تذرف ؟ الجار وافي ، والهوى متألف
لا تنكروا حبَّ النبي لاله ودياره الأولى ، ولا تتأسفوا
أحسبتموه يزيد عنكم مصرفاً ؟ مهلا ، فليس عن الأمانة مصرف
متأفزعتم قال : يا قوم اسكنوا هي يثرب ما دونها متخلف
دار الحياة ومنزل الموت الذي مالى سواه ، فإن جيلتم فاعرفوا

فرحوا ، وأشرقت الوجوه فما ترى عيناً تفيض ، ولا فؤاداً يرجف
صدقوا نديهم الهوى فقلوبهم من حوله شفقاً ترف وتطف
أنصره في الحادثات إذا طفت وجنوده في الحرب ساعة تعصف
هم أنصفوه مشرداً يجد الأذى من كل ذى جبرية لا ينصف
وتكفؤوه يعظمون مكانه وذوو قرابته تصد وتصدف
ما عز منزل قادم أو زائر إلا ومنزله أعز وأشرف
شدوا عرى الإسلام حتى استحسنت ولوى السواعد حبله المستحصف
كانوا أساس بنائه وعماده والأرض تخسف والشوامخ تنسف
انظر بناء الله حول رسوله وصف الذرى إن كن مما يوصف
في كل سور منه جند يرتعى يغزو الأولى كفروا ، وموت يزحف

صَبُّوا على المستضعفين نكالهم وجرى القضاء ، فهم أذل وأضعف^(١)

يا معشر الأنصار ما من صالح إلا لكم فيه يد أو موقف
لكم للمواقف ما يذاع حديثها إلا يهلك بها الزمان ويهتف
لا الشعر منهم إذا بلغ المدى يطرى مناقبكم ، ولا أنا مسرف
أو ما كفكم ما بقول إلهكم في مدحك ، ويضم منه المصحف ؟

هَدَمَ الْعَزْزَى وَسُوعَ وَمِنَاةَ

كانت هذه الأصنام الثلاثة أعظم أصنام قرينش بموضع يقال له « نخلة » على لبله من مكة ، وكان عمرو بن لحي قال لهم : إن الرب يشق عند اللات ويصيف عند العزى فطأوها وبنوا لها بيتاً يهدون إليه كما يهدون إلى السكبة ، ويطوفون ويتحرون عنده .

بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح وهو ما يزال بمكة خالد بن الوليد مع بعض أصحابه لهدم العزى ، وعمرو بن العاص ومعه طائفة أخرى لهدم سواع ، وسعد بن زيد لهدم مناة ، فهدموها ، وعادوا مأجورين .

إلى العزى فقد بلغت مداها وإن على يديك منتبهاها
أزليها خلدت واهدم بناء أقيم على جوانبها سفاها
بناءه الجاهلون لها ، ودأوا بها من دون خالقهم إلهها
مذممة تساق لها الهدايا تظن دماؤها تسقى ثراها
رماها ابن الوليد فنى شر أزال ؟ وأتى داهية رماها
وإن غرور سادنها ؟ وماذا أفاد دعاؤه ما دعاها ؟^(١)
أجل يا ابن الوليد لقد دهاها من الهول البرح ما دعاها^(٢)
ويا عمرو اتخذ لسواع بأساً يذل من الطواغيت الجباها^(٣)
ويبتزع الفواية من نفوس أنج ضلالها ، وطنى هواها

(١) ما علم سادنها بمقدم خالد على سيفه واستند إلى الجبل الذى م فيه وجعل يقول -

أيا عز شدى شدة لا سوى لها على خالد ألقى القناع وشمى
أيا عز إن لم تقتلى المره خالداً فبوتى ياتم عاجل أو تنصرى

(٢) إشارة إلى قول خالد لما هدمها -

يا عز كمرانك لا سحجانك إنى رأيت الله قد أهانك

(٣) كان سواع هذا هذيل ، قال ابن جرير - لما مات سواع بن شيث بن آدم صورت

صورته وعطمت لموضع من الدين ، ولا عبدوا في دعائه من الإجابة ، وهو أبو يثوث ويثوث وسر ، وكذلك صوروا هؤلاء بعد موتهم ، فمن الذين جاءوا بهدم أن لهذه الصور عملاً في الفم والضر فاتخذوها آلهة ثم عبدوها .

هدمت ضلالة شابت عليها هذيل بعد ما قصت صباها
تطاوت القرون وما تناهت فقل لسواع دهرك قد تناهى
رآه ولئيه كذباً فولى يسائل نفسه : ماذا عراها ؟^(١)
وقال : شهدت أن الله حق وأن النفس ينفعها هراها
جعلت محمداً سبى فإنى أرى أسبابه شدت عراها

* * *

مناة ، مناة . مالك من بقاء وأى شقية بلغت منها ؟^(٢)
رماك الله من زيد بن سعد بمن ترمى الجبال له ذراها
أما نفصتك من خوف وذعر عرائين المشلل إذ لواها ؟
تبارك هادم الأصنام ، إنى أرى الأصنام تهدم من بناها
نضال العائنين ، وقد أتاها كتاب الله ينذرهم أذاها
بوما للنفس تؤثر أن تحلى سوى الإيمان يلبسها حلاها

(١) هو سادنه ، قال عمرو : ما تريد ؟ قل أريد أن أهدمه ، قال : لا تقدر على

ذلك . فما هدمه قال السادن : أسلمت لله رب العالمين .

(٢) كانت مناة للأوس والخزرج وغيرهم من العرب على جبل اسمه (المشلل) يقع على

ساحل البحر ، يهبط منه إلى قديد .

يقول: الطغني أمان من شئت وانتصري
 فحييت عبد الله ما أنت كالذي
 كلا أبويك استن سنة ماجد
 إذا التمس الإسلام في كل حادث
 به سئ دينا من كنانته النصر
 يرى السيف مقروبا فيأخذه العذر^(١)
 فطبت وطايا ، لا خفاء ولا نكر
 بضيق به ذخرا ، فأنت له ذخ

أم سليم زوج أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري

رضي الله عنها

كانت رضي الله عنها حازمة وسطها يرد لها ، وو حزامها خنجر ، وكانت حاملا بابنها عبد الله بن أبي طلحة ، فقال لها زوجها : ما هذا الخنجر الذي معك ؟ قالت : إن دنا مني أحد من المشركين بجمته به ، فقال أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم ؟ وأعاد عليه نقول . فجعل عليه الصلاة والسلام يضعك ، قالت له : بأبي أنت وأمي ، أقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أمل ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه : أن الله قد كفى وأحسن .

لأم سليم يا أبا طلحة العذر
 سألت فقلت : خنجرى أتقى به
 أشق به في حومة الحرب بطنه
 أعجب منها : كيف تحمى ذمارها
 وتدعور رسول الله هل أنت سامع ؟
 نعم ، أنت تحمى ولكن نفسها
 ألم تر إذ قالت : أقتل معشرا
 وماذا عاينها حين تكفيك أمرها
 أرادت لك الأمر الجليل ، ولن ترى
 ألم تنظم بالسيف عشرين فارسا
 إذا طار منهم مدبر يلقى الردى
 تخوض الدم المسفوك ، لا جسر دونه
 أبا طلحة اسمع ما يقول ابن حرة
 وهل يأمن الإسلام أن يفدر الكفر ؟
 أذى كل عاد من خلائقه العذر
 إذا رامنى بالسوء واستوعر الأمر
 وتدرأ عنها الشر إن هاجها الشر ؟
 فيفرح من رجوع الحديث ويفتر
 لها نحوه من ذاتها وبها كبر
 تولوا ، فلا بأس شديد ولا صبر ؟
 وترى بك الأبطال والنقع مغبر ؟
 كأم سليم حرة حازها حر
 مفاء بهم شتى ، وأسلامهم كثر ؟^(١)
 تافاك منه في مطار الردى الصدر
 ومالك كالإيمان في مثله جسر
 إليه سرى من صفحتى جاره البشر^(٢)

(١) قتل أبو طلحة في غزوة حنين عشرين رجلا من المشركين فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم أسلابهم وأسلحتهم .

(٢) ابنه عبد الله ، وجاره المذكور في البيت هو الخنجر .

أجلّكم ، وأجزل من عطاء
رسول الله كيف وجدتماه ؟
عليه صلاة ربكم جميعاً
وبورك في الرضاع وفي اللبن

* * *

أيا صرّد لنعم العمّ يرجو
خلفت ، وفاز بالنعى زهير
ولم أر حين تلتبس الأيادي
وما ملّك الشام ومن يليه
لقد نالت هوازن ما تمنّت
غيث الناس من قاص ودان^(١)
وهل لكم سوى ما ترجوان ؟
كمثل القول يحسن والبيان
كن وافيّاً تستعطفان
والأمان وآت

قدوم هوازن ورؤيتها عليها

ترى النبي صلى الله عليه وسلم يضع عُمرة ليلة ينتظر قدوم هوازن
فقدّموا مسلمين ، وكان قد قسم أموالهم وسبائهم على أصحابه فلما سأله لإياها
أخبرهم بما فعل ، وخبرهم بين الأموال والسبي ، فاخترأوا الثاني ، وكلم النبي
المسلمين في ذلك فردوا ما كان معهم من هذا السبي ثم أنه صلى الله عليه وسلم
سأل هوازن عن رئيسهم مالك بن عوف النصري : أين هو ؟ قالوا مع
تقيف بأصائف ، فقال : لو جاءني مسلماً لرددت عليه أهله وماله ، وأعطيته
مائة من الإبل ، فأخبروه . فجاء وأسلم ، ووفى له الرسول الكريم بما وعد

هوازن أقبل ، ماذا التواني ؟
أدين العز ، أم دين الهوان ؟
خذى السبي الموزع واشكرها
يداً لمهذب جمّ الحنان
دعا أصحابه بأذن صدق
إلى الحسنى ، فيالك من لسان
أجابوا منعمين ولم يضنوا
بما ملكوا من البيض الحسان
وقل محمد أين ابن عوف ؟
سيحمد منتواه إذا أتاني
له إن أثر الإسلام ديناً
عطاء لا تجاوزه الأمانى
يعود بأهله ، ويزاد مالا
على مال من الإبل المجان^(١)
فأقبل مسلماً ، ومضى بخير
جميل الذكر ، محمود المكان

* * *

حليمة أنت والشيء أم ؟
وأخت ، فانظرا : ماتصنعان ؟^(٢)
أما لكم الكرامة عند مولى
كريم العبد موفٍ بالفيان ؟
وهل بعد الرداء يُتدبر ؟
وتكرمة لذي خطر وشان ؟

(١) المجان من الإبل البيض الكرام .

(٢) كانت حليمة مرصعة النبي الكريم في السبي وابتهت الشيعة (أخته من الرضاع)
عما تقدمنا إليه بسط لها رداه ثم أعطاها نملاً وشاء وغلاماً وجارية ، وقيل لأنه وهب
السبي للثانية .

(١) كان أبو صرد ويكنى بأبي يرقان عم النبي من الرضاع تقدم لإيه عم ابنه زهير فنفضا
فسي ، وقال زهير : لو أرضعنا للعجاء بن شهر ملك الشام . أو للشهمان بن المنذر ملك العراق
ثم نزل بنا مثل ما رأيت لرجونا عطفه .

عجوز عيينة بن حصن

أبى عيينة بن حصن أن يرد عجوزاً كانت عنده من سبي هوازن وقال هذه أم الحلي فلعلهم يقدونها بحال كثير . وكانت هذه العجوز أم زهير بن صرد ، فجاء زهير وعرض عليه أن يأخذها بمائة من الإبل ، فأبى طمعاً في الزيادة ، فتركه وذهب ، ثم غاب عنه ، ومر عليه معرضاً ، فقال له عيينة خذها بمائة ، فقال لا أدفع إلا خمسين فأبى ، ثم غاب عنه ومر معرضاً ، فقال خذها بالخمسين ، فقال زهير لا أدفع إلا خمسة وعشرين فأبى . وما زال ذلك دأبهما حتى قال زهير : لا آخذها إلا بست نياق ، والله ما نديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوها ببارد ، ولا صاحبها عند فوتها بواجد ولا درها بناكد أى غزير فرضى عيينة وقال : خذها . لا يارك الله لك فيها .

عيينة أمسكت العجوز تريدها
ضننت بأم الحلي تغلي فداها
تسوم زهيراً أن يزيدك ضلة
رماك به مكرراً خفياً فلم يزل
لقد كان فيما قل أول مرة
يظلل يريك الزهد في شبيخة له
فندعوه : أقبل ، لست فيها براغب
فداها بست لو أبيت لسقمتا
أليست كما قال ابنها ما مثلها
أما والذي لو شاء لم تعص أمره
فنفسك فاحملها على البر إنه
وما طمع الإنسان فيما يفوته

عتاداً يفيد اليسر من كان معسراً
فيالك رأياً غيره كان أجدرأ
على مائة ، لو كان غزراً لأكثرأ
يضيق عليك الأمر حتى تغذرا
غنى لك ، لو كنت امرأ متبصرا
يراها من الدنيا أجل وأكبرا
إذا بلغ الأمر القسداء الليسرا
إليه بلا شيء وحسبك ما ترى
على الضن إلا أن تموت فقيرا ؟
لقد جئت أمراً يا عيينة مفكراً^(١)
لأرجح مما تحمل الأرض متجرا
إذا ما دعا الداعي ، فولى وأدبرا ؟

قصة الغيث أم

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالدين أسلموا يوم الفتح نائفاً لهم ، وثليثاً للإيمان في قلوبهم ، فأعطاهم من هذه الغنائم ما أرضهم . ومن المؤلفة قلوبهم ، ومنهم أبو سفيان أعطاه فأجزل ، وسأله أن يعطيه لابنيه يزيد ومعاوية ففعل ، ومنهم حكيم بن حزام أعطاه مائة من الإبل ، ثم سأله فزاده مائة ، ثم سأله ثلاثة ففعل ، وقال له يا حكيم إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس يورث له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالدبي يأكل ولا يشبع ، واليد العلب خير من اليد السفلى ، فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها ، وقال : يا رسول الله والذي بينك والحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر يدعوه في خلافته ليأخذ من النبي شيئاً . وكذلك كان في خلافة عمر رضى الله عنهما ، ولم يأخذ الأنصار وكبار المهاجرين شيئاً من هذه الغنائم ، فقال رجل من المنافقين : هذه قسمة ما عدل فيها . وما أريد بها وجه الله تعالى . وأخير النبي ففضب وقال : لئلا لم أعمل من يعدل ؟ رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصر ، واستأذن خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب أن يضربا عنقه هذا المنافق فقال : لا تنفلا ، فإنه سيكون له شيعه يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، لا يتحدث الناس أنى أقتل أصحابي .

أرأيت حكمة سيد الكرماء ؟ وعرفت شيخ السادة الحكماء ؟
تلك السياسة حزمها ودهاؤها ناهيك من حزم وفرط دهاء
مر يا محمد واقض ، مالك عائب في كل أمر ترتضى وقضاء
واربما خفي الصواب ، فأسفرت عنه وجوه الرأي بعد خفاء

بدأ النبي بغير من كانوا له خير اصحابه عند كل بلاء
يرجو مودتهم ، ويبنى منهم لدين صرح أمانة ووفاء
أعطى أبا سفيان وابنيه فما أبدى سجاء الواهب المعطاء
وحبا حكماً ما أراد ثلاثة ونهى هوى ، فكان خير حباء

وأصابها مئة له من نفعها
قال : ارعويت فست أرزأ بعدها
يُدعى ليأخذ من أبي بكر ومن
ما جلّ عن عدّ وعن إحصاء
أحدًا ، وآلى حلقة الأمانة
عمر فما يزداد غير إباء

* * *

ي ويح للعباس يغلب حلمه
أبدى الشكاة ، فكان صنع محمد
قال : اقطعوا هذا اللسان بنفحة
أن كان دون مراتب الرؤساء (١)
صنع الطيب ، يريد حسم الداء
غنى ، وتلك سجيّة العطاء

* * *

صفوان أسلم فأنجحت غمراته
ما رأى الإسلام يسطع نوره
ومشى على الأثر الكريم يزينه
صفوان سرفى نور ربك ، إنه
وأفاق بعد غواية وغباء (٢)
كره الضلال ، وضاق بالظلماء
خلق الهداة ، ومظهر الحنفاء
يهديك في سير وفي إسراء

* * *

يازيد قم بالأمر، واكتب واجتنب
أحص الرجل ، وآت كلاً حقه
خطأ القواة ، وكبوة الجهلاء (٣)
مما أفاء الله ذو الآلاء

* * *

(١) العباس بن مرداس ، أعطى النسي الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وعينته بن
حصن مثلها ، ثم أعطى العباس دون ذلك . وكان مناهما رئيساً على قومه فغضب وقال -

أتجعل نبي ونهب العبيد بين عينه والأقرع ؟
ما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في جمع
وقد كنت في الحرب ذا تدرو فلم أعط شيئاً ولم أمتنع
وما كنت دون امرئ منها ومن تضم اليوم لا يرفه
وقال النسي : اقطعوا عي لسانه وأعضوه مثل صاحبيه - العبيد اسم فرسه .

(٢) صفوان ابن أمية .

(٣) زيد بن ثابت أمره النسي وكان من أعظم كتابه أن يحصى الدين بقوا بعد المؤثفة
قنوبهم ويوزع عليهم ما بقى من التميم .

ما أكرم الأنصار والصحب الألى
نزلوا على حكم النبي وسرهم
قوم رسا الإيمان ملء قلوبهم
لا تملك الدنيا عليهم أمرهم
ماضراً من يسخو بمهجة نفسه
نالوا بفضل الله عند رسوله
إن الثناء إلى الرجال يسوقه
أجل من إبل تساق وشه
حرموا ، فمن صبر ومن إغضاء
ما كان من ثقة وحسن رجاء
وسما عن الشهوات والأهواء
في شدة من دهرهم ورخاء
أن لا يفوز من امرئ بسخاء ؟
ما لم ينل أحد من النعماء
لأجل من إبل تساق وشه

* * *

خسر الذي آذى النبي بقوله
أثم المنافق ، إنها لكبيرة
صبراً رسول الله لست بأول
موسى أخوك أصيب من أعدائه
إن أنت لم تعدل فن ذا يُرتجى
نفر الحفاظ بخالد ورفيقه
لولاك إذ جاوزت أبعاد غاية
قلت : اسكننا لا تقتلناه فإنه
يُفلون في دين الإله ، فيخرجوا
لا يذكر الأقوام أن محمداً
ظلم الرجال ، ولجّ في الإيذاء
وكذلك يأنهم ناطق العوراء
ما حيلة الحكماء في السفهاء ؟
بشد ما ترمى قوى الأعداء
لعدل تحت القبة الزرقاء ؟
ولموت مُصغ ، والمهتد رء
في الحلم ، جاوز غاية الأحياء
سيكون رأس الشيعة النكرة
منه خروج السهم يوم رء
يخزي الألى محبوبه شرّ جزاء

* * *

تلك النبوة يا محمد فاضطلع
أدب وعلم ، تلك مدرسة الهدى
منها يُعبد على أعباء
فُنِحت ، وأنت مؤدّب العماء

عَزْوَةُ الطَّائِفِ

خرج النبي صلى الله عليه وسلم من حنين إلى الطائف في ألف من أصحابه ، جعل خالد بن الوليد في مقدمتهم ، وكانت ثقيف دخلت حصنها ، فنزل الجيش قريباً من هذا الحصن ، واقترب خالد ينادي : هل من مبارز ؟ فلم يخرج إليه أحد . وناداه رجل منهم يقال له عبد يا ليل ، لأن لدينا طعاماً يكفينا سنين فهل أنت متظر حتى ينفذ فنخرج إليك بسيوفنا مقاتلين ؟ ثم أعمت ثقيف سهام فقتلت من المسلمين رجالاً منهم عبد الله بن أمية الخزومي أخو أم سلمة رضي الله عنها وجرح آخرين وأشار سلمان الفارسي بصنع دبابتين من الجلد دخل فيهما جماعة من المسلمين ومضوا إلى الحصن ليقتبوا سورته ، ففضت ثقيف تلك وأرسلت عليهما قطعاً من الحديد الحمى بالنار فخرج من كان فيها ، وصبت عليهم السهام فقتل منهم من قتل ، وأشار سلمان كذلك بصنع المنجنيق وري الحصن به ، وقيل إنه هو الذي صنعه بيده يومئذ ، وبقي الحصن محاصراً ثمانية عشر يوماً ، ولم يرد الله أن تستأصل ثقيف ، فأخرجهم حتى جاءوا طائفتين مسلمين مع غيرهم من الوفود ، وكان جملة من قتل في هذه العزوة من المسلمين اثني عشر رجلاً .

ثقيف انظري : أين قصد الطريق ؟ وكيف يلقى النجاة الفريق ؟ ؟
مشى البأس في هوله المستطير له هب ساطع كالحريق
مشى ترجف الأرض من حوله فحين القرار . وهل من مطيق ؟
ثقيف ادخل الحصن . لا تهلكي وي عبد ليل لماذا النعيق ؟
دعا خالد يستفرج الرجال فكان فريقك شر الفريق
وكنيت عليهم شهيداً بما يعاب العدو به والصديق
يضيق على العجزين القضاء ويرحب بالقادرين المضيق
ويس الخلق . نحر الجلال غذاه التنادي كغير الخلق
رموا بالسهم ، ولو أنصفوا رموا بالطلى كل غضب ذليق^(١)

حراس على الأنفس المانكات وذلك منهم خبال وموق^(١)
ضعاف القلوب ، قعود جمود يخافون كل سفوح دفوق
وما يستوى المهزى الجسور غذاه الوغى ، والهيوب المروق^(٢)

* * *

رأوا عجباً من عتاد الحروب تذوق الحصون به ما تذوق
رماهم قتاها بدببتين فيالك من فارسي لبيق
رميت الألى حبس الفتاحون بموت حبس وبأس طيق
وزدت ، فقلت : اضربوا الكافرين وعمتهم صنعة المنجنيق
تظل الحجارة مكدوفة يشيعها من مكان سحيق

* * *

ونودوا : إلينا . فمن جاءنا متف عليه بعهد وثيق^(٣)
فأقبل منهم بقاء الأمان فكل مخلى ، وكل عتيق
لهم منزل الضيف في السامين رعاة العهود ، حماة الحقوق

* * *

عينه ما قلت لعشركين ؟ وهل يقتني الحد إلا الصدوق ؟
كذبت النبي فقت الخن وجئت من الأمر ما لا يبيق
وأزلفتها توبة تبتم بها خير ، والخير نعم ارفيق
تبين عينه عمي الأمور لعدت تعقل أو تستفيق^(٤)

* * *

(١) اللوق الحق في غاوة .

(٢) المهزى الأسد الفروق الشديد القزع .

(٣) نادى منادى الرسول الكرم ؟ أيما رجل خرج ليليا من الحصن فهو حر . وجرح

منهم رجال فاعتقهم ، ودفع كل واحد منهم إلى رجل من المسلمين يمونه .

(٤) عيينة بن حصن ، استأذن لئى أن يأتيهم في حصنهم ليعودهم إلى الإسلام وذن

سيأتي بهم ربهم مسلمين فما من ضلال ، ولا من فسوق
ولو شاء لاجتئهم أجمعين فبادت أصول ، وجفت عروق

* * *

يقول الفوارس : كيف الرحيل وما شرقت بالدماء الخلق ؟^(١)
رويدا رويدا جنود النبي فقد ينفع الناس ما لا يروق
ولله ما شاء فيما يسوق من الحادثات ، وفيما يعوق

عين أبي سفيان

أصابت عين أبي سفيان رضي الله عنه بسهم في هذه غزوة . فأتى
النبي صلى الله عليه وسلم وعينه في يده . وقال . يا رسول الله هذه عيني
أصابت في سبيل الله ، فقال : إن شئت دعوت فردت عليك ، وإن شئت
فمن في الجنة ، قال : في الجنة ورمى بها من يده ، وأصابت عينه الثانية يوم
البرموك في قتال الروم .

هنيئاً أبا سفيان لا الذخر هين ولا الأجر ممنون ولا أنت مغبون^(١)
له مشهد في حومة لحرب ميمون .
حملت أبا سفيان عينك في يد
وجئت رسول الله لا الوجه شاحب
تقول له .. عيني التي أنت ناظر
فقال : إذا أحببت فالرّد ممكن
وإلا فأخري عنده إن لقيته
فأثرت هذى ، ثم ألقيت بالتي
ستنبعها في وقعة الروم أختها
تغير على خير ، ونعمى تزيدها
هنيئاً أبا سفيان لا الرمح آسف
عطائك في الميحاء لم يعط مثله

له مشهد في حومة لحرب ميمون .
بها الخير في كل المواطن مقرون .
ولا العطف مزور ، ولا القلب محزون
مضت في سبيل الله ، والحافز الدين
بقدره رب أمره الكف والنون
وذلك وعد عند ربك مضمون
حملت ، وما في الحق أن يؤثر الدون
إذا حان منها بعد ذاكم الحين
من الله نعمى ، سره عنك مكنون
ولا السيف مكروب ، ولا العزم موهون
من الناس إلا صادق البس مأمون

١- له ، وذهب فأوصاهم بالصبر والثبات ، ثم عاده فسأله النبي ماذا قلت؟ قال دعوتهم إلى الإسلام
وأمرتهم به ، وحذرهم النار ، ودللهم على الجنة . قال : كذبت . إنما قلت كذا وكذا .
قل صدقت يا رسول الله ، ولاني أتوب لأبيك .

(١) لما أذن بالرحيل قالوا كيف نعود ولما تفتح الطائف ! ،

سِرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ

عند انحذار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة لقيه سِرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ وهو واصل الكتاب الذي كتب له عند الهجرة بين أصابعه ، ورائع صوته بقوله : أنا سِرَاقَةُ وهذا كتابي ، فقال الرسول الكريم : هذا يوم وفاء ومودة . أدنوه مني ، ففعلوا وأسلم رضي الله عنه .

ارفع كتابك يا سِرَاقَةُ . إنه علم النجاة
هو جنة لك من سيوف الضاربين طلى الحكمة
عهد النبي ففى ذخيره مثله للحادثات^(١)
اسدى الجليل ومن يأخذ نفسه بالمكرمات
ويقوم أعلام الهدى للتابعين من الهداة
لو شاء قتلك يا سِرَاقَةُ لم تذق طعم الحياة
إذ جنت تطب قتله وتطبع فيه هوى الفؤاد
أرأيت حمد محمد وعرفته جم الأناة ؟
أدرئك بدين الله نفاك ، واستقم قبل الفوات
دين المتأخر ومن ثمر والحلال الصالحات
دين المتطرفة الأماجد ، والجهايزة الثقات
دين الإرشاد بأسره وأخير من ماض وآت
الله رب العالمين ، فما اتباع الترهات ؟
إن كنت ذا عقل فـ بك نظرة في الكائنات

(١) هذا هو العهد الذي أعضاه الرسول الكريم إلى سِرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ لما اعتذر إليه من إرادة قتله ، وقال له : يا محمد إني لأعظم أنه سيظهر أمرك في العالم وتلك رقاب الناس ، فعاهدني على أن تسكرمني إذا جئمت يوم ملكك ، وهو الذي أشرنا إليه في الجزء الأول من هذا الكتاب بقولنا :

وبت (بالمد) فاعلمه وأبشر بسواري كسرى فديت البشيرا

تلك المعالم واضحة
دع ما مضى لك يا سِرَاقَةُ
أيام تضرب في الفؤاد
أنت اتقيت الله ربك ، فأغنت عني التقاة^(١)

كثير النوال ، رحيب المجال إذا رام منزلة نالها
أبا بكر اخترت أبقى الثراء وجنبت نفسك بليلها
تمنيها نعمة سمحة فأليك الله سرها
وان لصحك في الباذلين مناقب ندمن إجلالها^(١)

* * *

الح النساء على حليهن وأقبلن في ضجة يالها
نبي الهدى أنثم الحقوق فنأبى ، ونؤثر إهمالها؟
وتذهب منا ذوات المجال تجرجر في الحى أذيالها؟
لقد طاف طائفها بالفتاة فأرقها ماعنا آها
فأ أمسك البخل دموعها ولا ملك الحرص خلخالها

* * *

مشى الجحفل الضخم في جحفل يحب الحروب وأهوالها
وخاف من الحر أهل النفاق فقالوا : البيوت وأظلالها^(٢)
وأهلكهم شيخ أشياخهم بشنعاء ياثم من قالها^(٣)
بنى الأصفر استبقوا للوغى وخلوا النفوس وآمالها^(٤)
وقفتم من الرعب ، ما تقدمون وما هاجت الحرب أغوالها

(١) أدمن الرجل الشيء أدمنه .

(٢) قال بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر وكان الحر شديداً عند الخروج إلى هذه الغزوة فزكت الآية الكريمة (وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون أى تؤثر أو تترك البيوت وأظلالها على حذف الفعل .

(٣) هو عبد الله بن أبي بن سلول قال ، يغزو محمد بن الأصفر على جهداً لخال ، والحر والبلد البعيد إلى مالا طاقة له به ، يحسب أن قتالهم معه اللب والله لكأنى أضرب إلى أصحابه مقرين في المجال .

(٤) قيل للروم بى للأصفر لأنهم ولد روم بن العيس بن اسحاق بنى الله عليه السلام وكان يسمى الأصفر لصفرة به .

غزوة تبوك

كانت في شهر رجب من السنة التاسعة ، بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الروم جمعوا جوعاً كثيرة بالشام ، وأن طلائعهم بلغت البلقاء فاستنفر المسلمين للقائهم ، وأوصى بالتعاون على تيسير أسباب هذه الغزوة البعيدة لشقة (١) وسدد حاجاتها ، فجهز عثمان بن عفان عشرة آلاف رجل ، أنفق عليهم عشرة آلاف من الدنانير . غير الإبل والخيل والزاد ، وجاء إلى النبي بألف دينار صبتها في حجره ، وجاء أبو بكر بجميع ماله ، وهو أربعة آلاف درهم ، فقال له النبي : هل أبقيت لأهلك شيئاً ؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله ، وجاء عمر بنصف ماله ، وعبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية ، والعباس وطلحة بمال كثير ، وعاصم بن عدي بسعين وسقاً من التمر . وعلمت النساء فقدمت إلى النبي ما استطاعت تقديمه من الخيل في ليمان قوى ، وحامسة بالغة ، وتحلف المنافقون ومعهم عبد الله بن أبي بن سلول فلم يخرجوا مع الجيش ، وكان عدده ثلاثين ألف رجل - وقيل أكثر - وعقد النبي الألوية والرايات . فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر ، ورايته العظمى إلى الزبير ، وجعل راية الأوس لأسيد بن حضير ، وراية الخرج للحباب بن المنذر ، وبلغ الجيش تبوك فسكر فيها انتظاراً لقاء العدو ، فلم تبد له بادية ، وبعد بضع عشرة ليلة استشار النبي عمر بن الخطاب ، هل يمضى بالجيش لمهاجمة جوع الروم . أم يدعمهم إلى ميقاتهم فأشار عمر بهذه ، وكانت غزوة تبوك . آخر غزواته ، صلوات الله عليه .

من تجمع الروم أبطالها ؟ وتحمل للحرب أثقالها ؟
ألجاعلين نفوس العباد ودائع يقضون آجالها ؟
إذا استعجلوها ببيض الظبي فإن يملك القوم إهمالها
جنود تقدم أرواحها وتبذل في الله أموالها
لئن جاوزت غاية العاملين ، لقد بارك الله أعمالها
ومن مثل عثمان يرعى النفوس إذا آدها الأمر أو علها ؟^(٢)

(١) جاء في السيرة أن المسافة بين المدينة وتبوك أربع عشرة مرحلة .

(٢) آده الأمر بلغ منه المحمود . وعاله غلبه وقتل عليه .

في دار سويلم اليهودي

اجتمع قوم من المنافقين في دار سويلم اليهودي يقولون كما قال عبد الله
ابن أبي بن سلول وعلم النبي بأمرهم فأرسل إليهم عمار بن ياسر وقال :
أدرك القوم فقد احترقوا . فجاءهم فأنكروا ، وجاءوا إليه صلى الله عليه
وسلم فأخبرهم بما قالوا ، فجعلوا يعتذرون ويقولون : كنا نخوض ونلعب ،
فأنزل الله تعالى (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب . . الآية) .

سويلم ما قول بيتك يُفتَرى بالسنة تبغى الفساد فتكذب ؟
ألا ابن أبي رأيه ، ما وراءه لذي نهيق رأي ، ولا عنه مذهب ^(١) ؟
حقود رمى بالشؤم كل منافق فيالك من شر على الناس يُجلب
أحسن رسول الله ما كان منهم وجاء يريد الله بالحق يدأب
فقال لعمار أرى القوم أوقدوا لأنفسهم ناراً بعينى تذهب
ألا قم فأدركمهم ولما يصيبهم عذاب غليظ ما لهم منه مهرب
فلما أتاهم أنكروا ، ثم أقبلوا بأقوال فجَّار عن الحق ترغب
فقال رسول الله بل قلتم الذي علمت ، وما يخفى على المغيب
فقالوا على غيظ النفوس وحقدتها ألا إنما كنا نخوض ونلعب
وعادوا خزأيا نادمين ، وإنهم إلى الشر إلا أن يتوبوا لأقرب

فكيف بكم بين أسيابها إذا جمع الله آكلها ؟
رأى عمر رأيه في الرحيل فلا تكثر أروم أوجالها
لهم دون مهلكهم مدة من الدهر ، يقضون أحوالها
تبوك اشهدى نزوات الذئاب وحى الأسود وأشبالها
أما ينبغي لك أن تعرفى شيوخ الحروب وأطفالها ؟
* * *

هي الملة الحق ، لن تستكين ولن يدع السيف أقتالها ^(١)
رأت ملة الكفر تغزو النفوس فجاءت تمزق أوصالها
لها من ذويها حمّة شداد يبيدون من رام إذلالها
فلن يعرف الناس أمثالهم ولن يشهد الدهر أمثالها
ولن تستبين سبيل الهدى إذا اتبع الناس ضلالها
فمن كان يحزنه أن تبعد قوى الشرك ، فليكن أطلالها
لأهل المفصل من آية موارد يُقون سلسالها
تردُّ القلوب إلى ربها وتفتح للثور أقتالها

أحمد بن قيس

ندبه الرسول الكريم للخروج في هذه الغزوة فاستأذنه في التخلّف
وقال له لا تفتني (١) فوالله لقد عرف قومي أنه مامن رجل أشدّ عجباً
بالنساء مني ، ولاني لأخشي أن لا أصبر إذا رأيت نساء بني الأصفر ، فأعرض
عنه النبي . وأقبل عليه ابنه يقول له : والله ما أخرك سوى النفاق .

خَفِ الله يا جَدّ بن قيس ولا تُطع هواك ودعها خطئة هي ما هيه
كذبت رسول الله تضرر غير ما تقول : وما تخفي على الله خافيه
تقول له : ائذن لي ولا تبغ فتنتي فأنى اسرُّ أعطى النساء عنانيه
وإن نساء الروم يغبنني على عفاي ، فدعني ، ما هن وما ليه
فأعرض عنه غير راض وساء فجور امرئ يبدى الفجور علانيه
وجاء ابنه يُصليه نار ملامة فيالك من نار على امرء حاميّه

لك الويل يا جَدّ بن قيس فإن تنب وقيت ، وإن تفسق فمالك واقية

السكاؤون

هم سبعة من الفقهاء جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه أن
يحملهم إلى تبوك فقال لهم : لا أجداً أحملكم عليه فتولوا وأعينهم نفيس
من الدمع حزناً . . . ورق لهم قوم من كرام الصحابة فحملوهم .

أبوا أن يقدوا والجيش يُرجى فيوشك أن يكون له انطلاق
وليس لهم سوى القرآن يُتلى فلا خيل ولا إبل تساق
فلاذوا بالنبي وناشدوه ليحملهم ، فضاقت بهم وضاقوا
تولوا تستمل على الحام دموع ملء أعينهم تراق
أتعوزهم لدى الزحف المطايا ويسبقهم إلى الله الرفاق ؟
فرق لهم من الغازين قوم رموا منهم بخطب لا يطاق
وجاءوا بالرواحل فاستراحوا من الهم المبرح واستفاقوا
أمن يهديه إيمان وتقوى كمن يرديه غش أو نفاق ؟

(١) ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا . الآية .

أبو خيثمة

كان ممن تخلف عن النبي فدخل يوماً على زوجته فوجدها قد رشتا العريش بالماء ، وهما ناعماً وماء بارداً ، وكان يوماً شديداً الحر ، فقال أليكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد ، وماء مهياً ، وامرأتين ناعمتين ؟ ؟ والله لا كان هذا ، ثم أخذ سيفه ورمعه ولحق بالنبي في تبوك .

لك الله أقبل أبا خيثمة فله صنعك ما أكرمك
قصدت ، فلما كرهت القعود نفرت حيثاً إلى الملحمه
دخلت العريش على نعمتيك فسبحان ربك ما أعظمه
نسيم يروق ، وظل يشوق وعيش يسرك أن تقنمه
فذكرك الله حرّ الجهاد وألهم قلبك ما ألهمه
فقلت : أيمضي الرسول الكريم يكابد في الله ما جشمه
وأبقى هنا في هوى نعمتي وحب العريش كذي اللأمة ؟
وسرت فأدركته في تبوك وللجيش من حوله هممه
يقولون : من ذا ؟ وما خطبه ألا إنه أبو خيثمة
ألم يك في المعشر القاعدين ؟ فإذا عراه ؟ وما أقدمه ؟
هو الله يهدي نفوس الرجال ويرزقها البر والرحمة

أبو ذر الغفاري

تخلف به بعيره عن الجيش لما أصابه من الإعياء ، فأخذ متاعه وحمله على ظهره ، ثم سار حتى أدرك النبي ، ورآه بعض الصحابة مقلاً فقالوا يا رسول الله ، هذا أبو ذر قد جاء ، فقال : رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ، فكان كما قال ، فتد ماته رضي الله عنه بالريضة حين أخرجه عثمان بن عفان في خلافته إليها بعد أن كان في الشام لشكاية من معاوية ، ولم يكن معه فيها إلا امرأته وغلّامه ، فقال لهما عند موته ، غسلاني وكفّناني ، ثم اجعلاني على قارعة الطريق ، وقولا لأول من يمر بي : هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دينه ، ففعل ذلك ، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق ، فوجدوا الجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، فقام لأبيهم الغلام وقيل لهم ما أراد أبو ذر أن يقول ، فبى ابن مسعود ونزل هو وأصحابه فواروه ، ومن قول الرسول الكريم فيه : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لجة أصدق من أبي ذر وكان من الأقدمين في الإسلام .

أبا ذر رحلت على بعير لو أن الدرّ يلمسه لهذه^(١)
براه السير حالا بعد حال فأوهن عظمه ، وأذاب جلده
عمدت إلى متاعك ، لم تدعه عليه ، ولم يدعك الضعف عنده
شددت قواك إذ وهنت قواه ورضت الأمر إذ أبصرت جدّه
وسرت ، فكنت أصلب منه عزماً وأصدق همة ، وأشدّ نجده
مشيت تريد وجه الله حتى بلغت رسوله ولقيت جنده
رأوك تؤمهم فرداً . فقالوا أخ في الله ، يخشى الله جهده
وقال : أتى أبو ذر فأهلاً بصاحبنا الذي ما خاف عهده
ألا إن الذي يسعى إلينا ليمشي وحده ، ويموت وحده
ويبعث وحده من بعد هذا وسبحان الذي يختار عبده

طلحة بن عبيد الله

كان طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه في هذه الغزوة مع المسلمين .
فنحر لهم جزوراً وأطعمهم منها ، وكانوا في حالة شديدة من الجوع ، فقال
له النبي : أنت طلحة الفياض وسماه يوم أحد طلحة الخير ، ويوم حنين طلحة
الجود ، وذلك لكثرة إقامته على العسكر .

طلحة الخير ، طلحة الجود ، أبشر صرت تدعى بطلحة الفياض -
نفحة بعد نفحة ، واتهاض في مجال السخاء بعد اتهاض .
في حنين يد ، وفي أحد أخ رى ، وهذى تبوك ملائ الوفاض
من جزور نحرتها تطعم الجيد ش ، وتشفيه من أذى وارتماض .
ذاق من شدة الطوى ما كفاه وهو مستحصد العزيمة راض
حزبته الأمور في طاعة الله فما هم مرة باعتراض
عالم أن أفضل المقادير ما شا ، وخير الأمور ما هو قاض
لك في المسلمين يا ابن عبيد الله برق مبارك الإيماض
تستهل الصنائع الفر إن لا ح ، وتجري الصلات ملء الحياض
هكذا المؤمن الموفق يفنى في مروآته غناء المواض
يدفع الحادث الجليل ، ويقضى الحق سمح اليدين قبل التقاضى

قدوم بحنة بن ربيعة صاحب أيلة ومعه أهل أذرح وجرباء ومقنا

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بحنة بن ربيعة صاحب أيلة ومعه أهل
أذرح وجرباء ومقنا من قرى الشام فعرض عليهم الإسلام فأبوا ، وصالحوه
على الجزية . فكتب لهم اليهود بذلك ، وكان مع بحنة بقلعة بيضاء أهداها
إليه صلوات الله وسلامه عليه ، فكساه برداً من ثيابه الثمينة .

بحنة إن تؤمن نغير ، وإن تُرد سوى الحق ، فاعلم أن رأبك عازب
أتى بك من أكناف أيلة ما أتى وليس لمن يمت في الناس غالب
دُعيت إلى الاسلام ، فاخترت جزية تنال بها الأمن الذى أنت طالب
ولو كنت ممن يبتغي جانب الهدى هُديت ، ولكن المضل خائب
وما رغب المأمون فيها هدية كساك بها البرد الذى أنت صاحب
أتيت بقوم لو رأوا منك ناصحاً لما عاب منهم خطة الجدل لا عب
أتأبون دين الحق يا آل أذرح وجرباء حتى يجلب الخيل جانب ؟
ألا فاشهدوا يا آل مقنا وأيقنوا بأن سوف تنهى الجاهلين العواقب
خذوا من عهد الذل ما الله ضارب عليكم ، وما الداعى إلى الله كاتب
وأدوا إليه المال ، لا تبخلوا به ولا تفقدوا ، فالأس يقفان دائب
وسيروا بأهلكم على الخطة التى رضيت لهم ، إن الطريق الاحب

* * *

أخا البقلة البيضاء ليتك كنتها لعلك تدري كيف تعلو المراتب
أعطى من العز البهيمة رزقها ويحرم منه المرء ؟ تلك العجائب
يُحَنِّه هذا ما قضى الله فاعتبر وكيف اعتبار المرء . والعقل ذاهب ؟

خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْأَكِيدَرُ

أرسل النبي خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل لغزو الأكيدر ابن عبد الملك الكندي ، فقتل أخاه واستنزل له من حصنه . ثم جاء به إلى النبي فأسلم . وكتب له ولأهل دومة الجندل كتاب دعوا فيه إلى الإسلام فمن أبى فعلية ما على المشركين ، ولما قبض الرسول الكريم ارتد الأكيدر فبعث إليه أبو بكر خالد بن الوليد فقتله .

أخالد إنك ذو نجدة فهيّ إلى دومة الجندل
إلى معشر ككفروا بالكتاب وحادوا عن المذهب الأمثل
دعاك لرسول فأتت الرسول وليس له عنك من معدل
أمامك حصن طويل الذرى نخذه بصمصامك الأطول
وسر بالأكيدر يقذف به إليك على كبره من عل
قتت أخاه وألقى إليك جنداح الذليل فلم يقتل
وجئت به سيد الفاتحين فوغل في قلبه المقفل
هداه إلى الله بعد الضلال وبعد العمى ، لم يكذب بنبلى
وأعطاه من عهده مؤثلاً يقيه ، فيالك من مؤثلاً
فصبراً أكيدر أن الزمان سيكشف عن غدك الثقيل
ستنقض عهدك دأب الشقي وتجمع في غيبك الأول
فرميك ربك بابن أوليد ويشفيك من دائك المعضل
بصاعقة من يذقها يقل كأن الصواعق لم ترسل
أتفعل ويحك ما لو عقلت لأعرضت عنه ولم تفعل ؟
أكيدر ليس لنفسك وقاء إذا ما ابتلى الله من بيتي

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من تبوك

قال عليه الصلاة والسلام :
أما بعد فإن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الغنى غنى النفس ،
وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل ، والنساء حيلة
الشیطان ، والشباب شعبة من الجنون ، والسعيد من وعظ بغيره ، ومن
يعفر يفر له ، ومن يمتع يفت الله عنه ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله
أستغفر الله لي ولكم .

خطب الرسول فكل سمع نصت في الخافقين ، وكل قاب خشع
قل يا محمد كل شيء مطرق يرجو المزيد ، وكل شيء سمع
قل ما يعلمك الذي هو عالم أن النفوس إلى الفساد نوازع
أدب بدين الله قومك إنه دين لأشتات الفضائل جامع
هذا تراث العالمين بأسرهم يخبر عابهم نفعه المتتابع
فلكل عصر منه ورد سائغ ولكل جيل منه كنز رائع
قل للذي ترك السبيل ، ألا استقم وعن العماية فليزك الوازع
فإذا غويت فكل شيء ضائر وإذا اهتديت فكل شيء نافع
الله أنزل في المفصل حكمه والحق يعرفه اتقى الصانع

تولّوا سراعا ، لم يصيبوا شفاهم
وجاء أسيدٌ لا يرى غير قتاهم
أأقتل قوماً ظاهروني وحاربوا
وجاءوا على خوف يقولون ، ما بنا
وضجّوا بأيمان هي النار أوقدت
كفاهم عقاب الله ، والدعوة التي

ولم يطفئوا من حقدهم ذلك الجرا
فقال رسول الله لا تبغها نكرا^(١)
معى؟ حسبهم أن يحصوا الإثم والوزرا
سوى الظن فاغفر، إنها الفتنة الكبرى
بالسنة ظلت أكاذيبها تترى^(٢)
يظّل لظاها ينفذ الظهر والصدرا^(٣)

في العقبة بين تبوك والمدينة

خلا جماعة من المنافقين بأنفسهم وعدتهم اثنا عشر رجلا لما آذن النبي بالرجوع من تبوك فقالوا : إذا عدل محمد عن بطن الوادي إلى العقبة وأبني إلا أن يسلكها وحده تبعناه فزحناه فيها ، ودفعنا به عن راحلته - يريدون لإبداءه - فنبأه الله بذلك ، فلما بلغ العقبة أشار على المسلمين بسلوك بطن الوادي ، وسلكها هو بعد أن جعل زمام ناقته في يد عمار بن ياسر وأمر حذيفة بن اليمان أن يسير خلفها ، فتسلل المنافقون خافه مكثبين تحت جنح الظلام لإمضاء ما أجمعوا عليه .

يقول دعاة الشر ليت محمداً إذا نحن عدنا يسلك الجانب الوعرا
إذن لدفعناه إلى الجانب الذي تنكب ، تؤذيه وتوهقه عسرا
ونبأه مولاه فازداد قوة على قوة ، واختار ما يقع الشرا
فلما دنا من يثرب قال قائل أطيعوا رسول الله وامثلوا الأمرا
على السهل فامضوا، واتركوا الحزن إنه سيسلكه فرداً يريد بكم يسرا
وقال : تقدّم ناقتي يا ابن ياسر وسر خلفها يا ابن اليمان فما أخرى
وسار فجاء القوم يعدون خلفه وقد نشر الإطلام من حولهم سترا
ونكر كل وجهه بلثامه وما نكروا إلا النخيلة والفدرا
رموا ناقة الهادي بأشخاص جنة تخوض إليها الليل فانتفضت ذعرا
وأسمى رسول الله يهوى متاعه على الأرض، إلا ما تماسك فاستندرى^(١)
وقال : انطلق يا ابن اليمان فردهم ويا صاحبي لا تبتئس والزم الصبرا^(٢)
فكرّ عليهم كرة الليث ضارباً وجوه مطاياهم ، ولم يألهم زاراً
إليكم إليكم شيعة الكفر إنكم لأعداء رب الناس ، أعظم به كفرا

(١) أسيد بن حضير ، لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه فقال له يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادي فقد كان أسهل من سلوك العقبة ؟ فقال : أتندري ما أراد المنافقون وذكر له القصة ، فقال : يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بهذا ، فإن أحببت بين أسماءهم ، والذي بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك به وسهم ، قال الرسول الكريم ، إنى أكره أن يقول الناس : إن محمداً قاتل بنوم ، حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم ، فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب قس : أليس يظهرون الشهادة ؟

(٢) جميع النبي وأخبرهم بما نالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذي ذكر فأنزل الله تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهو بما لم ينالوا الآية) .

(٣) دعا عليهم الرسول فقال : اللهم ارمهم باندية ، وهي سراح من در يظهر بين الأكتاف حتى يجم من الصدور - وفي لفظ - شهاب من نار يقع على نياط قلب الرجل فيهلكه .

(١) استندرى بمعنى التجأ أو اعتصم . فقد سقط بعض المتاع وبقى بعضه .

(٢) عمار بن ياسر .

ودوا لوان الأرض زالت فانطوت ثم انطوا ، فكأنهم لم يأتوا
ضقت جوانبها ، فلا متأخر فيها لأنفسهم ولا متقدم

كل له في العالمين جزاؤه ومن الجماعة حاكم لا يظلم
يقضون إن تملوا قضاء صالحا هو للنفس مهذب ومقوم
فإذا هو جهلوا ، فليس لدائمهم طب ، وليس لمثلهم أن يحكوا
سبحان ربك ذي الجلالة إنه لم يوجب الشورى لمن لا يفهم
الرأى رأى ذوى المعارف والنهى ومن الرجال بهائم لا تعلم

في المديشة - النبي يعرض عن المنافقين ويأمر بمقاطعتهم

لما رجع النبي إلى المدينة استقبله المنافقون الذين لم يخرجوا معه إلى تبوك
بغير عذر ، فأعرض عنهم وقال لأصحابه : لا تكلموا أحدا منهم ولا
تجالسوه حتى آذن لكم ، فجعل الرجل يعرض عن أخيه وأخيه ، فاشتد
الأمر عليهم ، وأخذهم من أهم والتم ما أخذهم .

خفوا بلاقون النبي ييثرب من بعدما كرهوا الخروج فأحجموا
فأى وأعرض ، لا يريد لقاءهم وتكشفوا ، فمبعض ومذموم
وتقطعت أسبابهم فكأنهم سرح يبدد ، أو بناء يهدم^(١)
سود الوجوه ، ترى العيون قدمها فتظل تطعن بالاحاظ وترجم^(٢)
يتأفتون إذا مشوا ، وإخالمهم لو يقدر من الحياء تلتشوا
يتقلب الآباء في حشراتهم وكأنما الأبناء ليسوا منهم
هجر وإعراض وطول قطيعة فالعيش سم نافع أو علقم
هم أجزموا فهو الجزاء ، وهكذا يحفى ويحتب السوء المحرم
ويح الثلاثة إتهم مما لقوا لأشد خطبا في الرجال وأعظم^(٣)

(١) السرح الماء السام وتبدد تفرق .

(٢) القنام الغيار .

(٣) هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضى الله عنهم ، لم يكونوا من
المدنفين ، وإنما تخفوا الأمر بدافعهم وفلجهم مع الجيش وقد أرجأهم الرسول الكريم ينتظر
أمر الله فيهم ، وهم الذين نزل في شأنهم قوله تعالى (وآخرون مرجون لأمر الله إما يذبهم
ولما يتوب عليهم والله عليم حكيم) قال كعب - تغير علينا الناس حتى أنكرت في نفسى
الأرض ، فما هى بالأرض التى أعرف - فلبسنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبى فاحتسكنا
وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلهم . فكنت أخرج فأشهد الصلاة
وأصوف في الأسواق فلا يكلمنى أحد إلى آخر ما قال ، وقد عفا الله عنهم وتاب عليهم فأنزل
قوله تعالى (لقد تاب الله على النذى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من
بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الدين =

= خلقوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله
إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم .

مسجد الضرار

لما اقترب النبي إلى المدينة علم أن بني غنم بن عوف إخوة بني عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء بنوا مسجداً يناقسون به إخوانهم ويصرفون الناس إليه ، وأن أبا عامر الراهب الملقب بالفاسق هو الذي زين لهم ذلك . فقال لجماعة من المسلمين منهم وحشي قائل حمزة ؟ انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاحرقوه واهدموه . ففعلوا ما أمرهم به .

يا بني غنم بن عوف مالكم تجعلون الدين كيداً وضراراً ؟
أغضبتم إذ بني إخوانكم في قباء مسجداً يهدى الحيارى ؟
فاتخذتم غيره تبغونه فتنة للناس جهلاً واغتراراً ؟
وجعتم فيه من أشياعكم كل غاو يجعل السوآى شماراً
مفتري يهدى بقول الزور في سيد الرسل ويؤذيه جهاراً ؟
يا بني غنم بن عوف إنها شيم الحمقى ، وأخلاق السكارى
إستفيقوا ، إنه قد جاءكم من جنود الله أقوام غيارى
قال مولاهم هلموا فاهدموا مسجد السوء جداراً فجداراً
وابعثوا النار عليه جهرة إنما المؤمن من يصلية ناراً

(١) والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد لهنم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . . . الآية)
(٢) كانوا . . . يجمعون في مسجد الضرار ويعيبون النبي صلى الله عليه وسلم ويستهزئون به .

صدعوا بالأمر ، وازداد الأولى طاعوا الفاسق ذلاً وصغاراً^(١)
زين الفاحشة الكبرى لهم فأتوها ، لا يخافون البواراً^(٢)

(١) قال لهم أبو عامر الراهب الذي لقيه الرسول الكريم بالعاق : إنبوا إلى مسجداً وأعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فلأتى بجند من عنده لإخراج عمداً وأصحابه من المدينة . ولما فرغوا من بنائه دعوا النبي للصلاة فيه كما صلى في مسجد قباء فنزلت الآية الكريمة مانعة له .
(٢) البوار الهلاك .

عَامُّ الْوُفُودِ

وفد نصارى نجران

كانوا ستين رجلا وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، عليهم أردية الحرير وخواتم الذهب ، ومعهم هدية بسط فيها تماثيل ، ومسوح ، فرد البسط وأخذ المسوح ، ولما رأى فقراء المسلمين ما عليهم من الزينة تشوفوا إلى الدنيا فترلت : « قل أؤنبسكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار » الآيات .

أبوا الإسلام وصالحوه على ألف حلة في صفر ، ومثلها في رجب ، ومع كل حلة أوقية من الفضة ، وقالوا له : أرسل معنا أمينا ، فأرسل أبا عبيدة عامر بن الجراح ، وقال لهم : هذا أمين الأمة .

وفد نجران إن أردت الرشادا فأتق الله . واتبع ما أَراد وتأمل ، فتلك حجته البيضاء لم تبق ظلمة أو سواد وضح الحق ، وانجلي الشك فانظر إنه النور قد أضاء البلاد إنه الدين قيما يصلح الأمر ، وينفي الأذى معا والفسادا جئت في زينة ، وبسطة حال تزدهيك الجياد إذ تهادي وهداياك من مسوح وبسط زيد فيها الفن البديع وزادا صدقت صنعة التصاوير فيها وهى إفك ، سبيله أن يعادى

ردّها الصادق الأمين تقاة وقضى الأمر حكمة وسدادا ودعاهم إلى التي هى أهدى فأبى الظالمون إلّا عنادا زعموا أنهم على الحق ، ماحا دوا ؛ ولكنه عن الحق حادا أئظن للمسيح عبدا وقد كان إلها أتى يدين العباد^(١)

(١) قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شأنك تذكر صاحبنا عيسى عليه السلام وتقول إنه عبد الله ، فهل رأيت مثله أو أثبتت به ؟ وقال أحدهم : إنه ابن الله ، لأنه لا أب

قال : لا تكذبوا عليه ، وتوبوا واتبعوا الحق ملة واعتقادا
 إن عيسى صلى الله عليه كان للحق قوة وعنادا
 هو من روح ربه مستفاد وسبيل المخلوق أن يستفاد
 كان في قومه رسولا رضيًا يتقى ربه ويرجو المعاد
 لا أب كالأذى زعمتم ، ولا ابن فدعوا الشرك وانبدوا الإلحادا
 وحذوا الله ، ما لكم منه واق واحذروا الخيل والسيوف الحدادا
 ضلّ من يدعى لمن هو فرد في علاه الأبناء والأندادا
 فنتهم أعماله ، وهى من قدرة الله ، وشر الضلال أن يتماذى
 رُميت يثرب بوفدٍ جماد هل رأى العالمون وفدا جمادا ؟
 عدم العقل ، فهو يُمن في الجهل ويأبى فما يريد اثنادا
 أنزل الله آية ، لو وعاهها راح بعد اللجاج يلقى القيادا^(١)
 لم يكن دون أن يبيد محيص نيته باهل النبي فبادا^(٢)
 منعهم آجالهم ، فتفادوا مايوذ الخريص أن يتفادى
 وآتوا مذعنين ، ينفون صلاحا يدفع الويل والخطوب الشدادا
 سيد الرسل أمّوه فقاظوا إنما أمّوا الكريم الجوادا
 اشتروا منه أنفسا نجسات زادها البيع والشراء كسادا
 حُلّ لا تكون إن هى عدّت دون ألف ، ولا نجى فرادا

== له ، وقال آخر : هو الله ؛ لأنه أحيا الموتى ، وأخبر عن النيوب ، وأبرأ من الأدواء كلها
 وخلق من الطين طيرا ، قال : لأنه عيد الله وكلمته ألقاها إلى مريم ففضبوا .

(١) لا لجوا في عنادهم أنزل الله تعالى . لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم
 وقوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم الآية ، وقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من
 العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسكم وأنفسهم لنبتل
 فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، دعائم إلى البهالة فأبوا خوفا من الهلاك وصالحوه على الجزية .

(٢) البهالة . اللعنة .

يبعث القوم مثلها من لجن يعجب الناظرين والنقادا
 سر حثنا أبا عبيدة واملا أرض نجران همة واجتهادا
 أنت أنت الأمين عزبك الصنع الذى يرفع الرجال وسادا
 خلصت للنبي منك خلال أفعمت نفسه هوى ووددا

أخذوا العهد رحمة وسلاما بعد أن ضلّ سعيهم أو كادا
 يبلغ الحق مبتغاه وتزاد قواه تماديا وأطرادا
 وأضلّ الرجال من لا يُلبّي داعى الله طائعا إذ يُنادى

أيها المؤمنون توبوا إلى الله وكونوا لدينه أوتادا
 أرغبتم إذا أقبل الوفد في الدنيا ، وكنتم من قبله زهادا ؟
 إن خيرا من ذلكم جنة الله فلا تعدلوا بتقواه زادا
 ما للنفس من غبطة أو سرور بمتاع تخشى عليه النفاذا

وفد الأشعرين

قدموا من اليمن مع جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه في قدومه من الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم في خير ، ومعهم أبو موسى الأشعرى قال لنا رآهم : أناكم أهل اليمن ، أرق أفئدة وألين قلوبا ، الإيمان يمان والحكمة يمانية يريد أقوام أن يضعمهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم :

قدوم من أبي موسى الهمام وفد الأشعرين الكرام
وعود من غريب الدار ناء رمى برحاله للبين رام
يفر بدينه ، ويريد رباً أقام رسوله دين السلام
أباموسى لك البشرى وأهلاً بركبك فى حى خير الأنام
نقيت من الأحبة كل سمح وفى العهد مأمون الذمام
ونلت بدارهم مارمت منهم فهل لك بعد ذلك من مرام
إذا رقت قلوب القوم كانت بعافية من الداء العقام
تجول حقائق الأشياء فيها فن غلق يفض ومن ختام
وتوقظها إذا الأكوام نامت فما تلهو بأحلام النيام
إلى الإيمان والحكم الغوالى سما نسب بكم على المقام
شهادة أصدق الشهداء طراً وأنطقهم بمناور الكلام
أباموسى نهضت إلى محلى يشق على ذوى الهمم العظام
وفزت بها حياة ، مالنفس تجانبها سوى الموت الزؤام
نظام لدين والدنيا جميعاً وهل شىء يكون بلا نظام

وفد ثقيف

كان فى رمضان سنة تسع بعد غزوة تبوك ، وكان من خبرهم أنه لما عاد النبي صلى الله عليه وسلم من محاصرتهم تبعه عروة بن مسعود فأسلم ، وسأله أن يرجع ليدعو قومه إلى الإسلام ، فقال له : لأنهم قاتلوك ، قال : أنا أحب إليهم من أبنائهم وأبصارهم ، وذهب إليهم فقتلوه بعد أن أسمعه كثيراً من الأذى ، فسمعه أحدهم يشهد وقت السحر عند الفجر على غرفة فى داره فرماه بسهم فأت ، وهو يقول : كرامة أكرمى الله بها ، وشهادة ساقها لى ، فليس فى إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يرتحل عنكم ، فادفونى معهم ففعلوا ، وقال الرسول الكريم فى حقّه : إن مثله فى قومه كمثل يس يريد المذكور فى سورة يس لأنه قال لقومه اتبعوا المرسلين ، فقتلوه .

أقامت ثقيف بعد مقتل عروة أشهراً ثم استولى عليها الذعر ، فأجمعوا أن يوفدوا رجالاً منهم إلى النبي ، فجاءوا وفيهم شرحبيل بن غيلان وعثمان ابن أبي العاص ، وهو أصغرهم سناً ، فأسلموا . وسأله أن يؤمر عليهم رجلاً فكان عثمان ، ورجعوا إلى قومهم ، وهم يكتنون لإسلامهم كما أمرهم سيدهم كنانة بن عبد ياليل ، وأخذوا يخوفونهم فأسلموا .

أقبلوا راشدين فالأمر جد أى نهج للحق لم بيد بعد ؟
أقبلوا راشدين ، ما لثقيف وسواها مما قضى الله بدء
يا ابن غيلان مرحباً جئت فى الركب وحادى الهدى يسوق ويحدو
أين من قومك الألى ركبوا النقى فلم يثنهم عن الإثم رشد ؟
قتلوا عروة الشهيد على أن آثر الله ، فهو للشرك ضد
جاء إثر النبي يشهد أن الله حق على الجلالة فرد
وأبى قومه يظن بهم خبي را ، فمالوا عن السبيل وصدّوا
هكذا أخبر النبي ولكن ليس للأمر حين يقدر رد
قال : دعهم للملك الملك واعلم أنهم قاتلوك . فالقوم أد

غره رأيه ، فلم يك حب
 بورك الوفد إذ أتى السكوكب الدُّ
 يتلقى السنا تبين به السبل
 ورد الدين صافيا ما بضاهيه
 وقضى أمره ، ففادر منه
 راح يخفى إيمانه ، ويهدد الق
 ليس للشرك قوة تعصم النفس
 قال : يا قوم إنه يتلظى
 سامنا خطية تشق علينا
 نهدم اللات صاغرين ونُنقى
 هاجهم جهلهم ، فقالوا : رويدا
 قيل : فالحرب لا هودة فيها
 دما الذعر بالنفوس فلانوا
 أقبلوا يرغبون في ملة الله
 عجبوا للألى رموم بمكر
 سألوه أن يسلموا فذاعوا
 رضى الله عنهم ورعاهم
 غير حب الأذى ، ولم يك ودُّ
 رى في نوره يروح ويفدو
 وضاء بعد الخفاء وتبدو
 لمن يبتغى السلامة وزدُّ
 حيلة أحكمت ، ورأى أسدُّ
 يوم رعبا ، وكل واه يهدُّ
 س ، ولا فيه منعة تستمد
 في إباء ما ينقضى منه وقد
 وهو عال في قومه مستبدُّ^(١)
 ما درجنا عليه ، فالعيش رغد
 ما لنا بالذى تقولون عهد
 فاجمعوا أمركم إذن واستعدوا
 بعد حين ، وللهالة حـد
 فلم يفتنهم إباء وزهد
 هو أقوى من مكرهم وأشد
 ما أسرؤا وطاح بالهزل جدُّ
 هم جميعا لملة الحق جنـد

(١) سألوا الرسول الكريم أن يترك لهم الصلاة ، فقال : لا خير في دين لا صلاة فيه
 وفي لفظ لا ركوع فيه ، وأن يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك ، وسألوه أن يترك
 لهم الطاغية . اللات ، ومضى صنهم لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنين ، وكانوا يقولون لها الرتبة
 فأبى فسألوه أن يتركها سنة فأبى ثم سألوه أن يتركها شهرا واحدا فأبى ، سألوا ذلك ليدخل
 الإسلام في قومهم ، فلما عادوا لأبيهم أخروهم بذلك ، وخوفوهم ، فأخذهم الرعب ثم أسلموا
 بعد أن قالوا لهم : استعدوا للحرب إن أبيتم .

وفد بني عامر بن صعصعة

جاء وفيهم عامر بن الطفيل ، وأريد بن قيس « أخوليد الشعر »
 وجبار بن سلمى وكان عامر قال لأريد : إذا قدمنا على الرجل « النبي »
 صلى الله عليه وسلم فأني شاغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فعله بالسيف
 فلما قدموا جعل عامر يكلم الرسول الكريم وينتظر أن يمضى أريد أمره
 وقديست يده على السيف فلم يستصع سله وقال عامر للنبي : ما لي أن أسلمت
 قال : لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم . قال أتجمل لي الأمر بعدك ، قال
 ليس ذلك لك ولا لقومك إنما الأمر لله يجعله حيث يشاء فقال عامر : أما
 والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا . قال : يمنعك الله عز وجل . ومكث
 أياما يقول : اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت ، وأبعت به داء يقتله
 فاستجاب الله له . وأسلم جبار بن أبي سلمى رضى الله عنه فبين أسلم :

بنى عامر ردوا عن الشر « عامرا » ولن يجد الباغى على البغى ناصرا
 أصاب هوى من نفس « أريد » فابتغى من الأمر ما يمي الكمي المقامرا
 وجاء بمكر لا محالة خائب وأخيب أهل السوء من كان ما كرا
 أنا شديكم : هل صاحب الوفد منهما « بنى عامر » إلا أثما وفاجرا ؟
 هما أزمعا أن يأخذا الليث خادرا على غرة والجهل يعنى البصائرا
 دنا الأحق المحبول ، منه وهذه يد السوء منه تحمل السيف باترا
 يشير إليه : ابن الطفيل ، أن اقتحم وماذا يرد السيف لو كان قادرا ؟
 أبا الله إلا أن يُعز « رسوله » ويرجع من يبنى به السوء صاغرا
 أطاع هواه جاهلاً ، وخلا به يخادعه كمي يرى الدم ماثرا
 أنسأله يا ابن الطفيل خلافة وتطمع أن تدعى الشريك المشاطرا ؟
 لك الويل ما هذا الذى أنت قائل ؟ أكنت امرءاً من نفسه راح ساخرا ؟
 « جبار » استقم واشهد قربك واحد وخذحظك الأوفى من الخير شاكرا
 وبشر رعاك الله صبيك أنهم أصابوه غنا من هدى الله وافرأ

ودع «عامر» يهوى به الداء خشنا
رماء الذي يرى القوى فيبدها
بصاعقة مما رمى الله إذ رمى
رماء بها نارية لو تنزلت
أبى «عامر» من شيمة جاهلية
يقول : أطاعونا وموتا بمنزل
جوادى جوادى ليس غير متنه
وجاءوا به يزجيه «عزريل» فاس
يجول عليه يحمل الرمح ما يرى
فما هو إلا أن هوى غير معقب
مضى الأمر لم يسمع عكاظ نداه
إذا المرء لم يؤمن ولم يخش ربه
الحت عليه دعوة من محمد
رسول الهدى وانخير من يرع حقه
لقد كان فيما فل أربد زجر
رأى آية تفتش همه نفسه
كلاءة رب ، كل أصيد غلب

و«أربد» يلقي الحنف خزبان خاسرا^(١)
فيه قواه ، إنه كان كافرا^(٢)
«ثودا» و«عادا» والقرون الغوابرا
على جبل لا ندك في الأرض غائرا
لقاء الردى عند التي جاء زائرا
يضيق بأمثالي؟ إذن لست «عامرا»
ألاقي عليه عادى الموت كائرا
توى على سرجه وانساب حيران ثائرا
سوى حنقه المقدور قرنا مغاورا
سوى الخزي من ذكر لمن كان ذا كرا
ولا تشبه الأقوام تلك الفاخرا^(٣)
فيس إلى شيء سوى الخسر صائرا
رمته بداء يترك الطب حائرا
فيس يرى شيئا على الدهر ضائرا
عن الشر لو يخشى امرؤ السوء زاجرا^(٤)
وتذهل منه اللب لو كان ناظرا
يبيد ، ويبقى غالب البأس قاهرا

(١) أصيب عامر بالصدع وهو راجع إلى بلاده ، فلجأ إلى بيت امرأة من سلول ، وجعل يقول لأصحابه يا بني عامر ، أغددة كفدة البعير ، وموتا في بيت امرأة ، اثنتون بفرس شه ركه ، وأخذ رجه ، وصار يحول عليه حتى سقط ميتا ، وخرج أربد من داره بعد وجوعه ومعه بعيره ، فأرسل الله عليهما صاعقة فأحرقتهما .
(٢) لضمير راجع إلى أربد .
(٣) كان عامر مدد بسوق عكاظ ينادى : هل من راجل فتحمله ، أو جائع فتطعمه ، أو خائف مؤمنه .
(٤) قال عامر لأربد بيد خروجهما من عند اثني : وبلك يا أربد ، أين ما كنت أمرتك به ! فان : والله ما هممت بئى أمرنى به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أقاصر بك بالسيف .

ضمائم بن ثعلبة

بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وفدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الإسلام فأكثر ، وهداه الله فأسلم ، ثم رجع إلى قومه فقال لهم : إن الله تعالى قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنفذكم به مما كنتم فيه . وقيل إنه أول ما تكلم سب اللات والعزى ، فقال له قومه : مه يا ضمام ، اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ، فقال لهم : ويلكم ، والله لهما لا يضران ولا ينفعان ، ثم وصل ذلك بما تقدم من القول ، وتطق بالشهادتين ، فأسلموا جميعا .

أنيخ البعير فقد بلغت المسجد
أضلت حين سألت : أين محمد ؟
إن كنت تعرف مطلع النور الذي
هو ذاك فاصدع يا ضمام بنوره
اسأله ، واسمع ما يقول ، وواله
اجمع قواك فقد بلغت المنتهى
قل ما تشاء ، فلن يضيق بسائل
كل الذي قال النبي وقلته
ولقد سعدت بها شهادة مؤمن
حمد النبي وصحبه لك شيمة
ولربما ازدان الفتى بسجية

واخشع ، ضمام . فأنت في حرم الهدى^(١)
أفأرايت الكوكب التوقدا ؟
صدع الظلام ، فقد عرفت محمدا
ليل العمى ، وحذار أن تترددا
واتبع شريعته إماما مرشدا
وانقع صدك ، فقد أصبت الموردا
يرجو الصواب وإن ألح وشددا
حق ، وحسبك مغنا أن تشهدا
ما كنت لو كبرت عليك لتسعدا
ما كنت تطمع قبلها أن تحمدا
كانت له شرفا أشم وسوددا

(١) جاء على جل فأناخه على باب المسجد ثم عقله ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب أو أيكم محمد ، قالوا هذا . الأيض الشرب بحمرة المتكى على مرقفه فدنا منه وقال : لاني سائلك فتشدد عليك وجعل يسأله فيجيبه على كل شيء .

رضي الهدي دينا وعاد بنعمة
وضح السبيل لقومه فتدققوا
خلصوا على يده فيالك من يد
أبشر ضمام فانت جاوزت المدى
يدعو إلى الله النفوس الشرّدا
زمرأ يريدون النجاة من الردى
فتحت لدين الله بابا موصدا
وبلغت في الحسنى المكان الأبعدا

وقد بنى عبد القيس من بلاد هجر بالبحرين

جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة ، وفيهم الجارود .
وكان نصرانيا ، وقال له : إن كنت نبيا فأخبرنا بما أضمرنا ، فأخبرهم
فأسلموا ، كان رئيسهم عبد الله بن عوف الأشج ، وكان أصفرهم سنا ،
وفيه دمامة ، ولحظ هذا المعنى في نفس النبي ، فقال : يا رسول الله ، إنه
لا يستحق في مسوك - جلود - الرجال وإنما المرء بأصفره قلبه ولسانه .
قال لهم صلوات الله وسلامه عليه : مرحبا بالقوم الذين جاءوا غير
خزايا ولا ندأى ، ثم أمرهم بإقامة الدين ، ونهأهم عن الخمر ، فألحوا ليأذن
لهم فأبى ، وذكر لهم صفة بلادهم فتعجبوا ، وكان فيهم شيخ عنون فمسح
على ظهره ودعا له فبرى ، وكسى شبابا وجالا .

مرحبا بالوفد وافي من هجر
لا خزايا ، لا ندأى ، إنهم
ظفروا إذ قبلوا خير يد
نزل الحق على شاعرهم
صدق الجارود إن الله قد
جاء في إنجيل عيسى ذكره
لم يزل يسأله حتى بدا
زادهم من علمه ما زادهم
كشف الله له عما انطوى
هذه الأرض وهذا نخلها
يبتغى الدين ، ويؤبى من كفر
زمرة ما مثلهما بين الزمر
وخيار الناس أولى بالظفر^(١)
ساطع الحجة وصاح الأثر^(٢)
أرسل القوم إلى هادي البشر
فأثنى ينظر مصداق الخبر
من يقين الأمر ما كان استر
ولديه من مزيد مدّخر
في زوايا الغيب عنه فظهر
تترأى فيه أنواع الشر

(١) تبادر القوم يقولون يد الرسول الكريم ورجله .

(٢) الجارود وكان قد قرأ الكتب فعرف فيها صفة النبي فقال فيه أياتا فيها .

يا نبي الهدي أنك رجال
تتق وقع شر يوم عبوس
قضت فدفدا وآلا فلا
أو جل القلب ذكره ثم هلا

وفد بني حنيفة

جاءوا ومعهم مسيلة الكذاب يسترونه بأثياب ، سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يشركه في الأمر « النبوة » وكان في يده عسيب فقال : لو سألتني هذا ما أعطيتك . ولا عاد لأني أئيماء ادعى أنه أشركه معه ، وصار يهذي بما يضاهي به القرآن الكريم كقوله : لقد أنعم الله على الجبلي وأخرج منها نسخة تسع ، من بين شفاف وحشا وقوله والطاحات طحنا والماجنات عجننا ، والحابزات خبزنا ، والتارذات ثردنا ، اللافات لقنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وأحل لهم الخمر والزنا ، وعمل أعمالا للهكة فكانت شؤما ، وكتب إلى النبي يقول له (١) أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأمر ، وليس قريش قوما يعدلون ، فكتب إليه صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإن الأرض قد يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

بني حنيفة ما أشقى مسيلة وما أضلّ الألى أمسوا له تبعا
جثم به في ثياب ملؤها دنس تكاد تلفظه من هول ما صنعا
ترمي به الأرض شيطانا وتقذفه رجسا مغطى وشرا جاء مبتدعا
يا ويله إذ تراه النجم في يده نفس مضلة هاجت له طمعا
رام النبوة ، شطر للذي اجتمعت فيه ، وشطر له ، يا سوء ما اخترعا
قال النبي له لو جئت تسألني هذا العسيب الذي عاينت لامتنعا
أنا النبي ، وما أمرى بمشترك فاعص الهوى واردد إن كنت مرتدعا
أضله غيب للجهل مرتكم أحاط بالقوم حيناً ثم انقشعا
خفوا إلى الحق يرتادون مثبته وليس كالحق مرتادا ومنتهجا

أتروا الإسلام ديننا وانقضى
أمروا بالخير طــــرا ما لم
لهجوا بالخر ، ثم ازدجروا
وفد عبد القيس لا تعديل بكم
ليس في الخمر شفاء لأمري
إحذروها إنها المكر الذي
هي للأقوام شرٌّ وأذى
ليس من برٍّ فأرضى ربه
حسبكم ما كان منها وكفى
في رسول الله إذ نبأكم
اتبعوا عن كل ما عنه نهي
ما أضلّ القوم من دين نكر
منه بد ، ونهوا عن كل شر
وعن الخمر غنى للمزدجر
ظلمة الرأي عن النهج الأغر
من سقام أو وقاء من ضرر
مكر الشيطان في ماضي العصر
وهي للبفضاء نار تستعمر
مثل من أرضى هواه وفجر
ما رأيتم أو سمعتم من عبر
بيلايا الخمر آيات كُبر^(١)
واقفوا من كل أمر ما أمر

اسألوا هذا الفتى عن شيخكم واسألوني عن أعاجيب القدر^(٢)
صورة زالت وأخرى برزت من تصاوير الملك المقدر
اسألوا الحاضر عن غاب ، أو فاسألوا الغائب عن قد حضر
ذهب المجنون مهدود القوى وأتى العاقل مشدود المر^(٣)
قدرة الله تجلّت في يد لعظيم الجاه ميمون الأثر

(١) نهائم عن شر الخمر ، فقال له الأشج : يا رسول الله إن أرضنا ثقيلة ووخة ، ولما لم نشرب هذه الأشربة عظمت بطوننا ، فرخص لنا فأبى ، وقال : إذا عمل أحدكم من شربه قام إلى ابن عمه فضربه ساقه بالسيف ، وكان في القوم رجل وقع له ذلك ، وهو جهم ابن قثم فنجبوا .

(٢) هو الشيخ نفسه بعد أن صالح أمره ببركة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه

(٣) جمع مرة وهي قوة الخلق - بفتح الخاء - وشدته .

(١) أورد صاحب الديوان نس الرسائلين في التمام ورأيت أن أضيفهما إلى المقدمة .

وجاء في فتنة عمياء زينها
إن الفساد جميعا والضلال معا
تلقف الناس يغويهم ويكذبهم
يقول : إن رسول الله أشركه
وراح يدعو إلى دين يُرَيْنه
ألقي الصلاة وأعطى الناس بغيتهم
دين الفجور ومكروه الأمور ألا
لوراح صاحبه يرمى به جبلا
ما الطاحنات وتآت يرددها ؟
صبرا حنيفة إن الله قاتله
ولا مرد لأمر الله إن وقعا

عدي بن حاتم

كان عدي بن حاتم شريفاً في قومه يأخذ المرباع - ربع الغنائم - على عادة سادات العرب فلما سمع بقدوم جيش المسلمين إلى بلاده لحق بالشام ليبقى على دين النصرانية مع أهله وترك أخته سفانة ومعناها الدرة ، فلم يأخذها معه. وجرى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، سبية مع السرية التي أرسلها لهدم «القلس» صنم طيء والإغارة عليها فقامت إليه تذكراً أباهما ، وما كان له من أعمال مشكورة ، وتساءله أن يمن عليها ففعل ، فأسدت وكساها ثم حنبا وأعطاها مالا فذهبت إلى أخيها ، وأشارت عليه بالدخول في دين الله ، فبجاء وأسلم .

إلى الله فارغب يا عدي بن حاتم
إلى الله فارغب واتبع دينه الذي
خرجت حذار القتل من آل طيء
كفى النفس قتلاً أن تضل حياتها
أما ضقت ذرعاً إذ علمت من العمى
عدي استمع أنباء أختك واستمع
صفا قلبه فاختارها خطة هدى
وسارت مطاياهُ تؤمُّ محمداً
فأنزله في داره وأحمله
ودع دين من يبنى العمى غير نادم
يدين به الميعوث من آل هاشم
وما أنت من بلوى القتل بسالم
وتذهب حيرى في مدب الأراقم
مكانك ، أم أنت امرؤ غير عالم
برأى يُجَلَّى ظلمة الشك حازم
تجنّب من يختارها كل لائم^(١)
وضاء الحوايا والخطى والمناسم^(٢)
محلاً تمتى مثله كل قادم^(٣)

(١) صفا قلبه مال ، والمعنى أنه مال إلى الإسلام .

(٢) الحوايا جمع حوية وهو كساء يحشى به شيئا الثياب ثم يوضع حول ستام العيرة وماسم الإبل أخفافها .

(٣) اضائق النبي بعدي إلى بيته ، ثم ناوله بيده الشريفة وسادة من آدم عشوة ليفا فأجلسه عليها ، وجلس هو على الأرض ، وقال له : أسلم نسلم ثلاث مرات ، قال عدي : إني على دين فقال : أنا أعلم بدينك منك ثم ذكر له المرباع وأنه محرم في دين النصرانية ، وقال له : (٢٣ - ديوان مجد الإسلام)

عروة بن مسيك المرادي

وَأَسَمُهُ عُرْوَةٌ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ

ترك ملوك كندة وراء ظهره ، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ،
وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الإسلام وقعة أصابت فيها الثانية
من الأولى ما أرادت في يوم يقال له الروم ، فقال له النبي : هل ساءك
ما أصاب قومك يوم الروم ؟ قال : يا رسول الله ، من ذا يصيب قومه
ما أصاب قومي يوم الروم ، ولا يسوءه ؟ فقال له : أما إن ذلك لم يزد
قومك في الإسلام إلا خيرا ، وقد استعمله على مراد وزيد ، وبعث معه
خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ترك الملوك ملوك كندة وانتحي
حييت عروة ، إنه لك مقدم
عطف النبي عليك وانبسطت له
ما كان يوم الروم من أوطاره
ما أورث الإسلام قومك ، زادم
الجاهلية قد عفت آثارها
كانت لهم موتا ، فتلك حياتهم
هذا رفيقك ما تقومك غيره
إني جعلت لخالد صدقاتهم
ولقد أقتك عاملا ، فكن امرا
سيرا على بركات ربكما ولا
من يترك التيجان واهية العرى
يمن ، وحسبك ما تشاهد أو ترى
نفس تريك مكانه والمظهر
بل هز نفسك واعظا ومذكرا
خيرا ، وكان لهم أجل وأكبرا
فيهم ، وأصبح عهدا قد أدبرا
في دولة الإسلام عالية الذرى
نعم الرفيق إذا الليب تحيرا
تجبي إلي ، فما أحق وأجدرا
للخير في كل الأمور ميسرا
تليا إذا أحدني أو قصرا

وقال له : إني لأعلم بالذي
ألم تأخذ المربع ، وهو محرم
فقال : بلى ، إني إلى الله تأب
لأنت رسول الله ما فيك مزية
تداركت بالإسلام نفسي فأصبحت
هو العصمة الكبرى ، إذا لم تفز بها
تدين به ، فاشهد تكن غير آثم
كدأب الأولى سنوه من كل ظالم ؟
وإني رأيت الحق ضربة لازم
لمن يتترى والحق بادي العالم
بعافية من دأبها المتفاقم
نفوس البرايا ، خانها كل عاصم

تأمل عدى ما يقول محمد
سيبسط دين الله في الأرض ظله
وسوف يفيض المال في كل موطن
وتخرج ذات الخدر ما إن تروعا
فتقبل من بصرى إلى البيت ما لها
هو الله ، فاعرف يا عدى سبيله
ونبه من القوم العدى كل نائم
ويحكم من ساداتها كل حاكم
وأرض ، فما من آخذ أو مزاحم
إساءة جان ، أو مضرة جارم
على الضعف وال من حماة المحارم
ودع خطرات الوهم من كل واهم

لعلك يا عدى إنما يمتنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى ، تقول إنما اتبعه ضعة الناس ومن
لا قوة له ، فواقه ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمتنعك
من الدخول فيه ما ترى من كثرة عددهم ، أنعرف الحيرة ، قال عدى : لم أرها ، وإنما سمعت
بها ، قال ، فوالله وفي رواية والذي نفسي بيده ليتمن هذا الأمر حتى تخرج الطعنة من الحيرة
تظوف بليت من غير جوار أحد إلى آخر ما قال صلوات الله وسلامه عليه .

وفيد بن زبيد

جاءوا ومعهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وقد كان لابن أخيه
قيس المرادي : إنك سيد قومك ، فاطلق بنا إلى محمد لنبلو أمره ، فإن
كان نبيا كما يقول فلان يخني عليك ، فأبى عليه قيس وسفه رأيه ، وجاء
عمرو فأسلم ، فلما علم قيس قال : خالفتي وترك أمري ورأيي ، وتوعد
عمرا فقال عمرو ومن آيات .

من ذا عاذري من ذي سفاه يريد بنفسه شد الزاد
أريد حياته ، ويريد قتلى عذيرك من خذللك من مراد

وفد الفارس الذي تفرق الأبطال منه وتفرع الفرسان
جاء عمرو وأئى قرم كعمرو حين تدعى القروم والشجمان
ماله في الرجال كفؤ إذا ما حمى الضرب واستحر الطمان
راع صمصامه وشاع له في الأراض ذكر مجاجل رنان
قال : يا قيس أنت سيد قوم ليس فيهم لغيرك اليوم شان
أثما خطة أردت فلا تعدل عنها . وحيثما كنت كانوا
سر معي تنظر الذي راح ينهى أن تقام الأصنام والأوثان
لأنه إن يكن نبيا فلن يخفى علينا الدليل والبرهان
ومن الحق أن يكون مطاعا فعلينا الولاء والإيمان
قال : يا عمرو هل أصابك مس فتأدى الهراء والمذيان ؟
ما أنا بالذي يلين عناني لابن أثنى إن لأن منك العنان
إن تكن مدعنا لمن فتن الناس فما بي لمثله إذعان
ذهب الفارس الزبيدي فردا وتقضى النداء والبهتان
يطلب الساحة التي يطلب الخيبر بأرجائها ، ويرجى الأمان
مهبط الوحى ، يرتع الروح فيها كل حين ويسطم القرقان

رضي البر والمروءة دينا فصفت نفسه وطاب الجنان
زال عنه الأذى ، فما خطب قيس ؟ إن قيسا لثائر حران
قال : يا ويحه ، أ أمره أمرى ، فنه الإباء والعصيان ؟
لأذيقنه الجزاء ألبا فيرى موضعي ، وكيف يدان

هكذا تصنع الجهالة بالناس ، فتعمى العقول والأذهان
ومن الناس مبصرون يرون الحق ومنهم عميان

قَالَ : رويدا ، إني لست كهنا
ومدَّ يمين الخير يماؤها حصي
قضوا محبا تَمَّا يسبح ربه
هداهم إلى دين الحياة وزادهم
تلا ما تلا ، فالتاب لله خاشع
فقالوا : أَمِنْ خَوْفِ الَّذِي أَنْتَ مَرْسَل
فقال : أجل ، إني أخاف عذابه
بُعْتُ بدين إن أَمِلَ عن صراطه
صراط حَذَّ السيف لا يبرح الفتى
فلا تغترّ نفسي بشاهد حالها
من الخير فاستكثر لنفسك واستزد
لكلِّ امرئٍ من شأنه ما أعدّه
نهى القوم عن لبس الحرير نديهم
أطاعوه لا يبنون غير سبيله
وإن الذي ينهى النفوس عن الهوى
أدب الألى في الحرب يصلون نارها
إذا ترك القوم الجهاد رأيتهم
وإن لم تكن أظفارهم جُنَّةَ لهم
ومها ، فهذا شاهد صادق الخير
فلم يك فيها بالعبي ولا الحصر
وقالوا : شهدنا ، ما بك الآن من نكر
هدى من كتاب محكم الآي والسور
من البر والإيمان ، والدمع منهمر
إلى الناس منه دمع عينيك يبتدر ؟
وأية نفس تأمن الله إن مكر
فما لي من واق يقيني ولا وزر
وإن جدَّ كل الجدم منه على خطر
فله علم الغيب ، والغيب منتظر
وما تستطع من صالح الأمر فادخر
كذلك يحزى الله من برِّ أو خير
ولا شيء إلا ما نهى عنه أو أمر
إذا اتبعوه - من سبيل ولا أثر
هو الدين لا دين الخيلة والبطر
كدأب اللواتي في المقاصير والشتى ؟
وإن أشبهوا الأحياء موتى من الخور
تقلب في أحشائهم كل ذى ظفر

وَفَكِيدَة

كانوا ثمانين أو ستين رجلا ، فهم الأشعث بن قيس ، جاءوا وعليهم
جيب الحرير الحبرة من صنع اليمن ، وقد سرحوا شعورهم ، فلما دخلوا
على النبي صلى الله عليه وسلم ، حيوه تحية جاهلية « أبيت اللعن » فقال :
لست بملك ، ولما أنا محمد بن عبد الله ، قالوا : لا تخاطبك باسمك ، قال
أنا أبو القاسم ، فقالوا : يا أبا القاسم لما خبأنا لك شيئا ما هو ؟ وكانوا
خبأوا عين جرادة في ظرف سمن ليخبروه ، فقال : سبحان الله لما يفعل
ذلك بالكامن ، قالوا : كيف نعلم أنك رسول الله ، فأخذ كفاه من حصاه
وقال : هذا يشهد أني رسول الله فصبح المحصى في يده ، فأسلموا وتلا عليهم
والصافات صفا حتى بلغ قوله تعالى « رب المشرق والمغرب » فسكت
ودموعه تجري ، فقالوا : أَمِنْ عَظَمَةِ مَنْ أَرْسَلَك تَبَكَّى ؟ قال : إن خشيتي
منه أبكتني ، بعثني على صراط مستقيم مثل حد السيف ، إن رزقت عنه
هسكت ، ثم تلا : « ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك » الآية .
ثم نهام عن لبس الحرير ، فشقوه من أعناقهم وألقوه .

ألا إن هذا وفد كندة قد أتى
رواه من العيش الرخي وبهجة
دنا ثم حيا سيد الرسل بالتي
يقول : أبيت اللعن قول الألى خلوا
أباها رسول الله منهم تحية
وقال : دعوها عادة جاهلية
خذوا هذه عني فإني محمد
فقالوا له : ندعوك باسمك ؟ إته
فماذا به تُسكني ؟ فقال لهم : أنا
دعوه ، فقالوا يا أبا القاسم استجب
فإن يك حقا ما تقول ، فما الذي
عليه من النعناء أردية الحبر
من الكحل في الأجفان أو مرسل الشعر
تحيا بها أهل الصواب والسرور
من المعشر الضال في سالف العصر
رأها من اللغو المذمَّم والفسد
فلا أنا ذو ملك ، ولا بئ من أشر
وإني ابن عبد الله من ذلك النفر
لعمرك أمر ما يلائمنا عسر
أبو القاسم ادعوني بها كنية تسر
أأنت رسول الله يهدي بك البشر ؟
خبأنا من الأشياء ، نبلو ونختبر ؟

كذلك قال الصادق البرّ إنه
أكان حديثاً للرسولين ساقه
هما تبّاهم ، فارعوا عن ضلالهم
وأصبح نور الله ملء ديارهم
ليلقى الذي يُلقى من القول ملهما
لقومهما ، أم كان جيشاً عرمرماً ؟
وقالوا رسول جاء بالدين قيماً
بضىء لهم ما كان من قبل مظماً

وفد الأزديّة

قدم على الرسول الكريم جمع من الأزدي ، وفيهم مرد بن عبد الله
الأزدي ، وكان أفضلهم ، فجعله أميراً على من أسلم من قومه ، وأمره أن
يجاهد بهم من يليه من المشركين من قبائل اليمن ، فخرج حتى إذا أتى مدينة
جرش من مسدائهم حاصرها بمن معه من المسلمين قريباً من شهر ، ثم
رجعوا عنها ، فظن أهلها أنهم ارتدوا منهزمين ، فانطلقوا وراءهم ،
فأدركوهم عند جبل يقال له شكر فقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً .

هنا ياسرة الأزدي ، حطّوا رحالكم فما أطيب الثوى ، وما أشرف المحى
هنا البرّ والتقوى ، هنا الخير كله لمن كان يرجو أن يفوز ويفنا
هنا المنزل الميمون ، ما من موفق يريد سواء منزلاً أو مخيماً
أجل يا ابن عبد الله عينيك واقتبس من النور ما يحلو الغيايب عنهما
تبين هداك الله ، إنك ناظر أجل بني الدنيا جميعاً وأعظماً
هداكم به ربّ تدارك خلقه فجاد به نورا مبيناً وأنما
وولاءكم أمر القوم تمضي مجاهدا بهم من يليهم من رجال ذوى عى
شكت جرش طول الحصار وما اشتكت لكم هم يرمى بها الله من رمى
رجعتم تريدون المكيدة ، فاعتري أذى الوهم من عمّارها من توقما
رأى شكر من خطبهم وبلائكم مشاهد هزّته ، فحيا وسلا
أكنتم كما ظنوا تخافون بأسهم ؟ ألم يكفهم أن يضحكوا السيف والدم ؟
هم البدن بدن الله ضلت قماها سوى النحر تاقاه قضاء محمّداً (١)

(١) بعث أهل جرش رجلين إلى النبي صلى الله عليه وسلم يتحسان أخباره ، فسألها بأى
بلاد الله شكر ؟ فقالا : إن ببلادنا جبلاً يقال له كشر ، قال ليس بكشر وإنما هو شكر ،
قالا فما شأنه ؟ قال : إن بدن الله للنحر عنده الآن وأخبرها الخبر ، فرجعا إلى قومهما ، =

= فوجداهم ، قد أصيبوا في اليوم والساعة المدين تلقيا فيها الخبر ، وذكراهم ذاك ، فجاءوا
فأسلموا .

أوصيتُ زُرعة أن يكون لهم بدا كيد القرين يشدُّ أزر قرينه
ولقد جعلت إلى معاذٍ أمرهم فجعلته لرعيه وضمينه

* * *

لا يرجعنَّ إلَيَّ إلا راضيا والله عون نصيره ومعينه

* * *

يا حارث اشكر فضل ربك إنه أعطاك حظاً زاد في تحسينه^(١)
أولست أول مسلم من حمير وردَّ الهدى، ومضى بصفو معينه ؟
وأقام للشرك المذمَّ ما نتما يستعذب الإسلام رجع أُبينه ؟
أبشر بخير غير مقطوع الخفى من ربك الأعلى، ولا ممنونه

رسول ملوك حمير وحامل كتابهم

جاء رسول ملوك حمير وحامل كتابهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم
بعد غزوة تبوك ، وفي الكتاب إخبار بإسلام الحارث بن عبد كلال
والنعمان ومعاقر وهمدان قبيلة وأنهم قتلوا المشركين ، فكتب إليهم
بوصيهم بالصلاة والزكاة وجمع الكلمة على الحق ، وأنه قد أرسل إلى
زُرعة ذى يزن بوصيه خيرا برسالة ، معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك
ابن عباد ، وعفية بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم ، وأنه قد جعل
أمرهم إلى معاذ فلا يرجعن الأراضي

جاء الرسول كتابه يمينه واليمين في فمه وفوق جبينه
وافى إمام المرسلين مبشرا بالمومنين من الملوك بدينه
بعثوا إليه رسولهم وكتابهم أن ليس مُتَّبِع لهم من دونه
قالوا اعتصمنا باليقين فزادنا دين الهدى ، والمرء عند يقينه .
ولقد قتلنا المشركين نريده فتحا يشجُّ الشرك في عرينه
أقبال حمير لأن جانب عزهم سُلَّطَ لِن الظبي من لينه
سنَّ السبيل بسيفه ولسانه فتباقت الأقوام في مسنونه
لا شيء كالخق المساح للفتى يشفيه من كلب الهوى وجنونه
الليث في محرابه وكتابه والليث في أشباله وعرينه
رجع الرسول على هدى برسالة فيها قوى الإسلام محكمة العرى
فيها شـعائره ومظهر مجده من ابتغى الخيرات في تمكينه
أخذ الملوك بواضح من هديه ونظام دولته وأُسْ شؤونه
ورمى إليهم بالوصية سمحة متبلج لم يأل في تبيينه
إن أكرموا رسل الذين ترونها يقضى الأمين بها زمام أمينه
يرجون فضل الله عند ديونه

(١) كان الحارث أول من أسلم وقاتل المشركين من حمير فثنى عليه لى و كتابه وقال له أبشر بخير .

وأراك تعلم غير أنك مولع
قال : اقتلوه ، فراح يلقى ربه
صلبوه من حنق عليه ، فويحهم
نعم الشهيد ، وبئس ما صنعوا به
تلك العقيدة حكما وسبيلها
بأنك تكره أن يكون له مدى
فرحا ، بما حفظ الأمانة وتقى
أفلم يكن في قتل فروة ما كفى
وسيعلمون لمن يكون المنتهى
إما سبيل المؤمنين أو الردى.

رسول فروة بن عير والحزامي

وفد رسول فروة على النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بإسلامه ، وحل
إليه هديته ، وهي بقة بيضاء يقال لها فضة ، وجمار يقال له يضور ،
وفرس يقال له الطرب ، وثياب معها قباء مرصع بالذهب . وكان فروة
عاملا للروم على من يليهم من العرب ، فلما أسلم أخذوه وحبسوه ، ثم
ضربوا عنقه وصلبوه بعد أن قال له الملك . ارجع من دين محمد ، ونحن
نعيدك إلى ملكك ، قال : لا أفارق دينه فإنك تعلم أن عيسى عليه السلام
بشر به ، ولكك ترضى بملكك .

هذا السبيل ، فأين يذهب من أبي ؟
ليس الذي ركب الفواية فالتوى
أحسن فتروة إن دين محمد
هذا رسولك جاء بهدية
أنت السعيد بها ، ولو أتبعتمها
ماذا يفيظ الروم من مستبصر
سجنوه حين رأوه يطلق نفسه
وتكففوه ليفتنوه فزاد في
لويقل الملك الغبي لما رأى
قال : اعتزل دين الذين هم العدى
لك عند قومك ما تحب وتشتهى
المجد والشرف الرفيع ، وما ترى
قال : اقتصد ما أنت أنت ولا أنا
إني اصطفت محمدًا وهو الذي
أوليس نور الله قد كشف الدجى ؟
كن استقام ، ولا الضلالة كالمهذى
لهو الذي يشقى القلوب من العمى
فيها لنفسك كل ما تهب النبي
كل الذي لك لم تزد إلا غنى
سرف العنان عن الفواية وارعوى ؟
في المشر الطلقاء من سجن الهوى
إيمانه ما جرعه من الأذى
رأى الأذى ضلوا السبيل ، ولا غوى
إن كنت تؤثر أن تُرد على رضى
في ذلك الحرم المنع والحمل
من نعمة خضراء دانية الجنى
أنا ، قد مضى من أمرنا ما قد مضى
أوصى به عيسى فنعيم المصطفى

صادقِ البأس ، للقلوب اتحاد حين تمضي وللصفوف التثام
 صخرة ما تطير أو تنفري إن تفرى الحصى وطار الرغام
 ثم كنّا لا نبداً الناس بالظلم ، نعانى الذى الذى يعاف الكرام
 نكره الشر قادرين ونأبأه وللشر فى النفوس اضطرام
 قال : حقا صدقتم ، وما كان ليبرجى للظالمين دوام
 إن زيدا أميركم فاعرفوه واستقيموا ، لكل أمر نظام
 سنة الله ليس للقوم بد من رئيس يأتى إليه الزمام
 عذ بخير يا ابن الحصين وأعمى إنك اليوم للرئيس الهمام

وفد بنى الحارث بن كعب

بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، فخرج حتى قدم عليهم ، وبعث الركبان يضربون في كل وجه ، ويقولون : أيها الناس أسلموا تسلموا ، فأسلموا ، وقام فيهم يعلمهم شرائع الإسلام ، وكتب بذلك إلى النبي ، فكتب إليه أن يوافيه ومعه وفدهم فجاءوا وفيهم قيس بن الحصين . . . ذر الغصاة . . . وحين اجتمعوا به قال : يا كعب كنتم تعلمون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : كنّا نجتمع ولا نفرق ولا نبداً أحداً بظلم ، قال : صدقتم وأقر عليهم زيد بن الحصين . ومات صلى الله عليه وسلم بعد رجوعهم إلى قومهم بأربعة أشهر .

يا بنى الحارث بن كعب سلام
 جاءكم خالد بدعوة حقيق
 عظمت نعمة النبي عليكم
 كل ما تكره النفوس من البغ
 لا يحل القتال إلا بحق
 أتم القوم ما عليكم ملام
 وعجيب إذا بدا الحق طلقا
 يا بنى الحارث بن كعب نزلتم
 ها هنا ، ها هنا يطيب المقام
 رأيتم عز النبوة فيما
 لا النبيون أول الدهر نالوا
 قال وهو العليم إذ كلم القوم
 بم كنتم في الجاهلية تستعلون
 فأجابوه : ذكركم أننا كنا

أذهب الرجس عنكم الإسلام
 فاستجبتم ، ماعا بكم إحجام
 فاعرفوا دينه كيف يقام
 سى وسوء الصنيع فيه حرام
 وهو حق مؤكد وذمام
 قضى الأمر واستراح الحسام
 أن تضلّ العقول والأحلام
 فى حى الله منزلا لا يرام
 هذه يثرب وهذا الامام
 عرف الناس أو رأى الأقوام
 بعض هذا ولا للملوك العظام
 م ، ومن مثله يطيب الكلام
 بالنصر حين يحى الضرام
 جميعا تضمنا الأرحام

رفاعة بن زيد الخزازي

وقد عني الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأهدى إليه غلاما كان معه .
وأسلم وحسن إسلامه ، فأرسل معه كتابا إلى قومه بأنه موكل بدعوتهم
إلى الإسلام إن يحب الدعوة مهلة شهرين فأسلموا .

أقبل رفاعة لا مُعَرَّجَ لأمريء يبغي الذي تبغى ولا متلوم
جئت الرسول المجتبي من ربه وقدمت تتبعه فنعيم للقادم
أكرمت نفسك فانطلقت تريده ديناً هو الشرف الأجل الأعظم
يبني الحياة على أساس ثابت من قوة الله التي لا تهدم
إن شئت أن ترقى بنفسك صاعداً فعليك بالإيمان فهو السلم
وهو الجناح فإن ظفرت به فطر وطو الجواء فأنت أنت القسم
لا تنهض الهمم الكبار بغيره سيباً ولا تسمو النفوس الخوتم
سعد الغلام كما سعدت وربما خدم السعيد فكان ممن يخدم
عزّت بسيدة العوالم أرضها وسمائها وهو الأعزُّ الأكرم
أمضى إليك بأمر قومك ، فاضطلع واعزم رفاعة إن مثلك بعزم
وخذ الكتاب مباركاً ما مثله كتبت يد فيما يخط ويرقم
اقرأه متشداً عليهم ، وأنهم أن يتبعوك إلى التي هي أقوم
ولن عصاك مدى ، فإن بلغوا المدى فالله يقضى ما يشاء ويحكم
أو ما كفى شهر يحجر وراءه شهراً لمن يبغي المحجة منهم ؟

لله قومك يا ابن زيد أنهم سمعوا الكتاب فشايعوك وأسلموا
نور على نور وسعى زودها من فضله الأوفى الكريم النعم
علمت خزاعة بعد جهل فاهتدت وإلى الخفاق يهتدى من يعلم
إن تذكروا فضل لرجل وأيَّه أرى فأنت السابق المتقدم

وهمدان

وقد منهم على النبي صلى الله عليه وسلم جمع فيهم ماله بن نخذ ،
وكان شاعرا مجيدا ، فتقوه عند مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من
الحبابة . ثياب قصار من برود اليمن . وعمائم عدنية ، على الرواحل
المهيرة والأرحية ، وجعل مالك يرتجز بين يديه .

إليك جاوزنا سواد الريف في هبوات الصيف والخريف

مخطات بحبال السيف

وقد أمره الرسول الكريم على من أسلم من قومه ، وفي رواية
مرجعة أنه أرسل إليهم خالد بن الوليد يدعوهم إلى الإسلام ، فأقام ستة
أشهر وهم لا يجيبون فبعث إليهم عليا كرم الله وجهه ، وأمر خالدا بالرجوع
إليه ، فصف على أصحابه وقرأ عليهم كتاب النبي فأسلموا جميعا ، وكتب
بذلك إليه فخر ساجدا ثم رفع رأسه وقال : السلام على همدان مرتين : -

هو وقدم ، وهم الفريق الطيب ما فاتهم من كل خير مطلب
طابت منابتهم ، فطاب صنيعهم إن الرجال إلى المنابت تنسب
إلا يطيعوا خالداً إذ جاءهم فلكل أمر موعد يتقرب
سدوا السبيل عليه ستة أشهر وأتى على بالكتاب فرحبوا
همدان أهل للجميل وعندهم غوث الصريح ، ونجدة ماتكذب (١)
نصر الحماة الصادقين وصبرهم والحرب حرى والفوارس هيب
شهد النبي لهم فتلك صفاتهم تملى محاسنها على وأكتب
يرضون ملته فيسجد شاكرًا لله جل جلاله يتقرب
ويذيقهم برد السلام مُردداً عذبا كماء المزن أو هو أعذب
أوتاد هذى الأرض أو أبدالها منهم ، فشرقها لهم والمغرب

(١) جاء في السيرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : نعم الحى همدان ، ما أسرعها إلى
النصرة وأصبرها على الجهد . وفيهم أبدال وفيهم أوتاد .

يمضي الزمان وهم ولاية أمورها
تلك الولاية ، لا ولاية معشر
جاءوا عليهم رونق ونضارة
صنع البرود لهم فأحسن صنعها
تهفو يمانية على أجسادهم
من كل وضاح الجبين معتم
زانوا الرجال بما أفاءت مَهْرَة
جاءوا بشاعرهم فمن أنفاسه
حيًا رسول الله يظهر حبه
حيا الشائل كالمائل ، فالربى
حياه مرتجراً ، وإن لمالك
قل يا خا همدان واشهد أنه
هو ذاك ما من رسول غيره
ما فيه من شك ، وليس كمثل
أنت الأمير على الألى اتبعوا الهدى
خذهم بآداب الكتاب وكن لهم
واعمل لربك جاهداً ، لا تاله

في دولة أبدية ما تذهب
يبقون ما غفل الزمان القلب
يصف النعيم لبأسهم والمركب
وأجادها صنعُ اليبدين مُدْرَب^(١)
فتكاد حسناً بالنواظر تهب
وكانه مما يهاب معصب
من نسلها الغالى وأنجب أرحب^(٢)
أرج كنفح الطيب أو هو أطيب^(٣)
إن الكريم إلى الكريم محبب
تبدى البشاشة ، والحنائل تطرب
لأعز ما ملك البيان المعجب
للتحق مالك دونه متكب
فيميل عنه أخو الزشاد ويرغب
للعائين معلّم ومهذب
والحق من همدان أو أنت الأب
مثلا من الشيم الرضية يضرب
دأباً ، فليس يفوز من لا يداب

وفيه تجيب

تجيب ويجوز فتح تأنها قبيلة من كندة ، جاء وقدما إلى النبي صلى
الله عليه وسلم وكانوا ثلاثة عشر رجلاً يسوقون صدقات أموالهم . فسر
بهم وأكرم مثواهم وقالوا لانا جئنا بحق الله في أموالنا ، فقال : ردوها
فأقسموها على فقرائكم ، قالوا : ما جئنا إلا بما فضل عنهم ، فقال أبو بكر :
ما قدم علينا مثلهم . قال الرسول الكريم : إن الهدى بيد الله عز وجل
فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان ، وسألوه عن القرآن والسنن فزاد
سروراً بهم ، واستأذنوه في الرجوع ، ودعوه ، فأرسل إليهم بلالا
بأسنى الجواهر ، وقال : هل بقي منكم أحد ؟ قالوا : غلام خفناه على
رحالنا ، قال : أرسلوه : فأقبل يقول : قد قضيت للناس حوائجهم ،
فأقض لي حاجتي ، وهي أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمي ، ويجعل
غناى في قلبى ، ففعل وأمرله بجائزة .

تجيب بعثت الوفد ، أما سبيله
أتى في ذمام الله يؤتیه حقه
فأكرم مثواهم ، وأعلى مكانهم
وقال لهم : ما بى إلى المال حاجة
خذه فردوه على فقرائكم
فقالوا : كفيئناهم ، فما منهم امرؤ
وقال أبو بكر : هم القوم مارأت
وسر رسول الله حسن صنيعهم
فلما استزادوه من الحق زادهم
رأوا مورداً عذبا فالتقوا بأنفس
فما مثلهم فيمن هدى الله وارداً

فسمح ، وأما منتواه فصالح
من المال يهديه سنًا منه واضح
رسول لمن يبنى المحجة ناصح
وحسبى من الخيرات ، ما الله مانح
فينعم مكروب ، وينهض رازح
له حاجة تطوى عليها الجوامح
كقدمهم منا العيون اللوامح
فما مثله إذ يمدح القوم مادح
ولن تسأم الحق العقول الرواجح
ظاء بها من وقدة اللوح لافح^(١)
ولا مثله فيمن شفى الداء ناصح

(١) يقال رجل صنع الدين وصناع الدين إذا كان حاذقاً في الصنعة .
(٢) الرواحل المهرية تنسب إلى قبيلة أو بلدة يمنية يقال لها مهرة وهي نجائب تسمى الخيل
وأرحب قبيلة أو مكان تنسب إليه النجائب الأرحيات .

(٣) هو مالك بن النبط ومن شعره .

حلفت برب الراقصات إلى منى
بأن رسول الله فينا مصدق
فما حلت من نانة فوق رحلها

صوادى بالركبان من هضب قرد
رسول أتى من عند ذى العرش مهتد
أشد على أعدائه من محمد

هم استذنوه في الإياب وودّعوا
 بلال انطلق خلف الرجال فأعطهم
 وسلمهم : أفبهم من تأخر رفته ؟
 فقالوا : غلام في الرحال مخلّف
 وجاء يقول القول برّاً وحكمة
 قضيت رسول الله حاجة قومنا
 سل الله أن يرضى ، فيففر حوبتي
 بهذين فادع الله لي ، ثم بالفي
 دعا بالذي ودّ الفتى وأجازه
 صفا قابله من كل شيء يشوبه
 وإن له بعد النبيّ لمشهداً
 سيكفي أبا بكر تقلّب قومه
 هم النفر الأخيار ما في رحالم
 أقاموا كراماً ثم عادوا أعزة
 فما فاتهم خير ولا نال سعيهم
 ألا إنه الإسلام لا مجد مثله
 أغنى به فليطرب الدهر ولتدع
 وإني لأقضى للعروبة حقها
 وماذا على الأعداء إن قام ماجد
 نصبت لها نفساً فالان جانبي

لك الحمد ربّ إنها لك نعمة
 خيار هل للشعر بعدى خليفة
 أرى الجدّ أودى إذ أبي الجدّ أهله
 ألحقوا على الأخلاق فانقص ركنها
 وإني لما يرضيك متى لكادح
 يقوم به إن غيّبتني الصفايح ؟
 فلم يبق إلا ما تعود مزاح
 وحات بأبناء البلاد الجوانح

يهون به عاد من الخطب فادح^(١)
 إذا جهل الأقوام والجهل فاضح
 شقّ ولا ناء عن الرشد جامع
 لهم شرف عال ، مقيم وبارح
 من الناس غاد في البلاد ورائح
 وإن صاح بالبهتان والإفك صائح
 تطاربيها هذى الطيور الصوايح
 وإن لجّ مفتون ، وأرجف كاشح
 يناضل عن أحسابها وينافح ؟
 وجلّت فما ضاقت على النادح

(١) لما ارتد من ارتد بعد وفاة النبي قام في قومه يذكّرهم الله والإسلام فلم يرتد منهم أحد .

قضاها لنا ربُّ السماء شريعة
لنا ديننا نسمو به ، وكتابنا
رعى الله قوما مارَعُوا غير حقه
يُحِبُّونَهُ حُبًّا تَلِينُ قُلُوبَهُمْ
فَمَنْ يَكُ عَنْ حَالِ الْحَبِيبِينَ سَائِلًا
تَعْلَمُ سَجَايَا الْقَوْمِ وَاسْلُكُ سَبِيلِهِمْ
مُطَهَّرَةً ، لَا الظُّلْمَ مِنْهَا وَلَا الْغُصْبَ
إِلَى حَيْثُ لَا الْأَدْيَانَ تَسْمُو وَلَا الْكُتُبَ
وَلَا رَاعَهُمْ فِيهِ مَلَامٌ وَلَا عَتَبَ
بِهِ وَهُوَ فِيهَا مِثْلُ إِيمَانِهَا صَبَّ
فَتِلْكَ سَجَايَاهُمْ ، وَهَذَا هُوَ اخْتِبَ
أُولَئِكَ حَزْبُ اللَّهِ ، مَا مِثْلُهُ حَزْبُ

بِفَيْتَةِ الْوَفُودِ

تَوَالَتْ وَفُودُ اللَّهِ تَخْتَارُ دِينَهُ
دَعَاها فَلَبِتْ تَبْتَغِي الْحَقَّ مَذْهَبًا
هَدَاها إِلَى الْإِسْلَامِ رَأَى مَسَدًا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْجُرْ عَنِ الْغَيِّ نَفْسَهُ
وَشَرُّ سَجَايَا النَّفْسِ أَنْ تُؤْثِرَ الْعَمَى
تَرَامَتْ بِهِمْ آمَالُهُمْ وَمُطَيِّبُهُمْ
جَبِيلُ الْأَيَادِي ، مَا يَعْصِي نَزِيلَهُ
إِذَا جَاءَهُ الْمَكْرُوهُ وَالْمُجْتَنَبُ
وَإِنْ رَاحَ يَسْتَسْقِي بِهِ الْغَيْثَ مُسْتَنْتَ
لَكُمْ جَاوِدٌ لَنَا رَأَى نُورَ وَجْهِهِ
بِهِ عَرَفَ الْقَوْمَ السَّبِيلَ إِلَى الْهُدَى
وَفِي ظِلِّهِ الْمُدُودُ حَطُّوا ذُنُوبَهُمْ
طَهَّارِي عَلَيْهِمْ مِنْ سَنَا الْحَقِّ بِهِجَةٌ
بَنَى الدَّهْرَ نَامُوا آخِرَ الدَّهْرِ أَوْ هَبُّوا
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُؤَيِّدَ دِينَهُ
إِذَا أَخَذَ السَّبِيلَ الْأَيْسَرَ سَبِيلَهُ
وَمَا الدِّينَ إِلَّا مَحَا الشَّرِّ وَالْأَذَى
وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ : هَذَا مَذَاقُهُ

(١) أَسْنَتُ الْقَوْمِ أَصْلَابُهُمُ الْجَدُّ ، وَهَكَذَا كَانَ بِنُوفَرَاتٍ عِنْدَ مَجِيئِهِمْ وَفَدَعَهُمْ لَهَا
النَّبِيُّ فَأَمْطَرُوا .

كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية كتب إلى تسعة من الملوك يدعوهم إلى الإسلام . فمنهم من أسلم ومنهم من أخذته العزة بالإثم ، وهم هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبي وكسرى ملك فارس على يد عبد الله بن حذافة والنجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري . والمتوqس ملك القبط بمصر على يد حاطب ابن أبي بلتعة والنذر بن مساور العبدى بالبحرين على يد العلاء بن الحضرمي وجعفر وعبد ابن الجندى ملكا عمان على يد عمرو بن العاص وهوذة بن علي صاحب اليمامة على يد سليط بن عمرو العامري والخبارث بن أبي ثمر الفاساني بدمشق على يد شجاع بن وهب .

الكتب تترى، والكتائب تدلف
الله وكل بالملوك رسوله
أهى القلوب تلج في خفقاتها
رسل النبي بكل أرض جؤل
حملوا القلوب الصم يعصمهم بها
ترى الجلامد والحديد بقوة
يخشى العتي المستبد نكالها
سِر في ذمام الله دحية إنها
أيقظ هرقل فقد تطاول نومه
أيقظه إن الله ليس كدنيه

والباس بينهما يشور ويعصف
فإذا العروش بهم تميم وترجف
أم تلك أجنحة تظل ترفرف؟
ترى بهم هم نواهض قدف
دين لهم صلب ورأى محصف^(١)
تمضى فتصدع ما تشاء وتقصف
ويهابها التكبر المتغطف^(٢)
لك حاجة مادونها متخلف
وأبت عمايته فما تتكشف
دين ، وليس له شريك يعرف

(١) المحصف المحكم .

(٢) المتغطف المتكبر .

أخذ الكتاب وراح يسأل كلما
ماذا أراد الله ، ما شئت الذي
قل يا أباسفيان لا تطع الهوى
أبدي هرقل لقومه أن قد صفا
غضبوا فقال : رويدكم ما بي سوى
بعث الكتاب فقال : إني مسلم
واختارها مما يحب هدية
قال النبي : رسالة من كاشح
وهدية ساءت وساء حديثها

وضح اليقين له يلمح ويلحف^(١)
بعث الكتاب ، بأى شيء يوصف
ودع اللام لمن يحور ويحنف^(٢)
منه إلى الإسلام قلب منصف^(٣)
أن أستبين ، وأين منا المصرف ؟
لكنهم قوى الألى أتخوف
ألقي بها من مصكره يتزلف^(٤)
يبدي الرضى ، ومنافق يتكلف^(٥)
فالزور من أسمائها والزخرف

* * *

كسرى لك الويلات، ماذا تبتغي؟
ماذا تظن؟ بمن تُثأث وتصف؟
مزقت من كتب النبي تيممة
فيها منابع رحمة لا تنزف^(٦)

(١) كان هرقل يومئذ يبيت المقدس وعنده أبو سفيان . . قبل إسلامه . وبعض أصحابه . فسألهم عن أقربهم نسباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو سفيان أنا أقربهم إليه فإنه ابن عمي قال له : إنه منى ، وصف أصحابه وراءه يُبروده عم ، يخالف الحق من مقالته ، وأقام ترجاناً يسأله عن نسب النبي وأخلاقه وأعماله وعن الذين يقبونه فقال الحق ونطق بالصواب .

(٢) يحور ويحنف بمعنى يميل عن الطريق .

(٣) روى أن هرقل لما عاد إلى حمص . وكانت دار ملكه أمر منادياً ينادى ألا إن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه ، خف الجنود في سلاحهم وطافوا بقصره يريدون قتله ، فأرسل إليهم أتى أردت اختبار صلابتكم في دينكم ، وقد رضيت فرضوا عنه . وثبت رواية أخرى تتفق وهذه الرواية في مضاها وإن خالفها في بعض ألفاظها .

(٤) قل النبي هديته وقسمها بين المسلمين .

(٥) كتب إلى النبي يقول : إني مسلم والى من مغلوب على أمرى ، فقال : كذب عدو

الله ليس بمسلم وقد حارب المسلمين في غزوة مؤتة .

(٦) مزق كسرى كتاب النبي وكتب إلى ياذان أحد أمرائه باليمن أن سرقا ستب الرجل الذي يزعم أنه نبي ويكتب إلى ، فإن أبى فابث برأسه . فبعث ياذان كتاب كسرى إلى النبي مع =

وذخيرة يجسد الذخائر كلها
أطلبت من باذان رأس محمد ؟
سترى اليقين على يد ابنك فاتبه
صدق النبي وذوق كسرى حتفه
ورأى الهدى باذان بعد ضلالة
نبذ الهوى فصحا ، وأصبح مسدا
لا خاب جدُّ القوم إن ألهمهم
وأنى النجاشي الكتاب لم يكن
شرف أتيح له وعزَّ زانه
وأبى المقوقس أن يفارق دينه
بعث الهدايا يتقى بحسانها
ضن الخبيث بملكه وغدا يرى
هذا الذي قال النبي وهكذا
والمندر اتخذ السبيل مسدداً

بيديه حين يصيها التلقف
إن لم ينب ؟ بل أنت غاومسرف
لث موعده عما قليل يأزف
من شبرويه فماله من يعطف
فضى على البيضاء لا يتعسف
ودعا الألى معه فلم يتخلفوا
جمع القلوب على الهدى فتألقوا
من يصد عن الصواب ويصدف^(١)
إن التقى هو الأعزَّ الأشرف
يخشى الذى يخشى الغبي المترف^(٢)
ما يتقى ذو البفضة المتلطف
يد عزه فى ملكه تتصرف
صنع الذى يبنى العروش وينسف
قبل الكتاب يحفُّ فيه ويوجف^(٣)

== قهره نه ومعه رجل آخر طالبا أن يذهب معها إلى كسرى فأخبرها بأن ابنه شبرويه سيقتله
ورجعا بالخبر إلى باذان فلما قتل أسلم هو ومن معه [هنا ما يفيد أن هذا التعليق من عمل
" نعيم " .

(١) بعث النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه إلى النجاشي يدعو به إلى الإسلام ، وقد سأله
في كتاب آخر أن يزوجه من أم حبيبة رضى الله عنها ففعل .

(٢) أرسل النبي كتابه إلى المقوقس عند منصرفه من الحبشية فلما قرأه قال لحاطب بن
أبي بلتعنة : إن كان نبيا فإنه لابدعو على من خالفه فيهلكوا ؟ قال له حاطب : وما بال عيسى
لم يدع على الذين أخذوهم ليقنطروه ؟ قال : أحسنت ، حكيم جاء من عند حكيم ، ثم بعث إليه
هدايا ومنها مارية أم ولده إبراهيم وكتابه الذى قال النبي حين قرأه ، ضن الخبيث بملكه ولا
ملك له ، والمندر الذى أطفته النعمة وقصدته .

(٣) أسلم المندر قبل عي كتاب الرسول الكريم إليه ، وكتب يخبره بذلك ويقول :
إن عنده قوما من المحوس و ليهود ، فإذا يفعل فجاءه كتابه : أن اترك للمسلمين ما أسلموا =

سأل النبي فقال ما أنا فاعل
فقضى إليه الأمر يأخذهم به
للمسلمين أمورهم ، وله على
وطحا يجيفر جهله وعناده
ورآه يهدر بالوعيد ، فرأه
وانساق يتبعه أخوه وإنه
وأنى اليمامة بالكتاب رسولها
طفيلان شاعرها وجهل خطيبها
طلب المحال من النبي ولم يزل
يهذى ببعض الأمر يقطعه له
والحارث المأفون طاح بلبه
ألقى الكتاب وقال : ملكى ليس لى
انظر شجاع الخيل والجند الألى

بالقوم إذ ضلوا السبيل وزيفوا ؟
وبقيمه بأحق لا يتحرف
من ضلّ جزية عادل لا يححف
فأبى على عمرو وأعرض يأنف^(١)
وأنى غد فانقاد لا يتوقف
كهمذب سمح الخلال مثقف
فكذلك يهذى الطامح المتعجرف^(٢)
وغرور صاحبها المييد المتلف^(٣)
ذو الجهل يولع بالمحال ويشنف
والأمر ما قطع الحسام المرف
خبل يصاب به العقول فتضعف
كفو فيترزع من يدى ويخطف^(٤)
تلقى العدو بهم تسكر وتزحف

== عليه ومن أقام على مجوسيته أو يهوديته فعليه الجزية ، وأخب الرجل فرسه وأوقفه حمله
العدو والسرعة .

(١) لقي عمر وعبد الله بن جعفر وكان أسهل الرجلين فجرى بينهما حديث لأن له قلب عبد
ولكنه قال الأمر لأخى جعفر فهو أكبر منى سنا ، فوصل إليه وقرأ الكتاب فأغظ في القول
فهدده عمرو فاستسلم له إلى القيد فلما كان القيد أسلم هو وأخوه .

(٢) للمعجرف المتكبر والذى يركب الناس بما يكرهون من الأمور .
(٣) لا قرأ الكتاب قال : لاني خطيب قوى وشاعرهم والعرب تهاني ، فليجعل لى
بعض الأمر فلما عاد سليط وأخبر النبي ، قال : لو سألتى سيابة . . قطعة من الأرض . . ما فعلت
بار وبار ماى يديه ، مات بعد ذلك بمدة قصيرة .

(٤) لا قرأ الكتاب رى به وقال : من يترزع عى ملكى ؟ رنى سائر إليه ولو كان
بالين لجئة ثم أمر بالناس وبالحيل ، فلم تزل تعرض عليه حتى الليل ثم قال لشجاع : أخبر صاحبك
بما ترى ، وكتب بذلك إلى قيصر وكان عنده دحية الكلبي كتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقام قيصر عن السير .

واذكر لصاحبك الحديث فربما
ثم استعدَّ وجاء قيصر وافد
حقاء يطغى الغيظ بين سطورها
ركب الغرور وقال : إني قاذف
قال ازدجر ، ما أنت من أكفائها
فأفاق واتخذ الخداع سجية
بعث السلام مع ابن وهب وادعى
قال : ادَّخني يا شجاع فإن لي
إني متبع سبيل عمود
سمع النبي حديثه فتكشفت
ملك يبید ومالك يرجي إلى
يأبى الغوى الرشد يرفع شأنه
للحق مثذنة وداع مسمع
عجب الملوك لكافرين سمت بهم
المتقون هم الملوك وإن أبو
عكفوا على آى الكتاب فقلحوا

كف الناجز ، وارعوى المستهدف
بصحيفة منه تصرُّ وتصرف^(١)
وتشب بالثنان منها الأحرف
بالجيش يثرب فهي قاع صفصف
واسكن فإنك للغوى المرجف
لا يستحي منها ولا يتعفف
دعوى الذى يرخى القناع ويفدف^(٢)
قلبا إلى دين الهدى يتشوف
وإليك ردفك بالكرامة يردف
نفس مقنعة ، وقلب أغلف
أجل يحين وموعد ما يخلف^(٣)
فإذا هوى ألقىته يتأسف
في كل شيء بالخلائق يهتف
هم تميل عن العروش وتعزف
رغد الحياة ولينها فتقشفوا
والجاهلون على المآثم عكف

السَّرايا

(١) تصر وتصرف تصوت كتابة عن الحدة والغيظ .

(٢) أمر الحارث لشجاع بمائة مثقال ذهب وقال له : سام على النبي ، وقل له : إني متبع حديثه ، فلما سمع النبي قوله قال : بر ملكه ، وأغدقت المرأة قناعها على وجهها أرسلته كناية عن المداجاة والمغالطة .

(٣) يرجي يرجو وحدث الحمزة لغة .

سرايا زيد بن حارثة

السيرة الأولى

كانت عقب وقعة بدر على غير لقريش فيها أبو سفيان ، وصفوان بن أمية وعبد الله بن أبي ربيعة وحويطب بن عبد العزى ، وكانت العير ذاهبة إلى الشام عن طريق غير التي تسلكها من قبل فخرج إليها زيد بن حارثة في مائة راكب فأصابها وهرب القوم وبلغ الخمس ما قيمته عشرون ألف درهم ، وكان ذليهم رجلا من أسارى بدر ثم هرب ، جرى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فأسلم : -

تمهض الغزاة فأين تمضى العير ؟	أعلى الشام إلى الشام تسير ؟
زيد بن حارثة يطير وراءها	ما ظنها بالنسر حين يطير ؟
مهلا أبا سفيان إن طلابكم	عسر وإن مصابكم لكبير
صفوان يرعد خيفة وحويطب	مما عراه مروءع مذعور
زولوا بأنفسكم فتلك حتوفها	غضبي إليها بالسيوف تشير
هي غارة البطل المظفر مالكم	منه إذا خاض الغمار مجير
ظنوا الظنون به فلما استيقنوا	زالوا عن الأموال ، وهي كثير
أمت تساق إلى النبي غنيمة	لله فيها فضله المشكور
هذا دليل العير غودر وحده	خلف الألى خذلوه ، فهو أسير
الله أطلقه على يد منقذ	هو للأسارى المرهقين بشير
عقدت من الإسلام فوق جبينه	تاجاً عليه من الجلالة نور
من علم القوم العكوف على الهوى	أن الحياة جهالة وغرور
تلك المقام ، ما لها كمحمد	في الناس من أحد إليه تصير
هي قوة المسلمين ومظهر	للقائمين على الجهاد خطير
بوركت يا زيد بن حارثة فما	لك في النوالى الصالحين نظير
لبيه أمير الجند ليس كمثل	جند ولا مثل الأمير أمير

السرية الثانية

كانت إلى بنى سليم بالجموم اسم للاحية من بطن نخل سار في جنده إلى ذلك النخل ، فأصابوا فيه امرأة من مزينة دلتهم على محلة من محال القوم ، فأصابوا فيها لبلا وشاء وأسرروا منها جماعة منهم زوج المرأة ، ثم عادوا إلى المدينة . فوهب النبي صلى الله عليه وسلم لها نفسها وزوجها : -

بنى سليم أعدوا الخيل واحترسوا
زيد بن حارثة ، زيد بن حارثة
هل عندكم إن تعشتكم سريته
مشى إليكم ، فهل قوت منازلكم ؟
لولا التي انطلقت تهديه ما عرفت
فما الجموم وما ضمت منازله
أين الأناسي جل الله ، هل مسخوا
ما ثم إلا الألى أدركتهم قنصاً
عد بالأسارى وبالغنم التي قسمت
يازيد ما حق من ذلك إذ صدقت^(١)
من النبي عليها ثم أكرمها
نالت بنعمته من بعلها هبة

بنى سليم ، أتى دين الفسوق لكم
ما أخيب النفس في الدنيا وأخسرها
يا للبلاء ، أبعصى الله ليس له

إلا ذنوب تنفثكم وآثام ؟
إن أخطأ النفس إيمان وإسلام
كفو وتعبد أوثان وأصنام ؟

السرية الثالثة

كانت إلى العيص وهو محل بينه وبين المدينة أربع ليال ، أقبلت عبر لقرش من الشام فيها أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليها زيد في سبعين ومائة راكب ، فقدموا به وبالعير إلى المدينة ، واستجار زينب فأجارته ، وسألت النبي أن يرد عليه ماله ، ففعل ، وعرض عليه بعضهم الإسلام لبغيم أموال أهل مكة فأبى ، وذهب إليهم ، فأعطى كل ذي حق حقه ، ثم أعلن إسلامه هناك ، وقدم على النبي فرد عليه زينب .

يا أبا العاص ، أي أرض تريد ؟
سددت السبل يا أبا العاص فانظر
أرأيت الحديد يزجيه زيد
إيه يا ابن الربيع تلك جنود
ليس للعير غيرها فدع العير
بعدت مكة . فلا تردنها
جاء صهر النبي في ناب مولا
رام من زينب الجوار فقالت
ومثت تخبر الرسول وترجو
قال : إني أجرته فله ما
أكرمه فما عليك جناح
إنه مشرك ، فأنت حرام

قال قوم : أسلم يا أبا العاص تغنم
قال : كلا ، فلست أبداً ديني

مال قوم هم العدو للددود
بالتى يأنف الشريف الرشيد

وتولّى نجاء مكة ما يُجحد فيها مقامه المشهود
قال : يا قوم ليس بي من جحود إنه مالكم إليكم يعود
نخذوه ، فقد وفيت ، ورب البيت سبحانه على شهيد
أشهد الآن موقنا مطمئناً أنه الله ربنا المعبود
بعث الصادق الأمين رسولا يهدم الشرك دينه فيبد
بكتاب فيه الشرائع تهدي الناس أعلامها ، وفيها الحدود
ما حياة الشعوب في الشرك فوضى؟ الحياة الإيمان والتوحيد

يا أبا العاص عدت برّاً تقيّاً فهنيئاً لك المعاد السعيد
اعتزل ما مضى لنفسك في دنيا خطايا ، فأنت خلق جديد
أنت صهر النبي لا الود ممنوع ، ولا الباب موحد مسدود
زال ما كان من حجاب فلا الإسلام ، ينهى ، ولا الكتاب ينزود
ليس من حاجة لم تُفتح لك بعد ولا تمّ مطلب منشود
سأعفتك المني ، وطاب لك العيش ، ألا هكذا تواتى الجدود

السرية الرابعة

كانت إلى بني ثعلبة بالطرف . . مكان . . بعثه النبي صلى الله عليه
وسلم في خمسة عشر رجلاً فلم يجد أحداً ، لأنهم ظنوا أن الغازي لهم هو
الرسول الكريم ، فهربوا ، وأصابته هذه السرية فلما وشاء عادت بها
إلى المدينة ، وقد خرج القوم في طلب زيد بن حارثة فلم يتركوه .

بني ثعلبة هبوا فإن الليث قد عزمنا
رماكم يا ابن حارثة رسول الله حين رمى
زعمتم أنه هو زعم من يهذى وما علما
فطارت قبل مقدمه نفوس أشعرت لما
ونعم أخو الوغى زيد إذا ما جدّاً فافتحنا
يخوض النقع مرتكماً ويحمي السيف والعلما
تولى جمعهم فرقاً ولو لافاه ما سلما
لبئس الجمع ما صدقت قواه وبئس ما زعما
تلقاه ابن حارثة فلا صدداً ولا أمما
تسرب في مخالبه فكان وجوده عدما
هلم هلم يا زيد هلم الشاء والنما
رويد القوم هل طلبوا سوى ما يعجز الهما ؟
مضوا في إثره ، ومضى يجرّ حسامه قدماً
فما بلغوه إذ جهدوا ولا رزأوه ما غنما
رويداً عابدى الأصنام ، إن الله قد حكما
رضيتم ظلم أنفسكم فأرداكم وما ظلمنا

عبيد الشرك أوثقهم ققرُوا
ألا إن الهنيد أدبل منه
وهل نظر ابنه لما تردى
توالى القوم في الهيجاء صرعى
فأهلا بالشوى تساق نهبا
ويا ويح الحلائل والذراى
تعالى البرح من ألم الفراق
وإلى القوم في الهيجاء صرعى

* * *

أتى النفر الأماجد من ضييب
قال إمامهم إنا جميعا
هو الإسلام يجمعنا فلسنا
ألا اكشف ما بنا يا زيد عنا
وجاء الكتاب بيئات
وسار إلى رسول الله منهم
فقال : إلى السرية يا ابن عمي
وذا سيفي نغذه دليل صدق
مضى أمر النبي فيالخطب
أينصر كل لص من جذام
تعالى الله لا يرقى إليه
وقد شدَّ البلاء عرى الخناق
من الدين القويم على وفاق
بحمد الله من أهل الشقاق
فليس بمستطاع أو مطاق
فما يرى بكفر أو نفاق
بفاة الخير والكرم الدفاق^(١)
فإن تلحق ، فنعم أخو اللحاق
فيالك من دليل ذى اتلاق
تكشف ليله بعد أطراق^(٢)
ويظهر رافع السبع الطباق ؟
من العالين فوق الأرض راق

(١) الذعاق . الكربة الذى لا يطاق .

(٢) يقال سيل دفان إذا ملأ الوادى .

(٣) اطرق الليل ركب بعضه بعضا .

السيرة الخامسة

كانت إلى جذام يحل يقال له «حسي» وراء وادى القرى ، سبها
أن دحية الكلبي رضى الله عنه أقبل من عند قبحر ملك الروم . ومعه
من عنده مال وكساء ، فلما كان بهذا الحبل لقيه الهنيد وابنه في ناس من
من جذام فقتلوا عليه الطريق وسلبوه ماله ، فسمع بذلك قمر من
مسلمهم من بني الضبيب فنفروا إليهم واستنقذوا منهم ما أخذوه من دحية
فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعث زيدا في خمائة رجل ، ورد دحية معهم
فأقبل حتى مجى إلى الهنيد وابنه ورجاله فقتلهم جميعا ، وأخذوا من النعم
ألف بعير ، ومن الثناء خمسة آلاف ، ومائة امرأة وصبي ، وجاء بنو
الضبيب . فقال رجل منهم لزيد : إنا مسلمون ، فقال له : اقرأ أم الكتاب
إن كنت صادقا فقرأها ، وذهب منهم جماعة إلى النبي يقولون مثل ذلك ،
فأرسل عليا بن أبي طالب بسيفه إلى زيد ليطلق سبائهم ، ويرد عليهم
الإبل والثاء ففعل .

أما ومضارب البيض الرقاق تضىء النقع للجرد المتق
لقد غرَّ الهنيدُ بنى جذام فما للقوم مما جرَّ واق
دعا سفهاءهم فمشوا إليه وما التفت لهم ساق بساق
لصوص ما يبألون الدنيا إذا عقدوا العزم لا انطلاق
أحاط بدحية منهم أناس تعذُّم الذئاب من الرقاق
مضوا بحباء قيصر وهو جثم فما منه لدى الكلبي باق
أتى مسرخا فأصاب مولى يفيث صريحه مما يلاق
وما لحمد كفو إذا ما سقى الأبطال كأس الموت ساق
دعا زيدا فقبل في جنود تبث إلى الملاحم في اشتياق
إلى حسي فما للهداء حسم إذا لم ترَّقه بدم مراق
إليه يا ابن حارثة إليه قتم البغي متمدَّ الرواق
لدحية حقه والسيف ماض وما لبى جذام من إباق

أبى البرّ الرحيم فقال : رفقا
فأمسك كلّ دمع مستهلّ
تتابع المواهب والعطايا
فغنم بعمد غنم ، وانتصار
أصاب الدهر بغيته ، وأمست
وتلك إهابة اضمم الكبار
وسكن كل قلب مستطار
على قدر من الرحمن جار
ينير المشرقين على انتصار
تجلّت حكمة الفلك المـدار

التّيرّة السّادسة

كانت لى مدين قرية سيدنا شبيب صلاة الله وسلامه عليه . ومى
تجاه تبوك وقد أصابت هذه القرية سبيا عادت به إلى المدينة ، وفرق
المسلمون في بيته بين الأمهات والأولاد وسمعهم الذي يكون فأمر ألا يفرقوا
بينهم : -

يمينا ما لمدين من قرار فبعدا للقطين وللديار
شبيب كيف أنت ، وأين قوم عصوك ؟ وما الذي فعل الفرارى ؟
هم اتخذوا الهوى ربّا وساروا من العهد القديم على غرار
أنى الإسلام ، فاجتنبوه حرصا على دين المهانة والصفار
وصدّوا عن سبيل الله بغيا وكان البنى مجلبة الدمار
سما زيد إليهم بالنسايا تريك مصارع الأسد الضواري
تأمل يا شبيب أما تراه شديد البأس ، ملتهب المغار ؟
توق القوم صولته فضدوا بأنفسهم ، وجادوا بالقرار
لبئس الجود تلبسه سوادا وجوه القوم من خزي وعار
تلفتت النساء ولا رجال سوى الشرج الزواهر كالدرارى
وضجّت تستغيث ، ولا غياث سوى العبرات والمهج الحرار

■ * *

تولى الجنـد بالسبي الخلى وبالنصر المحبـل والفخار
فيا لبضاعه للكفر تُرجى وبالشوق يجمع كل شار
وبالك من بكاء كان حقّا لدين الله داعية افتـرار
أتمسى الأم تغزل عن بنينا لمولى غير مولاهم وجار ؟

السرية السابعة

كانت في رمضان من السنة السادسة . وسببها أن زيد بن حارثة رضى الله عنه خرج في تجارة إلى الشام ، ومعه بضائع لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه هو وأصحابه . وأخذوا ما كان معهم ، ثم قدم على النبي فبشه لإيهم في جيش داهمهم . وأعمل فيهم القتل .

أمنك فزارة انبعث الفزارة ؟ فما تغني السيوف ولا الحماة ؟
لعمرك ما ابن حارثة بحلٍ وإن زعم القراصنة الجفافة (١)
أثروا الشرَّ لاهو ينتفيه ولا أصحابه انفرُّ الهداة
أصابهم على ثقة وأمن فلا سيف يُسلُّ ولا قناة
وجاءوا يشتكون إلى أبي رسول الله ليس له كفاء
دعا زيدا هلم إلى قتال ثلَّ به من القوم الترات (٢)
قَدِ الأبطال للهيجاء واصبر فنعم الصبر فيها وانثبات
إليها يا ابن حارثة إليها ولا يحزنك ما صنع الطفاة
مشى البطل المقذوف لا اتداد تضيق به السيوف ولا أناة
يخفَّ بها إلى الأعداء بيضا عليها من مناقبها سمات
أقامت حائط الإسلام ضحاً تدين له الجبال الراسيات
وجاءت بالفتوح محجَّلات له في ظلها الضافي حياة
توقَّتْها فزارة وهي حتم فما عصمت مقاتلها التقاة (٣)

(١) القراصنة للصيادين والحماة الملاط القلوب والطباع .

(٢) أثرت جمع ترة وهي المدخل أو الظلم فيه .

(٣) تمة اسم من لاقته .

رأوها بعد ما جمعوا بليل لها فيهم ولقد ر انصلات (١)
هداها في الدجى منهم دليل تسدده الأواصر والصلات (٢)
لواه عن السبيل قضاء ربِّ له الحكيم الصوادع والعضات
يسوق الأمر ظاهره عناء وباطنه كما اقترح الغناة
كمثل الورد ، أوله أجاج وآخر مائه عذب فرات
ظيَّ طرقت جماجمهم بيئات وما خيف الطروق ولا انبيات (٣)
توثبت الختوف ، فلا فرار وثبرت السيوف ، فلا نجاة
تصيح شقاوة يسقاه قوم هم الشرب اللذم والسقاة
تردُّوا في مصارعهم فأمسوا كسرب الوحش صرَّعه اثرماتة
وحاق بأنم قرفة ما أرادت بأكرم من تُقدِّى الأمهت (٤)
أرادت قتله فخرى عليها قضاء القتل ، وانتصف القضاء
فيالك منظرا عجبا تناهت به الصور الروائع والصفات
أحيط بها وبابنتها جميعا فما نجت العجوز ولا الفتاة
لِتلك جزاؤها المردى وهذى لها الأسر المبرِّح والشتات
تساق ذليلة من بعد عزٍّ كما سيقَت خداة المنحر شاة

(١) انصلت الماضي في شأنه لا يلوى على شيء ومن السيوف الفاضل لقبيل .

(٢) كان دليل السرية رجل من بني فزارة ، وكانوا قد جعلوا لهم نظورا يقعد على جبل عال فيقول لهم حين يصبحون : امرحوا اسرحوا لأبأس عليكم ، فإذا أمسوا قال لهم : ناموا لأبأس عليكم وكان ينظر مسيرة يوم . فلما كانت السرية على مسيرة ليلة من القوم أخذوا دليلها الطريق وسارت في طريق آخر فإذا هي بمقرة منهم فخذتهم ناسيوف .

(٣) البيات أخذ العدو ليلا .

(٤) كانت أم قرفة هذه سيدة في قومها وهي بنت ربيعة بن بدر لغزاري صرب بها المثل في المنعة فقبل أن منع من أم قرفة ، كان يعلق في بيتها خمسون سيفاً تحمين رجالهم لها محرماً ، ومن أخارها أنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها وقالت لهم : اغزوا المدينة واغتلوا محمداً ، أخذت وربطت رجالها بحبلين شدا إلى بعيرين فشقاها وسبيت ابنتها .

سرايا خالد بن الوليد رضي الله عنه

وهي ثلاث ، أولاها لهدم الغزى ، والثانية إلى بني جذيمة ، والثالثة إلى أكيذر بدومة الجندل ، وقد ذكرت الأولى في الفتح الأعظم ، والأخيرة في غزوة تبوك بعث خالد بن حنظل وثلاثمائة رجل إلى بني جذيمة بناحية « يلم » ليدعوهم إلى الإسلام ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة ، وكانوا قد قتلوا الفاكه عم خالد في الجاهلية وأخاه وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف ، وكانوا شرارا يسمون لعقة الدم وكان في هذه السرية جمع من بني سليم قوم مالك بن الشريد الذي قتله بنو جذيمة قبل ذلك هووا خوفا في موطن واحد ، فنشأت عن ذلك حالة كان لها أثرها في أنفسهم ، فابسوا السلاح وخرجوا إلى خالد ومن معه ، يظنون شرا ووطن بهم كذلك ، وكانوا قد أسلموا فلم يعلم النبي وأصحابه بإسلامهم ، فلما دعاهم خالد إلى الإسلام ، قالوا : صبا ، يريدون أنهم رجعوا عن جاهليتهم إلى الإسلام ، ولكن هذا المعنى لم يقع في نفس خالد على الوجه الذي أرادوه ، فأعمل فيهم القتل والأسر . وذهب جماعة منهم إلى النبي يذكرون خرمهم ، وما صنع خالد بقومهم ، فغضب وبعث عليا بن طالب ، ومعه مال يهدي به قتلهم ورسالة إلى خالد أن يكف عنهم ، ويطلق أسرارهم :

بني جذيمة مافي الأمر من محب
أظلكم خالد لا شيء يبعثه
لما دعاكم إلى الإسلام حين دعا
إن كان للمرء من أعماله نسب
بنو سليم وإن خفتم فليس بهم
فيها غمرة ما أسود جانبها
سوء النبي بها فالتفست أسفة
للمسلون دم الله أو عصب
هم في الحوادث إن قتلوا وإن كثروا
كل حرام على كل فإن فئة
جري القضاء على ما كان من سبب
إلا الجهاد يراه أعظم القرب
قلتم : صبا ، فلم يأنم ، ولم يحب
فالدين عند ذويه أقرب النسب
وبابن عوف سوى الأوهام والريب
حتى تجلت سراعا عن دم سرب
والقلب مما أصاب القوم في تعب
ما مثله من دم جار ولا عصب
بأس جميع ، ورأى غير منشعب
بغت على فئة ، فأنه في الطلب

هو ابن الأكوع البطل الرجى
قنينة نافذ الأظفار ضار
هي الهبة الكريمة صادقتها
يمين محمد لاخير إلا
حبها خاله في غير ضن
رسول الله أكرم من أناخت
بني دين السلام بكل ماض
لإنقاذ النفوس من البلايا
تأملات الحياة وكيف تبقى
فأدبني اليقين وهذبني
هنيئا يا ابن حارثة وأنى ؟
سموت فما تطاولك الأمانى
ظفرت من النبي بخير نعمى
بنتم زان وجهك واعتناق
على النور الذي انجلت الدبابي
سباها حين أسلمها الرعاة^(١)
له في كل ذى ظفر شبة
يمين ما تفارقها الهبة
له فيها معالم بينات
وأين من الضنين المكرمات ؟
به الآمال وانتجع العفاة
به وبمثله ارتفع البناء
تلح على مباضعها الأساة
حقائقها وتغضى الترهات
وصاة الله بورك الوصاة
وما ترقى إليك التهنئات^(٢)
ولا ترجو مذاك الثبرات
تطيب بها النفوس الصالحات
شفاك فما يجارحة أذاة
به وعليك يا زيد الصلاة

(١) سلمة بن الأكوع هو الذي أسر الفتاة بنت أم قرفة . ساءها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها له ، ووهبها هو لحاله حزن بن أبي وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن .
(٢) جاء زيد بن حارثة رضى الله عنه ففرع باب الرسول الكريم فقام إليه يجر ثوبه حتى اعتقه وقبله وسأله فأخبره بما وهب الله من النصر والغلبة .

أثارها خالد شعواء عاصفة
رمى بها وغواشى الظن تأخذه
إليك أبرأ ربّي من جنايته
قم يا على فواف القوم معتذرا
وخذ من المال ما يقضى الديات وما
حق علينا دم القتل ونحن على
القوم أخوتنا في الله ، يجمعنا

* * *

ردّ الإمام نفوس القوم فاثتلفت
بجاهلية مما هيض جانبها
سلبها وقد رجعت حسرى مذمّة
واستحكم الودّ وانحلت عرى الشغب
ما ليس ينفذ من همّ ومن وصب
هل زادها الله إلا سوء منقلب

سرايا محمد بن مسلمة رضي الله عنه

السيرة الأولى

كانت إلى القرطاء ، وهم بطن من بكر بن كلاب ، خرج إليهم محمد
ابن مسلمة في المحرم من السنة السادسة ومعه ثلاثون راكبا فيهم عابد بن بشير
فأغار عليهم ، وأخذ منهم نساء وشاء وسيياء ولم يتعرض للنساء ، ثم عادت
السرية ومعه ثمانية بن أثال الحنفي نسيه إلى حنيفة سيد أهل النجاة أسيراء
فربط بسارية من سواري المسجد وأمر النبي أهله بإطعامه ، وجعل له ابن
نافقة يأتيه صباحا ، وما زال يتمهده بربه وفضله ، ويقول : ما عندك يا أئمة
فيقول : إن تقتل تقتل ذا كرم ، أو ذا دم ، وإن تعف تعف عن شاكرك ،
فإنه جاءه قبل ذلك رسولا من مسلمة ليقبضه . فعصمه الله منه ، وقد أمر
بإطلاقه فاعتزل وأسلم وذهب إلى مكة معتمرا ، فاخذته قرش . وقالت
لقد صأت عن ديننا ، فقال : إنما أسلمت وتبعث خير دين ، وإن تصل
إليكم بعد اليوم حبة من النجاسة حتى يأذن رسول الله ، فهموا بقتله ثم
رأوا أن يخلوا سبيله ، فحبس عنهم ما كان يأتيهم من النجاسة حتى أضرهم
الجوع ، وأكلوا العلبز وهو الدم يغاط بأوبار الإبل فيشوى ، فكتبوا إلى
النبي يناشدونه الرحم ، فبعث إليه يأمره أن يخل بينهم وبين ماير يدون .
ففعل ، وفي ذلك نزل قوله تعالى . . . ولقد أخذناهم بالعذاب : -

محمد يا ابن مسلمة سلام
إلى القرطاء لا كانوا رجالا
رجال السوء ، لاحق يؤدّي
لخالقهم ولا دين يقام
تنبّهت القواضب والعوالى
بأيدي الفاسقين ، وهم نيام
بنى بكر ألتا تبصروها
يشبّ ضرامها البطل الهمام
ألا إن السرية فاحذروها
ليهرب بساها الجيش الهمام
هم الأبطال عدّتهم قليل
ومشهدهم كثير لا يرام

تَقَدَّمَ عَابِدٌ وَمَنَى إِلَيْهِمْ
فَتَلَّكَ جَاحِمٌ أَتَقَلَّى وَهَذَى
وَحُلَّتِ النِّسَاءُ فَلَا ذِمَارَ
وَلَيْسَ لِعَرَضٍ مَغْلُوبٍ وَقَاءُ
أَعْنَاءِ النَّفُوسِ ذَوَى حِفَافِ
هُوَ الْإِسْلَامُ إِحْسَانٌ وَبِرٌّ
تَخَوُّوا عَنْ حِلَالِهِمْ فَرُدَّتْ
بَنَى بَكَرٍ غَدَا الْوَادَى خَلَاءُ
وَأَيْنَ ثَمَامَةَ بْنِ أَثَلِ هَلَا
يَسَامُ الْهُونَ مَا جَزَعَتْ عَلَيْهِ
أَمَّا بَصُرْتُ بِسَيِّدِهَا ذَلِيلًا
أَصَابَ مِنَ الرَّسُولِ حَمِي مَنِيْعًا
أَصَابَ قُرَيٍّْ يَحْدُثُ عَنْ جَوَادِ
أَصَابَ كَرَامَةٍ وَأَفَادَ خَيْرًا
تَعَمَّده كَرِيمٌ أَرِيحِيَّ
ثَمَامَةَ كَيْفَ أَنْتَ وَأَيُّ نَعْمَى
أَمَّا مَكَّنْتُ ، مِنْكَ وَكُنْتَ خَصْمًا
طَحَابِكَ مِنْ مَسِيلَةِ خَبَالِ
يَقُولُ : لَئِنْ أَرَدْتُ الْيَوْمَ قَتْلِي
وَإِنْ يَكُ مِنْكَ مَغْفَرَةٌ وَعَفْوٌ

عَبَادُ اللَّهِ ، وَاسْتَعْرِ الصَّدَامُ (١)
قَتْلُ الْقَوْمِ لَيْسَ هَذَا نِظَامُ
لِبَكْرِيٍّ يَصَانُ وَلَا ذِمَامُ
وَلَكِنَّ الْأَلَى غَابُوا كَرَامِ
عَلَيْهِمْ كُلُّ فَاحِشَةٍ حَرَامِ
وَأَخَذَ بِالْمَرْوَةِ وَاعْتَصَمَ
عَلَيْهِمْ ، تَلَكُمُ الثَّنَنُ الْجَسَامِ
فَأَيْنَ الشَّاءُ وَالْكُومُ الْعِظَامُ ؟
حَتَّى حَنِيفَةٌ مِمَّا يَسَامُ ؟
وَلَا بَكَتِ الْيَمَامَةُ إِذْ يَضَامُ
عَبُوسَ الْوَجْهِ يَمْلُوهُ الْقَتَامُ
وَكَهْفًا فِيهِ لِلْهَمِّ اازْدِحَامُ
يَصِيبُ الرَّيَّ مِنْ يَدِهِ الْغَامُ
فَلَا مَثْوَى يَذِمُّ وَلَا مُقَامُ
لَهُ فِي كُلِّ آوْنَةٍ مَسَامُ
ظَفَرْتُ بِهَا فَأَعُوْزُهَا الْبِتَامُ ؟ (٢)
تَفَاقَمَ شَرُّهُ ، وَطَنَى الْعَرَامُ ؟
فَلَا رَسَنَ يَرْدُ وَلَا زِمَامُ
فَلَا شَكْوَى لَدَيَّْ وَلَا مَلَامُ
شَكَرْتُكَ وَالْقَوَى لَهُ احْتِكَامُ

هَدَاهُ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ هَادٍ
ثَمَامَةَ لَا تَحْفَ مَا عَشْتُ شَرًّا
إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَيَسِّرُ رَشِيدًا
تَأْتِجُ فِي صُدُورِ الْقَوْمِ غِيْظُ
أَتَسْلِمُ يَا ثَمَامَةَ إِنْ هَذَا
ثَمَامَةَ خَنَقْنَا وَصَبَّاتِ عَنَا
لَأَنْتَ لَنَا عَدُوٌّ نَنْقِيهِ

لَهُ بِمِخَائِلِ الْخَيْرِ أَتَسَامُ
تَجَلَّى النُّورِ وَانْقَشَعَ الظَّلَامُ
وَلَا يَحْزُنُكَ عَتَبٌ أَوْ خَصَامُ
لَهُ فِي كُلِّ جَانِحَةٍ ضَرَامُ
وَإِنْ كَذَبْنَا لَهُو الْأَثَامُ
فَلَيْسَ لَصَدْعٍ أَنْفَسْنَا اِلْتِمَامُ
فَلَا صَلَاحَ يَكُونُ وَلَا سَلَامُ

* * *

أَلَا فَدَعُوا الْجَهْلَةَ وَاسْتَفِيقُوا
حَذَا رِفَا ثَمَامَةَ غَيْرَ عَضْبِ
يَقُولُ لَكُمْ : لَئِنْ لَمْ تَتَّبِعُونِي
أَسُودُّ عَلَيْكُمْ الْأَسْوَاقَ حَتَّى
أَبْوَ فَأَذَاقَهُمْ مِنْهُ عَذَابًا
أَذَابَ الْجَوْعِ أَنْفُسَهُمْ فَضَجُّوا
أَهَابُوا بِالنَّبِيِّ ، أَلَا أَغْنَانَا
أَغْنَانَا مِنْهَا يَا خَيْرَ مَوْلَى
رَمِينَا مِنْ ثَمَامَةَ بِاللَّوَاهِي
نَهَاءُ فَلَا دَمٌّ فِي الْخِيِّ يُشْوَى
تَدَارَكَ فَضْلَهُ مِنْهُمْ نَفُوسًا
فَأَمْسَى الْأَمْرُ فِيهِمْ مُسْتَقِيمًا

فَمَا يُقْنِي عَنْ الْفَيْثِ الْجَهَامِ
لَكُمْ فِي حَدِّهِ الْمَوْتَ الزُّوَامِ
لَسَوْفَ يُبِيدُكُمْ مَنَى اانتِقَامِ
يَصِيحُ جِيَاعَكُمْ : أَيْنَ الطَّعَامِ ؟
غَرَامَا مَا لَدَائِبُهُ اانصرَامِ
وَضَجَّتْ فِي جُلُودِهِمُ الْعِظَامِ
فَمَا يَرْضِيكَ أَنْ يَشْقَى الْأَنَامِ
عَرَى الْأَرْحَامِ لَيْسَ لَهَا اانفصَامِ
وَفِي يَدِكَ الْكِنَانَةُ وَالسَّهَامِ
وَلَا شَيْخٌ يَجُوعُ وَلَا غَلَامِ
تَمَنَّتْ لَوْ تَدَارَكَهَا الْحَمَامِ
وَلَوْ عَرَفُوا الْحَبْجَةَ لَاسْتَقَامُوا

(١) عابد بن بشير رضى الله عنه محمد بن مسلمة في طلبه السرية ثم كرمها وراه.
(٢) البيت وما بعده مسوق على لسان النابى الكريم .

ليتهم كانوا رجالاً فُتُّوا إذ دنا موعدهم أن يبعثوا

* * *

ذهب الحشد فلم ينظر سوى نعم تُرجى ، وشاء تُحشد
ساقها ، ما جعلت من همهم تلك النفوس الشرّدة
اللواتي تبعث الشرّ فإن عصف الشر تولّت تركد
بئسما توردها أهواؤها من حياض مُرّة ، ما تورّد
فتنة الشرك ، وما من فتنة مثلها بين البرايا توجد
ليس غير الله في سلطانه من إله يُنقى أو يعبد
مالك الملك ، تعالى ماله في علاه من شريك يعبد

السيرة الثانية

وتسمى سيرة ذي القصة . . موضع قريب من المدينة . . كانت إلى
بني ثعلبة وبني عوال لما بلغهم محمد بن مسلمة وأصحابه كنهواهم ، ثم انقضوا
عليهم وهم نيام فاعملوا فيهم الرماح . وجرحوا محمداً ثم جردوه من ثيابه ،
وهم يظنون أنه قتيل ، ومر به بعض المسلمين فاسترجع ، فلما سمعه تحرك
حمله إلى المدينة . وبث النبي صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح .
فلم يجد أحداً من القتل ، ووجد نهما وشاء فرجم بها .

ويح ذي القصة ماذا يشهد ويح من وقعة لا تحمّد
يا بني ثعلبة ما خطبكم ؟ أكذى تقرى الليث الهجّد ؟
إنه الجبن وأخلاق الألى يحسبون اختل حرباً توقد
فقدوا البأس فدبّوا خفية واتضوها أنفسا لا تفقّد

* * *

يا جريح الحق ، هل متّ وهل قضى الأمر ، وحم الموعد
فرح القوم ، فقاؤا : مغنا ساقه الجد ورأى محصد
جرّدوا الفارس من أثوابه ليت شعري أى سيف جردوا
عرف السيف فتى من قومه ضجّ يسترجع مما يشهد
أيها الميّت تحرك لا تحف حضر القادى ، وجاء المنجد
بورك الحامل ، ما أحسنها من يد معروفها لا يحجد

* * *

يا رسول الله بشرى إنها نعمة تُرجى ، وخير يوفد
وبريد من بني ثعلبة وعوال بالغوال يبرد
جعلوا للسيف فيهم حكاه فله من هامهم ما يحصد

السيرة الثالثة لقتل كعب بن الأشرف

كانت في ربيع الأول من السنة الثالثة ، وكان كعب من أشد الناس عداوة لرسول الكريم والمسلمين ، وكان يهجو ويحرض المشركين على قتاله ، عامده على ألا يعين عليه أحدا فنقض العهد ، وخرج بعد وقعة بدر إلى قريش يبكي قتلاهم ، ويستفزهم للحرب ، ومن سيئاته أنه صنع طعاما ، ودعا إليه النبي على نية الفتك به ، فبأه الله فلم يأكل منه ، وكان لعنه الله كثير المال ، يعطى الأجير ويصلهم ، فلما قدموا عليه بعد هجرة النبي سألهم : ما يضيئون به ؟ قالوا : هو الذي كنا نتظره ، فغضب ولم يعطهم ثم رجعوا إليه وخذعوه بما يرضيه من القول ، فرضى عنهم ووصلهم ، قال النبي : من يتدب لقتل كعب بن الأشرف ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا يا رسول الله ، فقال له : إن كنت فاعلا فشاور سعد بن معاذ ، فأشار عليه سعد أن يذهب إليه يشكو حاجته ، ويصلب أن يسلفه طعاما ، فكث ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ، وأتى أبا نائلة ، وعباد بن بشر ، والحارث بن أوس ، وأبا عبيس بن جبر أن يصحبوه ، ثم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنونهم في أن يقولوا لكعب ما يرضيه ، فأذن لهم ، وذهبوا إليه فقتلوه وحلوا رأسه إلى النبي ، وجاءه اليهود مذعورين يقولون : قتل سيدنا . وعقدوا صلحا :

يا ناقض العهد لا شكوى ولا أسف
تهجو النبي وتفرى المشركين به
كم جيفة خرجت من فيك منكرة
إن الولية أخزى الله صانعها
أنحسبون رسول الله يحملها
بل أظهر الله ماتخفون فأنكشفت
لقد هممت بمن لا حي يعدله
ياويل من ظن أن الله يخذله
ياكعب مالك تؤذيه وتنكره
وما الولوع بقول الزور ، والشغف ؟

جعلت مالك للأخبار مفسدة
رموك بالحق لما رحت تسألهم
فقلت : عودوا ، فما عندى لكم صلة
حسبي الحقوق ، فمالى لا يجاوزها
عادوا يقولون : ما أشقاء من رجل
ثم انثنوا ينطقون الزور ، فانقلبوا
بئس العطاء وبئس القوم ، أمرهم
هم اليهود ، لو أن المال لاح لهم
هب ابن مسلمة للحق ينصره
فقال : دونك سعدا إن هممت بها
قضى ثلاثة أيام على سغب
وجاء في صحبه يستأذنون على
قال الرسول لكم في القول مأربكم
هي القلوب فإن طابت سرائرها
يُمتاح فيها الأذى حيناً ويُعترف^(١)
وأعلنوا من يقين الأمر ما عرفوا
جف المعين ، فلا قصد ولا سرف
إلى الفضول ، وما عن ذلك منصرف
لا يرتضى القول إلا حين ينحرف
بالمال يصدف عنه المعشر الأنف^(٢)
وأمر سيدهم في الفى مؤتلف
في عين موسى كليم الله ما صدقوا
والرسول يريه كيف يزدهف^(٣)
شاوره فيها ، فنعيم الحاذق الثقف
وللعجب ذى التدبير ما يصف
تقوى من الله ، ما مالوا ولا جنفوا
ماذا على الدر مما يؤهم الصدف ؟
فما بأفواهكم عيب ولا نطف^(٤)



مضوا فقالوا لكعب : أنت موثلنا أنت الحى المرتجى في الأزل والكنف^(٥)

- (١) جاءه أخبار اليهود ليأخذوا صلهم على عادتهم ، فقال لهم : ما عندكم من أمر هذا الرجل ؟ النبي : قالوا : هو الذي كنا نتظره ، ما أنكرنا من نموته شيئا . قال : قد حرمت كثيرا من الخير ارجعوا إلى أهلهم فإن الحقوق في مالى كثير ، فرجعوا عنه خائبين ، ثم رجعوا إليه ، وقالوا : إنا عجلنا فيما أخبرناك به ، وليس هو المنتظر فرضى عنهم ووصلهم . وجعل لكل من تابعهم من الأخبار شيئا من ماله .
(٢) جمع أتوف وهو الشديد الأتفة .
(٣) ازدحف تعجم في الأمر والحمل احتمله ، والشيء ذهب به وأهلكه ، ولا كلمة معان أخرى .
(٤) النطف العيب والشر والفساد .
(٥) الأزل الشدة والضيق .

أما ترانا جياعا ، لا طعام لنا
لم يُبق صاحبنا شيئا نعيش به
إن أنت أسأفتنا ما نستعيد به
قال : الحلائل رهن ، لا طعام لكم
تأبى علينا سجاياتنا ، ويمنعنا
قال : البنون ، فقالوا : لاتكن عسرا
خذ السـلاح وإن كفتنا شحطا
لم يدر مآربهم ، إذ يسخرون به
قل : ارتضيت ، فقالوا : غمة ذهبت
وأرجأوه إلى إبان مورده
جاءوه بالليل مسرورا بفرقة
ورن صوت أخيه عند مضجعه

(١) قال له أبو نائلة : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة قطعت عنا السبيل حتى جاءت العيال وجهدت الأنفس ، وسألنا الصدقة ، ونحن لا نجد ما نأكل ، وسأثر ما عندنا انقضا على هذا الرجل وعلى أصحابه إلى أريد أن أبيع وأحابي طامعا وترهك ونوثق لك ، قال : ارهتوني نساءكم ، قالوا كيف ترهك نساءنا وأنت أجل العرب ولا نأمنك عليهم ، قال فأبناهم ، قالوا : هذا عار علينا ، ترهك السلاح فرضى .

(٢) القذف من الأمكنة والمواضع ما يزل عنه ويهوى والشيء يمد ويتقاذف .

(٣) السدق الظلم جمع سدقة .

(٤) اتهموا إلى حصن كعب ، وكان قريب عهد بعرس ، فتهتف به أبو نائلة - وهو أخوه من الرضاع - فوثب في ملابسته ، فأخذت امرأته يطرفها . وقالت : إنك رجل محارب ، وإن أصحاب الحرب لا يزلون في هذه الساعة ، إلى أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم ، قال : إنه أبو نائلة ولو وجدني نائما ما أيقظي ، ونزل ينفج منه ريح الطيب فتحدث معهم ساعة ، ثم قالوا : حل لك يا ابن الأشرف أن نعدى إلى شعب العجوز ، اسم موضع كان قريبا منهم . تحدث به بقية ليلتنا . وكانت ليلة مقبرة ، فقال : إن شئتم ، ثم مشوا ساعة ، وأدخل أبو نائلة يده في باطن رأسه ، ثم شم يده ، وقال : ما رأيت كالليلة طيبا أعطر ، ثم عاد ليلها فاطمأن ، ثم أخذ في الثالثة بشعره وقال : اضربوا عدوا الله ، فضربوه ، وصاح صيحة منكورة . وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فلم يبق حصن إلا أوقد في النار .

فهب يركض ، وارتفعت حليلته
أنت امرؤ ذو حروب لا يلائمه
إني لأسمع صوتا لست آمنه
قال : اسكتي ، ودعيني ، إنه لأخى
وراح يلقاه ، والإسلام مبتسم
واقاه في صحبه يذني الخطى عبقا
قالوا : أتمشى إلى شعب العجوز في
وانظر إلى القمر الزاهي وبهجة
ساروا إلى الشعب ، والأقدار تتبعهم
حتى إذا قعدوا ظلت بموقفها
وتلك كف أخيه فوق مفرقه
يشبها ، ويقول القول يخدعه
ظلت سيف رسول الله تأخذه
ياحسنها صيحة من فيه يرسلها
لم تستطع عرسه صبرا فجأوبها
بني قريظة هبوا من مضاجعكم
عدا الرجال على كعب ، فوالهفا
تبكي عليه ، وماذا بعد مصرعه
إن الذي كان يثنى عطفه صلفا
عادوا بهامته ، تأتي مذمة

(١) الجدو القبر .

(٢) تنف الشيء أو انتفقه بمعنى شقه ، وكان محمد بن مسلمة ابن أخيه من هذه الناحية .

(٣) جزوا رأسه واحتملوه في مخلاة كانت معهم ، واجتمعت اليهود من كل ناحية فأخذوا =

سَرَايَا أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

السِّيَرَةُ الْأُولَى

كان اليهود على آثارهم ، فأبت
الله أكبر والحمد الجزيل له
ريعت يهود ، فجاءت تبغى حلقا
هيئات ، مالك من عهد ولو حملت
عباد ، قل إن في الأشعار تذكرة
غن الرفاق بوحى الحق تنسده
أن يُدركوا هم ترمى بهم عُصْف
نصر جديد ، وفضل منه مؤتلف^(١)
عودى يهود ، فنعم العهد والخلف
ملء البسيطة من أيمانك الصحف
وإن أحسنها ما أورث السلف^(٢)
مضى النعيب ، وأودى الشاعر الحرف^(٣)

على غير الطريق فقاتوهم ، فلما بلغوا بقيع الفرقد كبروا ، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم تلك
الليلة يصلى ، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أنهم قتلوه ، ثم اتهموا إليه ، فأخبروه بمقتله ، فقال :
أفلحتم الوجوه ، قالوا : ووجهك يا رسول الله ، ورموا برأسه بين يديه ، فحمد الله على قتله .
ونكف عنه أقم منه .

(١) المؤتلف بمعنى المستألف أى الجديد المبتدأ .

(٢) عباد بن بشر رضى الله عنه ، قال في هذه الواقعة : -

صرخت به ، فلم يعرض لصوت
بشت له . فقال من اللنادى ؟
وهذى درعنا رهنا فغذها
فقال معاشر سفوا وجاعوا
فأقبل نحونا يهوى سريعا
وفى أيماننا بيض حداد
فماضه ابن مسلة المردى
وشد بسيفه صلنا عليه
وكان الله سادسنا فأبنا
وجاء برأسه نقر كرام
(٣) النعيب صوت الغراب .

يا بنى سعد بن بكر مرحبا بادروا القوم فراى وثي^(١)
غشيتكم من يهود فتنة كالحبى الجون يُرخى الهيدبا^(٢)
إن في خير من سحر القنا عدد التمر ومن بيض الظبي
هى الأبطال أزكى مطعما يا بنى سعد وأشهى مشربا
هل ترون اليوم إلا مقنبا من حماة الحق ، يتلو مقنبا^(٣)
إنه يوم « على » فاصبروا أو فحيدوا عنه يوما أشهبا^(٤)
يا « بنى سعد بن بكر » إنه مارج الهيجاء يزجى اللهبا^(٥)
احذروها واحموا أنفسكم لا تسكونوا فى لظاها حطبا

(١) الثي الجماعات .

(٢) الحبى = السحاب المتراكب يشرف من الأفق على الأرض والجون الأسود
أو الأبيض ، وكلاما من صفات السحاب والهيدب ما يرى كأنه فويق الأرض من السحاب
إذا تدلى .

(٣) المقنبا - جماعة الخيل .

(٤) يوم أشهب وأمر أشهب أى صعب .

(٥) المارج النار لا دخان فيها .

دلّه منكم عليكم رجال
«عينكم» صيرها عيننا لكم
زحف الجيش فذبتهم فرقا
ليس غير التهب ، ما يمنعهم
« نكبة التمر » فلولاً شؤمه
أفما جرّتم القوم الألى
هم وباء الأرض ، أوطأونها
غضب الله عليهم ، فرضوا
هالك من ظن ممن يعتدى
وأضلّ الناس في دنياه من
خشى القتل . وخاف العطب
فأعجبوا للامر كيف انقلبوا
وارتمى البأس ، فطرتهم هربا
منكم اليوم امرؤ أن ينهبا
لم يذق آلامها من نكبا
خلقوا للشر فيمن جرّبا ؟
شرعوا السحت ودانوا بالربا^(١)
ربّ زدّهم كل يوم غضبا
ويعادى الله إن لن يغلبا
وضح الحق ، فوق وأبى

السيرة الثانية

كانت لهدم « الفلّس » صنم صنم والإعارة عليها ، بعث لاهم في
خدين ومائة رجل من الأنصار فهدموا الصنم وأحرقوه واستقوا الشاء والنعم
والسبي وكان في السبي أخت عدى بن حاتم الطائي واسمها سافانه ومعناها ابرة
مر عليها التي صلى الله عليه وسلم قتلت لاهم وذكّرت له أبها ، وما كان
له من أعمال مشكورة ثم سأله أن يمن عليها ففعل وأسلمت فكساها ثم
حملها وأعطاهم مالا فذهبت إلى أخيها وأشارت عليه بالقدوم على نبي لا يدخل
في دين الله فجاء وأسلم (١) وقد وجدوا في خزانة الصنم ثلاثة أسياف
معروفة عند العرب وهي الرسوب واليماني والخدم وثلاثة أذراع آلت إلى
النبي صلى الله عليه وسلم :

إلى طيء يا ابن عم النبي
إلى الفلّس ، في جندك الغالبيين
أضلّ العقول ، وأعمى القلوب
أرى طيئا خذلت ربهما
فيالك ربّا يذوق الموان
مضى عزّه ، وانطوى مجده
وأصبح تزروه هوج الرياح
وهاتيك أسلابه أطاقت
سيوف بهين طوال العصور
ملن لدى الفلّس عهد الظلام
أضاء الرسوب به واليماني
إلى معشر يعبدون الصنم
فلن يابث الشرك أن يصطم^(٢)
وأشقى النفوس وهذّ لهمم
فما من ملاذ ، ولا معتصم
فيفضي عايه ولا ينتقم
فزال الجلال وبذر العظم
فتلك تفارقته ما تلم
وكانت حبائس منذ تقدم
ودائع للسوارئين لأهم
فأصبحن ميراث محي الظلم
وأشرق في رحنه الخدم

(١) هذه النصة المذكورة في باب الوفود .

(٢) اصطلم الشيء استأصله .

(١) السحت المال الحرام ، والكسب الذي يجنب العار ، سمي بذلك لأنه محو
سركه أو لأنه سحت ، أي يستأصل صاحبه بشؤمه .

وما نظرت أعين الدارعين كأدراعه الغاليات القيم
 رجفت بها يا ابن عم النبي وبالشاء مجلوبة والنعم
 وبالسبي مقتنا ، ما رأى حماة الحارم إذ يفتنم
 ومرة النبي بسفانة فقامت إليه تبث الألم
 وقالت : نشدتك فأمنن على فما حق مثلي أن يهتضم
 أنا ابنة من كان في قومه عقيد السخاء حليف الكرم
 وما بك في حاتم ريبة بلي إنه للجواد العلم
 يفك العناة ويعطى العناة ويكسو العراة ويحمي الحرم
 ويُفشى السلام ويرعى الذمام ويقرى الضيوف ويشفي القرم^(١)
 فقال لها : صفة المؤمنين فلو أنه كان فيهم رُحِم
 كريم يحب حسان الخلال ويكره من حبها أن يُذم
 مننت عليك فإن تفرحي ففبك أولى بحزن وهم
 فقلت شهدت مع الشاهدين فذلك دين الهدى ، لا جرم
 رأيت السبيل فأثرته وفارقت دين العمى والصمم
 كساها وأركبها واستهل عليها بغمر من المال جم^(٢)
 فراحت بخير وراح الشاء يحوب السهول ويطوى الأك^(٣)
 وجاءت أخاها فقلت عدئي أرى الحق أخلق أن يلتزم
 وإني استقمت على واضح من الأمر يا ابن أبي فاستقم

(١) القرم شهوة اللحم .

(٢) الغمر الكثير .

(٣) الأك جمع أكمة وهو التل يكون دون الجبل ، أو الموضع يكون أكثر ارتفاعا

مما حوله .

دع الشرك واذهب إلى يثرب فم هدى الله باري النسم
 هناك هناك جلاء العمى وري الصدى وشفاء السقم
 هناك النبي العظيم الجلال هناك الرسول الكريم الشيم
 هناك النجاة لهلكى النفوس فطوبى لمن رامها فاعتزم

السرية الثالثة

كانت إلى بلاد مذحج . . أبو قبيلة من اليمن . : ومي من بلاد اليمن بحث إليها في ثلاثمائة فارس عقد النبي له لواء وعمه بيده ، فلما باعها فرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم وأطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك ، ثم لقيهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة ، فصف أصحابه ، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان ، ثم حل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا فانهزموا وتفرقوا ، فكف عنهم ، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرع إلى إجابته ومثابته نفر من رؤسائهم ، وقالوا : هذه صدقاتنا فنخذ منها حق الله تعالى ونحن على من وراءنا من قومنا . فعاد فوأي النبي بمكة في حجة الوداع .

بني مذحج ما ثم من مُترَدِّد هو الدين أوحد الحسام المهتد
ألا فانظروا سيف الإمام وبأسه تروا عجباً من مشهد ليس بالدَّ (١)
بليتيم بمفقود اللواء على يد يشدُّ عليها مالك الملك باليد
بني مذحج ما ظنكم بمذحج تعمه للحرب كف محمد؟
غزاكم بمن لا تعرف الحرب غيرهم إذا انتسب الأبطال في كل مشهد
أصابوا من الأسلاب والسبي ما ابتغوا وأنتم بمنى بين صرعى وهجد
فما لقوكم قال صاحب أمرهم هو الحق من يؤثره يرشد ويهتد
فإن تسلموا فالله بيني وبينكم وإن تعرضوا فالسيف غضب المجرد
صدتم صدود الجاهلين وردكم عن الحق رأى طائش لم يسدد
جري النبل يهوى واستطارت حجارة تتابع شتى بين مثنى وموحد
رميت بها جنود النبي وإنا رميت بأحلام عواذب شرَّد
مضى السيف يحزبكم على الشر مثله فلا دمكم بسل ولا هو معتد

فوليتم الأدبار ، وارتد جمعكم
وآمن منكم معشر عاد جدُّهم
وجاءوا ، فقالوا : هذه صدقاتنا
ندين بأن البر لا شيء مثله
وأنا لكم عون على ما وراءنا
وندعو إلى الإسلام ننشر نوره
لك الشكر ، فارجع يا علي مظفرا

شرازم شتى كالشعاع المُبدِّد
سعيدا ، ومن يرغب إلى الله يسعد
نخذها بإحسان ، وإن شئت فازدد
ونبذل حق الله غير منكدر (١)
نناجز منهم كل غاي ومفسد
ونورد منه قومنا خير مورد
وبشر رسول الله يشكر ويحمد

سرية أبي سلمة إلى قطن

هو عبد الله بن عبد الأسد القرشي المخزومي ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قطن ، « جبل بإحابة قيسم ماء لبني أسد في المحرم من السنة اربعة ، ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والأنصار ، منهم أبو عبيدة ، وسعد ، وأسيد بن حضير وأبو ثائلة اطلب طليعة وسلمة ابني خويلد الأسديين لأنهما كانا يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه ، وكان قيس بن الحارث ينهما عن ذلك فلا ينتهيان ، فلما بلغت السرية أرض بني أسد خاف القوم فهربوا وأصاب المسلمون إبلًا وغنًا فأخذوها .

يا ابني خويلد أيّ شرّ هجتما إن كان من بيني الخيال فأتيا
أفتدعوان إلى قتال محمد؟ هلا إلى غير القتال دعوتما؟
ما كان قيس في النصيحة جاهلا بل كان أعلم بالصواب وأحرما
ينها كما أن تفعلنا ، ويخافنا مشوبة تجري جوانبنا دما
بعث النبي الجيش تحت لوائه بطل إذا نكص القوارس أقدما
هو ذاك عبد الله في أصحابه يمشی إلى قطن قضاء مبرما
فتأهبنا يا ابني خويلد واجمعا للحرب جمعكما . ولا تنندما

سر يا دليل الجيش في بركاته واسلك إلى فيد الطريق الأقوما^(١)
هي منتواه فليس بيني غيرها لشبا القواضب منتوى وميما
يا دأبا يصل الدياجر بالذبحي سر في سبيلك إن أردت المغنا^(٢)
إن الألى جعلوك رائداهم أبوا إلا السخاء ، فما أبر وأكرما
درجوا على دين القداء فما بهم عند الحفيظة ما يعاب ويحتى

أين الرجال ، ألا فتى ذو نجدة أين الرجال ؟ أفارقوا أوطانهم
يا ابني خويلد جرّدا سيفيكما يا ابني خويلد أين ما أعددتما
أعددتما الجبن اللذائ لتسلما أعددتما النهب السليب ، وإنه
رجع الغزاة به كراما ، ما لقوا الله طهرهم وصال سيوفهم
هم حزيه ، لا حزب إلا دونهم يرى بجهته العجاج الأقيما؟
أم أصبحوا ملء المضاجع نوما؟ حذر العدى وتقدما لا تحج
للحرب ، تستلب الكمي المعاما؟ فهلكتما ، وكذلك يهلك ذو العمى
لأجل منزلة ، وأعظم منكما كيدا يرّد ، ولا أصابوا مجرما
سبحانه ، أسدى الجمل وأنما ولو انه آخذ الكواكب سلما

(١) هو الوليد بن زيد الطائي .

(٢) أعطى من الغنيمة ما أراضاه .

نبي الله بن أنيس الأنيصاري

عنه النبي صلى الله عليه وسلم وحده في المحرم من السنة الرابعة لقتل
أبي سفيان بن خالد الهزلي الذي جمع الجموع لحربه ، ولم يكن عبد الله
يعرفه ، فقال : صفه لي يا رسول الله فقال : إذا رأيته هبته وفرقت منه ،
ووجدت له قشعريرة وذكر الشيطان ، ثم استأذنه أن يقول له ما يرضيه
بأذن له وأمره أن ينتسب إلى خزاعة ، وكان بموضع قريب من عرفة يقال
له عرته ، فأخذ سيفه وخرج إليه فوجده كما وصف ، وقال له ما أَرْضاه
حتى اطمان إليه فقتله وجاء برأسه إلى النبي :

سرية أنت وحدك فاجعل سجايك جندك
لا تخش يا ابن أنيس فإيس سفيان نذك
احشد قواك وخذه فليس يستطيع ردك
إن غره حد عزم فسوف يعرف حدك
يهول في الوصف جدا حتى ليعظم عندك
لكنه الله أعلى عليه في البأس جدك
أقبل فتى البأس أقبل واعمل لربك جهدك
أخذته بخلاب * * * كذبته فيه ودك
أوردته القول حلوا ولو درى عاف وردك
ويتمسه من غي لو كان يعرف قصدك
أحب به من رسول لقتله قد أعدك
يظن أنك ضد له ، فدونك ضدك
بوركت يا ابن أنيس من فارس ما أشدك
ضربته فتردى وكان ذلك وكذك
وعدت لا مجد إلا أراه يحسد مجدك

* * *

سفيان هل كنت طودا فمن رماك فهذك ؟
أم كنت للشر ذخرا تخشى الطواغيت فعدك ؟
أودى بك ابن أنيس فأقفر الحى بعدك
وردة عسرك ذلا فما تُصبر خدك
ملأت صدرك حقدا فهل شفى السيف حقدك ؟
ومت من قبل وجدا فهل يحا الموت وجدك ؟
أين الجموع ؟ أتدري من خط في الترب لحدك ؟
وأين رأسك ؟ هلا صدقت نفسك وعدك ؟
أغواك جهلك حتى لقيت في النار رشدك
أنضجت نفسك غيظا فاليوم تنضج جلدك
يفيظك الدين حقا فأنت تقدح زندك
هيجت للشر وقدا فأين غادرت وقذك ؟

* * *

يا صاحب النار من ذا بنصره قد أمـدك^(١)
أليس ربك ؟ فاجعل له على الدهر حمدك
رد المدى ، لم يفوزوا وأنت بالفوز ردك
ألتى الهدية واسحب في ساحة الفخر بردك
دعا الرسول وأثنى فاحمد - لك الخير - رفدك
وقل : تباركت ربي يسرت لخير عبدك

(١) أمرع القوم خلف عبد الله بن أنيس رضي الله عنه بعد أن قتل سفيان فاخترأ في غار كان في طريقه ، ونجاه الله منهم .

(٢) هي رأس سفيان ألقاها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ففرح وأثنى عليه

سيرة عكاشة بن محصين

بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغمر . . غمر مرزوق ، وهو ماء لبى أسد على ليلتين من « قيد » ومعه أربعون رجلاً ، في ربيع الأول من السنة السادسة . فخافهم القوم وتركوا مساكنهم وأصاب المسلمون غنا وإبلا فعادوا بها إلى المدينة : -

عكاشة ما في الغمر من متخلف	خلا الغمر من عماره فهو مقفر
تناذر أهله سيوفك ، فأنجلوا	وغودر وحشا خاليا ليس يُعمر ^(١)
خذ الشاء والإبل السمان ، فإنهم	إلى أجل ، ما دونه متأخر
فإما حمى الإسلام ، أو حذق قاضب	على متنه منهم دم يتفجر
عكاشة عد بالجنود غير مخيب	كفى القوم خزيا أن يفرؤا ويدبروا
لكل امرئ من نفسه ما تودّه	وما يك من شيء ، فربك أكبر
له الدين والدنيا ، وما بعد هذه	فلا شيء إلا ما يشاء ويقدر

سيرة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

وهي حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ، كانت هذه السرية في شعبان من السنة السادسة ، سيرها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن عمم أمرها عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، بيده الشريفه ، ثم أمر بلالا أن يقدم إليه اللواء ، وقال له ولئن معه : اغزوا جميعا في سبيل الله . فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تقصروا ولا تملأوا ولا تقتلوا وليدا ، فهذا عمه الله وسيرة نبيه فيكم ، فكث عبد الرحمن ثلاثة أيام يدعو القوم إلى الإسلام فيأبون إلا العيف ، ثم أسلم رئيسهم الأصم بن عمرو الكلي ، وكان مسيحيا . وأسلم معه كثيرون ، وتزوج ابنته وقدم بها المدينة . فولدت له بعد عشرين سنة وبضع من الهجرة أباسلمة الحافظ الثقة والعالم الكبير .

يا ابن عوف سر حثيثا باللواء	واقدم الجيش بعزم ومضاء
سر حثيثا يا ابن عوف إنها	دومة الجندل والقوم البطاء
سُبقوا للحق ما يأخذهم	ذلك النور ، ولا هذا الزؤاء
ويحهم ماذا عليهم لو رضوا	شرعة الله ، ودين الحنفاء ؟
أتق الله ، ولا تبغ الأذى	واتبع ما قال خير أرحماء
إن للحرب لديه أدبا	يزعج السيف ويحمي الضعفاء
من يدعه لا ينل مجدا وإن	فتح الأرض ، وأقطار السماء

* * *

أعرض القوم ، وقالوا : ديننا	يا ابن عوف ، ديننا ، لا ما تشاء
ليس غير السيف يقضى بيننا	وهو أولى يا ابن عوف بالقضاء
ورأى سيدم ما هاله	من أمور لا يراها الجهلاء
إنه الأصم لا يخذعه	باطل الوهم ومكره الهراء

(١) تناذر القوم أنذر بعضهم بعضا .

قال : أسلمت ، فيقوم أشهدوا واحتدوا ، فالله حق لا مرأى
 شرع الدين الذي وصى به عمدة الرسل وشيخ الأنبياء
 هو دين الله حقاً ، ما به إن رضينا أو أبينا من خفاء

■ * *

أسلمت من قومه طائفة وأبى طائفة كل الإباء
 ما على ذي همّة من حرج إن تراخى الجدُّ أو زاع الرجاء
 كل أمر ، فله ميقاته طابت الأنفس ، أم طال العناء

* * *

يا ابنة الأصبح هذا ما قضى ربك الأعلى ، ففوزى بالرفاء
 ملة فضلى ، وبعل صالح حبذا القسّم . وما أسنى العطاء
 إنه أمر النبي المجتبي معدن التقوى ، ومولى الأتقياء^(١)
 يا ابن عوف ، لو رأى الغيب أمرؤ لرات عيناك ما تحت الفطاء
 لك من زوجك كنز جلل من كنوز الله أغنى الأغنياء
 يستمد العلم منه والهدى ويقام الدين قدسى البناء
 نعمة لله ، ما أعظمها فله الحمد جميعاً والثناء

سيرته عبد الله بن عتيك الخزرجي الأنصاري

كانت لقتل أبي رافع عبد الله ، أو سلام بن أبي الحقيق اليهودي ،
 وهو من الدين حزبوا الأحزاب يوم الحندق وأعان المشركين بانال الكثير ،
 بعته النبي صلى الله عليه وسلم إليه في شهر رمضان سنة ست ، وقيل في
 ذي الحجة سنة خمس بعد وفاة الأحزاب ، ومعه عبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة
 واسمه الحارث بن ربيع ، والأسود بن خراعى ، ومسعود بن سنان الأسلمى
 من الخزرج ، فذهبوا إلى خيبر فلما أمسوا جاءوه في حصن له ، فقال ابن
 عتيك لأصحابه دعوني احتال للدخول عليه ، ثم تقم بشويه ، فظنه البواب من
 أهل الحصن الذين خرجوا لطلب حمار فقه منه فأدخله ، ثم أخذ المفاتيح التي
 علقها البواب وراء الباب بعد إغلاقه ، فلما ذهب عن أبي رافع أهل سمره
 صعد إليه ابن عتيك يفتح الأبواب ويفلقها وراءه ، ثم انتهى إليه فإذا هو
 وسط عياله في بيت مظلم . وقال لامراته ، لئى جشته يهديه ، ثم ضربه فلم
 يقتله ، وصاح أبو رافع ، فخرج ابن عتيك ثم عاد ، وقد غدر صوته
 يسأله عن سبب صياحه ، ثم قتله ، وخرج فسقط وانكسرت ساقه
 فاخْتَبَأَ ، وخرج اليهود باحثين ، ثم عادوا وهو كامن ، وبقى إلى أن يسمع
 الناعى ، فلما نعى اطلق إلى أصحابه ، ثم عادوا ، ومسح النبي على رجله ،
 فكأنها لم تصب .

أبا رافع لا يرفع الله طاغيا ولا يدع الخصم المشاغب ناجيا
 جمعت من الأحزاب ماشئت ، تبغى لنفسك من تلك العقابيل شافيا
 ورحت تصب للمال في غير هينة تريد بدين المسلمين الدواهيا
 هو ابن عتيك إن جهلت وصحبه فلست بلاق من حمامك واقيا
 يدب وقد جنّ الظلام مقنعا يريدك مقتالا ، وياقناك غازيا
 كأن حمار الحصن أوتى رشده فأجمع ألا يصحب الدهر غويا
 أعان عليك السيف يكره أن يرى دما فاجرا في مسيح الكفر جاريا
 يقول له البواب : مالك جالسا ؟ وقد دخل الرهط الذى كنت رايا؟^(١)

(١) ظنه البواب من أهل الحصن . فقال له : إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد
 أن أغلق الحصن فدخل فاحتبأ يترص لحاجته .

(١) قال الرسول الكريم لعبد الرحمن بن عوف إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم .

إلى الحصن فادخل ، لست تارك بابيه
فقام ولو يدرى خبيثة نفسه
ولاحت لعينيه الأقاليد فاتحى
فلما غفا السمار أقبل صاعدا
سقاها بحدّ الهندوانى حتفه
لأجلك مفتوحا ودغى وما بيا
أعصر ورديه الحسام اليمانيا^(١)
يضم عليها مخاب الليث ضاريا^(٢)
إلى الأخرق للغرور ، يعلو المراقيا
فبوركت من سيف ، وبورك ساقيا

■ * ■

هوت رجله من زلة قذفت به
فما برحت حتى أصيب صميمها
وبات يُوارى نفسه فى مكانه
تنادوا : فقالوا فأتك من عدونا
متى جاء ؟ كيف انسل فى غسق الدجى ؟
من الجنّ هذا أم من الإنس ، ياله
وراحوا سراطا مطعين يهيجهم
فما تركوا فى أرض خير بقعة
وعادوا يعضّون البنان ولو رأوا
فما زال حتى أذن الديك ، وانبرى
هنالك وافي صحبه ، فتحدبوا
فتى يركب الأهوال لا يتقى الردى
إلى الأرض فى ظلماء تخفى الدراريا^(٣)
بصدع فأمسى واهن العظم واهيا
ويزور فى برديه يخشى الأعاديا
رمى السند الأعلى ، فلا كان راميا
وماذا جرى ؟ من كان للحصن حاميا ؟
مصابا ينسئنا الخطوب الخواليا ؟
طلاب الذى مازال فى الحصن ثاويا
ولا غادروا مما هنالك واديا
مكان الردى المحتاح ألفوه جاثيا
من القوم داع يرفع الصوت ناعيا
عليه ، وكان الظن أن لا تلاقيا
ولا يتوفى الخنف يلقاه عاديا

(١) يريد بواب الحصن .

(٢) الإقاليد الماتيج .

(٣) قال ابن عتيق رضى الله عنه يذكر ما حدث له بعد قتل أبي رافع .. ففعلت أفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت إلى الأرض فوقعت فانكسرت ساقى ، فصعبتها بهامة ثم خرجت فسكنت فى موضع وأوقدت اليهود النيران وذهبوا فى كل وجه يطلبون حتى إذا أيسوا رجعوا فلما صاح الديك صعد الناعى على السور ينعى أبارافع ، قال فأنيت أصحابي أحجل .. لانح

قصاره أن يرى أمانة ربه
شقى رجله مما بها ، فكأنها
أبا رافع ، ما ذا لقيت بحفرة
عكفت على البغى المذمّم والأذى
ويلقى رسول الله جذلان راضيا
بخير لم تكسر ولم يك شاكيا
طوت منك جبارا قضى العمر عاتيا ؟
فدُب أسفا ، واعكف على النار صاليا

كم فضّ جبريل من صمّاء مغلقة أنحى على سترها المكثون فاشتهرا^(١)

على أبي رافع ، فلتبك من أسف
ذلت يهود فما يُرجى لها خطر
دعها أسير لك الولايات من رجل
أست تبصر عبد الله في نفر
جاءوك يا ابن رزام لو تطاوعهم
لكنك المرء لو ترميه صاعقة
ردّوا لك الخير تسديه إليك يد
قالوا: انطلق معنا إن كنت منطلقا
ما شئت من سوّد عال ومن شرف
أبي وراجع من نفسه أمل
ثم اتنى ينمّدى في وساوسه
واختارها خطة شفاء ما كره
أراد شرّا بمعد الله ، فانبعث
رآه أخون من ذنب فعاجله
واقتض أصحابه يلقون من معه
واستبق نفسك إن كنت امرأ حذرا
على يدى من نهى فيها ومن أمرا
ضلّ السبيل ، فأمسى يركب الفرّ^(٢)
أعظم به وبهم من حوله نفرا ؟
لأذهب الله عنك الرّجس والوَضْرَا
تنهّاه عن نزع الغنى ما ازدجرا
ما مشها من يد نفعا ولا ضررا
فأت الرسول وسله تبليغ الوطرا
على اليهود ويحزى الله من شكرا
أغراه بأنسير حتى جدّ مبتدرا^(٣)
يظن ذلك رأيا منه مُبتسرا^(٤)
لخاق بالجاهل المذفون مامكرا
منه صريمة عاد ينقض المررا^(٥)
بالسيف يورده منه دما هدررا
من قومه فاستحضر القتلى واستعرا

(١) أنحى على الشيء أقبل .

(٢) الفرّ العرض للهلكة .

(٣) خرج أسير ومعه ثلاثون رجلا من اليهود مع رجل رديف من المسلمين وكان هو

رديف عبد الله بن رواحة ، حتى إذا كانوا بقرقرة . موضع على ستة أميال من خيبر ندم أسير على سيره ، وأراد الفتك بابن رواحة ففطن له وهو يريد السيف ، فاقضم به عبد الله ثم ضربه فسقط . ومال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه ، ورأى مبتسرا أى غير ناضح . (٤) الصريمة العريضة .

سيرة عبد الله بن رواحة الأنصاري إلى أسير بن رزام اليهودي نجبر

لما قتل أبو رافع أمرت اليهود عليها أسير بن رزام فغضب لقومه وسار في غطفان وغيرهم يجمعهم للحرب . وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فوجه عبد الله بن رواحة وبعض أصحابه في رمضان من السنة السادسة يستأمنون الخبر ، وعادوا بعد ثلاثة أيام يذكرون مارأوا وسماوا ، فبعثه إلى أسير في ثلاثين رجلا ، فعرضوا عليه أن يسير معهم إلى النبي ليحسن إليه ويستعمله على خير فشاوّر قومه فرضى بعض وأبى بعض ، وسار ومعه جمع منهم ، فلما كان في الطريق ندم على سيره ، وأراد الفتك بابن رواحة فقتله ، وقتل المسلّون من كان معه إلا رجلا اشتد في الحرب ، وكان ذلك في شوال من السنة السادسة .

أأنت يا ابن رزام تغلب القدرا ؟ جرب لك الويل من غرّ وسوف ترى
جرب أسير ولا تجزع إذا عثرت بك التجارب ، إن الحرّ من صبرا
كذبت قومك ، إن الحق ليس له من غالب ، فاعتبر إن كنت معتبرا^(١)
هيئات مالك إلا الغنى تتبعه والغنى يتبعه في الناس من فجرا
بئس الأمير وبئس القوم إذ جعلوا لك الإمامة كيما يدركوا الظفرا
الظفرون بنو الإسلام ، لا فزعا يرى العدى في الوغى منهم ولا خورا
هم الألى يلبسون الحرب زينتها إذا تعرّت وولّى الذادة الدبرا
ماذا تحاول بالأشياء تندبهم ؟ حاولت يا ابن رزام مطلبها عسرا
ظننتها غزوة تخفى مكائدها فما احتيا لك في السرّ الذي ظهرا ؟
لو لم يواف رسول الله مخبره وافاه من ربه من يحمل الخبرا

(١) قال هم والله ما سار محمد بنى أحد من يهود ولا بعت أحد من أصحابه إلا أصاب منهم ما أراد والكلّ أصنع الم يصنع أصحابي ، قالوا : وما عسيت أن تصنع ؟ قال أسير في غطفان فأجمعهم وسير بهم إلى محمد في عقر داره ، فإنه لم يفر أحد في عقر داره إلا أدرك منه عدوه ما يريد .

لم يترك السيف منهم وهو يأخذهم
مضى مع الريح لا يأسى لمهلكهم
كذلك الغدر يلقى الويل صاحبه
إلا حشاشة هاف يسبق البصر^(١)
ولا يبالي قضاء الله كيف جرى
وكيف يأمن عقبي السوء من غدرا؟

عمرو بن أمية الضمري يؤقد إلى مكة لقتل أبي سفيان

اختار أبو سفيان رجلا من أجرا الناس وأقدمهم على الشر ، ثم أعطاه ثقة وبعيرا ، وبشبه لقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج يحمل خنجرًا حتى جاءه فأنحنى عليه يريد أن يفعل بأخذته الزهبة وكان أسيد بن حضير مع النبي فشد على خنقه حتى ظهر الخنجر ، إذ كان يخفيه في ثيابه ، وقد استجار بالنبي فغفا عنه وأسلم ثم ذهب فلم يعرف اسمه ولم ير بعد ذلك .

أرسل النبي عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان ؛ وكان فاتكا في جاهليته شجاعا في إسلامه . فأخذ خنجرًا ، وخرج معه رجل آخر اختلف في اسمه ، ف قيل هو سلمة بن أسلم ، وقيل جبار بن صخر ، فجعل عمر ويتكرر يمكح حتى لا يعرفه أحد لشهرته فعرفه معاوية بن أبي سفيان وأشاع خبره ، فغضب الناس بطاردونه ، فاختبأ في غار وخرج فقتل رجلا من الكفار ، ورأى رجلاين منهم في طريقه إلى المدينة كانا يتجسسان على المسلمين ، فقتل أحدهما برمية سهم ، وأسر الآخر .

أبا سفيان أي دم تريد ؟ هي العنقاء مطلبها بعيد
بل العنقاء أقرب من مرام هو الأمل المحبب أو يزيد
أغررك خنجر يبيد شقي ؟ وما يدريك ، أيكما السعيد ؟
رأى رجلا ترى الشم الرواسي جلالته ، فترجف أو تميميد
فلم تنفعه من فزع قواه ولم ينهض به البأس الشديد
وشد خنقه يبيد أسيد فلولا الفرق لا تقطع الوريد
تلقا بمخالب مكفر يثور فتقشعر له الجلود
وأظهر ما يوارى من سلاح يدب بمثله الشنف الحقود^(١)
وأيقن أن دين الله حق فما يجدى الضلال ، وما يفيد
أصاب الخير من بركات رب هداه رسوله الهادي الرشيد

وجاءك يا أباسفيان عمرو
هو البطل الذي عرفت قریش
يخادعهم ، وما تخفى عليهم
بدا لهم المغيب فاسترابوا
وأبصره معاوية فجلى
وشدوا خفه فإذا سُدَّيك
وغيبه بطن الأرض غار
أعين بصاحب لا عيب فيه
وجاء حينه منهم غوى
يدير الكفر في فمه نشيدا
أصاخ له ، فأوقد منه نارا
تأهب واستطار ، فيالنفس
رمها في هيب البأس رب
فأين تزيع ويحك ، أو تحيد
فلا نكر بذاك ولا جحود
مكيدة من يخادع أو يكيد^(١)
ولجَّ الذعر واضطرم الوعيد
سريرة نفسه النظر الحديد
أعير جناحه البطل النجيد
فما يدرون أين مضى الضريد؟
فنعم الصاحب الثبت الجليلد^(٢)
له في الشعر شيطان مرید^(٣)
يردده ، فيعجبه النشيد
لها من كل جارحة وقود
طفت حينها فادركها الخمود
لها في ناره الكبرى خلود

* * *

كلا الرجاءين يا عمرو عدو
هما عين الخيانة من قریش
رميت عن النبي فمن صريع
أراق حياته السهم السديد
فدونك إنه صيد جديد

(١) دخل مكة ليلا هو وصاحبه ، سلمة بن أسلم أو جبار بن صخر ، ومضى عمرو
يضوف بالبيت فرسه معاوية بن أبي سفيان فعرفه وأشاع خبره ، فقال أبو سفيان ورجل قریش
بوالله ما قدم عمرو إلا لشر وطأ ردوه .

(٢) سلمة بن أسلم أو جبار بن صخر .

(٣) راحل قتله أمية لقوله : -

ومن فزع مضيت به أسيرا
جلبت على أبي سفيان شرًا
تجرّع ثكل من فقيدا ذعافا
ستدركه الحياة ولا حياة
رجال لا تُبَيِّدُهُمُ النايَا
هو الإيتان ، لا دنيا حلوب
على جزع ، يذك واستقيد
فأصبح وهو محزون كمد
وأهلكه الأسى فهو الفقيد
لغير المؤمنين ولا وحود
وكل من بنى الدنيا يبيد
يعاش بها ، ولا ملك عتيد

عاد منصوراً وسارت معه نظر الله إليها فبدا
فرقدا ، يتبع منه فرقدا لرسول الله فيها ما بدا
قال : هبالي ، فلم يبخل بها ومضى من أمرها ما سدا
هبطت مكة في حاجته فهي للصحب من الأسر فدى
سره أن أطلق الشرك بها من نفوس حرة ما قيّدا

* * *

اذهي ما أنت من شأن الألى أوردوا قومك ذاك المورد
كذب الجهال فيما زعوا ما المباتير المواضي كالمدى

سِرِّيَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى نَبِيِّ كِلَابٍ

ويقال إلى بني فزارة بناحية « هريّة » بنجد ، خرج إليهم في شعبان من السنة السابعة في رجال منهم سلمة بن الأكوع ، فمد أن صلوا الصبح شنوا العارة عليهم فقتلوا وسبوا وكان من السبايا امرأة استوهبها سلمة من أبي بكر فجعلها له ثم استوهبها النبي صلى الله عليه وسلم من سلمة ، فوهبها له ، فأرسلها صلوات الله وسلامه عليه إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا عند المشركين .

جرّد السيف أبا بكر فما طبع السيف ليبقى مُفعدا
تلك نجد خيم الكفر بها فاستعن بالله واذهب منجدا
جاهد القوم وزلزل دينهم أين دين الكفر من دين الهدى ؟
سرت في بأس بعيد المرتضى ماله في الله جدُّ أو مدى
إنها الحرب ، فسر لا تتدد ودع السيف وأعناق العدى
فارم يا ابن الأكوع القوم فما خلّق الخلب لليث سدى
هدّهم أسرا وسبيا ، وسقى من سقى منهم أفأويق الردى
جال فيهم جولة عاصفة فهووا صرعى وأمسا هدا
صدفوا عن ربهم سبحانه وأبوا أن يُتقى أو يُعبدا
فجزاهم من نكال ما لقوا وى كأن الله يجرى القسدا

* * *

يا أبا بكر وأنت المرتضى أعطه المرأة يشكرها بدا^(١)
إن تكن سيّدة في قومها فكفاها أن أصابت سيّدا

(١) زعم بعض الرواة أن هذه المرأة أم قرعة التي ورد ذكرها في سيرة زيد بن حارثة رضي الله عنه ، وهو من أو هامهم .

رجل أجمع أن يخدعني فجعلت السيف يعلو أخدعه
أعلن الإسلام يحمي دمه وله بالكفر نفس مولعه
قال : هل شق الفتى عن قلبه فيرى السر، ويدري موضعه ؟
يا ابن زيد ، ياله من خلق لست بالمؤمن حتى تدّعه
ساء اللوم ، فقلب آسف يتقى الله ، ونفس موجهه
تاب مما سؤل الظن له وأبأها سنة مبتدعة
ليس للمرء من الأمر سوى مارآه ظاهراً ، أو سمعه
وخفايا الغيب لله الذي يعلم السر ويدري موقعه
احترس ما الظن إلا شبهة تتقيها كل نفس ورعه
واتبع الحق فهذا حكمه جاء في القرآن كيما تتبعه

* * *

ما سبيل المرء يرتاد الهدى كسبيل المرء يبغى المنفعة
ما نأى المؤمن عن عادته حين ينأى عن هوان وضعه

سرايا غلب بن عبد الله البشتي

السيرة الأولى

كانت في شهر رمضان سنة سبع إلى أهل الميعة بناحية نجد وهم على ثمانية برد من المدينة ، خرج إليها في مائة وثلاثين رجلاً ، فجمعوا على أهلها في مساكنهم . وقتلوا من تصدى لهم ، واستاقوا النعم والشاء ، وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد رضى الله عنهما فهيك بن مرداس الأسلمي وقيل الطفاني ، بعد أن قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلامه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنما لها تعوزا من القتل ، قال : هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ، ؟ قال أسامة . لن أقتل بعده من قالها ، وفي ذلك نزل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا . الآية » وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع الدية إلى أهله . وأمر أسامة أن يعتق رقبة : -

استأنى يا نجد أهل الميعة كيف أمسوا بعد أمن ودعه
وانظري ما صنع الكفر بهم من أذى يعجبه أن يصنعه
هو صنو الشر أو توأمة ماثوى في موطن إلا معه
ما الذى يعصمهم من غالب جذوة الحرب وليث الممعه ؟
جاءهم يقدم من أبطاله كل ماض لا يبالي مصرعه
يمنع الإسلام من أعدائه بدم يأبى له أن يمنعه
لوتمشى الموت في بردته حين يمشى للوغى ماروعه
أخذهم أخذة رابية صادفت منهم نفوسا فزعه
ثم آبوا كالنجوم الزهر في نعمة مما أصابوا وسعه

* * *

يا ابن زيد ، قدّم العذر ، وقل يارسول الله ، هل من تبعه ؟

السيرة الثانية

كانت إلى بني الملوح بالكديد . . . إسم ماء بين عسغان وقد يد . . .
خرج إليها في صفر من السنة الثامنة ، وكان من رجال هذه السرية جندب
ابن مكيث الجهمي رضي الله عنه قال : لما بلغوا قد يد وجدوا الحارث بن
مالك الليثي المعروف بابن البرصاء فأخذوه ، فقال : إني جئت أريد الإسلام
وما خرجت إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن تكن مسلماً فلن يضرنا
رباط يوم وليلة ، ثم وضعوا عليه حارساً . وأمروه أن يقتله إذا ظهر منه
سوء ، وساروا حتى أتوا الكديد ، فجعله أصحاب . . . جندب بن مكيث
ربطة لهم ، فأشرف على رأس تل فرآه رجل من بني الملوح فرماه بسهمين ،
وقع الأول بين عينيه فترعه ، والثاني في منكبه فكذلك ، ثم نام القوم
فحمل المسلمون عليهم سحراً ، فقتلوا منهم من قتلوا واستاقوا النعم ،
واستصرخ القوم . فاجتمع عدد كثير وحلوا على المسلمين فأرسل الله السبل
في الوادي . وادى قديد من غير سحابة ولا مطر فعال بينهم ، وأسلم ابن
البرصاء وهو صحابي توفى آخر خلافة معاوية .

بني الملوح لا حام ولا واق طاف الردي وتلاقى الشرب والساق
أتاكم المرهفات البيض زائرة فاستقبلوها بهامات وأعناق
مشى بها غالب في غير ما وهن يلفئ للحرب آفاقاً بأفاق
رمت به هم الإيمان ممعنة فالشرك يرجف من خوف وإشفاق
ما خطب هذا الذي لاقت فوارسه عند القديد ، أيمضى غير معتاق ؟
كلاً فإن يك حقاً ما يقول فما فيما يريدون من ظلم وإرهاق
يقيم حتى يعودوا ثم يصحبهم إلى الرسول على عهد وميثاق
وإن يكن كاذباً فالسيف صاحبه والسيف صاحب صدق غير مدّاق

* * *

جاءوا « الكديد » فبايعني رببتهم والنوم يلهمو بأحضان وأحداق
ولاح بالليل فوق التل منظره لساھر قام من دعر على ساق
رمى بسهمين لم يُخطئ له نظر ولم يجاوزه في نزع وإغراق

انزعها ابن مكيث لا تكن جزعا
وياسيوف رسول الله لا تدعى
النازلين وراء الحق منزلة
ما ينكرون من الدين الذي كرهوا ؟
دين السجايا العلى تمضى بهم صعدا
دين هو الفلّ ينهى كل مبتدع
لا يحبس النفس إلا حين يطأها

* * *

بني الملوح ردّوا من غوايتكم
هو الشقاء لأدواء النفوس إذا
أتصدقون عن التلى وقد هتفت
لولا العى ما اقتديتم في ضلالتكم
والناس من زعماء سوء في خبل
يا ويلكم إن رضيتم جوف مظلمة
ماذا صنعتم بخيل الله حين دعا
طارث بكم غارة حرى فأطفأها
لا تنكروا وقضاء الله يرسله
أعظم بها آية لولا جهالتكم
سيقت لنصرته الأقدار تمنعكم
وأنت يا أيها المزجي مطيّته
أصبت من نعمة الإسلام كنز هدى
فاسعد برزقك ، واشكر من حباك به

ولا ترعّ لدم في الله مهراق
للعاكفين على الأصنام من باق
ما اختارها غير فجّار وفساق
هل جاء إلا بأداب وأخلاق ؟
ما تستطيع مداها همّة الراقى
يرمى النفوس بأغلال وأطواق
وليس يظلم في حبس وإطلاق

* * *

فالحق ذو وضح باد وإشراق
حار الطيب ، وأمسى رهن إخفاق
بها الدعاة ، فلّبي كل سباق ؟
بمعشر من قرش غير حذّاق
يؤذى الطيب ويُعنى حكمة الراقى
مسجورة ذات أطواء وأعناق ^(١)
يستصرخ الحى منكم كل نفاق ؟
وادى قديد بسيل منه دفاق
ما كان من دهش جم وإطراق
كانت لخير البرايا خير ، صدق
أن تدركوا جنده كل منساق
إلى الرسول يوالى سير مشتاق ^(٢)
أغناك ربك منه بعد إملاق
سبحانه من عظيم الفضل رزاق

(١) المسجورة الموقدة والأنواء الآبار .

(٢) هو الحارث بن مالك الليثي .

السيرة الثالثة

لما عاد غالب بن عبد الله الذي رضى الله عنه من الكديد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد « فبكك » في صفر سنة ثمان ومعه مائة رجل فأغاروا على بني مرة فقتلوا وغنموا ، وكان بشير رضى الله عنه قد سار إليهم في شعبان سنة تسع ، ومعه ثلاثون رجلا فارأوا منهم أحدا وعادوا بالعم والنساء فأدركوهم وجعلوا يرمونهم بالنبل ، فقتل من قتل وولى الباقون إلا بشيرا ، فقد ثبت لقتالهم حتى جرح فسقط وبه رمق ، وعمد القوم إلى اختباره بضربة في كعبه فلم يتحرك ، فظنوا أنه قد مات ، واضرفوا عنه لنعهم وشاتمهم ، فتعامل هو فذهب في الليلة التالية إلى فدك فأقام فيها عند بعض اليهود حتى قوى ثم عاد إلى المدينة بعد أيام : -

بني مرة أقضوا أمرهم قبل غالب
بشير بن سعد والذين أصابهم
جهنم جزاء البغي والبغي مركب
خذوا أجزاء من يد الله عادلا
بليته بخضم لا تنام سيوفه
أبى على الكفار يستقيم الردى
حقى بدين الله يمنع حوضه
هو الدم لا يشفى من الجهل غيره
أجل يا ابن عبد الله إن الوغى لها
شدت قوى الأبطال بالموثق الذى

وذوقوا منايا القوم من كل ذاهب
إذاكم رموكم بالقروم المصائب
لذى الجهل يؤذى شؤمه كل راكب
يدمر منكم كل راض وغازب
عن الوتر إن نامت شفار القواضب
وبأخذهم بالخسف من كل جانب
ويكفيه أضغان العدو المشاغب
إذا لم يُفد فيه ضرور التجارب
رجال يرون الحزم ضربة لازب
عقدت على تلك القوى والجواذب^(١)

فعمد على عهد من الله ثابت
أنخ لأنخ جهم الوفاء وصاحب
ويا لك إذ تلتقى بما أنت قاتل
أخذت رماة النبل بالسيف مارى
سقام تقيع الخنف من كل ماجد
لذى الحلم من حسن المثوبة ما ابتغى
دعاك رسول الله أصدق من دعا
فكنت أمام الجيش أكرم قادم
مقام تمنى الزبير ومطلب
ظفرت به يا توأم النصر توأما
مضى لك يوم فى الكديد مشهر
فياحسنها من وقعة غالبية

وإلف على إلف من الدين راتب
أمين الهوى يرعى الذمام لصاحب
عل الجند آداب الكمي الحارب
بغير المنايا عن يدي كل ضارب
جرى الخنف صرفا في دم منه ذائب
وللجاهل المفرور سوء العواقب
إلى الحق ترى دونه غير هائب
وكنت وراء النهب أكرم آيب
يراه الفتى المقدام أسنى المطالب^(١)
لما نلت من مجد على الدهر دائب
يحدث عن جد امرئ غير لاعب
ويا لك من يوم جليل المناقب

(١) عن حويصة رضى الله عنه قال : بعثني صلى الله عليه وسلم في سرية مع غالب إلى بني مرة فأغرنا عليهم مع الصبح ، وقد أخذ علينا أميرا أن لا تفرق وأخى بيننا ، وقال : لا نعصون ، فإنه صلى الله عليه وسلم قال : من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني .

(١) روى أنه صلى الله عليه وسلم هيا الزبير بن العوام رضى الله عنه ، وقال له : سر حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير وهيا معه مائتي رجل ، فلما رجم غالب بن عبد الله من الكديد مؤيدا بالنصر استبق الزبير وشبهه هو .

سيرة بشير بن سعد رضي الله عنه

وهي السرية الثانية له بعد التي ورد ذكرها في السرية السابقة ، كانت إلى عين وجبار وهي أرض انصاف وقيل انصارة ، خرج إليها في شوال سنة سبع ومعه ثلاثمائة رجل ، وسبب خروج هذه السرية أن عيينة بن حصن أعد جما بأرض غطفان للإغارة على المدينة ، فلما بانهم سير بغير إليهم مربوا ، وأصاب هو وأصحابه نهما كثيرة لهم فغنموها ، ثم لتوا الجمع ومولا يشعربهم فانهزم بغير قتال وتعموم ، فأسروا منهم رجلين أسلما وخلي سبيلهما .

عيينة ماذا أنت - ويحك - صانع ؟
رويدك هل يغزو المدينة حائق
هي الصخرة العظمى فلا البأس نافع
لها من جلال الله حصن ممتع
وفيها رسول الله والنفر الألى
إذا وردوا الهيجاء فالنقع قائم
بشير بن سعد يا عيينة قادم
أناكم على بعد المزار حديثه
فررتم تريدون النجاة وقد بدا
وغادرتم الأنعام تموى رعائها
فيالك من نهب تولى حماه
ويا للأسيرين اللذين نهاها
هما أسلما ، لما بدا الحق واضحا
أطاعا رسول الله فاهتديا به
عيينة من ينزع إلى الرشدا لا يزل

وما ذلك الجمع الذي أنت جامع
ويطعم فيها يا عيينة طامع ؟
إذا جئت تبغيها ولا السيف قاطع
يرد الأذى عنها وجيش مدافع
يهون عليهم أن تهول الوقائع
وإن صدروا بالخيال ، فالنصر لاعم
فهل أنت بالجمع المضلل راجع ؟
فلا قلب إلا واجف منه جازع
لكم منه يوم هائل البأس رائع
وتنديها آثارها والمرامع
وأقبل يُرجى سربه للتتابع
عن الشرك ناه من هدى الله رادع
وللحق نور للعماية صادع
وما يستوى في الناس عاص وطائع
على لاحب منه ، فهل أنت نازع (١)

سيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد بلخ وعذرة

تقع هذه البلاد وراء وادي الفري ، بينها وبين المدينة عشرة أيام ، وبلى قبيلة كبيرة تنسب إلى بلى بن عمرو بن مكاف بن قضاة ، وتنسب عذرة إلى عذرة بن سعد بن قضاة ، وتسمى هذه السرية ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا ، والمراد أنهم تجمعوا وانضم بعضهم إلى بعض ، وقيل لأن بهذه البلاد ماء يسمى . . . السلسل . . . كانت في جادى الآخرة سنة ثمان ، وسببها أن جما من قضاة أرادوا الإغارة على المدينة . فبعثها النبي صلى الله عليه وسلم تحت إمرة عمرو ابن العاص وعددها ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين والأنصار ، فلما اقترب من القوم بعث رافع بن مكيث الجبلى إلى النبي يستعده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين من أكابر المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر ، وأوصاه بطاعة عمرو ، فأراد أن يؤم الناس في الصلاة ، فأبى عمرو ، وقال : أنا الأمير ، فأطاع أبو عبيدة ، وما زال عمرو يصل بالناس ، وحل المسلمون على العدو ، فهربوا بعد أن اقتتلوا ساعة ، فقتلوا وغنموا ، وأمر عمرو أن لا يوقدوا نارا ، فأسكر عمر ذلك ، فقال أبو بكر : دعه ، فما بعثه النبي إلا لعله بالحرب وأرادوا أن يتبعوا العدو ، وهو مدير فتعمهم ، فلما هادسأله النبي فقال : كرهت أن يوقدوا نارا فيرى العدو قنهم ، وأن يتبعوم فيكون لهم مدد .

إلى ذات السلاسل من بلى وعذرة فامض ، بورك من مضى
تدفق بالآلى جاشت قواهم إليك تدفق السيل الآتى
إلى قوم من الأعداء تطوى جوائنهم على الداء الدوى
تألب جمعهم من كل أوب يحاول بالسيوف حى النوى
أهزل من قضاة أم خيال غوى جال في جوى غوى ؟
تولى الكفر أمر القوم فيه فسوف يرون عاقبة الولى
جمعت لحربهم يا عمرو بأسا يزول كل جبار عتى
رأيت جموعهم شتى فهذا رسواك جاء بالمدد القسوى

عليه أبو عبيدة في سلاح
 نهاه محمد عن كل أمر
 ينافرك الإمامة ثم يرضى
 رميت الكافرين بكل ماض
 فزالوا عن حظائرهم سراعاً
 تواصلوا بالثبات فوزلتهم
 هو البأس استطار فلا ثبات
 قضيت السؤل من قتل وغنم
 وكنت القمائد القطن الملقى
 منعت النار خيفة أن تعرى
 تدافع دون عدتهم عدوا
 ولم تنبع قضاة إذ تولت
 تقاتلها بسيف من دهاء
 رمى الفاروق من عجب بقول
 فقال له أبو بكر : رويداً
 رسول الله أكثر منك علماً
 وما للحرب إلا كل طَبَّ

يُجْعُ عصارة الموت الوحى^(١)
 تضيق به ، وما هو بالعصى
 وتلك سماحة الخلق الرضى
 من الأبطال يعصف بالرمي
 ولم تُغن الرباق عن الشوى^(٢)
 صواق ما تكف عن الهوى
 لغير السيف والبطل الكى
 ونلت ذؤابة الشرف العلى
 فنون المكر والكيد الخفى
 جنودك ، شيمة الحذر الذكى
 تخادعه عن الأمر الجلى
 وإذ ذهل الصق عن الصنى
 يمزقها بحمد لودعى
 يثير حمية الرجل الأبى
 ولا تعدل عن السنن السوى
 بصاحبه ، ولست له بسى
 بصرفها برأى عبقرى

■ * ■

أمير الجند بالك من سرى
 مشى الصديق والفاروق فيه
 وهل يُقضى على اسم الله أمر
 فينكره انتقى على اتقى ؟

أصاب أمارة الجند السرى
 على أدب من الخلق السنى

إذا استوت المراتب وهى شتى
 فما فضل اللبيب على النبي ؟
 إذا فزع الرجال إلى الكفى
 شأوت السابقين إلى محلى
 وذلك فضل ربك ، زيد فيه
 على يده ، لذى الجدة الخطى

يجاوز غاية الأمم القصى
 مجاوز غاية الأمم القصى

سيرة أبي عبيدة بن الجراح

وتسمى سرية الخط ، وذلك لما أصابها من الجوع فألجأها إلى أكل الخط ، وهو ورق أسلم فإتيها خرجت للجهاد ، ولم يكن معها من الزاد سوى جراب تمر زودها النبي صلى الله عليه وسلم لياه ، وسماها البخاري . سرية سيف البحر ، أي ساحله ، بعث أبو عبيدة في رجب من السنة الثامنة بعد أن تقضت قريش عهد الرسول الكريم ، وقبل فتح مكة ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا من المسلمين فيهم عمر بن الخطاب إلى أرض جهينة ليلقي عمرا لقريش ، ويحارب حيا من هذه القبيلة ، فلما اشتد بهم الجهد ابتاع قيس ابن سعد بن عبادة من أحد رجال جهينة خمس جزائر بخمسة أو سق من التمر يؤذيها أبوه عنه بالمدينة ، فنهزم ثلاثا . وبقي اثنان عاد بها إلى المدينة يتعاقب الساموق عليهما : -

هم سادة الحرب من شيب وشبن
حيدى جهينة أو بيدى مذمة
سرية الله ترمى عن يدى بضل
أبا عبيدة أوردتها مضقرة
ما للحفيظة إن جاشت مرجاها
خانت قريش وأمسى عهدا كذبا
لا يعجب جناة الشر إن حصدوا
لا تبتئس بجراب لتمر يعله
أعجوبة ما لها في الدهر من مثل
إن ينفذ الزاد أغداكم وزودكم
كلوا من الخط ، نعم الخط من أكل
حيّاكم الله من صيد غصرفة
هى النفوس بناها الله من تيم

وأنت يا قيس فانحرها مباركة
أسديتها يا ابن سعد خير عارفة
ما فى صنيعك من بدع ولا عجب
كلا كما وسيوف الله شاهدة
ما أقرب الحق مما يبتغى عمر
يقضيه عنك ، وإن أريدت تجعله
ما مثل ما قدمت لله منك يد

تجنّب بها الحمد يستعمل به الجاني
جاءت على قدر فى خير إبان
قيس ووالده فى الجود سيان
غوث اللهيّ ، وروح البأس العاني
لو لم تكن لأب للحق صوان
ما تحمل الأرض من إبل ومن ضان
ما قدم الناس من هدي وقربان

أبا عبدة لولا أن عزمت على
يقول إذ رحت تنهاه وتمنعه
أنا ابن سعد ، وسعد أنت تعرفه
يكفى المهم إذا ضاق الكفاة به
أصنع الصنع محمودا فيخذلنى
لا يُبعد الله منه والدها حدبا
يا قيس إن رسول الله شاهده

رمت جهينة بالأبصار من فزع
لاذت بأكتافها القصوى ولو قدرت
وولت العير يخشى أن يحاط بها
ماداعلى القوم يرضى البأس إن غضبوا
أبوا بخير ، وآبت كل طائفة
للحق سلطانه ، فليأت منكركه
ما حجة الشرك ، والأكران شاهدة

قيس لأمن قيس أى إيمان
أبا عبدة مهلا ، كيف تنهاني ؟
مولى العشيرة من قاص ومن دان
ويطعم الناس من مثني ووحدان
أب أراه لغيري خير معوان ؟
سمح الخلائق أرعاه ويرعاني
فقدت نفسك عن وصف وتبيان

فلم تجد غير أبطال وفرسان
لاذت من الزاخر الطامى بأكتاف
من الألى هم ذووها كل شيطان
أن لا يفوزوا بأكفاء وأقران ؟
من الألى كرهوا الحسنى بخسران
إن استطاع له ردّا بسلطان
بواحد سمردي الملك ديان ؟

سبحانه ، ان يصيب الجاهلون على طول التوهم من رب لم ثان
طاحت بهم غمرة ماتنجلي ، وطففت على عقول لم مرضى وأذهان
تلك البراهين تترى كل آونة لو كان ينتفع الأعشى ببرهان

* * *

أخا جهينة ، عُذ في منظر بهج عود امرى* مرشح الأعطاف جذلان
تمر وكسوة معطاء ، وراحلة بشرى الصديق، وبؤس^(١) الحاسد الشاني
عرفت قيسا فتى مجدي ومكرمة صدقت ، إنك ذو علم وعرفان
نبي جهينة واذا كرها يدا عظمت فليس في الحق أن يحزى بنسيان

* * *

إذا تدفق دين المرء في دمه سرت معانيه في روح وجثمان
ما الدين يشرع من صدق ومن ورع كالدين يشرع من زور وبهتان

سيرة بشير بن أبي سفيان خليفته إلى بني تميم

أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني كعب لأخذ صدقاتهم ، وكانوا من بني تميم على ماء فتمعه هؤلاء من أخذها ، فعاد إليه بخبرهم ، فأرسل معه عينة بن حصن بعد إسلامه - في خمسين فارسا فأغار على بني تميم ، وأخذوا منهم رجلا ونساء وصبيانا ، وعادوا إلى المدينة فجاء في أثرهم من رؤسائهم عطاء بن حابس ، والزرقان بن بدر والأفرع بن حابس ، وأخذوا يسادون النبي ، وهو في داره : أن أخرج إلينا فافرك ونشاعرك (١) ، وكان يستعد لصلاة الظهر ، فلما خرج للصلاة تعلقوا به ، وبعد أن قضاها عاد إليهم ، فتكلم خطباؤهم وشعراؤهم ، وأذن لثابت بن قيس وحسان بن ثابت ، فخطب الأول ، وقال الثاني شعرا ، ثم إنهم أسدلوا فرد الأسارى إليهم ، وأعطوا الجوائز السنية ، وأقاموا مدة بالمدينة يتعلمون القرآن

سبيك في مرضاة ربك يا بشر وفي حقه فاد أب وإن فدح الأمر
عليك بني كعب فخذ صدقاتهم ولا تألمهم نصحا ، لهم ولك الأجر
أطاعوك في ذات الإله ، وأقبلوا كراما ، يرون الدين أن يُبذل البر^(٢)
فما لتميم ساء ما صنعت بنو تميم أما للقوم رأي ولا حجر^(٣)
أبوا أن يؤدوا الحق واحتاج جمعهم فعب عباب البنى واحتدم الشر
يقول بنو كعب ، دعونا وديننا وهيئات ليج الشرك واستكبر الكفر
لك الله يا بشر ، فقد غير آسف لربك فيهم حكمه ، ولك العذر

(١) نزل في هذه الواقعة قوله تعالى « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يقولون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم .
(٢) أخذ بشير صدقات بني كعب ، فقال لهم يوتيم - وكانوا معهم على ماء - : لم نطوهم أموالكم ؟ فقالوا لهم : إنا قد أسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة ، فأخذوا سلاحهم ومنعوا من أخذ الصدقة وقالوا : والله لن ندع بييرا واحدا يخرج .
(٣) الحجر العقل .

أتيت رسول الله تروى حديثهم
أعدَّ ابن حصن للوغى وأمدّه
إذا ذاقه في غمرة الحرب قرنه
أغار عليهم فاستباح نفوسهم
تساق سباياهم وأنعامهم معا
تود لوان القوم يستنقذونها
أقاموا على غيظ ، وعاد عيينة
عليه من النصر الحجل بهجة
يظل أسارى القوم في دار «رملة»
رأوا سوء عقابهم ، فأقبل وفدهم
تصبح ذرايرهم وتبكي نساؤهم
أتوا دار أمضى الناس رأيا وهمة
ينادونه في ضجة من ورائها
ألا اخرج إلينا ، وانظر اليوم أيننا
فلما رأوه خارجا علقوا به
قضاها صلاة يحمل الروح نشرها
وعاد حميدا ينظر القوم حوله
يقولون قول الجاهلين ، وقلنا
عطارد مهلا ، وإنه صحبتك ، إنما

فهيجت بأسا مثلما يقدر الجمر
بكل شديد البأس ، مطعمه مر
تنسكب يلوى أخذه ويزور
وأموالهم ، فلينظروا : لمن الخسر ؟
بأعينهم من كل أوب وهم كثر
وهيئات لجّ الرعب واستفحل الذعر
مفاته شتى ، وآثاره غر
إذا اثقلت أوضاعها ، ضحك النصر
مجازيع مما يصنع الحبس والأسر^(١)
وضجّ الأسارى : إننا مسنا الضر
وجهد الأسى أن تهطل الأدمع الغزر
لناتبة تعتاد ، أو حادث يعرو
ولو ملكوا صبرا لأغنام الصبر
له الشرف العالى الذرى وله الفخر ؟
ولم يثنهم صوت الأذنين ولا الزجر^(٢)
فلا أرج يحكى شذاها ولا نشر
لهم صاف ما ينقضى ، وبهم كبير
يفيد الهراء القوم أو ينفذ المجر
أردتم مقاما دونه الشعر والنثر^(٣)

(١) هي رملة بنت الحارث .

(٢) كان بلال يؤذن لصلاة الظهر .

(٣) قال عطارد ، وقيل غيره من خطبائهم : الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله ، الذى جمعنا . لوكا : وذهب لنا أموالا عظيمة عمل فيها للمعروف ، وجمعنا أعز أهل المشرق =

إلا إن قول الصدق ما قال ثابت
خطيب رسول الله ما فيه مزية
غلبتم فأسلمتم فبشرى بنعمة
خذوا السبي والأسرى وهذا عطاؤكم
أحبوا رسول الله يا قوم إنه
عطوف على ذى الضعف ، يؤتيه فضله
أقيموا على الفرقان تتلون آية
كتاب يضى السبل ، فى كل مطلع
خذوا زادكم منه ، وعودوا لقومكم

وحسان فاشهد إنما يشهد الحر
وشاعره ما مثله شاعر بر
حباكم بها رب له الحمد والشكر
عطاء ككرم ما لآلائه حصر
محبتة غنم ، ومرضاته ذخ
عفو حلیم ، ما يضيق له صدر
فذلك نور الله ما دونه ستر
لكل ابن ليل من مطالعه فجر
فما تم زاد مثله أيها السفر

== عددا ، فن مثلنا فى الناس . . الخ وما قاله ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله :
الحمد لله الذى خلق السموات والأرض مضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ، جعلنا . لوكا
وواصلنى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسباً وأصدقهم قبا وأفضلهم حسبا ، فأنزل عليه كتابه
حوائمه على خلقه ، وقال الزبرقان :

من الملوك وفينا تنصب البيع

نحن الكرام فلا حى يعادلنا

وقال الأقرع بن حابس :

وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم

وأنا رموس الناس من كل معشر

وقال حسان :

على رغم عات من بعيد وحاضر

نصرنا رسول الله والدين عنوة

سيرة أبي سفيان المغيرة بن شعبه رضي الله عنه

أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من تبوك ، لحلم اللات - صنم ثقيف ، فذهب في بضعة عشر رجلاً فهدموها ، وأراد المغيرة أن يسخر بثقيف ، فلما علاها ليهدمها بانفعل ألقى بنفسه ، فقالوا قتله . وخرج النساء حسراً ليكون عليهما .
هدموها وأخذوا حليتهما وكسوتها ، وما كان فيها من ذهب وفضة - وطيب ، وأقبلوا على النبي فحمد الله : -

تقيف اجمى للات ماشئت من عزم
أتاها أبو سفيان يرمى كيائها
وإن لها عند المغيرة همة
علاها بنعليه ، وألقى بنفسه
ظنتم به شراً ، وقتلتم أصابه
ألا فانظروها ، كيف أضحت صخورها
تهدئ وتبكيها العقائل حسراً
وهل منعت أسلابها إذ أصابها
له من دم الكفار ما شاء ربه
هم البغي والظلم المذموم والأذى
علت قبة الاسلام ، واعتز جنده
هو الدين ، لا دين الجهالة والعمى
قضى الله ألا يعبد الناس غيره
وليس له غير الذي عاب دينه
سيصليه نارا ينضج الجلد حرها

ولا تسليها للمعاول والمهدم
بخطب يزيد الكفر رغماً على رغم
تبئت لها الكفار صرعى من الهم
يخادع من لا يستفيق من الوهم
من اللات ما ينهى الفوى عن الإثم
تطير فضاضا من صلاب ومن صم
فهل عندها بالمآثم الضخم من علم ؟
رسول هدى يزداد غمًا على غم ؟
ومن ما لهم ، في غير بغي ولا ظلم
وما ثم من عيب شنيع ومن ذم
فن شرف واف ، ومن سؤدد جم
وهل يستحب الجهل من كان ذا حلم ؟
فما لسواه من قضاء ولا حكم
وأعرض عنه من عدو ولا خصم
ويذهب يوم الدين باللحم والعظم

سيرة أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه

كانت هذه السيرة إلى « أبي » ناحية بالبقاء من أرض الشام ، وهي آخر السرايا ، أمره النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين السادس والعشرين من صفر من السنة الإحدى عشرة بالهجرة لغزو الروم . فلما كان من الغد دعاه ، وقال له : سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الحيل ، وقد وليتك أمر هذا الجيش ، فلما كان يوم الأربعاء حم وصدع صلوات الله وسلامه عليه ، فلما أصبح يوم الخميس عقد له لواء وقال له : اغز باسم الله وفي سبيل الله ، وخرج أسامة فدفع اللواء إلى بريدة بن الحصيص ، وتبأ المهاجرون والأنصار للخروج ، وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، واستنكف قوم من تأمير أسامة ، وقالوا : غلام ، وكان سنة ١٧ أو ١٩ أو ٢٠ سنة وبانت النبي مقاتلهم ، فغضب كثيراً ، وخرج ، وقد عصب رأسه فصعد المنبر ، وقال : -

أما بعد ، أيها الناس ، فإني أقول بلفظي عن بعضكم في تأمير أسامة ؟ ولئن طعنتم في إمارته فقد طعنتم في إماره أبيه من قبله ، وأيم الله إن كان لخليقا بالإمارة وإن ابنه من بعده لخليق بالإمارة ، وإن كان من أحب الناس لي ، ولأنه لظنة كل خير ، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم . وكان ذلك يوم السبت عاشر ربيع الأول ، وأمر النبي أبا بكر بالتخلف ليصل بالناس ، فلما كان يوم الأحد اشتد وجهه ، فجاء أسامة وطأطأ فقبله ، ثم رجع إلى معسكره « بالجرف » ثم عاوده يوم الإثنين فقال له : أغد على بركة الله ، فودعه وخرج ، وأمر الجيش بالرحيل ، فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول : لا تعجل ، فإن المرض قد اشتد على الرسول ، فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة ، واتبوا إليه صلى الله عليه وسلم - وقد توفى - وعاد الجيش إلى المدينة ، وعاد بريدة باللواء ، ففرزه عند النبي ، فلما بويح لأبي بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ، وأن يمضي أسامة لا أمر به ، فخرج وسار أبو بكر رضي الله عنه يودعه ماشياً ، وقد نصره الله وأيده : -

سر يا أسامة ما لجيشك هازم أنت الأمير وإن تعتّب واهم
قالوا : غلام للكتائب قائد وفتى على الصيّد الخضارم حاكم
غضب النبي وقال : إني بالذي جهل الفضاب الساخطون لعالم
(٢٩ - ديوان عبد الإسلام)

إن يحلوه فقد عرفت مكانه والعدل عندي ، لا محالة قائم
ولئن رموه بما يسوء فقد رموا من قبل والده وليج الناقم
نقموا الإمارة فيهما ، وهما لها أهل ، فكل أحوذى حازم
الخير فيه وفي أبيه فآمنوا ياقوم ، وانطلقوا لما أنا عازم

* * *

ساروا وظل مع النبي خليله والخطب بينهما مقيم جانم
ينتاب مضجعه وينظر ما الذي صنع القضاء فمئة متراكم
مرض النبي طغى عليه ، فقلبه يفساه موج للأسي متلاطم
ودرى أسامة فائتي في جيشه والحزن طام والدموع سواجم

* * *

مات الرسول المجتبى ، مات الذي أحيأ نفوس الناس وهي رمائم
مات الرسول فكل أفق عابس أسفا عليه ، وكل جور قائم
مات الذي شرع الحياة كريمة والناس شر والحياة مآثم
مات الذي كانت محائب طبه تشفى العقول ، وداؤها متفاقم
طاشت لمصرعه عقول رجح ووهت قوى مشدودة وعزائم
دنيا المالك بعد عصر محمد حزن يحدد ، والعصور مآثم
صلى عليك الله إن قضاءه حتم ، وإن زعم المزاعم حالم

* * *

عاد ابن زيد بالكتائب مالوى من عزمه الحدث الجليل العارم
يمشى الخليفة لا ئذا بركابه وكأتمما هو سائق أو خادم
وأبى الأمير ، فقال : دونك مركبي لا تمس إني إن فعلت لناعم
ولئن أيت لأزلى كرامة لك ، فاقض أمرك ، لا نبالك صارم

قال الخليفة : ما أراك بمنصفى دعنى فلاسلام حق لازم
أنا من جنودك ، لو ملكك رأيتنى تحت اللواء ، فهالك أو سالم

* * *

قضى الوداع ، وعاد مشكور الخطى يرعاه للإسلام رب راحم
سر يا أسامة فالتواضب لم تمت هى ماترى وهو الجهاد الدائم
وإذا البواتر واللهازم أعوزت فالمسلمون بواتر ولهازم
يا لائم القمر المنير مودعا هل كان قبلك للسكوا كب لائم؟
هى يا أخا الشوق المبرح قبلة ما ذاق لذتها مشوق هائم
ولقد تكون وفى حلاوتها أسي مر مذاقته ، ووجد جاحم

* * *

زلزل جنود الروم ، واهدم ملكهم فى عزه العالى ، فنعم الهادم
قتلوا أباك ، فلا تدعهم ، واعتصم منهم بريك ، إنه لك عاصم
ولقد هزمت جوعهم ، ففترقوا وشفاك منهم جيشك المتلاحم
وأجلت خيلك فى عراض ديارهم وفعلت فعاك ، والأنوف رواغم
قتل وأسر ، هدا من عزوماتهم وأذلهم ، وكذلك يجزى الظالم
ولئن أزلت ديارهم ونخيلهم من بعد ما ظلموا ، فمالك لائم

* * *

عد يا ابن زيد باللواء مظفرا وانعم ، فبال محمد بك ناعم
هذا أبو بكر مشى فى صحبه يلقاك مبتهجا ، وركبك قادم
هم هناؤك ، وأنت أهل للذى صنعوا ، وحسبك أن يفيق النائم
اشكر صنيع الله يا شيخ الوغى إن الذى عاب الغلام لنادم
حب الرسول لك البشارة ، إنه شرف له فوق النجوم دعائم

ماذا يقول ذوو الخفيظة بعد ما
عقوا فتلك حمية عربية
للمرء من نور الحقائق ما يرى
والناس عند فعالهم إن يفعلوا
لا حكم للأنسب أو للسن في
شكرت أمية ما صنعت وهاشم
أعيا الأوائل عهدا المتقادم
لا ماتريه وسالوس ومزاعم
خيبرا ، فأحرار النفوس أعظم
ما قال فيهم ماح أو واهم

* * *

فهرس

من	من
٦٦ غزوة السويق	٣ مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية
٦٨ غزوة أحد	٦ الطعم بن عدى
٨٢ مقتل حزة رضى الله عنه	٧ في غار حراء
٨٦ الزمارة	٨ في دار الأرقم بن أبي الأرقم
٨٨ زياد بن عمار	٨ إرادة قتل الرسول وهجرته إلى المدينة
٩٠ مصعب بن عمير	١١ في الغار الأكبر غار نور
٩٢ المؤمنون والمنافقون	١٢ أبو بكر وحية الغار
٩٧ عبد الله بن جحش رضى الله عنه	١٣ سراقه بن مالك يريد قتل النبي
٩٩ محمد رسول الله	١٤ بريدة بن الحصيب وأصحابه يأتون بعده
١٠٣ غزوة حمراء الأسد	١٤ في خيمة أم معبد
١١٠ غزوة بني النضير	١٥ في قباء
١١٤ غزوة ذات الرقاع	١٦ حتى بن عمرو بن عوف
١١٩ غزوة بدر الآخرة	١٧ من قباء إلى المدينة
١٢٢ غزوة دومة الجندل	٢٠ بطن أم زيد بن ثابت
١٢٦ غزوة بني المصطلق	٢٠ المهاجرون في ضيافة الأنصار
١٣٠ إسلام الحارث بن ضرار رضى الله عنه	٢٣ مسجد المدينة
١٣٢ بركة أم المؤمنين جويرية	٢٤ أبو بكر يؤدى عن الحائط الذى أدخل
١٣٣ بين المخرج والمهاجرين	في المسجد
١٣٧ عبد الله بن أبي بن سلول	٢٥ بلال يؤذن للصلاة
١٤٠ قصة أم المؤمنين عائشة	٢٧ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
١٤٧ غزوة الخندق	٣٠ اليهود والمنافقون
١٥٣ بعد حفر الخندق	٣٥ غزوة بدر الكبرى
١٥٨ عباد بن بشر رضى الله عنه	٤٦ مصرع أبي جهل
١٦٠ نعيم بن مسعود الأشجعي وجنود الله	٤٧ صدى الواقعة في مكة
١٦٧ غزوة بني قريظة	٤٩ سواد بن غزيرة - حليف بني النجار
١٧٥ ثابت بن قيس رضى الله عنه والزبير	٥١ أصحاب القليب
١٧٧ سعد بن معاذ رضى الله عنه في خيمة	٥٤ شهداء بدر رضى الله عنهم
رفيدة الأسلمية	٥٧ ذكرى هذه الغزوة المباركة
١٨١ رفيدة الأسلمية رضى الله عنها	٦٠ الذكرى الثانية
١٨٣ سعد بن عباد رضى الله عنه	٦٢ غزوة بني قينقاع
١٨٥ غزوة بني الحيا	

- ١٩٣ غزوة ذي قرد
٢٠١ غزوة الحديبية
٢١٤ خراعة وبنو بكر
٢١٦ أم كلثوم رضى الله عنها
٢٢٠ أبو بصير وأصحابه رضى الله عنهم
٢٢٥ غزوة خيبر
٢٣٢ كثر بن النضير
٢٣٣ الخلفون
٢٣٤ عبد الله أبي بن سلول
٢٣٥ صفية أم المؤمنين رضى الله عنها
٢٣٨ رجوع المهاجرين من الحبشة
٢٤١ أم حبيبة رضى الله عنها
٢٤٤ أهل فداك
٢٤٦ بنو غطفان وسيدم عينة بن حصن
٢٤٨ حجاج بن علاط السلمي رضى الله عنه
٢٥٠ الشاة المسبومة
٢٥٢ المؤمنين في جيش الرسول
٢٥٣ غزوة وادي القرى
٢٥٥ أهل تيماء
٢٥٧ عمرة القضاء
٢٦٠ أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية
رضى الله عنها
٢٦١ إسلام خالد بن الوليد وعثمان بن أبي
طلحة وعمرو بن العاص رضى الله عنهم
٢٦٥ غزوة مؤتة
٢٧٢ الفتح الأعظم - فتح مكة
٢٧٣ بنو بكر وخراعة لإسلام أبي سفيان
وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء
٢٧٨ وقعة الفتح الأعظم
٢٨٥ العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه
٢٨٩ إسلام هند بنت عتبة زوج أبي سفيان
٢٩١ إسلام عثمان أبي قحافة والد أبي بكر
الصديق رضى الله عنهما
٢٩٢ كعب بن زهير وأخوه بجير رضى
الله عنهما

- ٢٩٤ غزوة حنين
٣٠٠ الأنصار ييكون
٣٠٢ هدم الغزى وسواع ومناة
٣٠٤ أم سليم زوج أبي طلحة زيد بن سهل
الأنصارى رضى الله عنهما
٣٠٦ قدوم هوازن ورد سبيها عليها
٣٠٨ عجوز عينة بن حصن
٣٠٩ قصة الغنائم
٣١٢ غزوة الطائف
٣١٥ عين أبي سفيان
٣١٦ سراقبة بن مالك
٣١٨ غزوة تبوك
٣٢١ في دار سويلم اليهودي
٣٢٢ الجند بن قيس
٣٢٣ البكاءون
٣٢٤ أبو خيثمة
٣٢٥ أبو ذر الغفارى رضى الله عنه
٣٢٦ طلحة بن عبيد الله
٣٢٨ قدوم يمنة بن رؤبة صاحب أبيه ومعه
أهل أذرج وجرباء ومقنا
٣٢٨ خالد بن الوليد والأكيدر
٣٢٩ خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند منصرفه من تبوك
٣٣٠ في العقبة بين تبوك والمدينة
٣٣٢ في المدينة التي يعرض عن المنافقين
ويأمر بمقاطعتهم
٣٣٤ مسجد الضرار
٣٣٧ عام الوقود
٣٣٩ وفد نصارى نجران
٣٤٢ وفد الأشعرين
٣٤٣ وفد تقيف
٣٤٥ وفد بني عامر بن صعصعة
٣٤٧ ضمام بن ثعلبة رضى الله عنه
٣٤٩ وفد بني عبد القيس من بلاد هجر
بالبحرين
٣٥١ وفد بني حنيفة

- ٣٥٣ عدى بن حاتم
٣٥٥ عروة بن مسيك المرادى
٣٥٦ وفد بني زبيد
٣٥٨ وفد كندة
٣٦٠ وفد أردشنة
٣٦٢ رسول ملوك حير وحامل كتابهم
٣٦٤ رسول فزوة بن عمرو الجفائي
٣٦٧ وفد بني الحارث بن كعب
٣٦٨ رفاعة بن زيد الخزاعي
٣٦٩ وفد همدان
٣٧١ وفد نجيب
٣٧٤ بقية الوقود
٣٧٦ كتب النبي صلى الله عليه وسلم
إلى الملوك
٣٨١ السرايا
٣٨٣ سرايا زيد بن حارثة
٣٨٣ السرية الأولى
٣٨٤ السرية الثانية
٣٨٥ السرية الثالثة
٣٨٧ السرية الرابعة
٣٨٨ السرية الخامسة
٣٩٠ السرية السادسة
٣٩٢ السرية السابعة
٣٩٥ سرايا خالد بن الوليد رضى الله عنه
٣٩٧ سرايا محمد بن مسلمة رضى الله عنه
٣٩٧ السرية الأولى
٤٠٠ السرية الثانية
٤٠٢ السرية الثالثة لقتل كعب بن الأشرف
٤٠٣ سرايا أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه
٤٠٣ السرية الأولى
- ٤٠٩ السرية الثانية
٤١٢ السرية الثالثة
٤١٤ سرية أبي سلمة إلى قطن
٤١٦ عبد الله بن أنيس الأنصارى
رضى الله عنه
٤١٨ سرية عكاشة بن محسن
٤١٩ سرية عبد الرحمن بن عوف إلى
دومة الجندل
٤٢١ سرية عبد الله بن عتيك الخزرجي
الأنصارى
٤٢٤ سرية عبد الله بن رواحة الأنصارى
إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر
٤٢٧ عمرو بن أمية الضمري يوفد إلى
مكة لقتل أبي سفيان
٤٣٠ سرية أبي بكر رضى الله عنه إلى
بني كلاب
٤٣٢ سرايا غالب بن عبد الله الليثي
٤٣٢ السرية الأولى
٤٣٤ السرية الثانية
٤٣٦ السرية الثالثة
٤٣٨ سرية بشير بن سعد رضى الله عنه
٤٣٩ سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه
إلى بلاد بلي وعذرة
٤٤٢ سرية أبي عبيدة بن الجراح
٤٤٥ سرية بشير بن أبي سفيان رضى الله
عنه إلى بني تميم
٤٤٨ سرية أبي سفيان والمغيرة بن شعبة
رضى الله عنهما لهدم اللات
٤٤٩ سرية أسامة بن زيد بن حارثة
رضى الله عنهما